عمرو الصاوي محمد الصاوي

عامة المغرب الأقصى في عصر المرابطين

٤٤٨ / ٥٤١ هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٦ م



تقديم
أ.د. عبد الرحمن بشير
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

نور حوران
للدراسات والنشر والتراث

عامة المغرب الأقصى
في عصر المرابطين

٤٤٨ / ٥٤١ هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٦ م

عامة المغرب الأقصى في عصر المرابطين

٤٤٨ / ٥٤١ هـ / ١٠٥٦ - ١١٤٦ م

تأليف
عمرو الصاوي محمد الصاوي

تقديم
أ.د. عبد الرحمن بشير
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

نور حوران
للدراسات والنشر والتراث

العنـوان: **عامة المغرب الأقصى في عصر المرابطين**
448-541هـ/ 1056-1146م

تأليف: **عمرو الصاوي محمد الصاوي**

حجـم الكتـاب: **17 × 24**

عدد الصفحات: **538**

الطبعة: **الأولى**

سنة النشر: **2026**

الإخراج الفني: **زهر الدين العقرب (0933422306)**

الناشر: **نور حوران للدراسات والنشر والتراث دمشق**

ISBN: **978-9933-687-03-8**

نور حوران

للدراسات والنشر والتراث

+963 9333 29 555

+963 9413 29 555

دمشق - سورية

Nour Houran

Publishing House

e.mail: nourpublishing@gmail.com

الإهداء

أتقدم ـ بعد شكر الله وحمده حمدا طيبا مباركا يليق بجلاله ـ بالتشكر والامتنان لأستاذي الأجل وأبي العلمي **الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بشير** على ما قدمه لي من عون وبذله من مجهود، وأستاذتي الدكتورة **آمال حسن** والدكتورة **صفي علي**.

وأمتن وأتشكر لحضرة الأستاذ الدكتور **عبد الحميد حسين حمودة** أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة الفيوم، وفضيلة الأستاذ الدكتور **وليد محمد إبراهيم** أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية اللغة العربية (قسم التاريخ والحضارة) بجامعة الأزهر الشريف فرع أسيوط، على تفضلهما وتكرمهما بقبول مناقشة الدراسة عندما قدمتها لكلية البنات بجامعة عين شمس (2021م)، للحصول على درجة الماجستير.

وأهدي ثمرة عملي للمؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور **إبراهيم القادري بوتشيش**، وللأستاذة الدكتورة **كريمة عبد الرؤوف**، ولما لا وقد كانت كتاباتهما سببا في إضاءة طريقي.

وأهديه كذلك لزميلي الفاضل الأستاذ **محمد عمار**، وللصغيرين **عبد الرحمن وجاسمين**، ولأبي وأمي وزوجتي الدكتورة **عفاف مفرح** الذين كان لدعمهم وتثبيتهم أكبر الأثر..

والله ولي التوفيق،،،

تقديم

يسعدني أن أقدم للقاريء العربي هذه الدراسة المتميزة في الموضوع والمضمون، للمؤرخ الواعد عمرو الصاوي الذي اختار أن ينحاز الفقراء والمهمشين، وكتب عنهم هذا العمل (عامة المغرب الأقصي في عصر المرابطين)، فما أن تنبه الفرنسيون لدراسة الطبقة الدنيا من مجتمعاتهم خلال الثلث الأول من القرن الماضي حتى انكب الأوربيون على دراسة التاريخ من أسفل، وبدأت تسري موجه من الدراسات في هذا المجال، وقد علق المؤرخ جيم شارب في مقال له بعنوان (التاريخ من أسفل) ضمن كتاب نظرات جديدة علي الكتابة التاريخية على أهمية الرجوع إلي الماضي سعيا وراء إعادة تجربة الشرائح الدنيا، ونبه على من يتصدى لدراسة هذا الجزء من التاريخ أن يطلق العنان لخياله لتوسيع رؤية الماضي، وإلقاء الضوء علي كثير من مناطق التاريخ التي كان يظن أن بقاءها في الظلام كان حتما مقضيا، وهو ما أكده الفرنسي فرنان بروديل في كتابه الحضارة المادية والرأسمالية، حيث ألقي الضوء علي قيمة الحياة المادية والتواريخ الصامتة للناس، فهو يري أن الحياة المادية هي الناس.

تلقف المؤرخون العرب في مصر وشمال أفريقيا هذه الفكرة وبدأت إرهاصاتها الأولي في نهايات القرن الماضي بدراسة العامة والمهمشين في التاريخ الإسلامي، ومن أهم الرواد في هذا المجال د. محمود إسماعيل عبد الرازق، حيث تعاطي مع هذه الفكرة كاتباً ومشرفاً على عدد كبير من الأرطاريح العلمية المميزة في مصر والوطن العربي، وكانت العقبة الكبرى في طريق إتمام هذا المشروع الفكري هى ندرة المادة العلمية حول العامة في التاريخ الإسلامي؛ إذ أن المظان التاريخية الإسلامية دارت في فلك السلطة

وتأليه السلطان، وأدارت ظهرها للعامة والمهمشين، لذلك رأى البعض أن عزوفهم عن المشاركة في الفعل السياسي هو من ساهم في ضبابية تاريخهم، وكأن وقوعهم في أسفل الهرم الاجتماعي وانشغالهم بالعمل في مواقع الانتاج دون كلل أو ملل ليس جدير بأن يكونوا في طليعة المجتمع وعنوانا لتاريخه.

لم يعدم الكتاب الوسيلة فلجأوا إلى كتب الفقه والنوازل، وكتب الأدب والأمثال وكتب الآداب السياسية وغيرها لمحاولة التنقيب عن تاريخهم، وهو ما قام به عمرو الصاوي في هذه الدراسة الرصينة عن العامة في عصر المرابطين، فتحدث عن الانسان الذي اثقلته أعباء الحياة، وغيبته السلطة وكتمت أنفاسه، ووضعه في دائرة الضوء، ورصد دوره في بناء مجتمعه، ولام مؤرخي السلطة على أغفال سيرته ومسيرته الحضارية التي لولها ما قامت للمجتمع قائمة، اختبر النصوص، وناقش الأراء، وعرض للرأي والرأي الأخر، وأبدى وجهة نظره في كثير من الإشكاليات بتواضع وأدب جم، اشتبك مع النصوص وطوعها كسطور في بحثه، وركض خلف الفكرة واعتقلها موضحا أسبابها ونتائجها في تداعي للمعاني يفيض على الفكرة نصوعا وبهاء.

رتب عمرو الصاوي بحثه ترتيبا منطقيا؛ فبدأ بفئات المجتمع وطوائفه، ثم البناء الطبقي، وفكك عناصر العامة، وبدأ بالفلاحين والرعاة أعمدة الاقتصاد الزراعي والحيواني في مجتمع المرابطين البدوي، ثم والحرفيين والصناع، ولم يغفل الأجراء الذين يجلسون علي أفواه الطرق كل صباح يترقبون الرزق، رافق عمرو كل هؤلاء إلي مظاهر حياتهم الاجتماعية، وطاف بنا على أماكن تواجدهم، وتعرف علي مستوي معيشتهم، وحاول البحث لهم عن دور سياسي وثقافي مستعيناً بكتب الآداب السياسية والطبقات، أما دورهم الاقتصادي فقد بينه من خلال ضلوعهم في مفاصل الاقتصاد الثلاثة.

انعكست شخصية الباحث علي بحثه، ناقش وحلل وقارن، وخرج بنتائج جيدة، واغترف من مصادر شتى، وبنى موضوع متكامل ينبيء عن مؤرخ واعد رسخ قدمه في مجال البحث التاريخي مع باكورة أعماله، واني إذ أدعو كل المهتمين بدراسة الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس بالاطلاع على هذا الكتاب،اتمنى للباحث أن يستمر على هذا المنوال في انتاج أعمال مميزة جديدة.

عبد الرحمن بشير

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة –

جامعة الزقازيق – مصر

المقدمة

من المتعارف عليه بين المهتمين بدارسة التاريخ الإسلامي أن الكثير من قضاياه ما زالت قائمة، وخاصة المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي، الذي لم ينل ما يكفيه من اهتمامات المؤرخين. ولم لا وثمة عنصر فاعل في المجتمع والاقتصاد والسياسة والفكر، مازال حتى الآن خارج دائرة الكتابة التاريخية. ونعني بتلك الفئة: طبقة العامة الذين شكلوا عصب القوى المنتجة، والذين وقع على كاهلهم عبء الإنتاج، واضطلعوا بمساعدة الدولة في تحقيق طموحاتها العسكرية، وفي إنجاز مشاريعها الحضارية.

تكمن **أهمية الموضوع** في محاولته الكشف عن أوضاع عنصر هام، شكَّل خلال عصر المرابطين القوة التي وقع على كاهلها عبء الإنتاج، والقوة الحربية التي تشكلت منها مفاتيح الفتح والنصر. فضلا عن فعاليتهم السياسية، ودورهم في نشر العلم وإثراء الفكر وإزخام المعرفة.

وقد فرضت إشكاليات الموضوع استعمال المنهجين التاريخي والتحليلي. حيث اعتمد عليهما الباحث في جمع المادة التاريخية من مظانها، ونقدها وتفسيرها. وقسمنا الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

عرض الباحث في **المقدمة** لأهمية الموضوع وخطة دراسته، وأهم المصادر والمراجع التي أفاد منها. وجاء **التمهيد** كمدخل لمعرفة الطبقات التي تشكل منها المجتمع المرابطي، والعناصر التي شكلت مجتمع المغرب الأقصى في عصر المرابطين، وعلى بنية طبقة العامة بالمغرب الأقصى في العصر ذاته.

اختص الفصل الأول بعرض مظاهر حياة العامة الاجتماعية، ومستواهم المعيشي من حيث المأكل والمشرب، والملبس، والمسكن، والأعياد والمناسبات،

ووسائل الترفيه والتسلية. زيادة على المؤسسات الاجتماعية كالمساجد والفنادق والحمامات التي قدمت لهم ـ رغم كونها ذات صبغة دينية وتجارية ـ خدمات إنسانية واجتماعية.

اهتم الفصل الثاني بالحديث عن دور العامة السياسي، وما عانوه من محن كانت السبب في انتفاضهم في وجه السلطة مرات عدة، للتعبير عن سخطهم، والاحتجاج على سوء أوضاعهم.

عرض الفصل الثالث لأوجه مشاركة العامة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، كالزراعة والصناعة والتجارة. حيث عرضت الدراسة مراحل زراعة الأرض من تمهيدها إلى حصاد محاصيلها، والعمليات الفلاحية التي اضطلع العامة بإنجازها، وعرض الباحث كذلك لأنواع الحرف والصنائع التي اضطلعوا بممارستها.

اهتم الفصل الرابع بإبراز دور العامة في نشر العلم وإثراء الفكر، وَعَرْض أهم العلوم التي نبهوا بها، وكشف من برزوا في تلك العلوم من المنتمين لطبقة العامة. بينما تضمنت **الخاتمة** ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

عرض لأهم المصادر والمراجع:

اعتمد الباحث خلال إعداده لفصول الدراسة على عدد من المصنفات الهامة، في شتى المجالات. فلجأ إلى كتب الوثائق والنوازل، واعتمد على كتب التراجم والمناقب والطبقات، واستند إلى كتب التاريخ والجغرافيا، وكذلك الفلاحة والحسبة والأدب والسياسة، بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الدراسات الحديثة التي أفادته وأثْرت البحث بما عرضته من آراء، وما انتهت إليه من نتائج.

كتب الوثائق والنوازل:

أفاد الباحث من عدة مصنفات نوازلية، ككتاب: **"مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"** للقاضي عياض وولده محمد (ت544هـ/ 1149م). الذي ألقت

نوازله الضوء على الحياة العلمية بسبتة، والمؤسسات التجارية بالمدينة، والاجتماعية كذلك كالمساجد والفنادق، وعلى المهن التي مارستها بعض فئات العامة كالخِدْمة في بيوت الأثرياء، والعمل بإحياء الأعراس بالرقص والطرب. وأفاد كذلك من فتاوى ونوازل المتقدمين الواردة بكتاب الوزاني (ت743هـ/ 1342م): **"النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى المسماة بالمعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب"**. ولاسيما فيما يخص أوضاع الأرض وأشكال الاستغلال الفلاحي. وما عاناه العامة العاملين بالزراعة، وما لاقاه المشتغلين بالصناعة. والمهن التي اختصت بها نساء العامة، وقيمهم ومظاهر حياتهم الاجتماعية من مأكل ومشرب وخلافه.

قدم **"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"** لأبي العباس الونشريسي (ت914هـ/ 1508م)، ثروة هائلة من المعلومات عن نظرة الطبقة المثقفة للعامة، وعن صور الاستغلال الفلاحي السائدة بين ملاك الأراضي والمزارعين. وإشارات طائلة عن أوضاع العامة ومهنهم وطعامهم وشرابهم، وعلاقاتهم الأسرية وأحوالهم المعيشية وما إلى ذلك.

أمدتنا **"وثائق المرابطين والموحدين"** للمراكشي (ت647هـ/ 1249م)، و **"المقصد المحمود في تلخيص العقود"** للجزيري (ت585هـ/ 1189م)، و **"العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والحكام"** لابن سلمون (ت741هـ/ 1340م)، بتفاصيل هامة عن أوضاع الصُّناع. وعرضت لنماذج عدة من عقود تأجيرهم واستئجارهم، هم والرعاة والحمالين وغيرهم، كبارا وصغارا، بأنفسهم أو بواسطة آبائهم أو أمهاتهم أو حاضنيهم.

كتب المناقب والتراجم والفهارس:

من بين تلك المصنفات كتاب: **"التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي"** لأبي يعقوب التادلي المعروف بابن الزيات (ت617هـ/

1220م)، الذي قدم ثروة هائلة من المعلومات عن التركيبة الإثنية بالمغرب، وشرائح العوام، ومظاهر حياتهم، وعلاقاتهم بالمتصوفة. ورحلات بعضهم العلمية وإنتاجهم الفكري ودورهم الثقافي، من حيث مساهمتهم في تعليم بني طبقتهم وتبنيهم علميا. وقدم له كذلك معلومات هامة عن أسواق المغرب وصغار التجار ومن عاضدوهم في ميدان التجارة من سماسرة ودلالين. زيادة على إشارته لعشرات الصنائع التي اضطلع العامة بالعمل بها رغم عدم كفاية إيراداتها، كالفلاحة والرعي. بالإضافة إلى إشاراته لمعاناة العوام مما كانت تفرضه عليهم الدولة من جبايات، وردود أفعالهم التي اقتصرت على الشكوى لأوليائهم وصلحائهم الذين اكتفوا بدورهم بالدعاء على ولاة الأمر، أو مقاطعتهم ورد عطاياهم، ورفض مقابلتهم أو السير إليهم.

ألقى كتاب "**الغنية ـ فهرست شيوح القاضي عياض**" للقاضي عياض (ت544هـ/ 1149م)، الضوء على بعض المكتبات والمساجد التي كانت تعقد بها حلقات العلم. وعلى تنقل العلماء المستمر لتدريس الفقه والأدب وما عداهما من العلوم بمساجد سبتة وأغمات وغيرهما من مدن المغرب. وعلى ردود فعل بعض العلماء المعارضة المتمثلة في رفض تولي القضاء وما أشبهها من المناصب الرسمية .

أفاد الباحث من كتاب "**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**" لابن عبد الملك (ت703هـ/ 1303م)، الباحث في التعرف على مظاهر حياة الطبقة المثقفة الاجتماعية، التي لا انفصال بينها وبين مظاهر حياة سواهم من طوائف العامة. وكذلك في التعرف على مهنهم ولباسهم، ورحلاتهم الداخلية والخارجية في سبيل تحصيل العلم، والعلوم التي نبغوا فيها، وجهودهم المبذولة في بث ونشر ما تعلموه بين بني طبقتهم.

كتب التاريخ العام:

أمد كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**" لابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/ 1312م)، الباحث بمعلومات هامة عن العنصر

الجديد على المغرب، وهم الأعلاج الذين كان لهم دور في فرض الامن وتحصيل الضرائب والدفاع عن الدولة حتى اللحظات الأخيرة من عمرها. كذلك عكست طريقة حديثه عن العامة، عن نظرة الطبقة المثقفة المتدنية لهم. وعكس كذلك وصفة لتعامل المرابطين مع العامة عن سياستهم المتقلبة في التعامل مع الرعية. حيث وصف حثهم لعمالهم على تحري العدل مع الرعية، وقيامهم بعزل كل من جار عليهم من الولاة أو القضاة، ووصف كذلك طريقة تعاملهم من الجنود المنهزمين، وتقصيرهم في رعاية أيتام مقاتليهم. وكذلك إهمالهم في حماية رعيتهم من تبعات الكوارث الطبيعية وما كانت تجره في أزيالها من مجاعات وأوبئة. وعرض أيضا لبعض حركات المعارضة التي اجتذبت لها من صفوف العوام الآلاف، كحركة ماخوخ الزناتي، وابن الزنر الذي ادعى أنه ابن معنصر الزناتي صاحب فاس.

كما أفاد الباحث من كتاب: **"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** لابن خلدون (ت808هـ/ 1406م) ومن مقدمته، في تتبع أصول التركيبة البشرية المُشَكِّلة للمجتمع المرابطي، وفي التأطير النظري لبعض القضايا المتعلقة ببعض جوانب الموضوع.

أسهم كتاب البيذق **"أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين"** (ألفه منتصف القرن 6هـ/ 12م)، وكتاب **"نظم الجمان"** لابن القطان (ت 628هـ/ 1230م)، في وصف الكوارث التي أصيبت بها بعض الأسواق وما نتج عنها من خسائر فادحة كانت سببا في افتقار بعض مياسير التجار ودخولهم في غمار العامة. والضرائب التي فرضها المرابطون حتى على عبور الأنهار، والتي كانت طريقة جمعها حجة لابن تومرت على المرابطين ومدخلا لاقناع العامة بالثورة عليهم.

كتب الجغرافيا:

أفاد الباحث من كتابي: **"المسالك والممالك"** لأبي عبيد البكري (ت487هـ/ 1094م)، **ومن "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"** للشريف الإدريسي (ت560هـ/ 1164م)، في التعرف على التركيبة البشرية المشكلة لمجتمع المغرب الأقصى، وما طرأ عليها من تغير جراء استقبالها للمهاجرين. وما اشتهرت به بعض مدن المغرب الأقصى من حرف وصناعات، وما اشتملت عليه من ثروات معدنية ومحاصيل زراعية، وجهود العامة في استغلال كل ذلك في صنع وإنتاج جل السلع ومختلف المنتجات اللازمة ـ ليس فقط ـ لتحقيق الاكتفاء المحلي، بل وللتصدير كذلك. والطرق التجارية التي تربط المدن المغربية ببعضها، والمغرب الأقصى بسواه من البلدان.

كتب الفلاحة والنبات:

قدم **"زهرة البستان ونزهة الأذهان"** لمحمد بن مالك الطغنري (كان حيا سنة480هـ/ 1087م)، للباحث فيضا من المعلومات عن أهمية الزراعة وفضلها، وتجهيزات الري المختلفة ودقائق مكوناتها، وآلات الزراعة وأدوات الحصاد. وبعض الحرف التي مارسها العامة كعصر الزيت، وتحضير السمن، وصنع الجبن بأنواعه من اللبن بأصنافه.

قدمت كتب **"الفلاحة الأندلسية"** لابن العوام (ت580هـ/ 1184م)، و **"كتاب الفلاحة"** لابن بصال(ت نهاية القرن6هـ/ 12م)، و **"كتاب في الفلاحة"** لأبي الخير الأندلسي (من أبناء القرن 6هـ/ 12م)، تفاصيل عن أنواع الأراضي، وطرق اختبار جودتها، وسبل علاجها، ومراحل تجهيزها وزراعتها من حيث تسميدها وحرثها وتقليبها وتسويتها وبذرها أو غرسها وريها وتنقيتها وحصاد ودراس محاصيلها، إلى آخر ذلك من المهام التي كانت تتطلب من العامة أصحاب الخبرة الكثير من الوقت والمجهود.

كتب الأدب السياسي والأحكام السلطانية:

أفاد الباحث من كتاب **"سلوك المالك في تدبير الممالك"** لابن أبي الربيع (ت272هـ/ 885م)، في التعرف على أقسام طبقات المجتمع. وكتاب **"المنهج المسلوك في سياسة الملوك"** الذي وضح فيه الشيزري (ت590هـ/ 1194م) لولاة الأمر ما تصفوا لهم به مودة رعيتهم، وحذرهم من خلاله مما يجره الجور من اختلال ويولده من أحقاد ويفسده من ضمائر. وكتاب **"سراج الملوك"** الذي أكد فيه أبو بكر الطرطوشي (ت530هـ/ 1135م) على دور العدل في استصلاح قلوب الرعية، وعلى حق الأخيرين على أمرائهم في توليه أصلح من يجدوه لينوبوا عنهم في الأمصار. وكتاب ابن الأزرق (ت896هـ/ 1491م) **"بدائع السلك في طبائع الملك"** الذي صور العامة كدعاة الفتنة وحملة للوائها.

كتب الحسبة:

أمدنا كتابي ابن عبدون (ت527هـ/ 1132م)، وابن عبد الرؤوف (ت424هـ/ 1032م) في الحسبة بكثير من التفاصيل عن أهل الحرف وتنظيماتهم. وعن بعض الأنشطة الاقتصادية كالفلاحة التي اعتبرا ممارسوها من أهم شرائح العامة. وعن الصناعات الغذائية ذات العلاقة بالنشاط الرعوي والفلاحي. وعما كانت تعج به أسواق المغرب من صُنّاع الأطعمة الجاهزة، ولصور الغش والتدليس الذي مارسوه لزيادة أرباحهم والتعويض عن ضعف إيراداتهم. هذا فضلا عن إشاراتهما لما كان يلاقيه العامة على يد متولي الشرطة من ضرب وصلب، ولإجحاف الخراص والقباض والمتقبلين - المسؤولين عن تحصيل العشور من المزارعين والضرائب من الأسواق - بحقهم. وإشاراتهما للشرائبيين والحجامين والفصادين وغيرهم ممن تصدروا لبذل نصائحم وتقديم خدماتهم، فيما يتعلق بالحفاظ على الأرواح ودفع الألم والمرض وخطر الموت عنها.، وتوضيحهما لطرق تعليم الولدان ومنهجهم الدراسي والحد المسموح به في أدبهم، وتحديدهما للشروط الواجب توافرها في المؤدبين.

أما كتاب أبي عبد الله السقطي (ت القرن6هـ/ 12م) **"في آداب الحسبة"**، فقد تضمن بعض الإشارات عن وسطاء العملية التجارية وأجورهم وطبيعة عملهم. وعن أقسام أفراد الحرفة الواحدة، وحيل الصناع وضروب مماطلتهم في إنجاز ما التزموا للناس بصناعته. وعما تضمنته أسواق المغرب من بائعي اللحم والسمك وأنواع المطبوخات، ومن عملة الدقيق، وصناع الخبزوباعته.

المصنفات الأدبية:

اعتمد الباحث خلال دراسته على عدد من المصنفات الأدبية في التعرف على بعض جوانب حياة العوام ومظاهر ثقافتهم، كديوان ابن قزمان القرطبي (ت555هـ/ 1160م)، **"إصابة الأغراض في ذكر الأعراض"**، وكتابي **"ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام"** للزجالي (ت694هـ/ 1294م)، و **"حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة المضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر"** لابن عاصم الغرناطي (ت829هـ/ 1426م).

حيث أفاد الباحث مما اشتمل عليه الكتابين الأخيرين من أمثال، في التعرف على وجهة نظر العامة الإيجابية في الفلاحة، والتجارة، وكذا صنعة الآباء التي حثوا على التمسك بها حتى ولو كانت حقيرة. وفي التعرف على أهم مناسباتهم الاحتفالية، والألعاب المنتشرة في أوساطهم، وبعض ذهنياتهم. كإيمانهم بالقضاء والقدر الذي حال بينهم وبين الثورة على من أوصلوهم لما هم فيه من بؤس وشقاء، لاعتقادهم أن الأرزاق مقسومة ومقدرة، وأنهم عاجزون مهما فعلوا عن مغالبة مصيرهم المحتوم.

الدراسات الحديثة:

لم يغفل الباحث متابعة الدراسات الحديثة التي أُنجزت على يد ثلة من الدارسين والمتخصصين في تاريخ المغرب، ككتاب: **"المهمشون في التاريخ الإسلامي"** للدكتور محمود إسماعيل، الذي كشف خلاله عن دور غياب التنظيم وعدم وضوح الأهداف وافتقاد القيادة المحنكة، في إفشال حركات

المهمشين، ومنعها من الاستمرار وإحداث التغيير. ومؤلفات الباحث المغربي الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش، مثل كتاب: **"مباحث في التاريخ الاجتماعي"**، وكتاب: **"المغرب والأندلس في عصر المرابطين"**، وكتاب: **"الإسلام السري"** التي أفادت الباحث في تأطير الكثير من جوانب حياة العامة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية. ورسالة: **"عامة مدينة فاس حتى نهاية عهد الموحدين"** للدكتورة كريمة عبد الرؤوف، والعامة بإفريقية خلال الفترة الفاطمية الزيرية للدكتور توفيق سعود، وعامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي للدكتور أحمد المحمود، وعامة الأندلس في العصر الموحدي للدكتورة مليكة عدالة، وعامة قرطبة في عصر الخلافة، وعامة إشبيلية في عصر بني عباد للدكتور أحمد الطاهري.

* * *

التمهيد

البنية الاجتماعية لمجتمع المغرب الأقصى

- فئات مجتمع المغرب وشرائحه:

البربر

العرب

السودان

- الطوائف الدينية:

اليهود

النصارى

- البناء الطبقي:

- عناصر العامة:

فئات مجتمع المغرب الأقصى وشرائحه

تواجه الباحث عند تتبعه لطبيعة التركيبة البشرية المُشَكِّلة لمجتمع المغرب الأقصى في عصر المرابطين مشكلات وصعوبات جمة، أساسها ضياع أهم كتب من وصفهم ابن خلدون بـ **"نسابة البربر"**، كسابق المطماطي، وهانئ الضريسي، والكومي، وكهلان بن أبي لوا، وأيوب بن أبي يزيد.. وغيرهم[1]. حيث لم يصل إلينا منها ما يروي الظمأ أو يشفي الغليل، اللهم بعض الروايات والنقول التي ـ انفلتت من يد الضياع ـ على حد تعبير أحد الباحثين، واتخذت طريقها إلى كتب النسابين والمؤرخين أمثال: البيذق وابن حزم وابن خلدون ومن تبعهما[2].

فابستثناء مصنفاتهم فضلا عن مصنفات أخرى ما زالت مخطوطة لم تنشر بعد، كنا سنجد أنفسنا أمام فقر مدقع في النصوص. بيد أن ما تم نقله لم يكن دائما يحمل حلولا ويحتوي على إجابات، بل العكس؛ بسبب ما اشتملت عليه روايات تلك المصادر من تضارب وتناقض واختلاط، وأيضا تصحيف[3]. مما شق على الباحث وجعل مهمته من الصعوبة بمكان .

---

(1) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصره من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ط، 2000م، ج6، ص117، 124ـ ج7، ص8 ؛ **وللاستزادة أنظر:** التقي العلوي: أصول المغاربة ـ القسم البربرى ـ أهم الينابيع الأصلية لتاريخ البربر، مجلة البحث العلمي، المغرب، مج10، ع20ـ 21، يونيو ـ 1973م، ص69ـ 75 .

(2) أنظر: التقي العلوي: أهم الينابيع الأصلية لتاريخ البربر، ص69، 72.

(3) **عبر أحد المتخصصين عن ذلك بقوله: «الحديث في أصل البربر من أكثر الأحاديث اضطرابا وأوسعها خلافا، بحثَ فيه المؤخون قديما وحديثا وأطالوا البحث، ولكن لم يحصلوا إلا على روايات متضاربة وآراء متناقضة». وعبر غيره عن ذلك أيضا بقوله: «والباحث في الجذور الأولى لشعب البربر وموطنهم الأصلي يجد اختلافا وتباينا في أقوال المؤرخين».** (مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص81 ؛ حسن علي حسن: قبائل البرانس ودورها في تأسيس دول المغرب في العصور الوسطى، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع6، 1976م، ص43).

وعلى كل فإنه يتضح من خلال تتبع مختلف النصوص، أن أهم العناصر التي تشكل منها مجتمع المغرب الأقصى في الفترة محل الدراسة هم **البربر**، الذين شكلوا غالبية سكان الحواضر والبوادي، يليهم **العنصر العربي** الذي لم يكن يشكل ـ إلى جانب مجموعات أخرى من الأقليات **كالسودانيين** وأهل الذمة من **اليهود والنصارى** ـ سوى أقلية استوطنت المدن.

****البربر:**

اتفق النسابة والمؤرخون على الاختلاف حول البربر[1]. وأول ما وقع الاختلاف حوله كان الأصل الذي اشتقت منه كلمة بربر[2]، ثم الأصل الذي

---

(1) أكد على ذلك غير واحد من المؤرخين أمثال: ابن عبد البر (ت463هـ) الذي قال: «وأما البربر فالإختلاف فيهم كثير»، وأبو الفداء (ت732هـ) بقوله: «وقد اختُلف في البربر إختلافا كثيرا»، وابن خلدون (ت808هـ) بقوله: «اختلف النسابون في ذلك اختلافا كبيرا»، والقلقشندي (ت821هـ) بقوله: «وقد اختُلف في نسبهم اختلافا كثيرا»، والناصري بقوله: «واعلم أن الخلاف في نسب البربر طويل». (ابن عبد البر: القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ط، 1350هـ، ص24) ؛ أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر (تحقيق: محمود ديّوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م)، ج1، ص152 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص120 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، 1922م)، ج1، ص360 ؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (تحقيق: جعفر الناصري ـ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1996م)، ج1، ص119.

(2) رأى مارمول كاربخال أن الرومان هم من أطلقوا على سكان المغرب هذا الاسم عندما احتلوا إفريقيا، بسبب عجمة لسانهم (مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، د.ط، 1984م، ج1، ص26) **وقيل أيضا أن الكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية فارفاروس Varvaros التي تعني اللغط واختلاط الأصوات، والتي كان اليونانيون يطلقونها على كل من لا يتكلم لغتهم، وأن الرومان قد حذوا حذوهم ـ بعد انتقال سيادة =**

=

العالم إليهم ـ فأطلقوا اسم "بـربـري" على كل من لا ينتمي إليهم أو يخضع لسلطانهم ونفوذهم. وربما تكون أيضا مشتقة من الكلمة اللاتينية "باربـاروس Barbarus"، التي تعني: «الشخص الجاهل المنتمي إلى الشعوب العديدة المتخلفة التي لم تخضع لسلطان روما» (عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، د.ط، 1968م، ج1، ص262 ـ 263 ؛ بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية ـ أدوارها ومواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2007م، ص 16 ـ 17) **وربما سُموا كذلك نسبة لمن انتـموا إليهم من آباء مثل: بَـرّ أو برير بن قيس بن عيلان بن مضر** (البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع ـ عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1987م، ص315 ؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5، 1982م، ص459 ؛ ابن عبد البر: القصد والأمم، ص25 ؛ ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج4، ص307 ؛ الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1977م، ج1، ص368 ؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة ـ حسن نو الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ج2، ص348) **أو برير بن قبط بن حام بن نوح** (ابن عبد البر: القصد والأمم، ص23) **أو بر بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام** (العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م، ج4، ص92) **أو برير بن يقسان بن إبراهيم عليه السلام** (الطبري: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1968م، ج1، ص309) **أو برير بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح** (ابن هشام: أبي محمد عبد الملك، التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، اليمن، د.ط، 1347هـ، ص335) **بيد أنه عدداً من النسابة والمؤرخين أجمعوا على أن إفريقش بن قيس بن صيفي هو من أطلق عليهم هذا الإسم. حيث مر بهم وهو متجها نحو المغرب، فقال لهم بعدما سمع رطانتهم: ما أكثر بربرتكم، فسموا لذلك بربرا. وقد كانوا البقية التي بقيت من الكنعانيين بنواحي فلسطين من أرض الشام، بعدما قتل منهم يوشع بن نون من قتل، فاحتمل إفريقش فِـلَّهُم من سواحل الشام حتى أتى بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا وأسكنهم**

=

تنتمي إليه مختلف العناصر البربرية. حيث لم يتفقوا على رأي واحد، بل ذهبوا في أصلهم - على حد تعبير ابن منصور - كل مذهب، بحيث لم: «يتركوا سلالة من السلالات الحامية والسامية واليافثية إلا جعلوهم متنسلين منها»[1]. كما لم يترك صاحب رأي التأكيد على أن رأيه هو الأكثر والأشهر الذي لا ينبغي التعويل على غيره[2]. وبصرف النظر عن تفاصيل ذلك الخلاف، الذي سيضطر الباحث لعدم الخوض فيها خشية الخروج بالدراسة عن مسارها المحدد[3]، فقد وقع

=

إياها. (ابن خلدون: العبر، ج2، ص59 - ج6، ص117 ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ج1، ص442 ؛ نشوان بن سعيد الحميري: قصيدة نشوان بن سعيد الحميري وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق: علي بن إسماعيل المؤيد - إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1978م، ص72 ؛ السهيلي: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، علق عليه: مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص146 ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ج1، ص155 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص262).

(1) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص265. وانظر: شنعة خديجة: إعتناق البربر للإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، 2012م، ص 13 - 15.

(2) **كابن خلدون الذي يقول: «والحق الذي لا ينبغي التعديل [التعويل] على غيره في شأنهم أنهم من أولاد كنعان بن حام»** (العبر، ج6، ص127)، **وكقول ابن عبد البر: «لا أعلم في البربر شيئا يقارب الصحة إلا قول من قال أنهم من ولد جالوت بن قوط أو قبط بن حام»** (القصد والأمم، ص26)، **وقول ياقوت الحموي: «والأكثر والأشهر في نسبهم أنهم بقية قوم جالوت»** (معجم البلدان، ج1، ص368).

(3) **لتفاصيل أكثر حول آراء النسابة والمؤرخين في أصل البربر أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج1، ص16، 75، 110، 111 / ج2، ص8 - 9، 12، 43، 58، 99، 102، 573 - ج6، ص17، 116 - 128 ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ج1، ص207، 309، 442 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص360 - 364 ؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق:
=

الإجماع بين النسابة والمؤرخين على تقسيم البربر إلى فرعين رئيسيين هما: **البرانس ـ البتر**[1]. يقول ابن خلدون: «وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإن

=

إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص 118 ـ 119 ؛ القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1982م، ص33 ـ 35، ص167 ـ 177 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج1، ص155 ـ ج2، ص428 ـ 429 ؛ السهيلي: الروض الأنف، ج1، ص69، 145 ـ 146 ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4، ص307 ؛ المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، د.ت، ج4، ص68 ـ 69 ؛ السمعاني: الأنساب، تحقيق: محمد عوامة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1976م، ج8، ص98 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 368 ـ 369 ؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص495 ـ 498 ؛ ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص548 ؛ العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص192 ؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص315 ؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2005م، ج2، ص93 ـ 94، 112 ؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ط، 1999م، ج1، ص229 ؛ ابن هشام: التيجان في ملوك حمير، ص334 ـ 336، 421 ـ 423 ؛ أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج1، ص152 ـ 153 ؛ نشوان الحميري: خلاصة السيرة الجامعة، ص71 ـ 72 ؛ ابن عبد البر: القصد والأمم، ص23 ـ 26 ؛ المقريزي: رسائل المقريزي ـ رسالة البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، تحقيق: رمضان البدري ـ أحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، 1998م، ص144 ـ 148 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، د.ط، 1973م، ج1، ص14 ـ 16.

(1) **درج النسابون العرب على تقسيم البربر إلى بتر وبرانس: «على غرار التقسيم القبلي لشبه الجزيرة العربية، وانقسامهم إلى عرب الجنوب أو العرب القحطانية، وإلى عرب الشمال أو العرب العدنانية».** (حسن علي حسن: قبائل البرانس، ص45).

علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس ومادغيس. ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس »[1].

وقد حاول بعض المؤرخين والسوسيولوجيين وضع تفسير لهذا التقسيم، الذي لم يصبح معروفا إلا بعد فتح العرب للمنطقة، وقيامهم بمعالجة: «أنساب سكان البلاد بنفس المعالجة التي حدثت في بيئتهم الأصلية »[2]. فذهب بعضهم للقول بأن هذا التقسيم بني على أساس **اختلاف أنماط حياتهم الاجتماعية**، حيث رأوا أن أغلب قبائل البتر بدو رحل، بينما البرانس حضر مستقرون[3]. ولكن لا يمكن القبول بهكذا رأي، لأن التبدي والاستقرار كانتا ظاهرتين متبادلتين بينهما، لا من اختصاص جماعة بشرية بعينها. فالبرانس وإن كانت بعض قبائلها

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص117 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص361 .

(2) حسن علي حسن: قبائل البرانس، ص45 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، د.ط،2000م، ج1، ص23 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص293.

(3) Gautier, Felix Le passè de L'Afrique du Nord: Les Sièccies Obscurs. Paris, Payot, 1973, P. 224.

ـ رَجَّح عبد الحليم عويس أن يكون هذا الرأي هو أصوب الآراء، حيث يقول: «إن التعليل الصحيح هو التعليل الذي يرجع الأمر إلى مجموعة هذه الظروف التي تتولد هي الأخرى عن التقسيم إلى حضر وبادية» (عبد الحليم عويس: دولة بني حماد ـ صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة، القاهرة، ط2، 1991م، ص23)، **وكذلك علي محمود عبد اللطيف، فقد قسم هو الآخر البربر إلى قسمين، الأول: البربر الحضر، والثاني: البربر الوبر** (علي محمود عبد اللطيف: البربر في إفريقية في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، د.ت، ص8)، **كما أَخَذَ على أحد المتخصصين نفيه صحة هذا التقسيم وتناول رأيه بالتفنيد.** (أنظر: علي محمود عبد اللطيف: البربر في إفريقية، ص8ـ9).

قد استقرت في السهول والجبال الخصبة كصنهاجة الشمال، فبعضهم الآخر كان يعيش في جوف الصحراء عيشة بدوية تمثل أنقى صور البداوة، كقبائل الملثمين التي كان يسميها الكتاب الأوروبيون **"الرعاة الكبار"**. والبتر وإن كانت بعض قبائلها قد عاشت متنقلة بين السهوب والهضاب والمناطق الرعوية، فقد سكنت بعض قبائل زناتة البترية كمغراوة وبني يفرن - بعد انتقالهم إلى المغرب الأقصى - المدن، ونعموا بما ينعم به المستقرون[1].

وذهب آخرون للقول بأنه بني على **أساس ثقافي**. حيث تأثرت - في نظرهم - قبائل البرانس المستقرة ببعض مظاهر الحضارة البونيقية، واللاتينية، والإغريقية. بينما بقيت قبائل البتر نتيجة لبداوتها وتنقلها المستمر بمعزل عنها. ولكن يرد عليهم بمثل ما رُد به على من رأى أن التقسيم بني على أساس اختلاف أنماط معيشتهم، من أن الثقافة كالحضارة والبداوة، كانت تتبادل هي الأخرى باستمرار بين قبائل الطائفتين[2].

أما **وليام مارسي W. Marcais** فقد فسر الكلمتين **تفسيرا لغويا**. حيث قسم البربر لطائفتين انطلاقا من إسم قطعة ثياب كانوا يرتدونها وهي البرنس[3]. حيث رأى أن العرب نظروا للبربر فلاحظوا أن بعضهم يرتدي برانس

---

(1) **أنظر:** حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين - صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص30 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص293.

(2) **أنظر:** بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص293 - 294 ؛ إبراهيم القادري بوتشيش: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، د.ط، 1998م، ص10 - 11، 67.

- **وقد رجح الدكتور حسن على حسن هذا الرأي. أنظر:** حسن علي حسن: قبائل البرانس، ص46.

(3) **البرنس: رداء أو ثوب رأسه ملتصق به، أو هو رداء رأسه منه.** (رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002م، ص61).

طويلة ذات قُب (غطاء للرأس) مخروطي فسموهم البرانس. وأن بعضهم الآخر كان يرتدي برانس قصيرة بتراء لا قب لها، فسموهم البتر[1]. وقد رأى **ابن منصور** أن هذا تأويل غريب، لا يخرج عن كونه مجرد افتراض لا يقوم على أساس قوي[2]. كما انتقده **جوتييه Gautier** هو الآخر، لأنه لا ينطبق على كل القبائل البربرية، ولا سيما صنهاجة اللثام الذين سيصعب إدراجهم في أي من الطائفتين، لأنهم وإن كانوا برانس لم يلبسوا البرنس مطلقا، بل ولا يحتمل أنهم لبسوه في عصر من العصور[3].

وذهب غيره إلى أن أساس التمييز بين الطائفتين **سُلالي**. حيث لاحظ **رُدْ Rodd** أن العداوة الشديدة التي ميزت علاقة الطائفتين طوال العصور الوسطى وأثرت في مجراه، ما زال صداها يتردد حتى اليوم بين قبائل الطوارق. حيث مازالت قراهم إلى اليوم تشتمل على عنصرين متباغضين بغضا سرمديا، أحدهما ينتمي للبرانس والآخر إلى البتر. ومن ثم فليس ببعيد أن يكون القسمين مجرد موجتين بشريتين مختلفتين، تمثل أولاهم: أهل البلاد الأصليين، والأخرى: الوافدين الجدد الذين اغتصبوا منهم بلادهم وزاحموهم فيها[4].

وقد ذهب بعض المتخصصين أمثال ابن منصور وبوتشيش للقول بأنه لعل هذه النظرية أصح النظريات؛ لوجود ما يدل عليها من روايات النسابين

(1:) Gautier: Op. cit., P. 226.

(2) أنظر: بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص294 ؛ التقي العلوي، أصول المغاربة ـ القسم البربري ـ أهم الينابيع الأصلية لتاريخ البربر، مجلة البحث العلمي، المغرب، م10، ع 21ـ 22، يونيو 1973م، ص81 .

(3:) Gautier: Op. cit., P. 226.

بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص294.

(4) Rodd (F. R) People of the Vail, London, P. 338.

حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص30ـ31.

والمؤرخين واستنتاجات السوسيولوجيين[1]. لكن هذا لا يمنع من أن غيرهما اعتبرها: «تحمل شيئا من المبالغة»[2].

وقد اختلف النسابة والمؤرخين بعد افتراقهم حول الأساس الذي تم بناءاً عليه تقسيم البربر لبتر وبرانس، في أنساب كلاً منهما. حيث ذهب بعضهم ـ اعتمادا على تأكيد نسابة البربر أن البتر بنو بر بن قيس بن عيلان بن مضر، وأن البرانس بنو بربر، من نسل مازيغ بن كنعان بن حام ـ للقول بأنهم من أبوين مختلفين: «وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر»[3]. بَيْد أنَّ ابن حزم وابن خلدون وغيرهما، أكدا على أنهما أخوين لأب واحد، هو بَرّ [بربر] من نسل مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح[4]. يقول ابن خلدون: «ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا إبنا برّ»[5]، ويقول أيضا: «والحق الذي لا ينبغي التعديل [التعويل] على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح.. وأن اسم أبيهم مازيغ»[6].

---

(1) أنظر: ابن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص294 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص11.

(2) عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص23.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص117، 124.

(4) أنظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص495 ؛ البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ـ رياض زركلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1996م، ج1، ص11 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص117 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص361 ؛ المقريزي: البيان والإعراب، ص145 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص121 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص294 ؛ الميلي: تاريخ الجزائر، ج1، ص98 ؛ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص18.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص117.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص127 .

البربر البتر:

هم بنو مادغيس الأبتر بن بر، من نسل مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. وهم يتألفون من شعوب كثيرة يجمعها أربعة أجذام: نفوس، وأداس، وضرا، ولوا. **وأربعتهم أبناء:** زحيك بن مادغيس الأبتر[1]، وإليهم تنسب أحياء: **أداسة، ونفوسة، وضرية** [ضريسة]، **وبنو لوا الأكبر** (لواتة ونفزاوة)[2].

وهم ينزلون بسلسلة الأودية العالية أو الوطيئة، الصحراوية أو الرعوية وشبه الرعوية، المتدة امتدادا متصلا من طرابلس إلى تازة. وكذلك بأقاليم النخيل، المتدة من غدامس إلى السوس الأقصى، حيث كانوا يكونون غالبية سكان القرى الصحراوية. كما سكنت بعض بطونهم في أقاليم التل قرب طرابلس، وبجبل نفوسة جنوب طرابلس، وبجبال أوراس، وبلاد الجريد[3].

ولم يكن **لنفوسة** ولا **أداسة** أو **لوا** البتريين ملك يذكر، على عكس **ضريسة**[4]، التي تمكنت بعض بطونها من إقامة عددا من الدول والإمارات

---

(1) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج6، ص118، 149.

ـ بينما ذكر ابن حزم أن: «ماذْغِس ولد: زجيك ؛ فولد زجيك: ضَرِيّ، ولُوَى الكبير، ونفُوس، وأَدَّاس».

ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص496.

(2) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج6، ص118 ؛ بوزياني الدراجي: العصبية القبلية واثرها على النظم والعلاقات في المغرب الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988م، ص241.

(3) **أنظر:** بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص299 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص33 ؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص24.

(4) **يتألف البربر البتر من شعوب كثيرة يجمعها أربعة أجذام هم: 1: أداس 2: بنو لوا 3: نفوس 4: ضرا.**

أما ضرا فيجمعها جذمان عظيمان هما: 1: بنو تمصيت [تمزيت] بن ضري، 2: بنو يحيى بن ضري.

وبطون تمصيت كلها من نسل ولده فاتن بن تمصيت بن ضري.

=

بالمغرب الأقصى، **كمكناسة** قبيلة بنو أبي العافية ملوك فاس[1]، وبنو مدرار (واسول) الصفريين ملوك سجلماسة[2]. **وكبنو يفرن الزناتين** ملوك شالة وتادلا، وفاس[3]. **وكبنو زيري بن عطية** ملوك فاس. **وبنو خزرون بن فلفول** ملوك سجلماسة، أبناء قبيلة مغراوة الزناتية[4].

لكن ما سبق لا يعني أنه لم يكن لثلاثتهم (نفوسة وأداسة وبنو لوا) أي وجود بالمغرب الأقصى. فقد استقر بجبل زالغ المشرف على مدينة فاس، فرقة من **قبيلة وشتاشتة** (من شعب أداسة)، كما كان الموضع المعروف بباب وشتاتة[5]، بعدوة القرويين[6]، ينسب إليهم.

=

ومن بين بطون تمصيت: مطماطة، وصطفورة، وصدينة، وكومية، ولماية، ومضغرة، ومرينة، ومغيلة، ومعزوزة، وكشاتة، ودونة، ومديونة.

أما بطون يحيى بن ضري فثلاثة: شانا [جانا] ومنه زناتة كلها، سمكان [سمجان]، ورصطف [ورسطف].

ومن بطون شانا: مغراوة، وبنو يفرن.. وغيرهم. ومن بطون سمكان: زواغة، وزواوة . ومن يطون ورسطف: مكناسة، وأوكتة، وورتناج. (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص496 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص120، 155 ـ ج7، ص4، 15، 33).

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص176 ـ 180 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص241، 247 . ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، المغرب، د.ط، 1972م، ص83 ـ 87 .

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص171 ـ 175 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص179 وما بعدها.

(3) ابن خلدون: العبر، ج7، ص29 ـ 30 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص268، 276.

(4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص39، 50 وما بعدهما ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص265، 273، 276.

(5) **أنظر:** بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص303 .

(6) البكري: المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج2، ص300.

كذلك استقرت بالمغرب الأقصى بعض قبائل لوا الأكبر (لواتة ونفزاوة)، **كقبيلة لواتة** التي ذكر صاحب القرطاس أنها كانت واحدة من القبائل التي اقتطعت لنفسها بفاس قطعة أرض بنت عليها حارة سمتها باسمها (حارة لواتة)[1]. وقد استمر وجودهم بفاس من لدن الأدراسة وحتى عصر المرابطين، حيث كانوا بعض من خروجوا من فاس (454هـ) لقتال يوسف بن تاشفين[2]، ولكن حينها كانت حارتهم تسمى مدينة لواتة[3]. كذلك تدل بعض تراجم الفترة على استقرارهم بفاس خلال عصر المرابطين[4]، لكن ذلك لا يعني أن وجودهم اقتصر على فاس وحدها، فقد أشار بن منصور لوجود بعض أحيائهم: «بتادلة من المغرب الأقصى»[5].

وكقبائل سدراتة[6]، التي استقرت بعض بطونها بفاس وتادلة[7].

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص46.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص139.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص134.

ـ كانت لواتة تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة صفرو، بينها وبين مدينة بير طمطم، قرب مجرا نهر سبو. لكنها اليوم مجرد قرية صغيرة. (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص82/ حا50).

(4) المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ط، 1942م، ج3، ص157، ترجمة: أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد الفقيه اللواتي (ت513هـ) ؛ ابن الزبير: صلة الصلة ـ ضمن كتاب: الصلة ومعه كتاب صلة الصلة، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ج3، ص11 [تر15].

(5) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص305 .

(6) سدراتة: إحدى بطون لواتة. يقول ابن خلدون: «وفي لواتة بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوا». (العبر، ج6، ص153).

(7) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص305.

ـ كانت سدراتة من بين القبائل التي بايعت (172هـ) إدريس بن عبد الله ودخلت في طاعتة (ابن خلدون: العبر، ج6، ص195 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص20)، =

ومكلاتة[1]، التي ذكر البكري أن بلدهم كان بموضع يقال له "المزى"، على بعد ثلاثة مراحل من فاس، على الطريق الواصل بينها وبين سجلماسة[2]. ومرنيسة[3]، التي وردت بعض الإشارات حول إقامتهم بين وجدة ومليلة، وقرب نكور[4].

أما ضريّ (ضريسة) فلم يفتقد صقعا من أصقاع المغرب الأقصى بنوها؛ لأنهم انتشروا فيه بكل مكان تقريبا. ومن بين تلك القبائل التي استقرت بالمغرب الأقصى وتنتمي لضريسة:

ـ قبيلة مغيلة[5]: كانت جمهوران، الأول بالمغرب الأوسط، والآخر بالمغرب الأقصى. وهولاء هم من تولوا مع غيرهم القيام بدعوة إدريس بن عبد الله لمَّا لحق بالمغرب[6]. كما كانوا في جملة من خروجوا من فاس (454هـ) لقتال يوسف بن تاشفين[7]. وقد ذكر البكري (ت487هـ) في معرض حديثه عن أبواب

=

كما كانت واحدة من القبائل المغربية التي بايعت أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني. (ابن خلدون: العبر، ج7، ص226 ؛ الناصري: الاستقصا، ج3، ص10).

(1) مكلاتة: إحدى بطون نفزاوة. ونفزاوة هم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس الأبتر. (ابن خلدون: العبر، ج6، ص150).

(2) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص331.

(3) مرنيسة: عدها ابن خلدون من بطون نفزاوة. (العبر، ج6، ص119 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص306).

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص25.

ـ أشار بن منصور لاستقرار قبيلة ـ من أعقابهم ـ تحمل الاسم نفسه بشمال إقليم تازة من المغرب الأقصى. (قبائل المغرب، ج1، ص306).

(5) من ولد فاتن بن تمصيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص164ـ165.

(7) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص139 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص27.

فاس، أن: «في غربي عدوة القرويين في بلد مغيلة موضع يقال له السيخ»[1]. كذلك أشار ابن خلدون (ت808هـ) إلى أن بقاياهم كانت لا تزال ـ لعهده ـ بمواطنها ما بين فاس وصفرو ومكناسة[2]. كما كان من بين أعلام فاس الذين ترجم لهم ابن القاضي: الفقيه يحيى ابن أحمد المغيلي (ت574هـ)[3]. كذلك كان بيت المغيلي من بين بيوتات العلم والثروة التي أشار ابن الأحمر في بيوتاته لها، وإلى أنه كان لها بفاس زقاق يسمى: وطا المغيلي[4].

ـ **قبيلة صدينة**[5]: كانت هي الأخرى من بين القبائل التي ناصرت إدريس بن عبد الله لمَّا لحق بالمغرب الأقصى (170هـ)[6]، كما بقيت أعقابهم بفاس خلال عهدي المرابطين والموحدين[7]، رغم أنهم كانوا أيضا في جملة من خروجوا من فاس لقتال يوسف بن تاشفين[8]. وقد عاشوا حسب أبي عبيد البكري حول فاس في مدينة تسمى باسمهم (صدينة)[9]، وهي تقع ـ على ما يبدوا ـ إلى الشمال من فاس، قرب مجرى وادي سبوا، حيث مساكن قبيلة شراكة الحالية[10].

---

(1) البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص117.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص164، 165.

(3) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص537.

(4) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، د.ط، 1972م، ص21.

(5) **من ولد فاتن بن تمصيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر.**

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص165 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص139/ حا81.

(7) د. جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين ـ دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية، مصر، د.ط، 2001م، ص154 .

(8) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص139 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص27.

(9) **قال البكري: «وحواليها [أي فاس] من قبايل البربر ترهنة ومغيلة وأوربة وصدينة».** (البكري: المغرب، ص117).

(10) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص139/ حا81.

ـ **قبيلة مطماطة**[1]: أكد ابن خلدون على تفرقهم في المواطن، لكنه أشار إلى أن بعضهم كان ينزل: «نواحي فاس من قبلتها [جنوبها] في جبل هنالك معروف بهم، ما بين فاس وصفروى»[2].

ـ **قبيلة مُطْغَرة**: كانوا من أوفر بطون فاتن بن تمصيت بن زحيك بن مدغيس الأبتر، لكن ركدت ريحهم بعد ظهور إدريس بن عبد الله على المغرب، وتفرق جمعهم واندرجوا في غمار البربر، فكان منهم: «ما بين فاس وتلمسان أمم يتصلون بكومية ويدخلون بحلفهم»[3]. وكانت منهم قبائل: «بجبل قبلة فاس معروف بهم»[4]، وكذلك في الطريق ما بين وجدة ومليلة[5]. كما كان من بين حارات مكناسة: حارة لبنو شلوش المنتسبين لمطغرة[6]. كذلك ذكر البكري أن النهر الذي بين عدوتي فاس يخرج من: «عين غزيرة في وسط مرج ببلاد مطغرة، على مسيرة نصف يوم من فاس»[7]. وأشار ابن خلدون إلى أن رجلا من مطغرة هو من أنذر جوهر الكاتب (الصقلي) قائد المعز لدين الله الفاطمي (341 ـ 365هـ)، بدخول محمد بن الفتح بن ميمون الأمير بن مدرار المكناسي إلى سجلماسة (347هـ) متنكرا[8]. وإذا كانت تلك الإشارة متأخرة كثيرا عن عصر

---

(1) من ولد فاتن بن تمصيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص162 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص154.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص155، 157.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص157.

(5) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص265.

6)) ابن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عطا أبو رية ـ سلطان بن مليح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م، ص53 ؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص36 ؛ محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين، مجلة البحث العلمي، المغرب، ع37، 1987م، ص47 .

(7) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص299.

(8) ابن خلدون: العبر، ج6، ص174.

المرابطين، فقد ذكر ابن خلدون ـ في معرض حديثه عن القرن السابع الهجري وأحوال أهله ـ أن المطغريين كانوا: «كثيرون بنواحي سجلماسة، وأكثر أهلها منهم»[1]، مما يعني أن وجودهم استمر بها.

ـ **قبيلة زناتة:** زِنَاتة: «بكسر الزاي وفتح النون وبعد الألف تاء مثناة فوق مفتوحة وهاء في الآخر، بطن من البُتر من البربر»[2]. وقد أكد ابن خلدون على أنه: «لا خلاف بين نسابتهم أنهم من ولد شانا»[3]، وأكمل: «أما شانا فقال أبو محمد ابن حزم في كتاب الجمهرة، قال بعضهم: هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك [ورساك] بن ضري بن رحيك [زجيك] بن مادغيس [مادغش] بن بربر»[4].

ولشانا أو جانا، أو زانا كما في الجمهرة، ثلاثةٌ من الولد: ورسيج، الديديت، فريني[5]. وقد تناسل ثلاثتهم وتكاثفت أحيائهم وتشعبت: «إلى حدٍ أصبحوا

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص157.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص362.

(3) ابن خلدون: العبر، ج7، ص4.

(4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص4/ حا2 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص362.

ـ كان هذا ما قرأه ابن خلدون بجمهرة ابن حزم، أما في المطبوع فهو: «شانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جنذواذ بن يملا بن مادغس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح..» (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص495)، **وذكر بن منصور أنهم: «من ولد أجانا أو زانا، بن يحيى بن ضريس، أضيفت إليه الألف والتاء للتعميم عند الجمع على طريقة البربر فصارت جانات أو زانات. فلما عربه العرب عاملوه معاملة المفرد وأضافو إليه هاء الجمع فصار زناتة».** (بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص311).

(5) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص496.

ـ ذكر ابن خلدون أنهم: «ورسيك وفرني والديرث». (العبر، ج7، ص7).

معه في مرتبة قبائل»[1]، وهو ما أكد عليه ابن خلدون بقوله: «وأما شعوب زناتة وبطونهم فكثير»[2]، وبقوله: «ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبني يفرن.. وفي كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة»[3]، لكن هذا لا ينفي قلة أعدادهم بالنسبة للعناصر البربرية الأخرى ككتامة وصنهاجة ومصمودة، فكل هؤلاء: «كانوا أشد قوة وأكثر جمعا من زناتة»[4].

كانت زناتة من أشبه القبائل بالعرب من حيث: «سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلّب في الأرض وإيلاف الرحلتين»[5]، كما اعتبروا من أكثر قبائل البربر قابلية للتعريب نظرا لاحتكاكهم المستمر بالعرب[6]. وقد نزل أكثرهم: «بالمغرب الأوسط، حتى أنه كان ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة، و[كان] منهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى»[7]، **كمكناسة ومغراوة وبنو يفرن**، الذين اضطرتهم للانتقال عن المغرب الاوسط إليه: «عوامل سياسية قاهرة»[8].

---

(1) بوزياني الدراجي: العصبية القبلية، ص251.

(2) **أنظر**: ابن خلدون، العبر، ج7، ص7.

(3) **أنظر**: ابن خلدون: العبر، ج7، ص11 ؛ مجهول: الاستبصار، ص79 .

(4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص6 .

ـ وقال ابن خلدون أيضا: «ثمّ انظر بعد ذلك دولة زناتة لمّا كان عددهم أقلّ من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحّدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة». (ابن خلدون: العبر، ج1، ص205) .

(5) ابن خلدون: العبر، ج7، ص3 ؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص25.

(6) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص25.

(7) ابن خلدون: العبر، ج7، ص3.

ـ وكذلك قوله: «وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة». (العبر، ج6، ص134).

(8) **للتفاصيل أنظر**: فراس سليم حياوي ـ محمد عبد الله عبد: قبيلة مغراوة وأثرها في الحياة السياسية في المغرب الأقصى، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، م33، ع1، آذار/ مارس، 2015م، ص179 ـ 180 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص25، 27 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص79 ـ 80.

وقد لعب ثلاثتهم دورا هاما في سياسة المغرب الأقصى خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، في الفترة الممتدة من سقوط دولة الأدارسة إلى ظهور المرابطين، من خلال إماراتهم التي أقاموها في كل من فاس وسلا وتادلة وأغمات وسجلماسة[1].

وحري بنا الإشارة إلى أنه لم يحدث لِمَواطن استقرارهم تلك ـ رغم فرض المرابطين لسيطرتهم عليها ـ تحول كبير. فقد ظلوا مستقرين في المناطق التي عمروها إبان هجرتهم نحو المغرب الأقصى إلى منتصف القرن الخامس الهجري دون تغيير يذكر، اللهم بعض عمليات الإجلاء البسيطة التي دفعت ببعضهم نحو سهل ملوية، وبآخرين لعبور ممر تازة نحو سهل السايس، وبغيرهم للاتجاه نحو مدينة سجلماسة[2]، التي لم تتخلى العناصر المكناسية والمغراوية عن الاستقرار فيها رغم انهيار إماراتهم بها[3].

كذلك كان لسيطرة المرابطين على واحات درعة أثره في تحول بقايا وفلول القبائل الزناتية إلى الاستقرار والارتباط بالأرض والعمل فيها تحت نظر القبائل الصنهاجية[4]. وقد ذهب **البوزيدي** إلى أنه ربما كانت واحات ترناتة وتنزولين ومزجيطة من بين واحات درعة التي تمركزت بها هذه البقايا بصفة خاصة، لا سيما وبصمات القبائل الزناتية ما زالت مطبوعة على: «أسماء الأماكن

---

(1) **أنظر:** إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ج1، ص138 ؛ أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج1، ص152.

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص26.

(3) **أنظر:** حسن حافظ علوي: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، 1997م، ص141.

(4) **أنظر:** أحمد البوزيدي: التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن17ـ مطلع القرن20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، آفاق، المغرب، د.ط، 1994م، ص43.

والمواقع الجغرافية بهذه الواحات»[1]. كما أشار الإدريسي أيضا لاستقرار بعض القبائل الزناتية كبني: «سمجون وبني عجلان وبني تسكدلت وبني عبد الله وبني موسى وبني ماروى وتكلمان واريلوشن وانتقفاكن وبني سامرى» بقبلة قلعة مهدي[2].

البربر البرانس:

هم بنو برنس بن بر، من نسل مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح. يقول ابن خلدون: «ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا إبنا برّ»[3]، ويقول أيضا: «والحق الذي لا ينبغي التعديل [التعويل] على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح.. وأن اسم أبيهم مازيغ»[4].

وهم يتألفون من شعوب كثيرة، يجمعهم عند النسابين: «سبعة أجذام وهي: أزداجة، ومصمودة، وأوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة وأوريغة. وزاد سابق بن سليم وأصحابه: لمطة وهكسورة وكزولة»[5]. والذي تدعوا إليهم الحاجة الآن طائفتان فقط، أولهم **صنهاجة** التي لعبت الدور الحاسم في قيام

---

(1) أحمد البوزيدي: التاريخ الاجتماعي لدرعة، ص43.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د.ط، 2002م، ج1، ص 243.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص117.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص127.

(5) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص495 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص117.

- ذكر القلقشندي أنهم: «اردواحة، ومصمودة، وأوربة، وعجية، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة». (صبح الأعشى، ج1، ص361)، **وخالف أبو العباس الناصري، ابن حزم وابن خلدون في رسم أزداجة، حيث قال: «وأرداجة، ويقال: ورداجة بالواو بدل الهمزة».** (الناصري: الاستقصا، ج1، ص121).

دولة المرابطين[1]، والأخرى **مصمودة** أكبر قبائل المغرب وأكثرهم عددا وأوسعهم شعوبا، والقائمة بدعوة ابن تومرت مهدي الموحدين وداعيتهم[2].

- صنهاجة[3]:

لم تنجوا صنهاجة هي الأخرى من عدوى اختلاف وتضارب روايات النسابة والمؤرخين حول أصلها، حيث نسبها البعض منهم لقبيلة حمير اليمنية، بينما أكد غيرهم على أنها عريقة في البربر. وبين هؤلاء وأولئك اكتفى فريق ثالث بمجرد نقل آرائهما مسبوقة بقيل وقالوا وذُكر وزعموا، دون ترجيح رأي على الآخر. واللافت للنظر قيام ثلة من الباحثين باستغلال موضوعية أصحاب هذا الاتجاه، لخلق **إجماع كاذب** للرأي الذي قرروا لدراساتهم أن تتبناه، رغم أن هؤلاء

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص12.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص361.

(3) **قال ابن دريد: «صُنهاجة بضم الصاد لا يجوز غير ذلك»**. (ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1968م، ج1، ص266 ؛ السمعاني: الأنساب، ج8، ص98). **وقال ابن خلكان: «وأجاز غيره [غير ابن دريد] الكسر»** (وفيات الأعيان، ج1، ص266). **وقال القلقشندي: «صَنهاجة (بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء وألف بعدها جيم مفتوحة وهاء في الآخر»** (صبح الأعشى،ج1، ص362). **وذكر ابن خلدون أن أصل الكلمة: «صناك بالصاد المشمة بالزاي، والكاف القريبة من الجيم [زاناك]، إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج»** (العبر، ج6، ص201 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص328)؛ **وقد نفى الأستاذ عبد الهادي شعيرة أن يكون معنى صنهاج "السنغال"، لأن أصل كلمة "سنغال" مُركَّب من كلمتين هما: "سنو" بمعنى نحن، و "جال" بمعنى سفينة. لأنهم كانوا يستعملون السفن الصغيرة في نهر السنغال منذ القدم، وفي تنقلاتهم المستمرة بين سواحل الجزر القريبة**. (أنظر: محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون ـ تاريخهم السياسي، دار الاتحاد العربي، القاهرة، د.ط، 1969م، ص53).

كانوا فقط مجرد ناقلين[1].

أما من قالوا بانتسابهم لقبيلة حمير اليمنية، فيأتي على رأسهم: النسابة **ابن الكلبي** (ت204هـ)[2]، إذ كان هو أول من ضَمَّن تلك النِّسبة كِتابه **"جمهرة النسب"**[3]. وهو الكتاب الذي اعتبره البعض: «المصدر الوحيد لكل من كتب في نسب العرب، مثل ابن حزم الأندلسي، وغيره ممن أتى بعده من الشيوخ المحققين والعلماء الراسخين»[4].

---

(1) **أنظر:** عبد العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب ـ العصر القديم والعصر الوسيط، مكتبة السلام، الدار البيضاء/ مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، د.ط، د.ت، ص22 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص294 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص12 ؛ إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ المجتمع، الذهنيات، الأولياء، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م، ص8 .

(2) **أنظر ترجمته في:** الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، بيروت، لبنان، 1982م، ج10، ص101 [تر3] ؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص343 [تر236ـ14/ 7] ؛ ابن حجر: لسان الميزان، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدَّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت، لبنان، 2002م، ج8، ص338 [تر8268].

(3) **قال: «وأفريقش بن قيس بن صيفي، وهو الذي افتتح افريقية، وسميت به... وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة، ابني السور بن سعيد بن جابر بن سعيد بن قيس بن صيفي، فهم إلى اليوم».** (ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج2، ص548ـ549). **وقد رَأَىَ محقق كتاب "نسب معد واليمن الكبير" أن هذا الكتاب يمكن اعتباره بديلا للقسم الخاص بأنساب القحطانيين المفقود من جمهرة النسب** (نسب معد واليمن الكبير، ج1، ص8). **بينما اعتبره الأستاذ أحمد زكي باشا محقق "كتاب الأصنام" لابن الكلبي: «خلاصة وجيزة جدا لكتاب الجمهرة».** (ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط3، 1995م، ص21).

(4) ابن الكلبي: كتاب الأصنام، ص20[المقدمة]. **وانظر كذلك:** الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص102/ حا3 ؛ ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، [التمهيد] ص7.

أمثال **أبوعبيدة معمر بن المثنى** (ت209هـ)[1]. يقول ابن أبي زرع الفاسي: «وروى أبو عبيدة عن ابن الكلبي، أن أفريقش لما نقل البربر عن الشام ومصر إلى المغرب.. ترك فيه قبيلتين من دهاته، وهما صنهاجة وكتامة»[2]. **وكذلك البلاذري** (ت279هـ)، الذي قال: «غزا رجل من التبابعة يقال له أفريقش بن قيس بن صيفي الحميري إفريقية فافتتحها.. وأقام مع البرابرة بنو صنهاجة وكتامة من حمير. فهم فيهم اليوم»[3].

وأيضا الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت334هـ) صاحب كتاب **"الإكليل"**، المُؤلَّف في أنساب حميروأيام ملوكها[4]، حيث ذكر ابن دحية:

---

(1) **قال عنه السيرافي: «كان من أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم، وله كتب كثيرة في ذلك».** (ابن كثير: التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن، 2011م، ج1، ص118). **أنظر ترجمته عند:** (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص235 ؛ القفطي: انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ج3، ص276 وما بعدها).

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص119.

(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج1، ص11.

ـ رغم أن البلاذري لم يصرح بأن ابن الكلبي هو مصدر تلك الرواية، إلا أن هناك عدة قرائن تثبت أنها له. أولا: ما فيها من تشابه كبيرمع رواية ابن الكلبي (ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج2، ص ص548 ـ 549). **ثانيا: ورودها ـ أو بالأحرى جزء منها ـ في كتاب آخر له، منسوبة لابن الكلبي، حيث قال: «وقال ابن الكلبي كان إفريقش بن قيس ابن صيفي الحميري غلب على افريقية في الجاهلية، فسميت به، وهو قتل جرجير ملكها فقال للبرابرة، ما أكثر بربرة هؤلاء، فسموا البرابرة»** (البلاذري: فتوح البلدان، ص321 ـ 322). **وأخيرا تكرار اسم ابن الكلبي في مواضع كثيرة بكتابه أنساب الأشراف.. فكل هذه الأسباب تؤكد أن الرواية الواردة لدى البلاذري عن انتساب قبيلة صنهاجة لحمير، تعود لابن الكلبي.**

(4) **أنظر ترجمته عند:** الزركلي: الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م)، ج2، ص179 ؛ القفطي: انباه الرواة، ج1، ص314.

«أن إفريقش بن أبرهة ذي المنار بن الحارث.. بن حمير، خرج غازيا نحو المغرب في أرض البربر حتى انتهى إلى طنجة.. وخلف مع البربر من خلف من حمير اليمن، مثل صنهاجة وكتامة. هذا قول ابن **الكلبي**، **وبه قال** القاسم بن سلام، وأبو محمد **الهمداني**»[1].

وقد نقل عن الهمداني ما نقله عن ابن الكلبي كلا من: **ابن عذارى المراكشي**[2]، **وابن أبي زرع**[3]. كما نقل الأخير عن نسابة آخر هو: **الزبير بن بكار (ت256هـ)**[4]، شيئا قريبا من ذلك، وهذا نصه: «قال الزبير بن بكار أن صنهاج أبا صنهاجة ابن حمير بن سبأ، ولد حمير بن سبأ لصلبه»[5]. ورغم أن الزبير لم يشر لمصدر معلومته، إلا أن كونه لاحق لابن الكلبي، يجعلنا لا نستبعد أن يكون قد اطلع على كتابه.

---

(1) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وأخرون، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ط، 1955م) ص60ـ61.

(2) **قال ابن عذارى: «وقد ذكر الهمداني في كتاب الإكليل أن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير».**

ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج4، ص46.

(3) **قال ابن أبي زرع: «ذكر محمد بن الحسن الهمداني صاحب كتاب الإكليل في الدولة الحميرية، أن لمتونة فخذ من صنهاجة، وصنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير».** (روض القرطاس، ص117).

(4) **قال ابن فرحون: «كان الزبير [بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام] علامة قريش في وقته في الحديث والفقه والأدب والشعر والخبر والنسب، وهذا الباب هو الغالب».** (الديباج المذهب في أعيان المذهب، دار التراث، القاهرة، د.ط، 1972م، ج1، ص371)، **وأنظر ترجمته عند:** (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص311).

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص119.

ويشاركه في هذا الحكم **السمعاني** (ت506هـ)(1)، لاسيما وروايات ابن الكلبي منثورة في كتابه. **والقاضي ابن خلكان** (ت618هـ)(2)، **وكذلك ابن الأثير** (ت630هـ)(3). وهنا -حتى لا نطيل- يكمن الداء. فكل من مرَّ ذكرهم، يُنْسي كل ما قيل في أمانتهم العلمية، ما وُصِفَ به من نَقلوا عنه واعْتَمدُوا عليه، يعني الباحث **ابن الكلبي**. الذي وصفه رجال الأدب بالوضع والكذب(4)، وَحَكم عليه علماء الحديث كالذهبي وابن معين والدراقطني وابن عساكر والعقيلي وابن الجارود بالضعف والترك وانعدام الثقة فيه(5). فمثلا قال عنه الإمام بن حنبل: «ما ظننت أن أحداً يحدث عنه»(6)، وقال ابن معين: «ليس عن مثله يروى الحديث»(7).

---

(1) **قال السمعاني: «الصنهاجي... هذه النسبة إلى صنهاجة، وصنهاجة وكتامة قبيلتان من حمير، وهما من البربر، وقيل: بربر: من العماليق، إلا صنهاجة وكتامة فإنهما من حمير».** (السمعاني: الأنساب، ج8، ص98).

(2) **ذكر ابن خلكان أن صنهاجة: «قبيلة مشهورة من حمير».** (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص266)، **وأن أصل الملثمين: «من حمير بن سبأ»** (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص128). **وقد كان ابن الكلبي واحدا من النسابة الذين اعتمد ابن خلكان على رواياتهم في تصنيف كتابه "وفيات الأعيان"، ومن ثم لا شك في أن تكون رواياته، هي التي بلورت لديه هذا الاعتقاد.**

(3) **أكد ابن الأثير على انتساب صنهاجة لحمير بقوله: «وأقام من حمير [يقصد إفريقش بن قيس] في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم».** (الكامل، ج1، ص155، ص62). **وبالاستعانة ببرنامج "المكتبة الشاملة" سنلاحظ تكرر اسم ابن الكلبي في خمسة وأربعين موضعا بالكتاب، ومن ثم لاشك في أن تكون هذه الرواية هي الأخرى منقولة عنه.**

(4) أنظر: أبي الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 2008م، ج10، ص33 - ج12، ص24.

(5) **أنظر:** الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص101 - 102 ؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص343 ؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج8، ص338-339 .

(6) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 1406هـ، ج3، ص176 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص101.

(7) ابن حجر: لسان الميزان، ج8، ص339.

وهذا ليس تحاملا منهم عليه، ولا غيرة على فنهم منه، كما ذهب لذلك أحد المحققين[1]، لأن الكذب شيء لم يتبرأ منه ابن الكلبي أو ينكره على نفسه، بل ـ بالعكس ـ أقر بإقحامه في النسب أكثر من مرة قائلا: «أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كُرْزٍ وكانت أَمَةٌ بَغِيًّا لبني أسد يقال لها زَرْنَب فقلت له هي زينبُ بنتُ عرعرة بن جَذيمة بن نصر بن قعين، فسر بذلك ووصلني»[2]. **ومن ثم فالقول بانتسابهم لحمير مستبعد لافتقاد من قالوا به للثقة**[3].

أما أصحاب الرأي القائل **بانتسابهم للبربر** فكثيرون[4]، من بينهم: ابن عبد البر (ت463هـ)[5]، وياقوت الحموي (ت626هـ)[6]، وأبي الفداء

---

(1) **أنظر:** ابن الكلبي: كتاب الأصنام، ص13[المقدمة].

(2) أبي الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني،ج22، ص14؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس ـ بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1996م، ج3، ص60.

(3) **كان ترك الاعتماد على قوله في الأخبار والأنساب لكذبه وخلطه مذهب كثير من العلماء، وفي معنى ذلك يقول ابن العماد: «أجمعوا على تركه، وقد اتهم بالرفض والكذب». ويبدوا أن ابن العماد كان معتقدا في صحة ما نقله في حقه، لأنه عاب على ابن الكلبي رأيه في أول من تكلم بالعربية، فقال: «وانظر ما في كلامه، فإنه ذكر..».** (ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ـ محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، 1986م، ج2، ص211).

(4) **أنظر:** الاصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، د.ط، 1872م، ص44 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص121؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص328 ؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1955م، ج4، ص68 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص37 ؛ عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006م، ج2، ص298.

(5) **قال: «وقد انتسب بعضهم في حمير وأنكر أكثر الناس ذلك».** (ابن عبد البر: القصد والأمم، ص24).

(6) **قال: «أكثر البربر تزعم أن أصلهم عرب، وهو بهتان منهم وكذب».** (الحموي: معجم البلدان، ج1، ص368).

(ت732هـ)[1]، وابن خلدون(ت808هـ) الذي قال عند حديثه عن البرانس: «وأما شعوب **البرانس** فعند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام وهي: ازداجة ومصمودة.. **وصنهاجة**»[2]، وقال عند حديثه عن صنهاجة: «هذا القبيل **من أوفر قبائل البربر**.. حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم **الثلث من أمم البربر**»[3]، وقال عند حديثه عن نسب صنهاجة: «وأما ذكر نسبهم فإنّهم من **ولد صنهاج**.. وهو عند نسّابة البربر **من بطون البرانس من ولد برنس بن برّ**»[4].

بينما علق على القائلين بحميريتهم قائلا: «**ومن الأخبار الواهية للمؤرّخين** ما ينقلونه كافة في أخبار التّبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنّهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب، وأنّ أفريقش بن قيس بن صيفيّ من أعاظم ملوكهم الأُوَلْ وكان لعهد موسى عليه السّلام أو قبله بقليل غزا إفريقية.. وأنّه لمّا **انصرف من المغرب** حجز هنالك **قبائل من حمير** فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم **صنهاجة وكتامة**»[5]. وأيضا القلقشندي (ت821هـ) الذي قال عن صنهاجة: «(بنو صنهاجة): بطن من البرانس، من **البربر**. مساكنهم بلاد المغرب. وهم: بنو صنهاجة بن برنس بن بربر»[6]؛ وقال عن لمتونة: «وفي شمال بلاد مالي قبائل من **البربر** بيض تحت

---

(1) قال: «**وصنهاجة من البربر تزعم أنها من ولد إفريقش بن صيفي الحميري.. والأصح أنهم من ولد كنعان حسبما ذكرنا**». (أبي الفداء: تاريخ أبي الفداء، ج1، ص152).

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص117.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص201.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص201.

(5) ابن خلدون: العبر، ج1، ص16.

(6) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص317 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص362 .

حكم سلطانها، وهم: .. **ولمتونة**»[1]؛ وقال عن الملثمين: «كان **الملثمون من البربرمن صنهاجة**»[2].

أما أصحاب الرأي الثالث **فبعضهم** لم يتغلب لديه رأي على الآخر لذلك اكتفى بنقل كل ما وَعاه دون ترجيح، تاركاً لِكُلٍ حسم رأيه بطريقته. **وبعضهم الآخر** كانت لديه قناعاته ولكنه آثر ـ ربما من باب الموضوعية ـ أن يسرد باقي الآراء مســـبوقة بقيل وقالوا. ومن بين هؤلاء: ابن عبد البر[3]، والقلقشندي[4]، والطبري[5]، والمقريزي[6]، وصاحب الحلل الموشية [7]، وابن سعيد المغربي[8].. وغيرهم.

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص286.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص188.

(3) قال: «وقيل إن كتامة وصنهاجة من ولد افريقش بن صيفي الحميري». (ابن عبد البر: القصد والأمم، ص25).

(4) قال: «ويقال إنهم من حمير من عرب اليمن، قاله ابن الكلبي». (القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص363 ؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص317).

(5) قال: «وزعم هشام بن محمد الكلبي.. وقال: وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم». (الطبري: تاريخ الطبري، ج1، ص442).

(6) قال: «وقيل هوارة وكتامة وصنهاجة إخوة، وهـم أولاد قيس بن ذرعة بن زهـير بن أيمن بن همشـــيع بن حمير الأكبر بن ســـبأ». (المقريزي: البيان والإعراب، ص147).

(7) قال: «ولمتونة يرفعون نسبهم إلى حمير، وأنهم خرجوا من اليمن، وارتحلوا إلى الصحراء». (مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل ذكار ـ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979م، ص18).

(8) قال: «ويذكرون [يقصد صنهاجة] أن أصلهم من عرب اليمن». (ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1970م، ص124).

ومن ثم **فالرأي الراجح** أن صنهاجة من البربر، من ولد صنهاج بن برنس ابن برّ [بربر][1]. وهم يعدون من أوفر قبائل البربر، وأكثر أهل المغرب عددا، إذ: «لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط»[2]، ففي: «كل أرض منهم خلق»[3]، لذلك: «زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر»[4]. أما عن: «بطون صنهاجة فكثيرة»[5]، ومؤرخوا البربر يذكرون أنها: «تنتهي إلى سبعين بطنا»[6]، أهمها: «جميعا لمتونة ثم جدالة ثم مسوفة»[7]، ومواطنهم: «بالصحراء، وهم أهل وبر»[8].

قسم ابن حوقل صنهاجة إلى قسمين: صنهاجة **الخُلص**، وصنهاجة **الخارجة**[9]. بينما قسمهم البيذق إلى صنهاجة **القبلة**[10]، وصنهاجة **الظل**[11]. أما ابن خلدون فبعدما قسم صنهاجة عموما إلى ثلاثة طبقات:

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص201 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص362.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص201 ؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص124.

(3) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص124.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص201 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص121 ـ ج2، ص3 .

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص202 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص120 ؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص27 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ص329.

(7) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص40.

(8) ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

(9) **أنظر:** ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، 1992م، ص101 ـ 102.

(10) البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، د.ط، 1971م)، ص53.

(11) البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب، ص56.

صنهاجة إفريقية والمغرب الأوسط، وصنهاجة الريف، وصنهاجة الصحراء[1]، عاد مرة أخرى فقسمهم حسب نمط حياتهم إلى: أهل **مدر**، وأهل **وبر**[2].

فأهل **المدر** هم سكان المناطق الشمالية، المقيمين في بيوت: «الحجارة والطين»[3]، فيما: «بين المغرب الأوسط وأفريقية»[4]، وما بين: «جبال درن وجبال الريف من ساحل البحر

الرومي»[5]. أما أهل **الوبر** فالمقصود بهم: «قبائل الملثمين الرحل سكان الخيام بأقصى الجنوب»[6].

ثم قسم صنهاجة الساكنين بشمال المغرب الأقصى(أهل المدر) إلى: صنهاجة **البز**، وهم سكان وادي ورغة وجبل آمركو. وصنهاجة **العز** القاطنين بجبال غمارة. وصنهاجة **الذل** المنتشرين ببسائط آزمور[7]. وقد عاش هؤلاء حياة مستقرة في: «بيوتهم الثابتة، وتعاطو الفلاحة والغراسة وغير ذلك من المهن التي تتطلب الارتباط بالأرض»[8].

بينما عاش صنهاجة الصحراء (أهل الوبر) أمثال: «لمتونة وجدالة

---

(1) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج6، ص202، 241، 273 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص16.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

(3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص274 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص329.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص274.

(6) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص329 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص202.

(7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص274 ـ 275 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص329 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص16.

(8) **أنظر:** التقي العلوي: أصول المغاربة: القسم البربري ـ صنهاجة الشمال ـ تجمعات من البرانس في رأي نسابة البربر، مجلة البحث العلمي، م14، ع27، يوليو1977م، ص203.

ومسوفة ولمطة»[1]، كالبدو الرحل من حيث الضرب في مناكب الأرض، والانتقال كالعرب من ماء إلى ماء بإبلهم ومواشيهم وبيوتهم المصنوعة من الشعر والوبر؛ لذلك لم يكونوا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا ثمارا، ولا بُراً ولا شعيرا، وإنما كانت أموالهم الأنعام، وأقواتهم الألبان، وفي بعض الأوقات اللحم[2].

وقد حدد المؤرخون لهذه القبائل (صنهاجة الصحراء) وطنا عاما يمتد من: «غدامس جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلسي في المناطق الصحراوية التي تلي سلسلة الجبال المعروفة بجبال درن. كما يمتد هذا الوطن العام من جبال درن في الشمال، حتى مصب نهر السنغال، بل يمتد إلى منحنى نهر النيجر أو يجاوزه بقليل، بل تتخطى مضاربهم هذا النهر إلى الشرق بمراحل عديدة فتصل إلى تادمكة في قلب الصحراء الكبرى»[3].

بيد أنهم شرعوا بداية من منتصف القرن الخامس الهجري في التدفق تحت راية ابن ياسين من مواطنهم في الصحراء نحو الشمال. وبالاعتماد على ما ذكره صاحب الحلل الموشية، فقد كانت أغمات أول مدينة تحملت عبء استقرارهم بالشمال، حيث كَثُّرتْ جُمُوعهم: «الخلق بها، وضيقوا على أهلها»[4]، ما دفع أشياخ وريكة وهيلانة للشكوى إلى الأمير أبي بكر بن عمر المرة بعد المرة مما: «يلحقهم في ذلك من العناء والمشقة»؛ لذلك قرر أبو بكر (462هـ)

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج2، ص384.

(2) أنظر: التقي العلوي: أصول المغاربة، ص202 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص128 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص128 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص120 ؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص98.

(3) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص44.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص15.

بناء مدينة جديدة في فحص مراكش[1]، لتكون مقرا لقواته، ونقطة ارتكاز تتدفق منها تلك القوات صوب أهدافها الجديدة[2].

وقد عمد يوسف ابن تاشفين لاحقا لشحن **مراكش** بعشيرته وأقربائه اللمتونيين، تمهيدا لانقلابه الناعم على أبي بكر بن عمر. حيث كتب إليهم منها (464هـ) في السر من أبي بكر بن عمر، يحضهم على القدوم عليه، ويعدهم ويمنيهم: «فوصلت منهم جماعة كبيرة»[3]. ثم وفي العام التالي (465هـ) كان ما كان وخلع أبو بكر نفسه عن مُلك المغرب وولاه ليوسف[4]، لتبدأ مرحلة جديدة من الإنتصارات التي أدرك يوسف معها أنها: «لن تكون مأمونة دون عصبية قوية تشد أزره وتمده بالرجال»[5]؛ لذلك عاد في عام 470هـ فبعث للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم من القبائل بالصحراء، ليعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب، ويؤكد عليهم في القدوم عليه، يقول صاحب الحلل: «فوفد عليه منهم جموع كثيرة.. وكثروا بكل مكان»[6]، وهو ما يعكس كثرة الصنهاجيين وانتشارهم في كل بقاع المغرب الأقصى.

وبخلاف أغمات كانت **فاس** أيضا واحدة من المدن التي تدفقت عليها أعداد كبيرة من الأسر الصنهاجية الصحراوية مقارنة بالمدن الأخرى[7]، بدليل ما

---

(1) **أنظر:** مجهول: الحلل الموشية، ص15 ـ 16 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص19 ـ 20 ؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص29.

(2) **أنظر:** حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص201.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص23.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص24 ـ 25.

(5) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص19.

(6) **أنظر:** مجهول: الحلل الموشية، ص33.

(7) صباح إبراهيم الشيخلي: حقائق جديدة عن الحركة المرابطية ـ اندفاع المرابطين إلى المغرب الأقصى، مجلة المؤرخ العربي، ع27، 1986م، ص94.

ذكره الإدريسي (ت560هـ) من أن المياه التي تزود النهر الكبير بفاس كانت: «تأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة»[1]، وهي نفس المياه التي سبق وذكر البكري (ت487هـ) أنها تأتي: «من عين غزيرة في وسط مرج ببلاد مطغرة»[2]، ومن ثم فتسمية الإدريسية ـ اللاحق لأبي عبيد ـ العين بهذا الاسم، لا يمكن أن يعزى إلا للغلبة والسيطرة الصنهاجية على مناطق هذه العيون[3].

كما أتى ابن الأحمر على ذكر أسماء عدد من الأسر الصنهاجية التي استقرت بفاس، كبيت بني الخلوف الذي أشار لكونهم: «صنهاجيون من صنهاجة الصحراء»[4]، دون أن يحدد من أي قبيلة كانوا. لكنه يستفاد مما ذكره ابن القاضي عن إقامة تميمة بنت يوسف ابن تاشفين في فاس[5]، وإقامة ابن أبي الخصال بها في صُحبة محمد بن الحاج المسوفي[6]، أن **لمتونة ومسوفة** كانتا من بين تلك القبائل الصحراوية .

كما شهدت **مكناسة** هي الأخرى إنشاء مستقرات جديدة للصنهاجيين، ومن بين تلك المستقرات **مدينة القصر**، وهي مدينة صغيرة بناها أمير من أمراء الملثمين وسكنها مع جلة بني عمه، بعدما شاد بها قصرا حسنا وأحاطها بسور حصين[7]. أما العامة فالظاهر أنهم اختطوا لأنفسهم مدينتين: **بني موسى، وبني زياد**[8]،

---

(1) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، تصحيح: هنري بيريس، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية بالجزائر، د.ط، 1957م)، ص50.

(2) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص299.

(3) صباح إبراهيم الشيخلي: حقائق جديدة عن الحركة المرابطية، ص95.

(4) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص48.

(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص173.

(6) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص257.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص245.

(8) لم يكن يُعرف من مدن مكناسة قبل القرن 6هـ/ 12م سوى اسمين فقط: ورزيغة وعوسجة، ولكن الإدريسي وصل بهما خلال النصف الأول من القرن
=

بدليل موافقة الاسمين لاسمي قبيلتي **"بني زياد وبني موسا"**، اللتين عَدَّهُمَا ابن أبي زرع من بين قبائل صنهاجة الصحراء[1]. ولعل ما يؤكد صنهاجية القبيلتين غير الإشارة التي تفرد بها ابن أبي زرع، مطابقة وصف الإدريسي للباس القبائل غير المكناسية الساكنة بمكناسة[2]، لصفة لباس أبناء صنهاج ولمط[3].

كما امتدت الهجرة الصنهاجية لتعم مدينة **طنجة**، التي أصبحت بعد طرد غمارة منها وما يجاورها من المناطق الريفية السهلية[4]، تنسب لصنهاجة[5]. أما **جبال غمارة** فقد حالت وعورتها بين الملثمين وبين إجلائهم عنها[6]، لذلك بقوا هناك مستغلين تلك الميزة في العيش بتلك المناطق

=

نفسه إلى سبعة أسماء، من بينها ـ غير مدينة القصر ـ مدينة بني موسى، وبني زياد. (أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص244 ـ 245 ؛ محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص41).

(1) **قال: «وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة، منهم لمتونة، وكدالة، ومسوفة، ولمطة.. وبني زياد، وبني موسا».** (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص120).

(2) **قال: «وهم برابر يلبسون الأكسية ويربطون العمائم».** (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص245ـ246).

(3) **قال: «ولباس الرجال منهم والنساء أكسية الصوف، ويربطون على رؤوسهم عمائم الصوف».** (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص224).

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص532. **وانظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص32 ؛ التقي العلوي: أصول المغاربة ـ القسم البربرى ـ صنهاجة الشمال ـ تجمعات من البرانس في رأي نسابة البربر، مج14، ع27، يوليو 1977م، ص220 ؛ صباح إبراهيم الشيخلي: حقائق جديدة عن الحركة المرابطية، ص93.

(5) **ذكر البكري أن طنجة: «هي مساكن صنهاجة»** (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص287)، **وقد بقيت على ذلك قرابة قرن من الزمان، لأن الإدريسي أكد لاحقا أن سُكَّناها: «برابر ينسبون إلى صنهاجة».** (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص529) .

(6) **أنظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص32.

=

والإغارة على نواحيها[1]؛ ما حدى بالمرابطين لبناء مدينة (قلعة) **بني تاودا**: «على وادي ورغة»[2]، على بعد ثلاثة أميال من طرف جبل غمارة، وإسكانها: «ولاة المغرب منهم بالعسكر»[3]. لتكون ـ بمكانها شبه الثغر هذا ـ سداً مانعا من طغاة غمارة[4].

كذلك كانت **لمطة** من بين القبائل الصحراوية التي استقرت في حوض ورغة بعد اكتساح المرابطين لشمال المغرب، يقول الإدريسي: « وبين بني تاودا وفاس برية يشق في وسطها وادي سبو.. ويسكن هذه البرية قبائل من البربر يسمون لمطة»[5]. ما يعني أن المرابطين لم يقتصروا في استقرارهم على المدن القديمة بالمغرب الأقصى، بل وأوجدوا لأنفسهم مستقرات جديدة في هذه المنطقة أيضا[6].

كذا كان لزحف صنهاجة الصحراء نحو الشمال وحروبهم ضد **برغواطة**، دوره في تغيير الخريطة البشرية لمنطقة **تامسنا**. حيث لم تعرف **أم الربيع** قبل

=

ـ وصف صاحب الاستبصار حصانة جبال غمارة قائلا: «وطول هذا الجبل مسيرة 6 أيام وعرضه نحو 3 أيام.. وفيه جبال قد لحقت بأعنان السماء علوا، وحصون كثيرة تمتنع فيها غمارة». (مجهول: الاستبصار، ص190 ـ 191).

(1) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص55 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249 ؛ محمد العمراني: ثورات بلاد غمارة خلال الفترتين المرابطية و الموحدية، مجلة أمل، المغرب، مج6، ع17، 1999م، ص109.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249 ؛ مجهول: الاستبصار، ص190.

(3) مجهول: الاستبصار، ص190.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص249 ؛ الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص55.

(6) صباح إبراهيم الشيخلي: حقائق جديدة عن الحركة المرابطية، **ص94**.

خضوعها للسلطة المرابطية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري نفس الحضور الصنهاجي الذي جعل **ابن سعيد** أحد جغرافي القرن السابع الهجري يؤكد أن: «سكانها أكثرهم صنهاجة»[1]. لأنها لو توفرت عليهم لما كان أغفلهم **ابن حوقل** (في القرن الرابع الهجري)[2]، ولا **البكري** (في القرن الخامس الهجري)[3].

حيث لم يشر أيا منهما أية إشارة تدل على وجود صنهاجة بمنطقة أم الربيع[4]، في الوقت الذي توجد فيه رواية أخرى لمؤرخ آخر من القرن نفسه تعزز ملاحظة ابن سعيد، وتؤكد أن: «نهر أم ربيع عليه قبيلتان إحداهما تسمى هكسورة والأخرى صنهاجة»[5]. ما يعني أن هناك تغيرات حدثت في التركيبة السكانية للمنطقة، وكما هو واضح فهذه التغيرات لم تحدث إلا بعد وصول صنهاجة الجنوب إلى الشمال[6].

ـ المصامدة:

مَصْمُودة (بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وضم الميم وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر)[7]، هم بنو مصمود[مصمودة] بن برنس بن بربر[8]. سكان

---

(1) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص137.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص82.

(3) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص324.

(4) صباح إبراهيم الشيخلي: آل أمغار ـ دراسة في تركيب وبناء المجتمع العربي الصنهاجي في مدينة أزمور في القرن الخامس الهجري، مجلة البحث العلمي، المغرب، مج18، ع33، نوفمبر1982م، ص172.

(5) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت، د.ت) ص424.

(6) **أنظر:** صباح إبراهيم الشيخلي: آل أمغار، ص172.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص361.

(8) ابن خلدون: العبر، ج6، ص275 ؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص422.

البلاد الأصليون[1]، وأهل المغرب المغرب الأقصى الأولون[2]، و: «أكثر قبائل البربر وأوفرهم عددا وأوسعهم شعوبا»[3]؛ لذلك اعتبر ابن خلدون ديارهم وأماكنهم هي حدود المغرب الأقصى[4]. هذه أعدادهم أما عن خُلقهم فما رآه المراكشي بأم عينه أكد له صِدْق مَن وَصَفَهُمْ بالشر والقسوة والخفة في سفك الدماء[5].

ينقسم المصامدة إلى ثلاثة وحدات كبرى: «برغواطة، وغمارة، وأهل جبل درن»[6]. وقد استوطن معظمهم الجبال، بينما أقامت أقلية منهم في السهول، يقول ابن خلدون: «فالمصادمة هم أهل الجبال بالمغرب الأقصى إلا قليلا منهم، وغيرهم في البسائط»[7].

وقد حدد بن منصور مجال استيطانهم بقوله: «كانت مواطنهم الأصلية تبتدئ في شمال المغرب الأقصى، من حدود بلاد الريف من جهة الشرق إلى المحيط الأطلسي من جهة الغرب، ثم تمتد مساحلة إلى الجنوب شاملة سهل

---

(1) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص299.

(2) بشهادة صاحب العبر الذي ذكر أن مواطنهم لم تزل: «بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة». (ابن خلدون: العبر، ج6، ص275 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص321).

(3) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص422 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص275.

(4) عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله: «فأما المغرب الأقصى منه، وهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق إلى أسفي حاضرة البحر المحيط، وجبال درن من جهة الغرب، فهي في الاغلب ديار المصامدة من أهل درن وبرغواطة وغمارة». (ابن خلدون: العبر، ج6، ص133 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص299).

(5) أنظر: المراكشي: المعجب، ص259.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص275.

(7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص281.

أزغار (الغرب) وتامسنا (الشاوية) ودكالة والحوز حتى تتصل بجبال الأطلس الكبير إلى سفوحها الخلفية المطلة على إقليم سوس، ثم تسير شرقا من رؤوسها الداخلة في المحيط الأطلسي إلى ملتقاها بجبال الأطلس المتوسط بين تازة وتادلة عند ثنية المعدن المعروفة ببني فازاز المفضية إلى آكرسلوين بناحية سجلماسة حيث تبتدئ مواطن الزناكة (صنهاجة الجنوب)»[(1)].

وعلى عكس صنهاجة الصحراء الرعاة الرحل، استغنى المصامدة بقطرهم عن سائر أقطار العالم، فلم يُشاهَدوا مهاجرين طوال العصور الوسطى، بل استقروا في مواطنهم واتخذوا المعاقل والحصون، وشيّدوا المباني والقصور، وامتهنو الزراعة وفلاحة الأرض في سفوح الجبال، بفضل إتقانهم لشؤون الري[(2)].

أما عن **غمارة** فهم أشهر بطون مصمودة[(3)]، وقد سموا بذلك نسبة لوالدهم: «غمار بن مصمود، وقيل غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود، وقيل غمار بن أصاد بن مصمود»[(4)]، بينما ذهب بعض العامة للقول بأنهم: «عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة»[(5)]. وهم: «شعوب وقبائل أكثر من أن

---

(1) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص322. **وانظر:** المراكشي: المعجب، ص424-425؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص133.

(2) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج6، ص289؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص26؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص301؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص34؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص28.

(3) عبد الواحد ذنون طه: استيطان القبائل البربرية في شمال إفريقيا قبل الإسلام، حوليات الجامعة التونسية، ع18، 1980، ص295.

(4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص280، 116؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج14، ص325. **وانظر:** عباس جبير سلطان التميمي: قبيلة غمارة - دراسة تاريخية - نشاتها عقائدها، مجلة جامعة كربلاء العلمية، ع2/ 1، س3، نيسان 2006م، ص48.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص280؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص15.

=

تُحصر»[1]، لذلك اكتفى ابن خلدون بذكر أشهر بطونهم وهم: «بنو حميد ومثيوه، وبنو فال واغصاوة، وبنو زروال ومجكسة»[2].

كانت مواطنهم تمتد بحسب ابن خلدون مسافة خمس مراحل أو أزيد من جبال الريف، من لدن غساسة إلى طنجة، ثم تمتد خمس مراحل أخرى في العرض إلى أن تتخطى بسائط قصر كتامة ووادي ورغة[3]. بينما حدد العبادي مواطن استقرارهم بقوله: «قبائل غمارة كانت تسكن جبال الريف، الممتدة بحذاء البحر الأبيض المتوسط من نواحي سبتة وطنجة غربا، إلى وادي نكور بالقرب من المزمة أو الحسيمة الحالية شرقا»[4]. وتحديده بلا شك أكثر وضوحا، لاستخدامه المسميات الحالية لوصف المناطق التي كانوا

=

- **رد أحد الباحثين هذا التضارب في معرفة أنسابهم لعدة أسباب من بينها: صعوبة الاتصال بهم نظرا لطبيعة منطقتهم الجبلية الوعرة، إضافة لفلسفتهم الحياتية القائمة على عدم الاحتكاك بباقي قبائل المغرب الأخرى.** (أنظر: عباس التميمي: قبيلة غمارة، ص48).

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص281.

- **أشار صاحب الاستبصار لكثرتهم بقوله: «وهم أمم لا تحصى»** (مجهول، الاستبصار، ص190)، **بينما وصف ابن سعيد جبل غمارة بقوله: «فيه من الأمم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى»** (ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص139).

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص281 .

- **أشار أبي حيان لعدد آخر من القبائل لم ترد في العبر، كبنو اكترات، وبنو سكرو في مدينة تيطاون بناحية سبتة، ثم بنو امرزوق سمغرت، وبنو امعديد، وبنو ادغاغ. (أنظر: أبي حيان: كتاب الأنساب، مخطوط بالخزانة العامة للوثائق** والمخطوطات، الرباط، رقم: ك 1257، ص 24-25).

(3) أنظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص281.

(4) ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تعليق: أحمد مختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، د.ت، ص233/ حا4.

ينزلونها[1]. وبصرف النظر عن أوضحهم فهم لم يستمرو هناك أكثر؛ لأنه كان من أهم نتائج فتح المرابطين (460هـ) لـ: «جميع بلاد غمارة، وجبالها من الريف إلى طنجة»[2]، طرد بطون غمارة من طنجة وما يجاورها من المناطق الريفية السهلية، واحتلال أرضهم.

لكن ذلك لا يمنع من القول أن جل مناطق الريف ـ ولاسيما المناطق الجبلية الأكثر ارتفاعا ـ ظلت مستقرا لهم خلال العصور الوسطى وضمنها العصر المرابطي[3]. حيث لم تشر النصوص لأي تحول طرأ على مصامدة جبال الريف، بل إن أحد مؤرخي القرن السادس الهجري وصف جبال غمارة بقوله: «وفيه جبال قد لحقت بأعنان السماء علوا، وحصون كثيرة تمتنع فيها غمارة»[4]، ثم وفي القرن الثامن وصف ابن خلدون المصامدة عموما بأنهم: «أهل الجبال بالمغرب الأقصى»[5]، ثم أردف ذلك بقوله: «ولم تزل غمارة هؤلاء بمواطنهم هذه من لدن الفتح»[6]. لذا عمد المرابطون ـ لإخضاعهم وكذا لحصارهم ومراقبة تحركاتهم ـ لبناء جملة من الحصون والقلاع بقربهم، كحصن آمرجوا وقلعة بني تاودا[7]. وهي السياسية نفسها التي اتبعها المرابطون مع

---

(1) **أنظر:** عباس التميمي: قبيلة غمارة، ص47. **ولتفاصيل أكثر عن مواطن غمارة أنظر:** البكري: المغرب، ص108 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص532 ـ 533 ؛ مجهول: الاستبصار، ص190 ـ 191 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ص325 ؛ عبد الواحد ذنون طه: استيطان القبائل البربرية، ص295 ؛ محمد العمراني: ثورات بلاد غمارة خلال الفترتين المرابطية و الموحدية، مجلة أمل ـ المغرب، مج6، ع17، 1999م، ص 102 ـ 104.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص246.

(3) **أنظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص31 ـ 32.

(4) مجهول: الاستبصار، ص191.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص281.

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص281.

(7) **أنظر:** مجهول: الاستبصار، ص190 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249.

مصامدة جبل درن، فقد كان أحد أسبابهم لبناء مدينة مراكش: «التمرس بقبائل المصامدة المصيفة بمواطنهم بجبل درن»[1].

أما **برغواطة** فقد استمر المرابطون: «على جهادهم حتى استأصلوا شأفتهم ومحوا من الأرض آثارهم»[2]. وقد كانت المنطقة التي شاعت بها ديانتهم هي: «3منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى الممتدة من نهر سلا إلى نهر أم الربيع، أي ما يعادل المنطقة التي تسكن فيها حاليا قبائل الشاوية وزعير»[3].

وبالعودة **لمصامدة جبل درن** فقد كانت من أهم قبائلهم في عصر المرابطين: **هرغة** قبيلة المهدي بن تومرت، **وتنملل** أول من تبنوا دعوة ابن تومرت، **وهنتاتة** قبيلة أبي حفص عمر صاحب المهدي، **وكدميوه**، **وهكسورة**[4].

****العـرب:**

مَثَّل العرب العنصر الثاني في ترتيب العناصر البشرية المشكلة لمجتمع المغرب الأقصى، ولكن هذا لا يعني أن أعدادهم ضاهت أعداد البربر من بتر وبرانس به، فقد ظلوا منذ وطأت أقدامهم أرض المغرب الأقصى وحتى العصر المرابطي، يشكلون نسبة قليلة من السكان[5].

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص245 ؛ المراكشي: المعجب، ص444.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص279.

(3) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص323.

(4) أنظر: البيذق: المقتبس من كتاب الأنساب، ص32/ حا41، ص33/ حا44، ص34/ حا45، ص35/ حا49 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص354، 359، 360، 364 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص323 ـ 324، 326 ؛ شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين 524هـ ـ 667هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008م، ص32 ـ 33.

(5) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص36.

وبصرف النظر عن تلك الحقيقة، كانت حملة عقبة بن نافع الفهري نحو المغرب الأقصى (62هـ) أول خطوة على طريق التعارف بين العرب والبربر بها. فقد خرج عقبة بن نافع من القيروان بمجرد رده ثانية إلى ولاية إفريقية وعَزْلِ أبي المهاجر عنها(62هـ)، في وجوه العسكر من التابعين والعُبَّاد، فاخترق بهم المغرب الأوسط محاربا من فيه من البربر والروم حتى وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، ثم انثنى بهم جنوبا حتى وصل إلى الحافات الشمالية للصحراء الغربية حيث مواطن بعض قبائل صنهاجة[1]. وهو ما وصفه صالح الإيلاني بقوله: «فلما تفرغ عقبة من المغرب الأوسط، دخل المغرب الأقصى سنة 62هـ، وعقبة أول من دخلها من عمال المسلمين من هذه الأمة. فوصل عقبة إلى طنجة ووجد عليها يوليان، فاستأمن معه يليان. فذهب عقبة حتى وصل مدينة وليلي بمقربة من الموضع الذي بُني فيه فاس قبل بنيان فاس، فوجد فيه جموع البربر فقاتلهم حتى هزمهم واتبعهم إلى درعة، ومن هناك نزل إلى بلاد الصحراء إلى ايفيران

---

(1) أنظر تفاصيل فتح عقبة للمغرب الأقصى عند: ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ج1، ص267 ؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص320 ؛ الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان ـ عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص14 ـ 15 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص286، 291، 346، 349، 256 ؛ مجهول: الاستبصار، ص147، 186، 208، 212 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج3، ص 450 ـ 452 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص 25 ـ 28 ؛ ابن خلدون: العبر، ج4، ص237 ـ 238 ـ ج6، ص193 ؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3، 1993م، ص42 ـ 43 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص 137ـ 139 ؛ ليفي بروفنسال: نص جديد عن فتح العرب للمغرب، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج2، ع 1ـ2، 1954م، ص197 وما بعدها ؛ صباح إبراهيم الشيخلي: العرب الأوائل في بلاد المغرب الأقصى ـ دراسة في انتشارهم و استقرارهم في القرون الإسلامية الثلاث الأولى، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، تونس، ع 82 ـ 83، س22، 1985م، ص8 ـ 10.

يطوف، وقيل إنه رجع من السوس الأدنى وهي بلاد درعة فدخل صنهاجة، وقيل إنهم أطاعوه ولم يقاتلوه وكذلك هكسورة»[1].

بيد أنه في مقابل تلك الانتصارات التي أحرزها عقبة على أرض المغرب الأقصى، وإشارات المصادر للمساجد التي أسسها في بعض مدن المنطقة كدرعة ونفيس وإيجلي[2]، وأصحابه الذين تركهم بينهم ليعلموهم القرآن والإسلام كشاكر ـ صاحب الرباط ـ وغيره[3]، لا: «نملك أية إشارة تفيد أن حملة عقبة إلى مناطق المغرب الأقصى كانت قد أدت إلى استقرار جاليات عربية ولو صغيرة فيها»[4].

أما الحملة التي يمكن اعتبارها البداية الحقيقية لاستقرار العرب بالمغرب الأقصى فهي حملة موسى بن نصير. فقد بدأ مجتمع المغرب الأقصى منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامه أرضهم فاتحا في أواخر سنة 86هـ، يتطعم ـ على حد تعبير أحد الباحثين ـ بعناصر جديدة من العرب[5]. حيث عمد موسى بعدما أغزى: «عساكر المسلمين بلاد المغرب الأقصى ودوّخ أقطاره وأوغل في جبال طنجة حتى وصل خليج الزقاق، واستنزل بليان لطاعة الإسلام»[6]، و: «افتتح درعة وصحراء تافيلالت، وأرسل ابنه إلى السوس.. وأخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة»[7]، لترك حامية عسكرية بطنجة قوامها ألفا وسبعمائة مقاتلا

---

(1) عبيد الله صالح بن أبي صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي: كتاب الأنساب (مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، رقم ك 1272)، ص41.

(2) **أنظر:** البكري: المسالك والممالك، ج2، ص346 ؛ مجهول: الاستبصار، ص208 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص27.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص27، 42.

(4) صباح إبراهيم الشيخلي: العرب الأوائل في بلاد المغرب الأقصى، ص10.

(5) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص306ـ307.

(6) ابن خلدون: العبر، ج4، ص150.

(7) ابن خلدون: العبر، ج4، ص239.

عربيا[1]، تحت قيادة طارق بن زياد الليثي، الذي استعمله على طنجة وما والاها قبل أن يعود أدراجه إلى إفريقية[2]. كما أبقى مع طارق سبعة وعشرين رجلا من فقهاء العرب وقرائهم[3]، ليعلموا البربر القرآن ويفقهوهم في الدين[4].

وجلي ما كان لهاتين البادرتين من أهمية كبيرة فيما يتعلق بقضية الوجود العربي بالمغرب الأقصى، ونشر الإسلام والثقافة العربية بين سكانه. كما مثَّل إشراك طارق لمن أسلم من البربر في مهمة فتح الأندلس[5]، فرصة مهمة للاختلاط العربي البربري في المغرب الأقصى[6]. وهي الخطوة التي زكاها لاحقاً أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (ت339هـ)[7]، لِمَا كان لها ـ في رأيه ـ من دور هام في

---

(1) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ج1، ص275.
ـ **زاد هذا العدد ليصل إلى: «سبعة عشر ألفا من العرب»، عند ابن عذارى وابن أبي دينار** (ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص43 ؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص48)، **وإلى: «سبعة وعشرين ألفا من العرب» عند ابن خلدون** (العبر، ج6، ص144).

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ج1، ص276 ؛ الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، ص39 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص43.

(3) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، ص40 .
ـ **ذكر ابن عذارى أنهم فقط «سبعة عشر رجلا من العرب».** (ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص42).

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص42 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص144.

(5) الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، ص41 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص42 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص144.

(6) صباح إبراهيم الشيخلي: العرب الأوائل في بلاد المغرب الأقصى، ص12.

(7) **هو شيخ المغرب، ومالك الأصغر أبو محمد بن أبي زيد القيرواني المالكي، عبد الله بن أبي زيد. انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالقيروان وملأ الدنيا بتآليفه وكثر الآخذون عنه، وتوفي للنصف من شعبان سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.** (أنظر: ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1989م، ج4، ص477).

استقرار الإسلام بالمغرب، وإذعان البربر لحكمه، ورسوخ كلمته فيهم، وتناسيهم الردة[1].

وقد ظن بن منصور أنه لو كان قدر لهذه الحالة أن تستمر: «لمشت حركة الاستيطان العربي واستعراب البربر بخطى سريعة، ولكان من الممكن تعرب المغاربة قبل المصريين رغم قربهم من الجزيرة العربية»[2]، ولكن عسف بعض الولاة العرب وجورهم وسيرهم على الضد من جميع الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامي من عدل ومساواة ورفق بالناس واحترام لأنفسهم وأموالهم وصيانة لحريتهم وكرامتهم[3]، حطم كل تلك الآمال، وهيأ نفوس البربر لاعتناق المذهب الخارجي، وجرأهم على الانتقاض والثورة، والتطاول إلى الفتك بأمراء العرب، حتى انقرض في النهاية أمرهم وذهبت ريحهم وزالت دولتهم من المغرب وإفريقية[4]، وصار الملك: «للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى وجيلا بعد آخر»[5].

ومن بين تلك **"الدول الوطنية المغربية"** العديدة[6]، التي شكل قيامها معلمة هامة على طريق استقرار العرب بالمغرب الأقصى وامتزاجهم بسكانه، **الدولة الإدريسية**. حيث حرص المولى إدريس بن عبد الله منذ وطأت أقدامه أرض المغرب الأقصى على توثيق الصلات، وتمتين الروابط، وتحقيق الامتزاج

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص144. **وانظر:** بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص380.

(2) بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص380.

(3) **أنظر:** بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص381.

(4) **أنظر تفاصيل ذلك في:** ابن خلدون: العبر، ج6، ص144 ـ 149 ؛ بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص380ـ384.

(5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص149.

(6) **كانت تلك التسمية التي سمى بها بن منصور الدول التي قامت بالمغرب نهاية العصر الأموي ومطلع العباسي.** (بن منصور، قبائل المغرب، ج1، ص384).

بينه وبين البربر؛ لذا تزوج من كنزة ابنة عبد الحميد الأوربي الذي أقام في دياره عندما وصل إلى وليلى لأول مرة[1].

وينطبق هذا الأمر أيضا على ابنه ورجال حكومته، فقد تزوج إدريس الثاني من بربرية: «من أشراف نفزة»[2]، وتزوج وزيره عمير بن مصعب الأزدي ـ على زوجته العربية ـ من زوجتين بربريتين[3].

كما كان لازدهار الحكم الإدريسي[4]، أثره في جذب أنصار الدولة الدينيين والسياسيين، ودفعهم للهجرة إليها ـ من أجزاء مختلفة بالمغرب والأندلس ـ

---

(1) أنظر: محمد الزكي السجلماسي المدغري: تأليف في الأنساب (مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، رقم ج375)، ص144؛ الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2004م، ج1، ص74.

ـ نفى أحد الباحثين أن تكون كنزة ابنة عبد الحميد الأوربي من خلال تأكيده على أنها كانت مجرد جارية أهداها عبد الحميد لإدريس (أنظر: صالح محمد فياض أبو دياك: الدولة الإدريسية الهاشمية ودورها السياسي والحضاري في المغرب في عهد الإمامين إدريس الأول وإدريس الثاني، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، م11، ع2، 1996م، ص58). **والجدير بالذكر أنه رغم إجماع المصادر على أن إسمها كنزة، فقد ذهب ابن الرقيق إلى القول بأنها كانت جارية: «تسمى كثيرة البربرية».** (الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، ص180).

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص51 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص203.

ـ نفزة واحدة من قبائل البربر البتر (أنظر: بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص306).

(3) كانت الأولى من بيت بني الخير الزواغيين الزناتيين، والثانية من بني بهلول الزناتيين. (ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص13 ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج3، ص266).

(4) لعله من مظاهر هذا الازدهار في عهد إدريس الأول: استقامة أمر المغرب له ومبايعة كافة من به من القبائل، وقوة سلطانه، وكثرة جيوشه، وعلو شأنه واشتهار أمره واسمه. و من مظاهره في عهد إدريس الثاني: استقامة الأمر له، وعظمة ملكه، وكثرة جيوشه. (أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص21ـ22، 29).

زرافات ووحدانا[1]. حيث لم يمض عام على أخذ راشدٍ البيعة لإدريس الثاني على سائر قبائل البربر بجامع وليلى (188هـ)[2]، حتى وفدت عليه بها (189هـ): «وفود العرب من بلاد أفريقية وبلاد الأندلس في نحو الخمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبني يحصب والصدف وغيرهم»[3]، فقربهم إدريس ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر، فاستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدي[4]، واستكتب الفقيه أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري، واستقضى عامر بن محمد بن سعيد القيسي[5]، وربما أسند خطة الصلاة كذلك إلى أحد بني حدور الخزرجيين[6].

ولم يخطئ أحد الباحثين حين ذكر أن قدومهم كان: «بداية السيل من

---

(1) **أنظر:** بن منصور: قبائل المغرب، ج1، ص385 ؛ صباح إبراهيم الشيخلي: العرب الأوائل في بلاد المغرب الأقصى، ص19 .

(2) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج4، ص18 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص25 ـ 26 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص25، 28 ؛ الجزنائي: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المغرب، ط2، 1991م، ص16.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص29. **وانظر:** ابن خلدون: العبر، ج4، ص18 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص27 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص219.

ـ **زاد الجزنائي على هذه القبائل واحدة أخرى، وهي الخزرج.** (الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص17).

(4) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص13؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص29.

ـ **سماه ابن خلدون بـ: «مصعب بن عيسى الأزدي المسمى بالملجوم».** (ابن خلدون: العبر، ج4، ص18).

(5) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج4، ص18 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص27، 29، 32 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص27، 30 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص219، 222.

(6) **أنظر:** مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986م، ج1، ص306.

الهجرات التي جاءت إلى المدينة»[1]، حيث شجعت حفاوة الاستقبال وفود العرب ـ وغيرهم ـ على القدوم عليه من جميع الآفاق، حتى: «كثر الناس وضاقت بهم مدينة وليلى»[2]، ما حدى بإدريس لعقد العزم على الانتقال عنها، وبناء مدينة جديدة (190هـ)، ليسكنها: «هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته»[3].

ولم يغب العرب عن ذلك المشهد أيضا، فقد كانت العناصر العربية سواء منها القحطانية كالخزرج والأزد ويحصب وحذف ومذحج، أو العدنانية كقيس وكنانة، من بين العناصر المؤسسة للمدينة الجديدة (فاس) بعدوتيها الأندلس والقرويين[4]. بل إن عدوة القرويين سميت بذلك الاسم تيمنا بأهل القيروان، فقد كان: «أول من نزلها مع إدريس ثلاثمائة بيت من أهل القيروان»[5].

كذلك كان المغرب الأقصى **وفاس** إحدى وجهات **ربضية قرطبة**[6]،

---

(1) صالح محمد فياض أبو دياك: الدولة الإدريسية الهاشمية، ص63 ؛ كريمة عبد الرءوف محمد: عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، 2005م، ص171.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص29 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص27 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص220

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص29 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص220 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص27

(4) أنظر: جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص157.

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص47.

ـ ذكر صاحب القرطاس أن العرب القيسية نزلت: «من باب إفريقية إلى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين، ونزلت الأزد على حدتهم، ونزل اليحصبيون على حدة القيسية من الجهة الأخرى». (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص46. **وانظر:** صالح محمد فياض أبو دياك: الدولة الإدريسية الهاشمية، ص65).

(6) الربض: كلمة عامية تساوي الضاحية أو الحي، وجمعها أرباض، وهي تعني: «المنطقة الجنوبية المواجهة للمدينة. وتمتد جنوبا إلى بلدة شقندة (Secunda)،
=

المنفيين عنها على إثر فشل ثورتهم (202هـ/ 818م) ضد الحكم بن هشام[1]. حيث استقر بعضهم بين قبائل البربر في جبال الريف بشمال المغرب الأقصى[2].

=

وإلى اليوم يسمى مكانهم بالتسمية نفسها (Arrabal)». (صالح محمد فياض أبو دياك: الدولة الإدريسية الهاشمية، ص66 ؛ مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية، ص319/ حا118).

(1) **هو: أبو العاصي الحكم (الأول) المنتصر بن هشام بن عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. حفيد عبد الرحمن الداخل، وثالث خلفاء بني أمية بالأندلس. ولي الخلافة بعد أبيه هشام يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة، وتوفي يوم الخميس لأربع بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين. وهو الذي أوقع في أواخر خلافته بأهل الربض يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين ومائتين فنسب إليه.** (أنظر: إدوارد فون زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن ـ حسن أحمد محمود وآخرون، درا الرائد العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1980م، ص2 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج1، ص43 وما بعدها ؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ج1، ص34). **وانظر عن ثورة أهل الربض:** (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج1، ص95 ـ 96 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص413 ؛ ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1، ص44 وما بعدها ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص75 ـ 77 ؛ النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، ج23، ص217 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص47 ؛ ابن خلدون: العبر، ج4، ص161 ـ 162 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص223).

(2) **لمَّح ابن الآبار لذلك بقوله: «ولجا آخرون إلى سواحل بلاد البربر».** (ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1، ص45. **وانظر كذلك:** مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية، ص320).

بينما يمَّم أغلبهم شطر فاس، وكانوا سبعة وقيل ثمانية آلاف بيت[1]، فأنزلهم إدريس بالعدوة الشرقية منها، فشرعوا في البناء بها يمينا وشمالا إلى ناحية الكدان ومصمودة وفوارة وحارة البادية والكنيف إلى الرميلة: «فسميت بذلك عدوة الأندلسيين»[2]. وقد اشتملت صفوفهم على كثير من: «ذوي المهن القلمية.. وأرباب الحرف اليدوية»[3]، وهي المؤهلات التي تمكنوا بفضلها من الاضطلاع بدور ديني وفكري وحضاري بالمدينة.

ما حدى بأحد الباحثين للقول بأنه: « لعل اتخاذ فاس خصائص المدينة الإسلامية بسرعة فائقة يرجع إلى هؤلاء القوم»[4]. كما نزلت بعض بيوتهم

---

(1) **أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص47 ؛ مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م)، ص182.

(2) الجزنائي: جني زهرة الآس، ص26. **وانظر:** ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص236 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص47.

(3) صالح محمد فياض أبو دياك: الدولة الإدريسية الهاشمية، ص66. **وانظر:** كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص172 ؛ مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية، ص323-324.

- أشار ابن عذارى لاشتمال صفوف أهل الربض على كثير من: «أهل العلم والخير» (ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص77)، **وهو لم يعدوا الحقيقة فيما قال، فقد نقل النويري عن بعض المؤرخين أنه: «اجتمع في الربض أربعة آلاف فقيه وطالب»** (النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، ج23، ص218)، **وشهد المراكشي أنه: «كان بالربض الشرقي من قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي؛ هذا ما في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها. وقيل إنه كان فيها ثلاثة آلاف مُقَلِّس [مُعَمَّم] وكان لا يتقلس عندهم في ذلك الزمان إلا من صلح للفتيا»** (المراكشي: المعجب، ص456-457).

(4) مصطفى أبو ضيف: أثر القبائل العربية، ص323.

- لعل مصطفى أبو ضيف استقى رأيه مما ذكره ابن عذارى في معرض حديثه عن تفرق أهل الربض: «ومنهم من جاز البحر إلى العدوة بالأهل والولد؛ فاحتلوا بعدوة فاس، فهم عدوة الأندلس منها؛ فصيروها مدينة». (ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص77).

بمدينة أغيفي[1]، وبوليلى بالقرب من مدينة فاس[2]، وبعضهم الآخر (بني موسى) بأوزقور، وبلاد أغمات بجنوب المغرب الأقصى[3]. وربما بسجلماسة أيضا والبصرة، فقد ذكر غير مصدر أن مؤسس سجلماسة ربما كان حدادا من ربضية قرطبة[4]، وقال ابن عذارى في معرض حديثه عن هدم أبو الفتوح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي ـ صاحب إفريقية من قبل العزيز بالله ـ

---

(1) تقع أغيفي (أغيغي) ـ اعتمادا على وصف البكري للطريق من أغمات إلى فاس ـ على بعد ستة عشرة مرحلة من أغمات في اتجاه فاس، وثلاثة مراحل من فاس في اتجاه أغمات. وبين أغيفي وبين ورزيغة ـ إحدى حوائر مكناسة ـ مرحلة واحدة. وورزيغة مدينة كبيرة كانت تستوعب أربعة مدن اندمجت فيها، وهذا ما يفسر وصفها بالمدينة الآهلة كثيرة الخير، وقد نجت من أكثر من محنة، ولكنها خربت في النهاية ودثرت في الفتنة التي لحقت بالمغرب إثر قيام بني مرين على الموحدين. (أنظر: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص340 ـ 341 ؛ البكري: المغرب، ص154 ـ 155 ؛ أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، دار الثقافة، الرباط، المغرب، د.ط، 1991م، ص477 ؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص79 ؛ محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص40ـ 41**).**

(2) علق البكري على أغيفي بقوله: «وسكنها قوما من ربضية الأندلس أيضا، فأجلاهم عنها البربر إلى وليلى». (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص341)**. أما وليلى فهي مدينة عظيمة أولية بطرف جبل زرهون، تقع على مسافة يوم من غرب مدينة فاس.** (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص302 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص230 ؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص609).

(3) أنظر: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص340ـ 341 ؛ البكري: المغرب، ص155.

ـ تقع أوزقـور ـ اعتمادا على وصف البكري للطريق من أغمات إلى فاس ـ على بعد 11 مرحلة من أغمات في اتجاه فاس، و8 مراحل من فاس في اتجاه أغمات. (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص340ـ 341 ؛ البكري: المغرب، ص154ـ 155).

(4) أنظر: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص334 ؛ مجهول: الاستبصار، ص201 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص306.

لمدينة البصرة (368هـ): «وكان فيها عمارة عظيمة بالأندلس والبربر»[1]، وتلك العظمة لا يمكن أن تصنعها الهجرات الفردية.

لم تتوقف الهجرة **لفاس** بعد إدريس الثاني ولا كان ربضية قرطبة آخر من وفدوا عليها، فقد استمر سيل الهجرات في التدفق على المدينة في عهود من خلفوه من الأبناء والحفدة، كيحيى بن محمد بن إدريس الثاني (ت249هـ)، الذي قصد إليه الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب، لما علموه من عدله وفضله ومحبته للفقراء والغرباء. كأهل القيروان الذين أنزلهم حوله بعدوة القرويين، بعد أن وفد عليه منهم جمع كثير بعيالهم وأولادهم[2]، والذين كان من بينهم الأختين الفهريتين اللتين كان لهما الفضل في بناء مسجدي الأندلس والقرويين بفاس[3].

ولم يكن هذا آخر العهد بالقيروانيين، فقد أدى اجتياح العرب الهلاليون لبلاد إفريقية، وما ترتب عليه ذلك من خراب القيروان (452هـ)، وفرار أهلها

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص231.

ـ أما البصرة فهي كما وصفها ابن عذارى مدينة قديمة أزلية، وقد خَرَّبَهَا وَمَحَا رَسْمَهَا أبو الفتوح يوسف ـ صاحب إفريقية من قِبل العزيز بالله ـ سنة 368هـ، أو 378هـ حسب قول البشاري الذي نقله عنه ياقوت، وهي تقع في الطريق من طنجة إلى فاس، وقد قدر المقدسي المسافة بينهما بستة مراحل. ويوجد موقع البصرة حالياعلى بعد 22 كم من مدينة سوق الأربعاء الواقعة بإقليم القنيطرة شمالي غرب المملكة، وحوالي 33 كم من مدينة وزان. (المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991م، ص247 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص231 ـ 232 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص440 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص292 ـ 293 ؛ موقع ويكيبديا، مادة: سوق الأربعاء: (https:// ar.wikipedia.org).

(2) أنظر: ابن خلدون: العبر، ج4، ص20 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص53 ـ 54 ؛ الكتاني: سلوة الانفاس، ج1، ص91.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص55 ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج1، ص91.

منها وتفرقهم في كل وجه. لوصول طائفة عظيمة منهم أقصى المغرب ونزلوهم بمدينة فاس[1]. وقد أَثْرَتْ هجرتهم هذه، المدينة علميا وفنيا؛ نتيجة لما كانت تشتمل عليه صفوفهم من: «العلماء والفضلاء من كل طبقة»[2]، ويشهد لأثرهم هذا قول الزهري: « ومنهم تكسب الفاسيون الطرب، وانتشر فيهم العلم والأدب»[3].

العرب في عصر المرابطين: مثل العرب رغم قلتهم -مقارنة بالبربر- العنصر الثاني في ترتيب العناصر البشرية المشكلة لمجتمع المغرب الأقصى في عصر المرابطين. وما سبق يمكن اعتباره مقدمة لابد منها، للقول بأن السبب الرئيسي لا الوحيد لوجود العرب بالمغرب في عصر المرابطين كان: استمرار هؤلاء الوافدين في استيطان المدن التي سبق ونزلوها من لدن الفتح وحتى مجيء المرابطين.

ولا غرو فقد **ذكر البكري** (ت487هـ) **المعاصر** للمرابطين، أنه كان بجوار قلعة ابن خروب الواقعة على بعد مرحلة واحدة من طنجة، في الطريق إلى فاس: «قرية كبيرة **لعرب خولان** آهلة كثيرة الخير»[4]،

وأشار **ثانيا** إلى أن سكان **سبتة** وأحوازها كانوا بربرا وعربا ينسبون إلى **صدف**[5]، وأشار **ثالثا** لبقاء نفر من **ربضية الأندلس** بأوزقور إلى اليوم الذي كاد

---

(1) **أنظر**: الزهري: كتاب الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، د.ط، د.ت، ص112 ؛ المراكشي: المعجب، ص441، 443 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص294.

(2) المراكشي: المعجب، ص443.

(3) الزهري: كتاب الجغرافيا، ص112.

(4) البكري، المسالك، ج2، ص292.

(5) البكري: المغرب، ص103 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص285.

- ربما كانوا بقية من هاجروا من الأندلس إلى المغرب الأقصى بسبب الجوع والقحط الذي أصاب الأندلس في الفترة من عام 131هـ إلى عام 136هـ .
=

ينتهي فيه من وضع كتابه (آخر سنة460هـ)، ولتفرق بقيتهم ببلاد أغمات بعد طردهم من أوزقور لسوء عشرتهم، وأشار **رابعا** لبقاء بقية من **ربضية الأندلس** بوليلى، بعد أن أجلاهم البربر إليها من أغيفي في تاريخ غير معلوم[1].

وختم المراكشي (ت647) حديثه عن **فل أهل القيروان** بقوله: «فنزلوا مدينة فاس، فعقبهم بها إلى اليوم»[2]. وتصدقه ترجمة **ابن الآبار** لأحدهم بقوله: «محمد بن عبد المنعم بن مِنَ الله.. من أهل فاس، وأَبُوهُ أبو الطيب من جالية القيروان في فتنة العرب بها»[3].

كذلك بقيت ذرية المولى إدريس الثاني بفاس حتى مجيء المرابطين، حيث عاد بعضهم في أزمنة مختلفة ومراحل متعددة للإقامة بفاس، بعدما كان موسى ابن أبي العافية أجلاهم عنها. **ويشهد لهذا الطرح:** قول صاحب الاستبصار: «ومن ذريته بفاس [يعني إدريس الثاني] إلى اليوم، ونحن في سنة 587هـ»[4]، وقول الحميري نقلا عن صاحب الاستبصار: « ومن ذريته بقايا إلى اليوم»[5]، وتراجم بعض المنتمين لعهد المرابطين والموحدين التي اشتملت على عدد من

=

(**للتفاصيل أنظر:** البكري: المغرب، ص104 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص38 ؛ مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989م، ص62 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، العصر الأول ـ القسم الأول، ص214).

(1) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص340 ـ 341.

(2) المراكشي: المعجب، ص441.

(3) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 1995م، ج2، ص157 [تر404].

(4) مجهول: الاستبصار، ص180.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص434.

الإشارات الدالة على إقامة بعض المنتمين لتلك الأسرة، التي صارت البيوتات المنتسبة لها تعرف باسم **"الشرفاء"**، بفاس[(1)].

ولم يقتصر الأمر على ذرية المولى إدريس، بل استمرت بعض الأسر العربية في الإقامة بالمدينة حتى عصر المرابطين، كبيت **بني الملجوم** الذين أشير لتداولهم القضاء والشهادة والفتوى بفاس حتى عصر المرابطين وخلاله، هم أحفاد عمير بن مصعب الأزدي وزير إدريس الثاني، وجدهم هو القاضي يوسف بن عيسى (ت545هـ) الذي استفتاه يوسف بن تاشفين اللمتوني لما أراد الجواز إلى الأندلس لينازل ملوكها[(2)].

وغير بني الملجوم هناك أيضا: بيت **بني بكار**[(3)]، **وبني السلالجي** القَيْسيين[(4)]. وبيت **بني حنين** الكنَانِيين[(5)]. وبيت **بني حدور** الخزرجِيين[(6)]. وبيت **بني عشرين**، أسرة الفقيه علي بن عشرين المعاصر للمرابطين[(7)].

هذا بخصوص الوافدين على المغرب قبل عصر المرابطين، أما في عصر المرابطين فقد تضافرت عوامل أخرى استطاعت في جعل المغرب مركز جذب واستقطاب للعديد من المجموعات العربية. ومن بين تلك العوامل..

---

(1) **أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص83 ـ 84 ؛ ابن خلدون: العبر، ج4، ص22 ـ ج6، ص177 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص160.

(2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص549 ؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص10، 14 ـ 15.

(3) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 41.

(4) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج2، ص205 ؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس،، ص45.

(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص518 ؛ ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص 39 ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج1، ص397.

(6) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص51.

(7) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص19؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص38.

- شيوع الأمن والاستقرار:

حيث دفعت المعارك المحتدمة بالأندلس ضد النصارى، ببعض العرب للانتقال إلى المغرب الأقصى لينعموا فيه بالاستقرار والطمأنينة(1)، كمحمد بن أحمد بن محمد بن مُطَرِّفِ بن سعد التجيبي، الذي: «انتقل قديما من بلده [قلعة أيوب] لنائرة العدو، فاستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة»(2). ومحمد بن أحمد البيراني، الذي: «خرج من بلده ألبيرة خوفا من العدو، فاستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة»(3). وابن الرماك، الذي: «توفي بسبتة فاراً من الغلاء الواقع ببلده والفتنة سنة 541هـ/ 1146م، وسنهُ نحو الخمسين»"(4). وعلي بن محمد بن أحمد الجذامي، الذي انتقل إلى سبتة من مالقة أيام الفتنة التي أثارها بها أبو الحكم الحسين بن الحسين بن حسون، فاقرأ بها القرآن ودرس العربية حتى توفي سنة ثلاثين وخمسمائة(5).

- التدريس والإقراء والوعظ:

تزخر كتب التراجم والطبقات بأسماء علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المغرب الأقصى ليعيشوا في كنف عواهله، الذين شجعوهم ـ بحفاوتهم وكرمهم ـ

---

(1) **أنظر:** حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية، ص 445 ـ 446 ؛ فتحية محمد خير الوداني: العلاقات الثقافية بين مدينة فاس وبعض أقاليم العالم الإسلامي 448ـ541هـ، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب بالخمس، جامعة المرقب، ليبيا، ع12، مارس 2016م، ص216.

(2) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ج4، ص60 ـ 62.

(3) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص258 [تر264].

(4) ابن الآبار: التكملة، ج3، ص24 [تر71].

(5) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص236 [تر565].

على الانتقال إليهم والبقاء بجوارهم، ليستفيدوا من علومهم ولتزدان بهم عاصمتهم[1]. يقول المراكشي: «فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته بني العباس في صدر دولتهم»[2]، ولعل هذا يفسر تسمية فاس[3]، ومراكش ببغداد المغرب[4]. ومن بين هؤلاء الفحول: محمد بن محمد بن عبد الله بن معاد اللخمي المعروف بالفلنقي، الذي: «خرج من أشبيلية بلده، واستوطن مدينة فاس، وتصدر للإقراء بمسجد الحوراء منها إلى أن توفي بها في المحرم سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة»[5]. وإبراهم بن أبي الفضل بن صواف (صواب) الحجري، الذي خرج من شاطبة بلده وتجول في البلاد معلما بها، قبل أن يستقر في: «آخر عمره بمدينة فاس في نحو ست وخمسمائة»[6]. وعبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري، البلنسي المولد مري النشأة، الذي: «سكن فاس ووعظ بها الناس»، هي ومراكش التي استوطنها إلى أن توفي بها سنة 523هـ[7]. ومحمد بن عمر بن قطري الزبيدي النحوي، الذي خرج من أشبيلية بلده: «وسكن سبتة، وعلم بالعربية إلى أن توفي بها سنة إحدى وخمسمائة»، وغيرهم[8].

---

(1) أنظر: حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية، ص444، 447.

(2) المراكشي: المعجب، ص227.

(3) المراكشي: المعجب، ص443.

(4) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1968م، ج3، ص153 ؛ العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص354 .

(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص264 [تر271] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج2، ص20 ـ 21 [تر53].

(6) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص88 [تر11] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص122 [تر363] .

(7) أنظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص408 ـ 409 [تر424].

(8) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص332 [تر1180] ؛ القاضي عياض: الغنية ـ فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص76 ـ 77 [تر14].

ـ النفي والتغريب:

غَرَّب أرباب الدولة المرابطية ونفوا ـ لأسباب أغلبها سياسي ـ عددا من أفزاز عرب الأندلس وحكامها، إلى مراكش وأغمات وغيرهما من بلاد العدوة، أمثال: المعتمد على الله محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش اللخمي، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، الذي أسره يوسف بن تاشفين ورحّله هو وأهله إلى أغمات[1]، بعدما غصبه سلطانه واغتال عددا من أبنائه (484هـ)[2]. وعبد الوهاب بن المعتمد محمد بن عباد (ت520هـ)، الذي غُرِّبَ بخلع أبيه إلى المغرب[3]، ومحمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن بشر الأنصاري الخزرجي المعروف بالميورقي. الذي حُمل إلى علي بن يوسف بمراكش فضرب وسجن وقتا

---

(1) **أغمات: مدينتان متقابلتان بينهما ثمانية أميال، الأولى تسمى أغمات إيلان والأخرى أغمات وريكة. وهما قريبتان من مراكش، وعلى بعد 18 مرحلة من فاس، ومن ورائهما إلى جهة المحيط ـ بأربع مراحل ـ السوس الأقصى. أنظر:** (الحموي: معجم البلدان، ج1، ص225 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص338، 341).

(2) **أنظر ترجمته وتفاصيل ما جرى له في:** المراكشي: المعجب، 158، 202 ـ 208 ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ـ تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م، ج3، ص151[تر1167] ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج2، ص159 ـ 160 ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص473 ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت، لبنان، 1984م، ج19، ص58، 62 ـ 66 [تر35] ؛ الزركلي: الأعلام، ج6، ص181 ؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص 213 ـ 223 ؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص51، 86 ـ 90 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص21، ص30 ـ 37 [تر686]؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص350 ـ 361 .

(3) ابن الآبار: التكملة، ج3، ص106 [تر264] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص79 ـ 80 [تر178] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص370 [تر20] ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص540 [تر1328].

ثم سُرِّح[1]، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي، المعروف بابن بِرَّجان (ت530هـ)، الذي اعتقل هو ونظيره ابن العريف وقيدا وحملا إلى مراكش، بعدما اتهمهما حسادهما لعلي بن بن يوسف أنهما يروما الثورة به، والخروج عليه كما فعل ابن تومرت[2].

- تولي الوظائف الإدارية والقضائية:

حيث توافدت على المغرب الأقصى - لتولي قضاء بعض مدنه - ثلة من علماء الأندلس المبرزين وأعيان شيوخها المتقنين، أمثال خلف بن عمر[3]،

---

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص186 [تر452]. **وانظر ترجمته في:** ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص139 [تر123] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص359 [تر1279] ؛ المقري: نفح الطيب، ج2، ص155 [تر106].

(2) من أهل أشبيلية، تُرجم له تارة باسم عبد الرحمن وأخرى باسم عبد السلام وما عدا ذلك فالمصادر فيه سواء. أمر علي بن يوسف باعتقاله وتغريبه لمراكش بعدما وصله عنه ما خافه على عرشه، فلما مات بها (530هـ وقيل 536هـ) أمر بطرحه على المزبلة وحزر من الصلاة عليه، لكن علي بن حرزهم أمر من نادى في أسواق مراكش وطرقها الناس لحضور جنازته، والصلاة عليه. وقد دُفن بمراكش بإزاء قبر صاحبه ابن العريف. أنظر ترجمته وتفاصيل ما جرى له في: (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص72 - 73 [تر44] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج3، ص21 [تر64] ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص56 [تر1079] ؛ أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا، 1989م، ص238 [تر277] ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص236 [تر172] ؛ السيوطي: طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، د.ط، 2010م، ص68 [تر58] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص170 [تر51 - ابن حرزهم] ؛ الزركلي: الأعلام، ج4، ص6). **وانظر ترجمة ابن العريف في:** الذهبي: تاريخ الاسلام، ج11، ص648 [تر273].

(3) خلف بن عمر بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي: أصله من سرقسطة، ولكنه استوطن أغمات وولي قضائها وتوفي بها بعد الخمسمائة بيسير. أنظر: (ابن =

وعيسى بن فتح[1]، وعبد الله بن إسماعيل[2]، ومحمد بن عيسى بن القاسم الصدفي[3]، وعبد الله بن علي بن أحمد بن علي اللخمي[4]، وغيرهم.

ولم تفت المرابطين: «أهمية الأساليب البليغة في عرض مراسيم الدولة وأوامرها والإفصاح عن رغباتها ووجهات نظرها»[5]، لذا حرص أمير المسلمين وولده علي بن يوسف على استدعاء طائفة كبيرة من أعيان كتاب جزيرة الأندلس وفرسان بلاغتها لبلاطهما بالعدوة، ليكونوا لسانهم: «البليغ في تدبيج الأوامر

=

بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2010م)، ج1، ص240 [تر392] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص244 [تر839]).

(1) من سكان شاطبة. قُـدِّم في تاريخ غير محدد لقضاء أغمات فوليه نحو ثلاثة أعوام، وتوفي سنة أربع وخمسمائة. أنظر: (ابن الآبار: التكملة، ج4، ص8 [تر22] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص419 [تر927]).

(2) من أهل إشبيلية. ولي قضاء أغمات فترة، ثم نقل إلى قضاء الحضرة فتقلده إلى أن توفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة. أنظر: (ابن الآبار: الصلة، ج1، ص378 [تر636] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص791 [تر282]).

(3) هو من أهل تُطيلة، لكنه استقر بفاس في نهاية رحلته العلمية. استكتبه ابن الملجوم عند توليه قضاء مكناسه ثم استخلفه لاحقا عليها. وتوفي سنة 529هـ. أنظر: (ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 2000م، ص117 ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص351 [تر1247]).

(4) من أهل شاطبة. ولي قضاء أغمات وَحَـدَّث وأُخِذَ عنه بها، وتوفي بأغمات وهو يتولى قضائها سنة 523هـ . (أنظر: ابن الآبار: التكملة، ج2، ص255 [تر739] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م، ج11، ص596 [تر148]).

(5) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص444 .

والمراسيم وفي مخاطبة الكافة»[1]. يقول المراكشي: «فاجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار»[2].

ومن بين هؤلاء الكتاب: عبد الرحمن بن أسباط[3]، وعبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري[4]، ومحمد بن سليمان الكلاعي[5]، المعروف بابن

---

(1) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص439.

(2) المراكشي: المعجب، ص227، 237.

(3) هو عبد الرحمن بن أسباط أو أسبط، وزير أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وكاتبه قبل أن يجوز جوازه الأول إلى الأندلس. تَحرَّف النسخ في بداية حياته، ثم تيسر له العمل في الكتابة بباب الديوان بألمرية أيام بني صمادح فخدمهم فترة، ثم جاز البحر إلى العدوة وتعلق بحاشية الحرة زينب زوجة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فاستكتبته، فلما توفيت ـ وكان عارفا باللسان العربي والمرابطي ـ أقره يوسف كاتبا له، فظل في خدمته إلى أن توفي فجأة في سبتة سنة سبعة وثمانين وأربعمائة. أنظر: (ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م، ج3، ص523 ؛ مجهول: الحلل، ص49 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، د.ت)، ج7، ص114 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص49 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص53).

(4) هو الوزير الكاتب الأبرع ذو الوزارتين، أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري، الأندلسي، اليابري. استمر في الكتابة للمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس واشبونة إلى أن قتله المرابطون وقتلوا ولديه صبرا سنة 485هـ، ثم كتب للأمير سير بن أبي بكر بن تاشفين مدة، ثم اتصل أخيرا بأميرالمسلمين علي بن يوسف باستدعاء منه له. وقد توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة في يابرة بلده أثناء زيارته لها. أنظر: (القاضي عياض: الغنية، ص171 [تر74] ؛ المراكشي: المعجب، ص 127 ـ 128، 141، 228 ؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى ـ دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ط، د.ت، ج6، ص168 ـ 169 ؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج2، ص619 ؛ الزركلي: الأعلام، ج4، ص149).

(5) الكلاعي: ربما نسبة لذو الكلاع إحدى بطون قضاعة (ابن الجوزي: مرآة الزمان في =

القصيرة[1]. وأبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد الفهري[2]، وغيرهم[1].

=

تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، 2013م، ج2، ص490). **وقضاعة حسب أبي العباس القلقشندي: «قبيلة من حمير من القحطانية. غلب عليهم إسم أبيهم فقيل لهم قضاعة. وهم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير».** (القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص400).

(1) هو أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الاشبيلي، المعروف بابن القصيرة، أحد أعظم كتاب الأندلس في وقته. خدم المعتضد في آخر دولته، ثم ولده المعتمد بن عباد حتى آخر دولته، لذلك كان أحد من حُرِبَ وفي جُملة من نُكب بعد خلعه. بيد أنه ولحسن طالعه ورد على أمير المسلمين ـ بعد وفاة كاتبه ابن أسباط ـ كتابا من صاحب مصر، لم يكن هناك بد من الرد عليه والإنصاف منه، فتفقد أمير المسلمين أسماء أعلام كتاب الأندلس، يقول ابن بسام: «فكان ذو الوزارتين أقرب مذكور، فاستدعاه لحينه، وولاه كَتَبة دواوينه». وقد استمر محمد في خدمة يوسف وابنه علي من بعده إلى أن توفي سنة 508هـ. أنظر: (ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، 1997م، القسم الثاني ـ المجلد الأول، ص239ـ240؛ المراكشي: المعجب، ص227؛ ابن الآبار: إعتاب الكتاب، تحقيق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، د.ط، 1961م، ص222 [تر69]؛ السملالي: الإعلام، ج4، ص49 [تر482]؛ ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص204 [تر1253]؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص116 [تر239]؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص53، 440).

(2) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن فَرْح بن الجد الفهري. كان يكنى بأبي القاسم، ويعرف بالأحدب. سكن أشبيلية ولكنه من أهل لَبْلَة. خدم في بداياته دولة بني عباد، حيث تولى وزارة يزيد ابن المعتمد بن عباد الملقب بالراضي والي أبيه على رندة، فلما ذهبت دولتهم ولاه أهل لبلة خطة الشورى، فظل فيها إلى أن تم استدعائه للكتابة في بلاط أمير المسلمين علي بن يوسف. وقد استمر في منصبه إلى أن توفي سنة 515هـ. أنظر: (ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص208 [تر1265]؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص353 [تر840]؛ المراكشي: المعجب، ص243؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، =

ـ طلب العلم:

كان لتشجيع ولاة الأمر للعلم والعلماء ـ وما ترتب عليه ذلك من استمرار حالة الزخم الفكري والثراء المعرفي اللذين عرفهما المغرب على يد علماء قرطبة والقيروان وفضلائهما ـ[2]، أثره في جعل المغرب الأقصى مقصدا وَمَحَجّاً للكثير من طلاب العلم. كأبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري، الذي تحدث عن نفسه في بداية طلبه للعلم قائلا: «قيل لي: إن رأيت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس. فتوجهت إليها ولزمت جامعها وتعلمت الصلاة، وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين»[3].

=

ط4، 1993م، ج1، ص341 [تر245] ؛ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني ـ المجلد الأول، ص285 ؛ ابن خاقان: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، 1989م، ج1، ص322 ؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص441).

(1) **أنظر:** محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص440 ـ 444.

(2) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص425 .

ـ في ذلك إشارة لقول المراكشي: «فلما اضطرب أمر القيروان بعيث العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة.. رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرار من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم على غاية الحضارة». (المراكشي: المعجب، ص443).

(3) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط، 1984م، ص320، 322 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، تحقيق: علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، د.ط، 1996م، ص139 ـ 140.

وانظر ترجمته في: ابن الآبار: التكملة، ج4، ص137 [تر395] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج2، ص119 [تر245] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص530 [تر609] .

وكعيسى بن فتح (ت504هـ) الذي: «مال إلى دراسة الفقه فانتقل إلى أغمات وريكة»[1]. وعبيد الله بن علي بن غلندور الأموي (ت581هـ)، الذي زار مراكش (535هـ) ليقرأ بها كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد، على صاحبه: «الطبيب أبو عبد الملك بن زهر في سجن مراكش»[2]. ومحمد بن معزوز بن إبراهيم القيسي، الذي سكن سبتة: «وسمع من القاضي أبي الفضل بن عياض وغيره»[3]. وعبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري (ت523هـ)، البلنسي المولد مري النشأة، الذي أخذ بفاس عن أبي إسحاق المري، وبسبتة عن أبي الربيع بن بقي[4]، وغيرهم.

ـ سقوط الدولة:

حيث اضطر بعضهم للهجرة إلى المغرب الأقصى فرارا من الفتن التي اشتعل أُوَارُها بالأندلس، وقتما كانت الدولة تعاني من كارثة السقوط، كمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن عيسى بن هشام الخزرجي، الذي: «خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقبلها في أول الموحدين»[5]، واستقر: «بفاس مقبلا على نشر العلم وإفادته، إلى أن توفي بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة عام ستة وأربعين وخمسمائة»[6].

---

(1) ابن الآبار: التكملة، ج4، ص8 [22] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص419 [تر927].

(2) السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1993م، ج8، ص351 [تر1228] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص13 ـ 14[تر31].

(3) ابن الآبار: التكملة، ج2، ص51 [تر136].

(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص408 ـ 409 [تر424] ؛ السملالي، الإعلام، ج8، ص55 [تر1078].

(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص262 [تر269].

(6) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص493 [تر1151].

****السودان:**

رغم تأكيد بعض الباحثين على انتساب أول إشارة مصدرية عن السودان لعصر المرابطين[(1)]، فالباحث يرى أن وجودهم[(2)]، واستغلال طاقتهم لخدمة المجهود الحربي[(3)]، كان سابقا على تلك الإشارة بكثير. ويبدوا أن ما دفع إحدى الباحثات[(4)]، للاعتراض على آخر، رَأَىَ أنه: «من المحتمل أن تكون قد هبطت فاس أول جماعة من السودان في أيام المرابطين»[(5)]، هو اعتقادها فيما ذهبنا إليه.

---

(1) عبّر بوتشيش عن ذلك بقوله: «أول إشارة وردت في المصادر حول العنصر السوداني، جاءت في سياق الحديث عن يوسف بن تاشفين الذي اشترى جملة من عبيد السودان». أنظر: (بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص48 ؛ عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2009م، ص42).

(2) حيث خرجت خيل المولى إدريس الثاني ـ بعدما انعقد عزمه على بناء عدوة القرويين (309هـ) ـ في طلب عبد أسود يدعى علون كان يقطع الطريق هناك. فقبضت عليه وصلبته على شجرة على رأس عين هناك، حتى تمزقت أشلاؤه وتقطعت أوصاله، فسميت به العين وصارت تعرف إلى الآن بعين علون. أنظر: (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص39 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص33).

(3) حيث كان في عسكر زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر المغراوي الزناتي صاحب فاس (ت391هـ)، عبد أسود إسمه سلام، وكان زيري قتل أخاه فيما سبق، فتحين العبد الفرصة إليه وضربه في نحره بسكين ثلاث ضربات كانت السبب في موته لاحقا. للتفاصيل أنظر: (ابن خلدون: العبر، ج7، ص45، ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص106 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص271).

(4) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص175.

(5) روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، مكتبة لبنان، د.ط، 1967م، ص24.

- **أنواع السودان:** عَدَّدَ أبو حامد الغرناطي أنواع السودان بقوله: «وأهل غانة أحسن السودان سيرة.. وأما قناوة وقوقو وملي وتكرور وغدامس، فقوم لا بأس بهم»(1). لذلك تعددت في المقابل المصطلحات التي استخدمتها المصادر للإشارة إليهم، حيث دعتهم بعضها باسم **بني قوقو**(2)، وبعضها **كِنَاوة**(3)، أو **قِنَاوة**(4)، أو **جِنَاوة**(5)، وهناك أيضا **الزنج** الذي استعمله ابن خاقان وغيره في الإشارة إليهم(6). وقد أكد أبو حامد الغرناطي أن جميعهم بصرف النظر عن المصطلح المستخدم للإشارة إليهم به: «يُنتفع بهم في الخدمة والعمل إلا **قوقو**، فلا خير فيهم إلا في الحرب»(7).

اضطلع تجار سجلماسة وغيرها من مدن المغرب الأقصى بمهمة جلبهم من

---

(1) أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الآفاق، المغرب، 1993م، ص39ـ40.

(2) ابن قزمان: ديوان ابن قزمان، تحقيق: فيديريكو كورينتي، تقديم: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، د.ط، 1995م، ص276 [زجل88].

(3) الحموي: معجم البلدان، ج4، ص481.

(4) ديوان ابن قزمان، ص276 [زجل88].

(5) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص158.

(6) **استعملها ـ غير ابن خاقان ـ أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر، في رسالته التي وجهها للوزير المرابطي أبي بكر عبد الملك بن عبد العزيز.** (ابن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1983م، ص405 ؛ ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص194 ؛ المقري: نفح الطيب، ج7، ص42 ؛ المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: سعيد أعراب ـ عبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث المشترك بين المغرب والإمارات، د.ط، 1980م، ج5، ص142).

(7) أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب، ص40.

بلاد السودان، حيث كانو يسافرون إليها بالملح والودع[1]، وبالتمر[2]، وبالصوف والنحاس والخرز، ويرجعون منها بالتبر والخدم[3]. وغالبا ما كان السبي والخطف هو وسيلة أهل السودان للتحصل على هؤلاء المسترقين، إذ كان أهل غيارو، وأهل: «بريسى وأهل سلى وتكرور وغانة يغيرون على بلاد لملم، ويسبون أهلها ويجلبونهم إلى بلادهم فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار»[4].

كما اعتاد أهل زواغة السودان على استغلال غيبة جيرانهم الرعاة الرحل، وسرقة أبنائهم وبيعهم للتجار الداخلين إليهم بالبخس من الثمن، يقول الإدريسي: «ويخرجونهم إلى أرض المغرب الأقصى، ويباع منهم في كل سنة أمم وأعداد لا تحصى»[5]. كما أشار البكري لرافد آخر وهو تخيير السارق بين قتله أو بيعه، حيث يقول: «وحكم هذه البلاد [ترنقة]، والمذكور قبلها من بلاد السودان [تكرور وسلى وغانة وقلنبو]، أن يُخَيَّر صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله»[6].

ولتعدد صفات عبيد السودان وَخِلاَلَهِمْ، تنوعت مهامهم ومجال استخدامهم. فلاتصافهم بالشجاعة والقوة[7]، إشترى منهم يوسف ألفي عبد،

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص164 ؛ أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب، ص39.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص20.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص134 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص18 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص286.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص19 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص427، 511 ؛ ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص135 (غينارة).

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص109-110.

(6) البكري: المغرب، ص173 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص361.

(7) وصف أبو حامد الغرناطي عموم السودان بقوله: «لا دين لهم ولا عقل». ولا شك أنه قصد بكلمته تلك، الإشارة لإقدامهم على تَقَحُّم المهالك والمتالف تقحم من لا عقل له. ووصَفَ قوقو على الخصوص بأنهم: «شر نوع في =

ليقوموا ـ إلى جانب غيرهم ـ بمهمة حراسته وحجابته[1]. ولكثرة طربهم[2]، وولعهم: «بالرقص على كل توقيع»[3]، وموهبتهم الفطرية في الضرب: «بالطبل على الإيقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم»[4]، اختصوا بإحياء أعراس العامة بالرقص واللعب[5]، والغناء الذي يبدوا أنه كان من نمط أهازيج الصحراوات التي استيقوا منها[6].

=

السودان.. ولا خير فيهم إلا للحرب» (أبو حامد الغرناطي: تحفة الألباب، ص40)، **ووصفهم الجاحظ بقوله: «وليس في الأرض أمة في شدة الأبدان وقوة الأسر أعم منهم فيهما»، وقال ثانية: «وهم شجعاء أشداء البدن أسخياء».** (الجاحظ: رسائل الجاحظ ـ الرسائل السياسية ـ رسالة فخر السودان على البيضان، شرح: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، 2002م، ص539) .

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص23 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص25 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص310.

(2) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص66.

(3) ابن خلدون: العبر، ج1، ص108.

(4) الجاحظ: رسائل الجاحظ، ص539.

(5) ابن غازي: الروض الهتون، ص82 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ج5، ص607 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية، المغرب، د.ط، 1981م)، ج2، ص533 ؛ القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1997م)، ص87.

(6) عبر الشقندي عن ذلك في رسالته التي فضل فيها بر الأندلس على بر العدوة بقوله: «وليس في بر العدوة من هذا [يقصد أدوات الطرب] شيء إلا ما جلب إليه من الأندلس. وحسبهم الدف، وأقوال واليرا، وأبو قرون، ودبدبة السودان». (المقري: نفح الطيب، ج3، ص213 ؛ محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص47).

كذلك فضل ملاك الأراضي استخدامهم لحصاد محاصيلهم، وفي غير ذلك من الأمور المتعلقة بالأرض(1)، لامتيازهم كما عبرت أمثال العامة بالصبر على الكد والعمل(2). ويصادف أن ذلك عين السبب الذي نصحت من أجله أمثال العامة باختيار العبد الأسود، في حالة المفاضلة بينه وبين العبد الأبيض(3).

ولم يقتصر استخدام السودان على الزراعة فقط، بل أهلتهم ملكاتهم لاستخدامهم في أنشطة اقتصادية أخرى **كالتجارة**. حيث امتلك تجار المغرب الأقصى ـ على غرار عواهل الدولة ـ أعداد لا يستهان بها من العبيد والخدم، الذين استخدموهم كأدلاء للقوافل التجارية وحراس لها، وفي تحميل البضائع وتفريغها(4). وحسبنا تجار أغمات الذين لم يكن منهم رجل: «يسفر

---

(1) **نستدل على ذلك من قول الولي الفاسي يعلي أبي جبل (ت503هـ) في نفسه، بعدما أبصر الحصادين وقد سيقت لهم ثردة الفول بالسمن، وكان جزارا أسود إلى السمرة: «أنا أسمر وهؤلاء الحصادون من جنسي، فلعلهم يدعوني للمؤاكلة معهم».**
(ابن الزيات: التشوف، ص101، 103 [تر10] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص560 [تر652]). **ولعل هذا ينفي ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن مهمتهم انحصرت غالبا في الأعمال المنزلية.** (بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص49 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص175).

(2) **قالت العامة: أسمر هو، أصبر هو .** (الزجالي: أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب، د.ط، 1975م، ج2، ص120 [مثل534]).

(3) **قالت العامة: طُلْ ما تجد أسود، لا تِسَخِّر أبيض.** (الزجالي: أمثال العوام، ص246 [مثل1064]).

(4) عيوني محمد: دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 4 و 5 الهجريين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2013، ص49 ؛ محمد عبدي ـ يوسف علاق: تجارة الرقيق خلال عصري المرابطين والموحدين 448/ 668هـ، مذكرة ماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية، الجزائر، 2015م، ص53 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص194.

عبيده ورجاله، إلا وله في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة»[1]

كذلك تميزت جواري السودان بإجادة الطبخ، وتكررت إشارات المصادر لحذقهن صناعة الطعام: «ولا سيما أصناف الحلاوات مثل الجوزينقات، واللوزينجات، والقاهريات، والكنافات والقطائف المشهورات، وأصناف الحلاوات»[2]. لذلك ـ على ما يبدوا ـ كُن باهظات الثمن، حيث ذكر البكري أنهن كن يُجلبن خاصة من أودغست الواحدة بمائة مثقال وأكثر[3]. وغير الطبخ أشار المراكشي في معرض حديثه عن صيغة عقد الإجارة في العبيد والأحرار، لمهام منزلية أخرى أُلزمن بها، حيث قال: «استأجر فلان بن فلان، فلانة بنت فلانة لخدمة البيت من العجين والطبخ والخبز والكنس وعمل السرير واستقاء الماء وغسل الثياب والغزل والنسج وغير ذلك من الأمور»[4].

كما اتخذت الزنجيات والنوبيات، لإرضاع الأطفال وتربيتهم: «لأن عندهن رحمة وحنينا للأطفال»[5]. وكمحظيات أيضا، وأمهات أولاد، بدليل ما ذكره ابن عذارى عن تلقيب إبراهيم ابن علي بن يوسف بابن تاغشيت، نسبة إلى أمه: «وهي أمة سوداء»[6].

---

(1) الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل، مدينة ليدن، هولندا، 1863م، ص66.

(2) البكري: المغرب، ص158 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص345 ؛ مجهول: الاستبصار، ص216.

(3) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص345.

(4) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997م، ص495.

(5) السقطي: في آداب الحسبة، نشر: ج.س كولان ـ إ. ليفي برفنسال، مكتبة إرنست لورو، فرنسا، 1931م، ص49، 53.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص77.

أما عن المدن التي استقروا بها، فالباحث يستنتج من عملهم كحجاب وحرس لعواهل المرابطين، ومن خدمة رجل أسود لابن حرزهم وحُضوره لمجلسه بمراكش[1]، أن **مراكش** كانت واحدة من تلك المدن. ومن بلوغ قسط **فاس** من العبيد الواجب تقديمهم للمشاركة في الجيش المزمع إرساله للأندلس، لردع ابن رذمير (الفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمحارب) ووضع حد للتحرشات النصرانية بشمال الأندلس، لثلاثمائة: «غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم»، أن فاس كانت أيضا واحدة من تلك المدن[2].

ويستنتج كذلك من الثلاثة آلاف أسود الذين قتلهم الموحدون **بأغمات**[3]، والعبيد الذين غنموهم بأسفل **السوس**[4]، ومن فتوى قاضي **سبتة** محمد بن عبد الله في السودان والسودانات الذين يجتمعون للعب في الأعراس[5]، ومن وعد أحدهم آخر - سأله شراء خادمة تطحن له - أن يبحث له عن الصفة التي وصفها في مراكش وإلا طلبها له في **درعة**[6]. أن سبتة وأغمات والسوس ودرعة كانوا من المدن التي استقروا بها.

كذلك كان لهم بمكناس حي يعرف بإسمهم (حومة جناوة)، وهو: «نفس حي الصباغين الذي كان مسجده يعرف بجامع أجناوة»[7]. كذا كانت تسكن

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص170.

(2) ابن القطان: نظم الجمان، ص152.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص84 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص158.
ـ ولعل إشارات المصادر لتجارتهم مع بلاد السودان تلغي فكرة أنهم كانوا مجرد حامية عسكرية طرأت على المدينة لحمايتها من الموحدين. (أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص232 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص46).

(4) ابن القطان: نظم الجمان، ص238.

(5) القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام، ص87.

(6) ابن الزيات، التشوف، ص224.

(7) محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مجلة الدارة - السعودية، مج13، ع3، نوفمبر1987م، ص165.

تاورة (إحدى حوائر مكناسة) فرقة منهم يسمون عبيد الحرمة[1]. وذكر البكري أنه لم يكن يسكن وادي سَفدد (شمال وادي سبو وجنوب أصيلا): «أبيض اللون إلا اعتل، وقل ما يسلم من علته، وإنما كان يسكنه السودان»[2]. وذكر البيذق أن عبد المؤمن دخل أكرسيف[3]: «ووحد منه الحاج التكروري الكناوي»[4]. وقد ذهب أحد الباحثين للقول بأن توزعهم على مدن المغرب بهذه الكيفية كان مقصودا: «حتى لا يرهقوا مدينة بعينها»، وإلى أنه كان يتم استدعائهم من تلك المدن متى استدعت الحاجة ذلك[5]، كما حدث مع من بفاس[6].

---

(1) ابن غازي: الروض الهتون، ص82 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج5، ص607 [تر545].

(2) البكري: المغرب، ص87 ؛ البكري: المسالك، ج1، ص272 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص530.

(3) **أكرسيف: مدينة صغيرة بالريف، لها سوق في كل خميس يحضره كل من حولها من القرى، وبينها وبين فاس خمسة أيام، وبين تلمسان وبينها أيضا خمسة أيام.** **أنظر:** (الحموي، معجم البلدان، ج1، ص239 ؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص32).

(4) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، د.ط، 1971م، ص60 .

(5) سالم أبو القاسم غومة: عناصر السودان ودورهم الحربي في المغرب الإسلامي في الفترة 184 ـ 869هـ، مجلة صدى المعرفة، ليبيا، ع2، ديسمبر2014م، ص6.

(6) ابن القطان: نظم الجمان، ص152.

الطوائف الدينية:

**اليهـود:

رغم أنه من المسلم به وجود طائفة يهودية بالمغرب قبل مرحلة الفتح الإسلامي، إلا أنه مازال من العسير حتى الآن تحديد تاريخ بعينه نستطيع اعتباره منطلقا لقدومهم إلى بلاد المغرب أو تحديد منطقة ما بعينها هاجروا منها(1)، لما في ثنايا ذلك من أوهام وأغلاط وتضارب وآراء لا طائل منها(2)، مما زاد الأمر تعقيدا وأدى في النهاية ببعضهم للقول بغموض أصل اليهود(3)، وأدى بآخر لرفض محاولة البحث والتحري للإجابة عن أولى إشكاليات دراسته، لما استقر في ذهنه من أنه: «لا يمكن للمرء أن يبلور فكرة راسخة حولها»(4)، وأعطى الفرصة لغيرهم لإطلاق العنان لافتراضاتهم(5)، كسلوش الذي افترض أن يهود خيبر هاجروا من اليمن حوالي سنة 628م نحو العراق وسوريا ثم إفريقية، وأن مجموعات منهم اتجهت نحو المغرب الأقصى. ولكنها تبقى آراء وفرضيات تحتاج إلى دلائل تدعمها(6).

---

(1) **أنظر:** مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1991م، ص39.

(2) علي أحمد: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، عدد 57 ـ 58، السنة 17، كانون ـ أيلول 1996م، ص 162.

(3) مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص 39.

(4) **كان السؤال الذي افتتح به دراسته هو: «الأصول الغابرة لليهود في المغرب والأندلس».** (علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب، ص 162).

(5) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص92.

(6) عبد العزيز بن عبد الله: المعجم التاريخي، البيضاء، الرباط، د.ت، ص78. **نقلا عن:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص92. **وانظر:** مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص80 ؛ نافزة ناصر الشرباتي: اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا، برنامج اللغة العربية، 2007م، ص12.

=

أما خلال مرحلة الفتح الإسلامي للمغرب فقد وجد المسلمون مجموعات من اليهود منتشرين عبر أرجاءه[1]، ولكنهم لم يَكُونو يُكَوِّنوا جاليات ضخمة كما تصورالبعض[2]، بل العكس هو الصحيح. فقد كان وجودهم باهتا لدرجة أنه لم يلفت إليه نظر كُتَّاب الفتوح ولم يثرانتباههم. أي أن وجودهم وبصيغة أخرى لم يكن له أية قوة، وإلا كان ترتب عليه مصالح يخشى عليها، ولكان ترتب على خشيتهم هذه القتال دونها أو مشاركة أصحاب المصالح الأخرى القتال، ولكن هذا ما لم تشر إليه أيضا أياً من المصادر التي تناولت فتوح المغرب الإسلامي[3]. اللهم إذا افترضنا يهودية جراوة ونفوسة مع من افترض، لكن غير واحد من الباحثين أوهى وأوهن رأي من زعم ذلك[4].

المهم أنه وبتقدم عملية الفتح الإسلامي، بدأت التجمعات اليهودية ـ ولاسيما بعد إتمام هذه العملية ـ تزدهر، بحكم طبيعة النظام الإسلامي المتسامح، الذي قلما وجد اليهود بشهادتهم عطفا يضارعه لدى الأمم

=

ـ أنكر الناني ان تكون هذه الهجرات وقعت فعلا معللا ذلك بأنها لو كانت فعلا لما سكتت عنها كتب الفتوح والمغازي. (أنظر: الناني ولد الحسين: صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا، د.ن، د.ت، ص 75).

(1) مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص81.

(2:)mieses, mathias, les juifs et les établissoments puni - ques en afrique du nord, publications (le la societe des etudes juives, paris, imprimerie, H . elias , 1933, p. 132 .

(3) للتفاصيل أنظر: مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص77ـ80.

(4) أنظر: مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص83 ـ 86 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2001م، ص62ـ66 ؛ فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7ـ9هـ/ 13ـ15م، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر ـ بن يوسف بن خدة، 2009م، ص30.

الأخرى[1]. حيث سمحت لهم الحكومات الإسلامية المختلفة بالقدوم وبالإستقرار في المدن الجديدة التي أقاموها كالقيروان وفاس وغيرها، وسمحت لهم السلطات الإسلامية ـ على اختلاف مذاهبها الدينية ـ بحرية الاتصال والتنقل، رغم أن ذلك لم يكن مسموحا به أحيانا لبعض فرق المسلمين[2].

فاق المغرب الأقصى نظيريه الأدنى والأوسط في جذب اليهود، بشهادة أصحاب المصادر العربية الذين أشارو ـ وإن لم يكن بشكل مباشر ـ لتمركز أعداد كبيرة من اليهود به، خاصة من البربر أهل البلاد[3]. كابن أبي ذرع وابن خلدون اللذين تحدثا عن زحف إدريس بن عبد الله إلى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية، بتامسنا ثم بتادلا ثم بفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبلاد فازاز. وكيف أنه ما زال بهم حتى هزمهم وقهرهم واستنزلهم من معاقلهم وحصونهم وفتح بلادهم، وأدخلهم في دين الله طوعا وكرهاً ـ وكان أكثرهم على اليهودية والنصرانية ـ وأباد من أبى منهم قتلا وسبيا[4].

وفي معرض حديثه عن بناء فاس، ذكر ابن أبي زرع أنه كان يسكن المنطقة التي أُسست المدينة بها قبيلتين زناتيتين: زواغة وبني يرغثن (يرغشن / يزغت)، وأكد أنهما كانا أهل أهواء مختلفة، فمنهم من كان على الإسلام ومنهم

---

(1) مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص 83 ؛ ايلي ليفي: يقظة العالم اليهودي، مطبعة النظام، مصر، 1934م، ص96.

(2) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص52.

(3) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 48 .

ـ أنظر مناقشة الدكتور عبد الرحمن بشير لإشكالية تهود البربر في ضوء ما هو شائع عن انغلاق اليهودية وتمركزها حول نفسها. (اليهود في المغرب العربي، ص 59 ـ 60).

(4) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج4، ص17 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص20 ـ 21 ؛ الناصري: الاستقصا، ج1، ص212.

من كان على المسيحية أو اليهودية[1]، فأسلموا كلهم على يديه[2]. وكانت بينهما فتن فأصلح بينهما[3]، ثم اشترى منهم الغيضة التي بنا فيه المدينة[4].

ولما فُرغ من بناء فاس وإدارة سورها وتريب أبوابها ومنازل قبائلها، لم يمانع إدريس ـ الذي يبدوا أنه كان أكثر تسامحا من أبيه ـ أن يجاوره اليهود في مدينته، لذلك وجدناهم يأمون المدينة ويقصدونها مع غيرهم من جميع البلاد والجهات. يقول صاحب القرطاس: «فاجتمع بها خلق كثير من اليهود وغيرهم ممن رغب في العافية»[5]. وحتى إن كان هذا الأمن وتلك العافية تبدلا لاحقا بفعل صراع الأمراء الزناتيين أواخر القرن الرابع الهجري[6]، فالحقيقة أن

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص31.

(2) المقصود هنا إدريس الثاني بن إدريس بن عبد الله. (ابن خلدون: العبر، ج4، ص 18).

(3) يرى صاحب الاستقصا أنها كنت بسبب اختلاف أهوائهم وتباين أديانهم، بينما رأى صاحب القرطاس أن اقتتالهم كان على حدود الأرض التي بينهم. (الناصري: الاستقصا، ج1، ص221؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص31).

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص31.

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص46.

ـ ذكر أحد المتخصصين أنه استقدم يهودا من الأندلس والقيروان للإقامة بالمدينة. ويرى الباحث أنه ربما كان هؤلاء المستقدمين أصحاب حرف أو مهارات خاصة، استقدمهم إدريس لمساعدته في تحقيق رؤيته، الخاصة بعاصمة الخلافة التي كان يزمعها. أنظر: (عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص76).

(6) تعرض اليهود للبطش الشديد، وخاصة على يد أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلي اليفرني الذي نكل بهم وسبى حرمهم واصطلم نعمتهم وقتل منهم ما يزيد على الستة آلاف نفس، بعد انتصاره على حمامة بن المعز بن عطية المغراوي واسترجاعه لفاس سنة 424هـ. أنظر: (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص109ـ110؛ ابن خلدون: العبر، ج 7، ص 48؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص172ـ173؛ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، 1990م، ج3، ص502؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص78ـ79).

غالبيتهم لم يتركوا فاس أو يهجروا المغرب، بل ظلوا مستوطنين بها حتى العصر المرابطي[1]. والغالب أن من تركوا المدينة هم فقط من هاجرو إليها بعد تعميرها ممن لا تربطهم بالمدينة أية جذور، بينما واصل الباقون الإقامة[2]. بالضبط كما لم يتركوا سجلماسة من قبل[3]، رغم القتل والنهب الذي عاقبهم به أبو عبد الله الشيعي، بعدما أفشى أحدهم سر مولاه عُبيد الله المهدي ونمَّ به لليسع بن مدرار 296هـ[4].

ولعل في فرض يوسف بن تاشفين ضريبة **ثقيلة** عليهم، وتمكنه من جمع **جملة** من المال، **أعانته** على ما كان في سبيله[5]، لخير دليل على وجودهم وكثرة أعدادهم، وعلى فحش ثرائهم وتعاظم ثرواتهم، بدليل أن جانبا منها فقط كان قادرا على دعم مجهود ابن تاشفين الحربي.

اليهود في عصر المرابطين:

يبدوا أنه لابتعاد اليهود عن العمل الزراعي[6]، وتعاطيهم كليا للتجارة، لم

---

(1) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص76 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة، 1983م، ص106 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب في التاريخ الإجتماعي، ص93.

(2) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص80.

(3) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص50.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص 153 ؛ مجهول: الاستبصار، ص202.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص25.

(6) **يعتقد حاييم الزعفراني أن ذلك يرجع لعدة أسباب لعل من أهمها: «انعدام الأمن أساساً.. وربما يرجع كذلك لاشمئزاز اليهود من الأعمال الجسمانية الشاقة ذات المردود القليل والتي تطلب الوقت الكثير». فانعدام الأمن ـ أو ربما دوامه ـ هو ما دفع بهم للعيش كما عبر أحد الباحثين على "هامش الحضارات" يمتصون دمائها وعيونهم على الطريق، متوثبين دائما للإنطلاق بما جمعوه من** =

تعرف بوادي المغرب تجمعات يهودية كبيرة، بينما كان حضورهم بالمقابل بارزا وأساسيا في معظم المدن المغربية[1]. حيث استوطنو أكبر المدن المغربية[2]، **كفاس** التي وصفت بأنها أكثر مدن المغرب يهودا[3]، وبلاد **فازاز** التي كان أكثر سكانها يهود[4]، **وأغمات** ايلان التي تجمع فيها يهود ما حولها من البلاد[5]،

=

ثروات كدسوها بفضل فطرتهم أو لنقل "غريزتهم التجارية القوية"، على حد تعبير جوستاف لوبون. (حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ترجمة: أحمد شحلان، مرسم الرباط، المغرب، د.ط، 2000م، ج2، ص 405 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص83 ؛ جوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2009م، ص33).

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 94 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ص 103 ـ 104 ؛ إيمان عبد الرحمن حسن العثمان: التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج8، ع15 / 2، 2014م، ص762.

(2) **هذ ما استنتجه جميلة بن موسى من شراء يوسف بن تاشفين للأرض التي أراد بها توسعة مسجد فاس من ملاك أكثرهم يهود، حيث تقول: «توضيح لظاهرة تمركز اليهود في المدن الكبرى».** (جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001م، ص231. **وانظر:** مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، ص108 ؛ علي أحمد: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، ص166).

(3) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص115 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص230 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص148.

(4) مجهول: الاستبصار، ص187 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص435.

(5) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص45 ؛ ابن الوردي: خريدة العجائب، ص54.

فضلا عن **سجلماسة**[1]، **ودرعة** التي كان أكثر تجارها من اليهود[2]، **وبادس** التي كان لهم فيها أكثر من مائة بيت[3]، **والنكور** التي سُمي أحد أبواب سورها المصنوع من اللبِن باسم باب اليهود[4].

وبتأمل خريطة المغرب وترتيبا على ما سبق يمكننا تبين أن وجودهم ارتبط بالمدن التجارية التي تعبرها القوافل الذاهبة نحو المشرق وأوربا[5]. وذلك وما سبق عاليه بالتأكيد لا يعني أن يهود المغرب لم يعملو بالزراعة وتربية الحيوانات، لأنه من غير المعقول التسليم بذلك حتى وإن كان معظمهم تجارا. حيث كانت الزراعة واحدة من اقتصاديات العصور الوسطى التي غلبت عليها بدائية الصناعات، ناهيك عن أن امتلاك الاقطاعيات الزراعية تعتبر واحدة من مظاهر الترقي الطبقي، وأحد الأشياء التي تضفي وتفيض على مالكها هيبة اجتماعية. ولا يصدق الباحث أن أمراض اليهود وعقدهم النفسية كانت لتدعهم يفوتوا هكذا فرصة[6]. وحتى لو افترضنا جدلا أنهم لم يمارسوا النشاط الزراعي، فالإشارة إلى أنهم كانوا على صلة وثيقة بهذا النشاط من خلال إشرافهم على بيع الإنتاج الزراعي في المجال الإقليمي والدولي تكفي[7].

---

(1) الاستبصار: ص 202 ؛ البكري: المغرب، ص 149 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص333.

(2) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص 451 .

(3) مارمول كربخال: إفريقية، ج2، ص231.

(4) البكري: المغرب، ص90.

(5) محمد عبد الهادي شعيرة: المرابطون: تاريخهم السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، 1969م، د.ط، ص60. **نقلا عن:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص94 ؛ عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص104.

(6) أنظر: عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 86-87.

(7) جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، ص231.

كان لليهود أحياء خاصة بهم سميت بأسمائهم، ما حدى ببعض الكتاب اليهود للزعم بأن المعاملة الإجتماعية السيئة، والعنصرية التي تعرضوا لها، هي التي جعلتهم يتجمعون في أحياء خاصة[1]. لكن يبدوا أن تحيزهم أنساهم ما لذلك من ضرورة اجتماعية مَاسَّة[2]، وما فيه من تطبيق لشرط أساسي من شروط تخطيط المدينة الإسلامية[3]. ونتسائل: هل كانت دوافع إدريس الثاني عنصرية، عندما أنزل كل قبيلة في فاس بناحية، واليهود بناحية أغلان إلى باب حصن سعدون (باب الجيسة حاليا بعدوة القرويين)[4]؟ ونجيب: بالطبع لا، فقد كان ما فعله قاعدة شملت الجميع، بغرض قطع الطريق على الخطر الكامن وراء اجتماع هذه التشكيلة من العصبيات في مكان واحد، وبهدف تحقيق الهدوء والسلام والإنسجام الذي تضمنه وحدة العقيدة والأفكار والعادات والتقاليد[5]، وهذا تقريبا ما ذهب إليه Terrass[6].

---

(1) **أنظر:** مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص117.

(2) مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص117. **وانظر:** محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع128، أغسطس 1988م، ص 104-105.

(3) **اشترط ابن أبي الربيع ثمانية شروط رأى وجوبها على من أنشأ مدينة أو اتخذ مصر، من ضمنها: «أن يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أضداد مختلفة متباينة».** (ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، سورية، د.ط، 1996م، ص 107 ؛ خليف مصطفى غرايبة: منهجيّة الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية - ابن أبي الربيع أنموذجا، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، مج8، ع1، 2015م، ص193).

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص46.

(5) **أنظر:** مسعود كواتي: اليهود في المغرب الإسلامي، ص117.

(6) **رأى أن الإمام إدريس حرص على تقسيم المدينة: «حتى لا يحدث صراعا بينهما»**

- Terrass.H: histoire du morac casablance 1949. P. 12_13.

نقلا عن: فاطمة عبد القادر: أسواق مدينة فاس في عصر المرابطين، مجلة المؤرخ المصري، ع29، يناير 2006م، ص145 .

ثم إن ما حدث من توزيع ـ بوصفة قاعدة ـ لم يمنع اليهود من الانسياح في كل أحياء المدينة، والإنصهار والإختلاط في ومع باقي مجتمع فاس من المسلمين، وحسبنا دليلا على ذلك أن علي بن يوسف لما أرد توسعة جامع القرويين بعدما ضاق برواده حتى صلوا بالأسواق والشوارع والطرق اشترى الأملاك والديار التي حول المسجد ليدخلها فيه فكان أكثر ملاكها من اليهود[1].

وفي حدود علم الباحث، فالمصادر العربية لم تفصح عن مكان بعينه أُلزم اليهود سُكناه خلال عصر المرابطين[2]، فالبكري تحدث عن فاس أكثر بلاد المغرب يهودا، وتحدث عن فازاز وأكثريتها اليهودية صاحب الاستبصار[3]، وتحدثا كلاهما عن سجلماسة وما بها من يهود[4]، وتحدث غيرهم عن بادس التي كان لهم فيها أكثر من مائة بيت[5]، وكذلك درعة التي كان أكثر تجارها يهود[6]. كل ذلك دون أن يوضح أحدهم أين تحديدا سكن أكثر سكان فاس اليهود، وأين تركزت الأغلبية اليهودية في فازاز، وتجار درعة الذي شكلوا هذه الأكثرية أين كانت بيوتهم، وهل كانت المائة بيت يهودي في بادس مجتمعة في مكان واحد أم متفرقة.

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص59 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص76 ـ 77 ؛ معلمة المغرب، إعداد الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، المملكة المغربية، 2004م، ج 19، ص6395.

(2) **لم يكن هذا رأي أندرية شوراكي، الذي قرر دون أن يقدم سوى إحساسه القلبي مصدراً، أن أغلب اليهود في الشمال الإفريقي أجبروا على أن يعيشوا في أحياء خاصة بهم داخل المدن منذ بداية الحكم.**

- Chouraqui,n.: between east and west. A History of the jewws of nors Africa . (translatede from the French by, michale m. ber-net, new yourk. 1973). P 48.

(3) البكري: المغرب، ص 115 ـ مجهول: الإستبصار، ص187.

(4) البكري: المغرب، ص 149 ؛ مجهول: الإستبصار، ص202.

(5) مارول كاريخال: إفريقيا، ج2، ص231.

(6) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص451.

ألا يدل كل ذلك على انتشارهم وتداخلهم في المجتمعات التي سكنوها، وعلى اندماجهم وانصهارهم فيها بصورة لا تسمح إلا فقط بتسجيل مجرد وجودهم[1]، بالتأكيد. ولم لا وقد كانت هذه هي النتيجة التي توصل له جواتيان وحاييم الزعفراني من خلال دراستهما لوثائق الجنيزة[2]، وما نفهمه أيضا من قول صاحب الاستبصار عن يهود سجلماسة: «وهم الآن قد مازجوا المسلمين وداخلوهم»[3].

وحتى لو كانت هناك أبواب أو أحياء سميت باسمهم، فالأرجح أن ذلك لا يرجع لا لحصرها عليهم أو حصرهم عليها[4]، كما ذهبت لذلك إحدى

---

(1) **أنظر:** مأمون كيوان: اليهود في الشرق الأوسط، الأهلية للنشر، عمان، الأردن، 1996م، ص96 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص113.

(2) **قال جواتيان: «نعرف الآن من وثائق الجنيزة التي وصلتنا.. أن بيوت اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين.. فلم يكن هناك جيتو، ولكن على العكس من ذلك كانت هناك فرص كثيرة للإختلاط اليومي»** (س.د.جواتيان: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م، ص151)، **وقال حاييم الزعفراني: «تشهد وثائق لكنيزة وما تتضمنه من أخبار غزيرة لا يرقى إليها الشك، على التساكن الحق والتجاور المسالم.. ولم يظهر الملاح أو الحارة أو القصبة أو أي أحياء أخرى تخصص لليهود إلا في زمن متأخر جدا».** (حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص37).

(3) مجهول: الإستبصار، ص202.

(4) **أنكر ذلك عدد ممن يؤخذ عنهم، كالدكتور القوصي الذي قال: «ولم يكن في المدن الإسلامية أحياء مخصصة لغير المسلمين بحيث لا يتعدونها»** (عطية القوصي: اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهودية، عدد 2، 2001م، ص12)، **وكذلك عبد العزيز الدوري بقوله: «سكن اليهود في المدن الهامة مثل القيروان وفاس في أحياء منفصلة، دون حصر بها»** (عبد العزيز الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007م)، ج3، ص124).

الباحثات[1]. لأنه ربما التصق اسمهم بمكان ما وصار علما عليه، فقط لمجرد أنهم سكنوه في يوم من الأيام أو تجمعوا به اختياريا، كبعض أحياء مدينة فاس التي مازالت حتى اليوم تحمل أسماء من عينة درب اليهودي[2]، ودرب الكوهن، وفندق اليهودي[3]، وأيضا كغرناطة التي سميت "غرناطة اليهود"[4]، واليسانة التي سميت «مدينة اليهود»[5]. فلكثرتهم فقط بهذه المدن لا أكثر، اقترن اسمهم بها وذكرت وسميت بهم[6].

أما فيما يخص اللباس فقد أوجب عليهم المحتسبون ألاّ يُتركوا بزي كبار الناس، ولا بزي فقيه، أو رجل خَيِّر[7]. وأفتى الفقهاء بأنه من الواجب أن يُلزموا التميُّزَ عن المسلمين في اللباس، وأن يُمنعوا من لبس فاخر الثياب، ومن اللون الأصفر، ومن القلانس والعمائم إلا أن تكون لطيفة قريبة الثمن، وألا

يعظموا أكوارها أو يرسلوا لها ذوائب بين أكتافهم أو يجعلوا لها أحناكا. وأن يُمنعوا من لبس الخواتم إلا ما صغر ورق ولطف قضيبه، وألاّ يسمح لهم أو يُمكَّنو من النقش عليه بالعربية. وأن يُلزموا لبس الغيار (حزام) والتقلد بدنانير النحاس أو الرصاص أو القصدير في رقابهم. وأن يجعلوا في وسط قلانسهم (لباس للرأس) أو أعلاها رقاع من لبود حمر أو خرق يعرفون بها، وأن يَصْبغو

---

(1) قالت أن: «اليهود كانوا معزولين في أحياء ومناطق خاصة بهم، ويؤكد عزلتهم تسمية بعض المناطق بأسمائهم كربض اليهود أو باب اليهود». (نافزة ناصر الشرباتي: اليهود وأثرهم في الأدب العربي، ص44).

(2) معلمة المغرب، ج19، ص6395.

(3:) موقع مزاعيط المغرب: http:// www.mza3et.com/ morocco4742.html

(4) الحميري: الروض المعطار، ص45.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص571.

(6) شرقي نوارة: الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي، ص66.

(7) ابن عبدون: رسالة في الحسبة ـ ضمن كتاب ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص51.

أطراف عمائهم باللون الأصفر، وأن يشدوا الزنانير (الأحزمة) على أوساطهم على أن تكون في عرض أصبع من حرير أو قطن، وأن يخيط الواحد منهم على قميصه أو برنسه أو جبته من نحو الشبر من طوقه إلى آخرالكتفين رقعة مصبوغة بالزعفران وأن يخيط على صدره رقعة أخرى من قدها ولونها[1].

لكن يبدوا أن كل هذه التشديدات لم تعدوا كونها فتاوى، ولم تتخطى مرحلة العرض النظري لاشتراطات الفقهاء إلى الجانب التطبيقي[2]، بل ظلت في الغالب الأعم بعيدة عن الواقع العياني[3]. ويبدوا أن أصحابها أخطأوا الحساب على حد تعبيرأحد الباحثين، عندما ظنوا أن دعواتهم تلك ستلقى أذانا صاغية فيما يخص هذا الموضوع أو غيره[4]؛ لأن الواقع أثبت أنهم ارتدوا أفخر الثياب والألوان مثلهم في ذلك مثل السلاطين والحكام المسلمين[5]، متجاوزين بذلك كل المحاذير الفقهية والقيود المفروضة عليهم لتقليد لباس المسلمين[6].

وسيتضح لنا السر في ذلك لو أنَّا قمنا بعمل قائمة ووضعنا فيها ما قاله البكري عن فاس: «وهي أكثربلاد المغرب يهودا» [7]، وأتبعناه بقول الإدريسي عن أغمات: «وبهذه المدينة يسكن يهود تلك البلاد»[8]؛ وقوله ثانية: «لم يكن في بلاد المغرب

---

(1) **أنظر:** الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص255 ـ 275.

(2) **انظر:** عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص121 ـ 122؛ الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية ـ تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ج2، ص382.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص66.

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص108.

(5) كريمة عبد الرؤف: عامة مدينة فاس، ص177. **وانظر:** نافزة ناصر الشرباتي: اليهود وأثرهم في الأدب العربي، ص49 .

(6) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 100، 114.

(7) البكري: المغرب، ص115 .

(8) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص235.

بعد أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه حالا»[1]؛ وقول صاحب الاستبصار عن يهود سجلماسة الذين امتهنوا حرفة البناء في مرحلة من مراحل إقامتهم بها: «أما الآن فهم تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنياؤها.. فإني عاينت منهم من يقال إن عنده المال الممدود كثيرين»[2]. فما قالوه يدفعنا للإعتقاد أن سيطرتهم الاقتصادية ـ فضلا عن تدين المرابطين ومثلهم الإسلامية ـ كانت تفرض هذا الواقع. فلم يكن أمام المرابطين أمام حاجتهم الآنية للمال إلا ملاينتهم قدر الإمكان، بل وتوفير أفضل الظروف وأكثرها ملائمة لهم. أي أن سلبهم أموالهم أو طردهم أو دفعهم لذلك بالتضييق والنبز والتمييز لم يكن خيارا مقترحا، لأنهم كانوا ليقضوا بذلك على مؤسسة قائمة، ويقطعوا خيوطا نسجت على مدى أجيال، في الوقت الذي لا يملكوا فيه وهذه حالهم وتلك طموحاتهم رفاهية غزلها بأنفسهم.

ولعل هذا الفهم عينه ما جعل علي بن يوسف ـ على الرغم من خوفه غدرتهم وخيانتهم ـ لا يعدوا منعهم المبيت بمراكش عاصمة الدولة ومقر تجمع الجند[3]، حتى لا يفقد أهم مورد كانوا يضمنونه له وهو الجزية، فضلا عن ضرائب التجارة[4]. ولا غروا فقد قامت القبائل المغربية التي أسست دول مغرب الحقبة الوسيطية جميعها على بنية اقتصادية تعتمد على مداخيل الغزو والحروب، ولم يكن المرابطين بطبيعة الحال سوى نسخة من هذا النسق الإقتصادي. وحسبنا أنهم اعتمدو في مواردهم على الغنائم والخراج وغيرها من الموارد الحربية كالجزية، فضلا عن أنواع الضرائب الأخرى. مما يعكس وبصدق مدى تأثير وتحكم العلاقات الاقتصادية في صياغة علاقة الدولة باليهود[5].

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص248.

(2) مجهول: الاستبصار، ص202.

(3) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص45 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص235.

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص93.

(5) **أنظر:** إبراهيم القادري بوتشيش: أثر الحروب في المجال الضرائبي، مجلة الإجتهاد، ع34 =

وتجدر الإشارة إلى أن المرابطين لم يصدروا تشريعات خاصة باليهود، بل تركوا لهم حرية التعامل وفق أنظمتهم الخاصة، مراعين في ذلك خصوصيتهم. ولم يخضعوهم سوى لأحكام أهل الذمة[1]، ولم يكن عليهم إلا أداء الجزية للحكم المرابطي كسائر أهل الذمة، وإظهار الشهادة (براءة) التي تثبت أنهم دفعوا ما عليهم[2].

كذلك خَلَّت الدولة بينهم وبين محاكمهم[3]. حيث كانت لهم محاكم خاصة مهمتها الفصل بينهم في قضاياهم، وحل مشاكلهم وفض ونزاعاتهم[4]، دون أي تدخل من الإدارة المرابطية. كما كان لقضاتهم الصلاحية وكامل الحرية في تقدير وتطبيق ما يصدرونه من أحكام وعقوبات على بني ملتهم[5]، باستثناء الجنايات التي تصل أحكامها للإعدام، لأنها كانت من اختصاصات الدولة الإسلامية وقضاتها[6]، هي والقضايا التي يكون أحد طرفيها مسلما والآخر يهوديا[7].

=

ـ 35، السنة 9، شتاء وربيع 1997م، ص80 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص99ـ100.

(1) حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص36 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص96.

(2) جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص213 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص96 .

(3) عطية القوصي: اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ص12.

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص96 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص127.

(5) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص82 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص 128 .

(6) حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص36.

(7) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص82 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص128.

وإذا حدث وامتنع بعضهم من التحاكم لدى قاضيهم لم يجبروا عليه وكان حكم الإسلام عليهم أنفذ[1]. حيث كان بوسع كل فرد من أفراد الأقليات أن يلجأ إلى القضاء الإسلامي من أول الأمر إذا رغب في ذلك، بدلا من التقاضي أمام القضاء الخاص بأهل ملته[2]. كما جرت العادة بالمغرب الإسلامي أنه إذا اختلف أو تظالم اليهود فيما بينهم في الأموال أو الحقوق أو ما شابه ذلك، ودعا أحدهم خصمه للجوء للقاضي المسلم، ودعاه الخصم للإحتكام لقضاتهم، كان يتم التقاضي أمام قاضي مسلم، خصوصا عندما يكون لدى أحدهما وثائق أو سجلات بالخط العربي أوشهود مسلمون[3].

كذلك نعم اليهود بفضل ما جُبل عليه المرابطين من تدين وما اتصفوا به من ديموقراطية[4]، بحرية دينية قلما صادفتهم منذ عهود طويلة، ولا سيما في عهد علي بن يوسف، الذي وصلت درجة الإعجاب به إلى حد وصفه بأنه: «أحد حماة اليهود»[5]. فلم يمارسوا عليهم أي ضغط في الميدان الديني[6]، بل تمتعوا

(1) الماوردي: الأحكام السلطانية (تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار بن قتيبة، الكويت، 1989م، ص 89.

(2) عطية القوصي: اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ص 12 ؛ حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ج1، ص 36.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج10، ص 128 ـ 129 ؛ كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1997م، ص39.

(4) أرنست كونل: الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ط، 1966م، ص126 ؛ عصمت عبد اللطيف دندنش: أضواء جديدة على المربطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص34.

(5:) Sloush (N) «etude sur lhistoire des juifs du maroc» Archives marocaines, Vol. 4, 1905, p. 124.

(6) محمد أرحو: دوريهود الجنوب المغربي في تجارة القوافل الصحراوية، مجلة الأجتهاد، عدد 34ـ35، السنة 9، 1997م، ص93.

بحق بناء بيعهم وشنائعهم[1]، وأقاموا شعائرهم الدينية بكل حرية[2]. كذلك ولا أدل على روح التسامح والحرية الدينية التي عايشوها، من السماح لهم بالدعوة لمذاهبهم الدينية، كمذهب القرائين[3]، الذي استطاع اتباعه في الدعوة له بالأندلس، والقيام به حتى وصل إلى بعض نواحي المغرب كدرعة وفاس[4].

وقد أظلت تلك السحابة ميدان التعليم، فنعموا بفضلها بحرية تعليم أبنائهم الكتابة بالقلم العبري وعلوم التوارة وتفاسيرها[5]، وسُمح لهم بتأسيس المعاهد التي تكفل لهم ذلك، كمعهد إسحاق بن يعقوب الفاسي الذي أسسه بفاس قبل هجرته إلى الأندلس عام 490هـ / 1096م[6]، لتعليم أطفال اليهود في

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص103.

(2) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص216.

(3) هي فرقة دينية أسسها الحبر عنان بن داود، وقد نسبها له الكتاب العرب فسموها العنانية. وتاريخ مولد عنان ووفاته للأسف غير معلومين على وجه الدقة، وجل ما نعرفه عنه أنه فقط ولد وعاش في القرن الثامن الميلادي، وأن ظهوره واشتهاره كزعيم لفرقة القرائين وأيضا قتله كان في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (ت 158هـ - 775م)، لهذا رحج البعض أن يكون بداية ظهور الفرقة في عصر الدولة الأموية. وقد كان من أهم مبادئ هذه الفرقة رفض التلمود والقول ببدعته ورفض سيطرة الحاخامين.. إلخ. أنظر: (الشهرستاني: الملل والنحل، تصحيح: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1992م، ج2، ص238 وما بعدها ؛ جعفر هادي حسن: فرقة القرائين اليهود - دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتأريخها الى العصر الحاضر، مؤسسة الفجر، بيروت - لندن، 1989م، ص15 وما بعدها ؛ عبد المجيد همو: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، الأوائل للنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2004م، ص111 وما بعدها).

(4:) Sloush: op. cit., p. 119.

(5) السموأل المغربي: بذل المجهود في إفحام اليهود، تقديم: أحمد محمد الشامي، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص5.

(6) الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، ج2، ص426.

هذه المدينة[1]. وقابل حرصهم الديني هذا اهتمام جاد بالعلوم الدنيوية، وللمرة الثانية لم يمنعهم لطف المرابطين من درسها على يد مشايخ المغرب المسلمين. فهذا السموأل بن يحيى المغربي يحدث عن نفسه أنه تعلم الحساب الهندي وحل الزيجات عند الشيخ الأستاذ أبي الحسن بن الدسكري وأبي الحسن النقاش، وقرأ الحساب الديواني، وعلم المساحة، وكذلك الجبر والمقابلة، على يد الشيخ أبي المظفر الشهرزوري[2].

كذلك تمتعوا بحرية البحث والكتابة الدينية دون أية معارضة. وهذا ما نفهمه من الخمسون سنة التي قضاهم ـ حجة الدراسات التلمودية ـ[3]، إسحاق بن يعقوب الفاسي، وهو يشرح التلمود[4]. ولم يكن إسحاق أحد فلتات زمانه،

---

(1) عطا علي محمد: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الشفيق، دمشق، سوريا، 1999م، ص190.

(2) السموال المغربي: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل المغربي، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 48 ـ 49.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص106.

(4) **ولد إسحق الفاسي وإسمه الأصلي إسحاق بن يعقوب هاكوهين الفاسي في عام 403 ـ 404هـ/ 1013م بقلعة بني حماد، وتتلمذ على يد عدد من حاخامات شمال إفريقيا مثل حنانئيل (حننعيل) ونسيم بن يعقوب اللذين تتلمذ عليهما في القيروان حسبما يبدوا، وقد خلفهما إسحق ـ بعدما هلك كلاهما في سنة واحدة 442هـ ـ في رئاسة الطائفة هناك، بيد أنه اضطر للفرار إلى القلعة بعد غزو بني هلال للقيروان وتشتت يهود المدينة، ثم للفرار ثانية ـ بعدما وشى به اسرائيليان ـ إلى فاس التي استقر بها فترة قبل أن ينتقل إلى مدينة أليسانة. ألف إسحق الكثير من الكتب إلا أن أهمها هو كتابه الفقهي ـ سيفرها حالاكوت ـ الذي استغرق انجازه منه حوالي نصف قرن من الزمن، وقد استخرج فيه اسحاق معظم الأحكام الفقهية التلمودية حتى صار بمثابة "تلمود مختصر"، ومازال هذا التلمود الصغير يطلق عليه إلى يومنا هذا إسم الفاس أو الفاسي، وقد تم نشره لأول مرة بالقسطنطينية عام 1509م ثم أعيد نشره مرات ومرات. أنظر: (الهادي =**

بل سمحت الفسحة التي عاشوها في بروز أكثر من شخصية فزة، كيحيى بن عباس المغربي أحد أحبار مدينة فاس، والذي وُصف بأنه كان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة(1)، ولا شك أنه كان هناك غيره ممن هم في نفس مستواه أو خلفه بخطوات حتى تجوز المقارنة وتسوغ المفاضلة.

ولم يتوقف إنتاج اليهود المعرفي عند حد العلوم الدينية بل برز بينهم من ألف في عدد من العلوم العقلية، كالرياضي الشهير السموأل بن يحيى المغربي(2)، الذي وُصف بأنه كان عدديا وهندسيا حقيقيا(3)، وبأنه وصل في الصناعة الجبرية الغاية القصوى التي لم يصلها أحد في زمانه(4). و قد كشف العلماء النقاب أخيرا عن عدد من مخطوطاته في الجبر والهندسة والطب والتحليل والتركيب، أظهرت سبقه إلى كثير من الأشياء التي ظلت طويلا تنسب لغيره(5)، من بينها كتابه المسى بالباهر في الجبر، الذي جزم الرياضيون بأنه فريد من

=

روجي: الدولة الصنهاجية، ج2، ص 425 ـ 426 ؛ فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي، ص186؛ عطا علي محمد شحاتة ريّه: اليهود في بلاد المغرب الأقصى، ص195 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 106؛

- Carol Iancu: Quelques Observations sur la vie religieuse et intellectuelle des Juifs du Maghreb dans le haut moyen age, in Juifs et Judaïsme en Afrique du Nord dans l'antiquité et le haut moyen age, Montpellier, 1985.p78.

(1) السموأل المغربي: بذل المجهود في إفحام اليهود، ص4.

(2) حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ص68.

(3) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م، ص161.

(4) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص471.

(5) محمد عبد الفتاح الإبراهيمي: كتاب الباهر في الجبر للسموأل المغربي، مجلة دعوة الحق، عدد 233، دجمبر1983م، ص79.

نوعه[1]، وكذلك كتابه المثلث القائم الزاوية، وإعجاز المهندسين، والمنير (المنبر) في مساحة أجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها، والقوامي (القوافي) في الحساب الهندي، ورسالة بن خدود في المسائل الحسابية والجبر والمقابلة.. إلى آخر ذلك[2].

كما كان له حظ وافر وبعد نظر في صناعة الطب، وموهبة فذة جعلته لا يعالج مريضا إلا شوفي، ولا كره علاج آخر إلا وعجز عن علاجه سائر الأطباء[3]. وقد ترك في هذا المجال أيضا كتابا سماه المفيد الأوسط في الطب[4]. كذلك كان لليهود دور كبير في نقل وترجمة العلوم العربية ـ ولاسيما إلى العبرية واللاتينية ـ للدرجة التي اعتبر معها القرن السادس الهجري انطلاقة حقيقية لحركة الترجمة[5].

وحسبما يرى الباحث فإنه لا تلك الأناة ولا الأريحية التي غلفت مسيراتهم العلمية، ولا حياتهم قريبة الشبه بالحياة في دولة خاصة بهم، في ظل حاكم مثقف متفتح طموح من بني جلدتهم، ولا ظهور هذا العدد من الأسماء والقامات العلمية.. يدلون على شيء أكثر من دلالتهم على مدى ما تمتع به اليهود من أمان وحرية. وعلى ما كان لهما ـ أي الأمان والحرية ـ من دور في خلق جيل من العلماء والمفكرين الذين استطاعوا في تطوير الفكر والثقافة اليهودية، للحد الذي دفع بأحد الباحثين للقول بأن الحقبة المرابطية: «شكلت محطة

---

(1) محمد عبد الفتاح الإبراهيمي: كتاب الباهر في الجبر، ص80.

(2) **أنظر:** القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص161 ؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص409ـ410 ؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص140.

(3) السموأل المغربي: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل المغربي، ص51.

(4) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص471 ؛ إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص410.

(5) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 108.

هامة في تطور الفكر اليهودي»[1]. وهي بلا شك دلالة كافية لرد أية شبهة تتحدث عن اضطهاد اليهود عقديا أو فكريا، لأنهم وببساطة لو كانوا يعيشون مضطهدين لما تسنى لهم التفكير، فضلا عن البحث والكتابة في دياناتهم[2]، ولا في غيرها من العلوم.

كذلك شارك اليهود بالمغرب مشاركة فعلية في الحياة الاقتصادية وتعددت الفروع التي عملوا بها. لكن مشاركاتهم بتلك الفروع كانت تتضائل كلها أمام مشاركتهم التجارية، حيث اعتلت التجارة كما عبر أحد الباحثين منصة المهن التي اشتغل بها اليهود، وقد كان "**الشتات**" كما لخص الأخير سبب تفضيلهم لهاتيك المهنة[3]،

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 106.

(2) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص 368 ؛ **وانظر:** عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص88.

(3) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص99.

ـ على الرغم من قلة عدد حروف كلمة الشتات إلا أنها كانت كافية لتلخيص قرون من حياة اليهود. فقد كان احتراف اليهود للتجارة يقوم في أساسه على مجموع الجماعات اليهودية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم بسبب التشرد الأول وما تلاه من مراحل، حيث نجحت هذه الجماعات ـ في الوقت الذي استقروا فيه على حافات الطرق التجارية العالمية ـ في تكوين صلات وروابط وثيقة فيما بينهم، أهلتهم لاحقا للعب دور تجاري غاية في الأهمية، لا بل والحلول تدريجيا محل منافسيهم في التجارة العالمية. حيث تمكنوا خلال الفترة ما بين القرن الثامن والحادي عشر الميلادي من السيطرة التامة على طرق التجارة وعلى أسواق العالم القديم. وهم وإن لم يكونوا محتكرين للتجارة العالمية في تلك العصور، فقد كانوا على الأقل أهم الطوائف التي تمارس التجارة، فقد كانت هناك نسبة مهمة من التجارة مُحتكرة في يد اليهود وفي البيوت التجارية اليهودية؛ لأنهم كانوا وببساطة يشترون ويبيعون جميع المنتجات التي يجنون منها فائدة. (لتفاصل أكثر أنظر: موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول ـ من القرن 2هـ إلى القرن 5 هـ، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط3، 1990م، ص305ـ317**).**

التي مارسوها بداية بحكم الضرورة[1]، حتى حازوا لطول ممارستهم لها خبرة كبيرة أدت لنجاحهم فيها[2]، لا بل والتفوق على جميع فئات السكان بالأندلس والمغرب في التجارة العامة[3].

بيد أنه لم يكن مقدرا لهذه الخبرة أن تكون ذات فائدة، لولا أن استقرارهم جاء مركزا على المدن المغربية ذات الأهمية التجارية، أمثال درعة وفاس، وكذلك سجلماسة التي جذبهم إليها ما علموه أن التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب[4]، لكونها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب[5]. لذلك قبلوا أن يمتهنوا فيها حرفا وضيعة، انتظار الفرصة تواتيهم في تجارة الذهب[6].

ويبدوا أنهم نجحوا في مسعاهم بدليل ما أشار إليه صاحب الاستبصار من أن هذا: «كان في الزمن المتقدم، أما الآن فهم تجار أهل هذه البلاد كلها وأغنيائها، وخاصة بمدينة فاس»[7]، أكثر مدن المغرب يهودا[8]، والذين أَثْروا هم الآخرين بفضل تجارتهم مع بلاد السودان، حيث دأبوا على تصدير العديد من المنتجات الصناعية والزراعية، وتصدير النحاس الذي برعوا في تصنيعه بالمدينة إليهم[9].

---

(1) حسن ظاظا ـ محمد عاشور: اليهود ليسوا تجارا بالنشأة، الإتحاد العربي للطباعة، مصر، د.ط، 1975م، ص (م).

(2) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص99.

(3) علي أحمد: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، ص186.

(4) مجهول: الإستبصار، ص202.

(5) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص192 ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص42.

(6) محمد بركات البيلي: سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع3، يناير 1989م، ص75.

(7) مجهول: الإستبصار، ص202.

(8) البكري: المغرب، ص115.

(9) مجهول: الإستبصار، ص 181 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص103.

كذلك كان لتعاليم اليهودية التي كانت تفرض على كل يهودي أن يعلم ابنه حرفة منذ صغره[1]، دور كبير في احتراف اليهود لعدد كبير من المهن[2]، وصل بهم جواتيان اعتمادا على أوراق الجنيزة لما لا يقل عن 260 حرفة يدوية[3]. لكن ذلك لا يمنع من أنه كان لأهل الذمة تفضيل قاطع لمهن محددة، أو بتعبير أدق كانت هناك بعض الحرف والفنون شائعة على الخصوص داخل المجتمع اليهودي.

وقد مثلت الصناعات المعدنية بكل أشكالها ذهبية وفضية ـ في الجنيزة ـ أكثر هذه الأعمال أهمية[4]؛ لما يمثلاه على ما يبدو من: «سيوله ومن استثمار مضمون»[5]. كذلك كان لقرب المغرب من مصادر الذهب، ولما اشتملت عليه

---

(1) حيث: «يعتبر تعليم الابن مهنة من المهن فريضة شرعية.. وعموما يتعلم الولد مهنة والده مثل الصياغة، والنجارة، وخياطة ملابس السكان، وصناعة المشط "القرشال" لنقش الصوف إلخ». (حاييم الزعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ـ تاريخ، ثقافة، دين، د.ن، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1987م، ص74).

(2) كذلك لا يمكن نكران ما كان للسبي والشتات الذي تعرضوا له من دور كبير في تغير نمط حياتهم. فقد دفعهم الخوف وانعدام الأمن، وكذلك ضعف العائد رغم المجهود المبذول للتخلي عن فكرة الاستمرار في ممارسة مهنة الزراعة. كذلك كانوا مجبرين كونهم كانوا يعتبرون دائما دخلاء على كل قطر قصدوه، إما العمل في أعمال شاقة لم يتطرق لها غيرهم من قبل، أو امتهان بعض المهن التي يكون دور الأهالي المحليين فيها محدودا، تماما كالمغرب الذي كانت أغلب قبائله من البدو الذين هم أبعد الناس عن الصنائع، لأنفتهم من القيام بهذه الأعمال. (**أنظر:** جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 169؛ حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب، ج2، ص405؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص93).

(3) جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص167.

(4) جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص167 ـ 168.

(5) عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص94.

ـ على أساس ما سبق وافترضه عن حرص اليهود على سيولة أموالهم، ليتيسر عليهم الإنتقال أو الهرب بها إذا ما اضطرتهم الظروف الاقتصادية أو السياسية =

أرضها من فضة، الأثر الأكبر في شيوع هذه المهنة بينهم[1]، إن لم يكن اختصاصهم وانفرادهم بها[2]، كما أكد أندرية شوراكي[3]. ولعل هذا ما جعل صاحب الدوحة المشتبكة مُحَددا وهو يقول: «وأقاموا لها سوقا لأنفسهم»[4]، وخاصة في المدن القريبة من مصادرهما، أو التي تشتمل تربتها علي شيء منهما. كدرعة التي اشتملت ترتبها على الفضة[5]، وعلى صائغين يهود في طرف الإقليم المقابل لموريطانيا[6]. حيث لم يكن في العالم أصفى من الذهب الذي بينها وبلد السودان ولا أوسع منه[7]، هي ولا سجلماسة التي كان التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها بابا لمعدنه[8].

=

لذلك، بعد ما ظلو يعانونه طوال فترة شتاتهم من فقدان الوطن الذي يرتافون منه ويأمنوا إليه. (عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص86، 99).

(1) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، مدينة نَيْدن، د.ط، 1889م، ص88 ؛ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي، ص94.

(2) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق: حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدارسات الإسلامية في مدريد، مج6، ع1-2، 1958م، ص178.

(3) رأى أنه: «كان لهذه العناصر - أي اليهود - الإحتكار شبه الكلي لصناعة الذهب والفضة... لأنهم يدركون القيم الحقيقة لهذه المعادن في السوق».

- CHOURAQUI (André), «Marche vers l'occident – les Juifs d'Afrique du Nord», presse Universitaire de France, 1952, P. 142.

(4) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص178.

(5) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص88 .

(6) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م، ج2، ص119.

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص231.

(8) مجهول: الاستبصار، ص202.

****النصــارى:**

لم تكن ندرة المعلومات عن هذه الفئة قبل عصر المرابطين ولا قلتها خلاله هي المعضلة الوحيدة التي واجهت الباحث ولكن كانت هناك واحدة أخرى، ألا هي محاولة التوفيق بين أفهام الباحثين الذين أدلى كل واحد منهم بدوله في بئرهم الشحيح. حيث دفعت شحة النصوص المتعلقة بهم بالباحثين للتفنن في تفسير ما بين أيديهم من نصوص، كل واحد يريد أن يخرج بجديد بغض النظر عن صحته، وكأنه من الخطأ أن يوافق غيره في رأيه أو يماشيه فيما ذهب إليه.

أيا ما كان فقد كان فقر المادة التاريخية المتعلقة بتاريخ مسيحيي المغرب الأقصى معضلة اصطدم بها كل من تصدى لدراستهم، وهم معذورون فقد لازت المصادر التاريخية بالصمت عن ذكرهم قبل العصر المرابطي وكذلك خلال مراحله الأولى، حيث لم تسجل المصادر أي اصطدام وقع بين جحافل المرابطين التي اجتاحت المغرب وأية طائفة مسيحية ما[1]، مما يوحي بأن تواجدهم كان ضئيلا، إن لم يكن يسير نحو الاندثار[2]، بل ربما حدث هذا فعلا[3].

حيث أكد **الرهوني** في معرض حديثه عن تاريخ تطوان أنَّ: «موسى بن نصير لما وُلي على إفريقية من طرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وزحف إليها عام 710 مسيحي عام 92هـ، كان في جملة ما دخل في مملكته، طنجة

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص67-68.

(2): Terrasse (H) Histoire du Maroc des origines à l'établissement de protectorat, Casablanca, 1946**.** T1, p. 201 ; Brignon: Histoire du Maroc. Paris, Hatier, 1967, P. 82.

نقلا عن: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص68/ حا1.

(3) عبر هوبكنز عن ذلك بقوله: «وفي عهد المرابطين، لا نسمع شيئا عن النصارى من أهل البلاد».

ج.ف.ب.هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، د.ط، 1980م، ص133.

وتطاوين، مع قبائل الريف والبربر، وسلسلة الجبال المعروفة الآن بجبالة، وهي زناتة وصنهاجة وكتامة وهوارة. ولما زحفوا إلى أصيلا وطنجة وتطاوين، وجدوا سكانها النصارى هربوا أمامهم إلى أسبانيا»[1]، بيد أنه يكمل قائلا: «غير أن القوة الحاكمة العربية لم تكن إلا مؤقتة، ثم يتقلص ظلها»[2]. وهذا ما جعل **الخرازي** ترى أن الإسلام لم يستقر وضعه بشكل نهائي بعد حملة موسى بن نصير، وجعلها تعتقد أن ضعف الحكم العربي في المغرب إبان هذه الحقبة يمكن أن يكون سببا في استمرار وجود المسيحية وملل أخرى رغم انتشار الإسلام به[3].

لكن حتى وإن كان هذا صحيحا فهو لم يستمر طويلا، لأن الإمام **إدريس بن عبد الله** لم يلبث بعد أن تمت بيعته (الجمعة 4 رمضان 172هـ) واستقام أمره، أن قام بجمع جيش جرار ألَّفه من وجوه قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم، وخرج بهم غازيا إلى بلاد تامسنا وتادلة، ففتح معاقلهما وحصونهما، وكان أكثر أهلها على دين النصرانية واليهودية والإسلام بها قليل، فأسلموا جميعهم علي يديه[4]. ثم قام بعدها بحملة أخرى برسم غزو من بقي بالمغرب على دين النصرانية واليهودية والمجوسية -وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعة، كحصون فندلاوة ومديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازاز- فلم يزل يجاهدهم، حتى أدخلهم في دين الله طوعا وكرها[5]، ومحا جميع ما

---

(1) أبو العباس الرهوني: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعيات تطوان أسمير، المغرب، 1998م)، ج1، ص164-165.

(2) الرهوني: عمدة الراوين، ج1، ص165.

ـــ ذكر ابن خلدون أنهم ارتدوا عن الإسلام اثنتى عشرة مرة. (العبر، ج6، ص17).

(3) أنظر: بديعة الخرازي: تاريخ الكنيسة في المغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2007م، ص19.

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص20.

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص21؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص17.

كان في نواحيه من بقايا الأديان والملل[1]، بحيث لم يبق بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه[2].

ولاغرو فالمصادر التاريخية المتاحة لم تتحدث منذ هذه الحقبة عن أي تواجد مسيحي بالمغرب الأقصى. ومن ثم بإمكاننا الحديث عن اندثار المسيحية بصفة نهائية في هذا الطور من أطوار تاريخ المغرب؛ لأن هذا الأمير قضى على كل متعلقات المسيحية وباقي الملل الأخرى حتى تستقيم له أمور بناء دولة إسلامية موحدة[3].

ويمكن تفسير قصة الراهب المسيحي الذي بقي هو وصومعته رغم كل قصص الإفناء هذه، حتى وقف بإدريس الثاني وهو يختط فاس، ليبشره ـ حسبما أخبره سلفه ـ بأنه سيكون لهذه المدينة شأن عظيم وقدر جسيم، وأنه سيظل دين الإسلام قائما فيها إلى يوم القيامة[4]، من خلال النظر في كوب الحقيقة، الذي يخبرنا نصفه الفارغ: أن هذه القصة ما هي إلا محاولة لصنع هالة كراماتية للمكان لشعب يقدس الغيبيات، وأنه لا كان هناك راهب ولا نبوءة.

ويخبرنا نصفه الآخر: أنها رواية صحيحة وبأنها دليل على إلتزام إدريس الحسني سليل بيت النبوة بوصايا جده "ص" وخلفاءه الراشدين، الذين لا طالما أوصوا قادة جيوشهم أن لا يقتلوا أو يعرضوا لراهب في صومعته، وأن يتركوهم وما حبسوا له أنفسهم[5]، ومن ثم بقي هذا الراهب وربما غيره كثيرون

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص 140 ـ 141.

(2) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص13.

(3) **أنظر:** بديعة الخرازي: تاريخ الكنيسة، ص19 ـ 20.

(4) **أنظر:** الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص23.

(5) **انظر:** البيهقي: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، باب ترك قتال من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما، ج9، ص153[18150، 18152] ـ ص154[18156].

لم يسعدهم طالعهم بالوقوف كصاحبهم موقفا يستحق التسجيل. وربما كان هؤلا هم "**الكهنة العرضيين**" الذين أشار إليهم فيليب فارج ويوسف كرباج[1].

المهم أنه ومع قيام دولة المرابطين أخذت كل هذه المعطيات في التغير. حيث بدأ عدد المسيحيين ـ بغض النظر عن المصطلحات الكثيرة التي استعملتها المصادر للإشارة إليهم[2]ـ ينمو ويتكاثر؛ نتيجة لشراء عدد كبير منهم للعمل كمرتزقة بالجيش، ونتيجة لنفي عدد أكبر من مستعربي الأندلس نحو بلاد العدوة. هذا فضلا عن أسرى الحروب الذين تم حملهم إلى المغرب، وخاصة في المرحلة الثانية من عهد الدولة المرابطية[3].

وقد كانت البداية على يد يوسف بن تاشفين. حيث بعث الأخير إلى الأندلس (464هـ) من ابتاع له منها جملة من الأعلاج، عُدَّتُهم مائتين

---

(1) **أشارا لهما بقولهما: «ويذكر ابن خلدون أن إدريس الأول أبا السلالة الحاكمة المؤسسة للمغرب الأقصى، كان قد قضى منذ عام 788م على اليهودية والمسيحية والسحرية في سهول فاس وتادلا وشيللا (شالة). وبعد قرن من ذلك، في ظل حفيده عمر بن إدريس الثاني، من المؤكد أن الكنيسة لا توجد بعد من حيث كونها مؤسسة منظمة، لكن المسيحية سوف تغيب في جزء من السكان، يقوده بعض الكهنة العرضيين».** (فيليب فارج ـ يوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي التركي، ترجمة: بشير السباعي، دار سينا للنشر، القاهرة، 1994م، ص67).

(2) **أنظر بخصوص تلك الإشكالية:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص67.

(3) **أنظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص68 ؛ أنس حموتير: الفتح المبين في أخبار دولة المرابطين، بحث لنيل شهادة الإجازة الجامعية، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ والحضارة، 2014م، ص148 ؛ عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص49.

وأربعين[1]، أو وخمسين فارسا[2]، برسم حراسته وحجابته[3]، ثُم صار هذا ديدنهم حتى نهاية دولتهم. حيث استمر جلبهم وزاد استخدامهم في عهد ابنه علي[4]، وابنه تاشفين بن علي من بعده، بدليل ما ألمع إليه صاحب الحلل من أنه اجتمع لتاشفين بفحص تلمسان نحو أربعة آلاف رومي[5].

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص23.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص25.

(3) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص310.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص102 ؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م، ج1، ص122.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص131.

ـ **ذكر الأستاذ بوتشيش** (مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص68) **أن تاشفين بن علي هو من عاد بهؤلاء الأربعة آلاف من الأندلس. ولكن الأصح أن من عاد بهم ـ أو بأغلبهم ـ إبنه إبراهيم ابن تاشفين. شفعينا في ذلك قول ابن عذارى: «وكتب تاشفين منها [تلمسان] إلى البلاد يستدعيهم لنصرته، فوصل عسكر.. ووصل من الأندلس إبراهيم بن تاشفين بعسكر فولاه أبوه عهده»** (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص19). **وإذا كان ابن عذارى لم يوضح عدد من وصل بهم إبنه إبراهيم من الأندلس، فصاحب الحلل قام بذلك عندما قال: «كتب تاشفين إلى الأقطار يستدعي أهلها، فوصله عسكر سجلماسة.. ووصل من الأندلس ابنه الأمير أبو اسحق إبراهيم بن تاشفين، فولاه أبوه عهده، وذلك سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وكان عنده من الروم نحو أربعة آلاف فارس»** (مجهول: الحلل الموشية، ص131). **أما من عاد بهم تاشفين بن علي فكلهم من لمتونة، بدليل ما ذكره ابن الأحمر من أن علي بن يوسف لما رأى ما نزل به من أمر المهدي: «أرسل إلى ولده تاشفين أن يقدم عليه من الأندلس ويأتي بمن معه من جيوش لمتونة... فارتحل ولده وقدم عليه بذلك».** (ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص31).

كذلك شكل أسرى الحروب ـ كما سبقت الإشارة ـ سببا آخر من أسباب وجودهم، وزيادة أعدادهم بالمغرب، ولاسيما مع ارتباط جواز عواهل المغرب للأندلس وحصارهم وقاداتهم لمدنه، بأخبار السبي والأسر. ولا غرو فقد عاد يوسف بن تاشفين من جوازه الأول للأندلس بثلاثين ألف أسير من انتصاره بالزلاقة (479هـ)[1]، وحاصر في جوازه الثالث (483هـ) طليطلة وألفونسو بها،

---

(1) مارمول كاربخال: إفريقيا، ج2، ص47.

ـ ذكر مارمول كاربخال أن البادئ ببناء مراكش هو ابن تاشفين أول ملك مرابطي، وأن إبنه يوسف هو من أتم بنائها، وأنه أستعمل ثلاثين ألف أسير ليشيدها في أقرب وقت ليتخذها مقرا له. ومن الواضح مجانبتة للصواب فيما قاله. أولاً: لأن يوسف ابن تاشفين شخص واحد لا شخصين. ثانيًا: من أين لتاشفين وابنه المتوهم يوسف كل هؤلاء الأسرى إلا من الزلاقة أضخم معاركه وأشهر انتصاراته (479هـ)، ولكن كيف هذا وبعض المصادر تتحدث عن إفناء جيش ألفونسوا وبعضها الأخر عن تعفف يوسف بن تاشفين وإيثاره لملوك الأندلس بغنائم المعركة. (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص148 ـ 150 ؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص368 ـ 369 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص291 ؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص326؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص49). **ثالثا: أي شيء ـ هام ـ كان ينقص مراكش للحد الذي منع يوسف من اتخاذها مقرا له، و ـ ضخم ـ لدرجة احتياجه لتعاون أمة على إتمامه. ماهو وصاحب الحلل الموشية يصف قبل حوالي أربعة عشرة عاما من انتصار الزلاقة (479هـ) تهافت أصحاب أبو بكر بن عمر، العائدين لتوهم من الصحراء (465هـ)، لرؤية مراكش التي سمعوا الكثير عن سعتها وضخامة بنيانها. ثم كم شخصا كان يكفي لحراسة وتحييد هؤلاء الثلاثين ألف مقاتل على أرض المغرب الأقصى. وأين كان هؤلاء العشرين أو الثلاثين أو الأربعين ألف أسير ـ على اختلاف المصادر ـ وقتما كانت فاس ومراكش وغيرها من المدن العواصم تسقط في يد الموحدين، ولماذا لم تشر المصادر لردة فعلهم أيا كانت؟ يعتقد الباحث أن هكذا أسئلة وغيرها تجعل معلومة كاربخال وغيره بخصوص أسرى الزلاقة واجبة المراجعة.** (أنظر: مجهول، الحلل الموشية، ص25، 38 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص24).

فما رجع عنها إلا بعدما هتكها وقطع ثمارها وخرب أحوازها وقتل وسبا[1]. وانقض علي بن يوسف خلال جوازه الثاني (503هـ)[2]، كالسيل على أراضي طليلطة، فعاث فيها وانتسف زروعها وسبى كثيرا من سكانها، وافتتح سبعة وعشرين حصنا من حصونها. واقتحم مدينة طلبيرة عنوة وأوقع النهب والسبي فيها، ورد كنيستها كما كانت جامعا، ورتب بها حامية قوية، وندب لها واليا من قبله[3].

كما تذكر الرواية المسيحية الواردة في "**أخبار ألفونسو السابع**" أن علي بن يوسف لم يقتصر على الأسرى من الممالك النصرانية، بل أصبح أسطوله البحري يغير على شواطئ البحر المتوسط ويأسر العديد من النصارى[4]، ولاسيما من إيطاليا وفرنسا اللتين تكررت إغارات أساطيله على سواحلهما[5]. فمثلا في عام (516هـ/ 1122م) سَيَّر قائد أسطوله أبا عبد الله محمد بن ميمون إلى جزيرة صقلية[6]، فشن الغارة على بعض نواحيها، وافتتح عددا من حصونها،

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص153.

(2) ذكر ابن أبي زرع أن جوازه الثاني كان في عام 513هـ (روض القرطاس، ص163 ـ 164)، **مخالفا بذلك ابن عذارى الذي يُفهم من ترتيبه للأحداث أنه كان في عام 503هـ** (البيان المغرب، ج4، ص48، 52)، **وصاحب الحلل الذي قطع أنه كان في عام 503هـ** (الحلل الموشية، ص85).

(3) أنظر: ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص52 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص85 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص161 ؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص67 ـ 69 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص 69 ـ 70 .

(4) De cenival: «L'eglise de Marrakech: au 13è siècle». Hesperis, 1927, p. 73.
نقلا عن: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص69.

(5) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص213 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص395.

(6) ذكر التجاني أن من قام بتلك الحملة في عام (516هـ) هو قائد أسطول المرابطين علي بن ميمون. بينما قام بها أبو عبد الله محمد بن ميمون عند ابن عذارى، وأحمد بن ميمون عند ابن خلدون. (التجاني: رحلة التجاني، قدم له: حسن حسني =

واقتحم مدينة نقوطرة[1]، (من عمل رجار الثاني صاحب صقلية) ففتحها وقتل أهلها وسبى نسائها وأطفالها[2].

وبعدها بعام (517هـ)، أعاد الكرة عليهم: «فعاث في بلاد رجار وقتل، وحمل نسائها سبيا إلى بلاده»[3]. ثم في صائفة عام1127م / 521هـ: «هجم على مدينتي باتي وسرقوسة ـ الصقليتين ـ أمير البحر المرابطي الشهير محمد بن ميمون صاحب الغارة الجريئة على نقوطرة، فنهبهما وأحرقهما»[4]، ولا شك أنه قام بسبى عددا من أهلها.

ويمكننا أن نضيف لما سبق سببا آخر لزيادة أعدادهم، وهو ما كان يجلب للمغرب من السبايا الروميات اللواتي أفرزتهن معارك الجهاد بالأندلس. فقد تحدث ابن أبي ذرع عن قُفول تاشفين بن علي من الأندلس (532هـ) محملا بستة

=

عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، د.ط، 1981م، ص335 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص67 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص214).

(1) **نقوطرة: مدينة بساحل بلاد قَلَـوْرِيَة، وقلوريا أو كالابريا (Calabria) كما تسمى حاليا بالإيطالية، إقليم يقع في أقصى جنوب شبه الجزيرة الإيطالية، وتبلغ مساحته 15.082 كيلو متر مربع، ولا يفصله عن جزيرة صقلية سوى مضيق يعرف باسم ميسينا.** (ميخائيل أماري: المكتبة العربية الصقلية ـ نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، ليبسك، ألمانيا، د.ط، 1857م، ص282 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص67/ حا3).

(2) **أنظر:** ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص67 ؛ التجاني: رحلة التجاني، ص335 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص214 ؛ ميخائيل أماري: المكتبة العربية الصقلية، ص282 ؛ السيد عبد العزيز سالم ـ أحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، 1969م، ص246.

(3) التجاني: رحلة التجاني، ص339 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص214.

(4) الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، ج1، ص397.

آلاف سبية من غَزْوِهِ لمدينة أشكونية[1]. وقبلها (527هـ) قام بهدم حصن أنطاطة القريب من قنطرة السيف إلى أسفله[2]، وقتل كل من فيه وسبى نسائه وصبيانه[3]. هذا فضلا عن **الجواري** اللائي كن يُحملن إلى المغرب، لِيُبعن بأسواق النخاسة المنبثة في مختلف المدن المغربية، والتي وفرت عددا هائلا من الرقيق المسيحي[4].

ولا ننسى كذلك ما كان لتغريب معاهدة الأندلس (المستعربين Los mozárabes) من أثر فعال في زيادة أعداهم بالمغرب[5]. وقد جاء تغريبهم كرد

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص164.

(2) **قنطرة السيف: هي الآن بلدة صغيرة تقع على الضفة الجنوبية من نهر تاجه. وقد جاءت شهرتها من الجسر الذي فيها، حتى أن العرب كانوا يسمونها القنطرة، ويقول الأسبان لها الآن Alcantara . كانت قنطرة السيف حصن منيع على نفس القنطرة وأهلها متحصنون فيه لا يقدر لهم أحد على شيء، ولا يأخذها القتال إلا من بابها.** (شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936م، ص90ـ91).

(3) **حتى وإن كان ابن القطان لم يصرح أن تاشفين حمل سبي أنطاطة معه للمغرب، فهذا لا يمنع من أن يكون قد فعل بهم كما سيفعل لاحقا بسبي أشكونية.** (نظم الجمان، ص230).

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص96.

ـ ويُستشف من رد أحدهم على آخر سأله شراء مملوكة جيدة له: «أنا عازم على السفر إلى درعة، فإن وجدت لك بمراكش مرادك وإلا طلبته لك بدرعة»، أنه كان بالمدينتين سوقا لبيع العبيد. (ابن الزيات، التشوف، ص224).

(5) **المستعربون: يشار بهذا اللفظ إلى المسيحيين المحليين من أصل روماني/ قوطي غربي، والذين ظلوا في أسبانيا بعد الفتح العربي لها عام 711م، وتأثروا بالثقافة الشرقية. وقد طُبق عليهم النظام الذي يطبق عادة على أهل الذمة، الذي منحهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، كما قضى عليهم بدفع جزية معينة.** (**أنظر:** كلوس كريز، فارنر ديم، هانس جورج ماير، معجم العالم الإسلامي، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1991م، ص603).

فعل للحملة التي قام بها ابن رذمير(ألفونسو المحارب) ملك أرغون سنة 519هـ/ 1125م، إستجابة لنداء النصارى المعاهدين في غرناطة، الذين التمسوا منه غزو الأندلس، وزينوا له اقتحام مدينتهم، وتعهدوا له ببذل يد العون، وتقديم كافة أشكال المساعدة اللوجستية والعسكرية؛ مما ترتب عليه إلحاق الكثير من الأضرار بسكان المدينة. وهي الأضرار التي دفعت بابن رشد للجواز إلى أمير المسلمين علي بن يوسف لإحاطته علما بما حدث، وبما جرَّته النصارى على الأندلس من استدعائهم لابن رذمير وتقويته على المسلمين، وما في ذلك من نقض للعهد وخروج عن الذمة، وأفتاه بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم، فأخذ بقولة، ونفذ بذلك عهده(1).

ولم يستقر هؤلاء المبعدين ولا غيرهم من المسيحيين بمكان واحد، بل احتوتهم عدة مدن مغربية، على رأسها بطبيعة الحال **مراكش** عاصمة الدولة ومقر تجمع الجند(2)، وهذا بحكم عمل أغلبهم كمقاتلين وحراسا شخصيون لعواهل المغرب(3)، بداية من عهد يوسف بن تاشفين الذي ابتاع جملة منهم،

---

(1) **أنظر:** ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص69 ـ 73 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص106 ـ 114 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص91 ـ 97 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص365 ؛ حمدي عبد المنعم محمد: مدينة سلا في العصر الإسلامي ـ دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،، د.ط، 1993م، ص14.

(2) حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية، ص367.

(3) **أنظر:** ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص23 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص25 ؛ عيوني محمد: دور الرقيق في الحياة السياسية والثقافية ببلاد المغرب والأندلس خلال القرنين 4ـ5 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر ـ كلية العلوم الإسلامية ـ قسم اللغة والحضارة العربية، 2013م، ص51 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص418 ؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص122 ؛ مغنية غرداين: نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة ابي بكر بلقايد ـ تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016م، ص175.

مرورا بعلي بن يوسف الذي توسع في استخدامهم[1]، وصولا لتاشفين الذي كان جيشه يشتمل على أربعة آلاف رومي[2]. وإذا كانت الحرب مع الموحدين درست هؤلاء الأربعة آلاف ـ مع غيرهم ـ فيما بين وهران وتلمسان[3]، فقد بقيت منهم بمراكش بقية من المقاتلة، استمرأت الخيانة واختارت أن تقايض نفسها بالمدينة وأهلها[4].

كذلك كانت **مكناس** واحدة من المدن التي اشتملت على مبعدين[5]، ومقاتلين مسيحيين[6]، هي ومدينة فاس. وهذا ما نستفيده من الزمرة التي

---

(1) سليمان عبد الغني مالكي: بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين و الموحدين، مجلة الدارة، مج12، ع3، ديسمبر1986م، ص176.

(2) مجهول:الحلل الموشية، ص131.

(3) **للتفاصيل أنظر:** ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص19ـ 21 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص131 ـ 134 ؛ البيذق: أخبار المهدي، ص58 ـ 60 ؛ الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحيى بوعزيز،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ج1، ص136 ـ 137 ؛ روجر لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة: أمين الطيبي، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1998م، ص55.

(4) **لما طال حصار المرابطين لمراكش اتصل الجنود الروم الذين كانوا بها بعبد المؤمن وعرضوا عليه فتح أحد أبواب المدينة له مقابل تأمينهم على حياتهم، فلما وافقهم فتحوا له باب أغمات (541هـ)، فدخلت منه عساكر عبد المؤمن قاتلهم الله. (أنظر:** مجهول: الحلل الموشية، ص138 ؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص163 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص204**).**

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص90 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص56.

(6) **يفهم ذلك من قول ابن عذارى: «وكان بمكناسة نحو ثلاثة آلاف فارس من الحشم والروم وغيرهم»، وتنفي مقولته هذه ما ذهب إليه بوتشيش وابن الذيب من أنه كان بمكناس وحدها جالية مسيحية تبلغ عدتها: «ثلاثة آلاف من النصارى المبعدين من الأندلس»، لأنهم كانوا مع غيرهم ثلاثة آلاف، لا هم** =

فرت من فاس بعد فتحها (540هـ) نحو قادس[1]، صحبة يحيى الصحراوي[2]. كما وجدت أعدادا منهم في **سلا**[3]، وأيضاً **أغمات**[4]. ومن المرجح أن وجودهم لم يقتصر على تلك المدن فقط، وأنه كان هناك مدنا أخرى غيرها استقروا بها[5]، بسبب هذه الظروف أو تلك كما عبر أحد الباحثين[6].

ومن الجدير بذكره القول أنهم عاشوا في أحياء خاصة بهم داخل المدن التي نزلوها. ففي مراكش خصص لهم حيا يحاكي أحيائهم بالأندلس من حيث الأسواق والحانات والحوانيت والخمور والخنازير، وهو ما أحنق ابن تومرت على

=

وحدهم كما ذهبا. (ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص24 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص71 ؛ عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص52).

(1) قادس: (Cádiz بالإسبانية) جزيرة في غربي الأندلس عند مالقة، وهي واحدة من مدن أشبيلية، ويبلغ طولها 12 ميلا وعرضها في أوسع المواضع ميل. (الحموي: معجم البلدان، ج4، ص290 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص448).

(2) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص30 ـ 31.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص90.

(4) استنتاجا مما نقله ابن الزيات عن ابن ويحلان أحد صالحي أغمات (ت 541هـ) الذي وهبت له جبة غالية: «فجعلها في طاق على باب داره فمر به نصراني يوما فرماها له». (ابن الزيات، التشوف، ص150).

(5) إستنتاجا مما ذكره ابن الأثير (ت630هـ) وصاحب الحلل بخصوص تقديمهم على جباية المغارم المقررة على الأهالي في مختلف المناطق. (مجهول: الحلل الموشية، ص85 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص198).

(6) إبراهيم القادري بوتشيش: مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين ـ من منتصف القرن 11م إلى منتصف القرن 12م (ضمن كتاب الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1970م، ص95.

المرابطين لمَّا رآه، وحمله على مجابهة مناظريه به، وتوبيخ علي بن يوسف ـ الذي جمعهم لمناظرته ـ عليه، وخصوصا بعدما أثاروا حفيظته بحديثهم عن تقوى علي، ومؤاثرته طاعة الله على هواه[1].

كذلك كان لهم بمكناس عدة أحياء خاصة بهم. حيث تمت الإشارة لنزولهم بمكناس في أكثر من مصدر تاريخي ونوازلي[2]، دوناً عن باقي المدن التي إسْتُدِلَّ على نزولهم بها استنتاجا؛ مما يوحي بأنها كانت من أهم المدن، أو لنقل من أكثر المدن التي اشتملت على مبعدين مسيحيين. ويعزز هذا الطرح وجود ثلاثة أحياء بالمدينة، رجح الباحثين ـ لما تحمله أسمائها من دلالات أندلسية[3]ـ أنها كانت خاصة بِمُعَاهِدَة الأندلس الذين تم نقلم لبر العدوة.

ـ وأول هذه الأحياء هو: **الفار** الذي ورد ذكره في إحدى وثائق "الحوالة الحبسية للمساجد الصغار بمكناس"[4]، بصفته أحد أحياء مدينة ورزيغة[5].

---

(1) **أنظر:** ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص49 ـ 50 ؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ج2، ص422 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ـ عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص33.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص90 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص56 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص24.

(3) محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص48.

(4) **ذكر فيها ما نصه «وجميع الربع الواحد شائعا بموضع الفار بغدير الشريشي يجاور الوادي».** (حوالة المساجد الصغار، رقم4، ص63 ـ 64. نقلا عن: محمد المنوني، مدائن مكناسة القديمة، ص48).

(5) ورزيغة: **لم تكن مكناس في القديم مدينة ممدنه وإنما حوائر متفرقة، وكانت ورزيغة إحدى هذه الحوائر. تقع ورزيغة على مسافة من شرق نهر فلفل، وقد كانت آهلة كثيرة المياه والثمار والخير كما ذكر أن أصل أهلها روم،. (أنظر:** ابن غازي: الروض الهتون، ص54 ؛ البكري: المغرب، ص155).

ولما كان من عادة الأندلسيين النازحين أن يحملوا معهم أسماء أماكنهم ليستعملوها في مهجرهم الجديد(1)، فمن المرجح أن يكون هذا الاسم منتحلا من واحد من ثلاثة مواضع أندلسية هي:

1: **جبل فَارَه** الذي يشرف على مدينة مالقة من ناحية الجنوب الشرقي(2).

2: مدينة **فـارَّة** بشرق الأندلس، من أعمال تطيلة(3).

3: مرسى **فـاروُ** القريب من شنتمرية الغرب(4).

ـ أما الحي الثاني فهو: درب **الفتيان**(5). والفتيان مصطلح كان يطلق ـ بحسب أشياخ ـ على معاهدة الأندلس المنخرطين في الجيش المرابطي(6).

---

(1) محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص50 .

(2) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص506 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص570 ؛ ابن الآبار: التكملة، ج3، ص188 [تر475].

(3) الحموي: معجم البلدان، ج4، ص229 ـ البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1955م، ج3، ص1014.

(4) شكيب أرسلان: الحلل السندسية ،ج2، ص100.

ـ وربما نسبة لفـاروُ التي أورد الإدريسي اسمها ضمن مراسي جزيرة صقلية (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص625)، **ولما لا فقد سبق وتحدثنا عن غزو أمير البحر محمد بن ميمون لصقلية وسبيه لنسائها وأطفالها أكثر من مرة.** (أنظر: التجاني: رحلة التجاني، ص335، 339). **على أية حال هي الآن جزء من مدينة ميسينا المعروفة باسم باب صقلية، وموقعها أقصى شمال شرق الجزيرة مثلثة الشكل.**

(5) محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية، ص165.

(6) يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص236.

ـ وذكر محرر معجم الإسلام التاريخي أن فتيان كانت تعني في الأندلس، ومن ثمّ في المغرب: «الشخص المنتمي إلى الرقيق، إلا أنه دخل في خدمة الحاكم أو وزيره، وحاز مقاما رفيعا بين حاشيته». (ج.و.د سورديل: معجم الإسلام التاريخي، ترجمة: أ . الحكيم، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، لبنان، د.ط، 2009م، ص702).

ـ أما الحي الثالث فهو: الحي المعروف باسم **زنقة تيبربارين**. وربما رسمته بعض المُؤرَّخات القديمة هكذا "**أبربارين**"[(1)].

ونستنتج من خلال بعض الإشارات المصدرية أن إقامتهم بأحياء خاصة بهم، لم يمنعهم من الاختلاط بباقي السكان، بل على العكس كان مرورهم أمرا شائعا ومصادفتهم في الطريق شيئا متوقعا. فهذا أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان نزيل أغمات مثلا، تُهدى إليه جبة غالية فيرميها لنصراني مر به[(2)]، وهذا آخر يأمر خادمه وكانا بمراكش، أن يتصدق بتسعة دراهم ـ هم كل ما معه ـ لأول رجل يلقاه: «وإن كان يهوديا أو نصرانيا»[(3)].

أوضاعهم الاجتماعية والدينية: مما يؤسف له أن لا سبيل ـ الآن على الأقل ـ لمعرفة الكثير عن تنظيمات المسيحيين الاجتماعية داخل المدن التي أقاموا بها، وإن كان يلوح أن الكتائب المسيحية بالمغرب عرفت تنظيما اجتماعيا يحاكي تنظيماتهم الاجتماعية والإدارية في الأندلس من قبل[(4)]، فقد كان لهم أمناء وقساوسة مسؤولون عنهم، وعن مباشرة شعائر ديانتهم[(5)].

---

(1) محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية، ص165.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص150.

(3) السملالي: الإعلام، ج1، ص274.

(4) **هو المتمثل في نظام القماسة والذي كان يتولى إدارته "قومس الأندلس". حيث كانت الطوائف المسيحية تقوم بانتخاب أحد المشهورين من بينهم بالعلم وأيضا السياسة ليكون مسؤلا عن كل ما يتصل بهم أمام السلطة الإسلامية. ولثقل مهمته هذه كان يعاونه قومسات صغار موزعين على كافة المدن الأخرى، مهمتهم جمع الجزية المفروضة على أبناء ملتهم بشكل منتظم، وتقديمها نيابة عنهم إلى السلطة المركزية. (أنظر:** ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص103، 106 ـ 107 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص73 ـ 74**)**.

(5) خوسيه اليماني: الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، ترجمة: أحمد مدينة، مجلة دعوة الحق، السنة 19، ع5، ماي (مايو) 1978م، ص35.

=

بيد أنه من غير المعروف على وجه الدقة إن كان هناك تنظيما كنسيا قام بتلك المدن أم لا. فبعض النصوص تؤكد أن المسيحيين ـ سواء المبعدين منهم أو الحاميات العسكرية المرتزقة ـ لم يُسمح لهم بتشييد الكنائس في المناطق التي نزلوها. ومن بين تلك النصوص إفتاء **ابن ورد** (قاضي الجماعة بغرناطة) عليا بن يوسف، برفض طلب النصارى المعاهدين الذين سألوه بناء كنيسة لهم بمكناس: «اللهم إلا أن يقيم كل إنسان منهم شريعته في داره، دون ناقوس يضربه، ولا فعل يظهره»[1].

إذ يبدوا أن علي بن يوسف إلتزم بفتوى بن ورد هذه، ولم يسمح للمبعدين بمكناسة ولا بغيرها من المدن ببناء كنائس، بدليل تلك النازلة التي وردت على **ابن رشد** من مراكش تستجلي رأيه في نصرانياً أسلم، ثم شُك في أمر إسلامه لأشياء ظهرت عليه، ففتشت داره فألفى فيها بيت يشبه الكنيسه فيه دكان وسرير، وكتب بالخط النصراني وشموع، وأقراص عجين كتلك القرابين التي يتقربون بها عند تمام صومهم، وألوح على أربعة قوائم مما يضع عليه قسيسوا النصارى الإنجيل، وعصى على رأسها عمود مُصلب يُتوكأ عليها حين القيام لقراءته.. إلى غير ذلك من الأشياء التي تتضمنها الكنائس عادة[2]. فهذه النازلة

=

ـ نفى أحد الباحثين ـ دون دليل ـ هذا الأمر بشكل قاطع، قائلا: «ولم يكن لهم في المقابل أية حقوق ـ باستثناء رواتبهم ـ فلم يكن لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية، ولا توجد لهم كنائس خاصة بهم أو حتى أساقفة منهم». (رضوان محمد رضوان البارودي: عناصر المرتزقة في الجيوش المغربية، مجلة المؤرخ العربي ـ القاهرة، ع6، مارس 1998م، ص398).

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص 58 ـ 59.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص 349 ـ 350 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ج6، ص262.

تؤكد بما لا يدع مجالا للشك على أنه لم يَسْمح للنصارى بناء كنائس، أو ممارسة شعائر دينهم خارج نطاق منازلهم[1]. اللهم إن كانت ممارسة صاحب النازلة لشعائر دينه خفية في بيته سببها: المحافظة على المكاسب المادية أو المعنوية التي حصّلها من إشهار إسلامه، لا عدم وجود كنيسة بالمغرب.

ولعله يثبت صدق هذه النتيجة ما أجمعت عليه المصادر العربية من أن أول كنيسة بنيت بمراكش كانت في عهد الخليفة الموحدي المأمون[2]، في الموضع المعروف بالسجينة[3]. ويدعم هذا الإستشهاد تأكيد الباحثين على أنه لم يعثر ـ حتى الآن ـ على: «ما يُثبت أنه كانت هناك مراسلات أو خطابات بين

---

(1) بوتشيش: مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى، ص99.

(2) **هو أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمأمون، كان قد دعى لنفسه في البداية بأشبيلية لما انتهى إليه خبر أخوه أبو محمد عبد الله العادل وما هو فيه من الاضطراب، فبويع له بها وبغالب الأندلس سنة 624هـ، ثم بعد تفاصيل يطول ذكرها بايعه كافة الموحدين بمراكش سنة 627هـ . وقد توفي في عام 629هـ بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة. (أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص250 ـ 251، 253 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص232، 238، 240**)**.

(3) الناصري: الاستقصا، ج2، ص237، 239 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص250، 253 ؛ قدور أحمد: المدن الموحدية وعلاقاتها بالإقليم ـ دراسة اجتماعية واقتصادية، د.ر.ع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1988م، ج2، ص469. **نقلا عن:** عبد العزيز فيلالي: الأقلية المسيحية في تلمسان الزيانية ودورها في المجال العسكري والتجاري والعمراني، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، ع15، فيفري (فبراير) 2004م، ص192.

ـ خالف مارمول كاربخال هذا الإجماع، بإرجاعه بناء أول كنيسة بالمغرب الأقصى لعهد يعقوب المنصور، الذي بَنى بحسبه للخمسمائة فارس الذين أتى بهم من الأندلس لحراسته الشخصية كنيسة في نفس الحي الذي يقيمون فيه، ليستمعوا فيها للقداس ويمارسون بها شعائر دينهم. (مارمول كربخال: إفريقيا، ج2، ص50).

الباباوات والأمراء المرابطين»[1]، ولا بين الباباوات وبين: «إحدى الأسقفيات سواء في مراكش أو غيرها من المدن المغربية الأخرى التي كان يقيم فيها النصارى كمكناسة وسلا وفاس»[2]. في نفس الوقت الذي نجد فيه رسائل متبادلة بين الباباوات وبين أكثر من واحد من خلفاء الدولة الموحدية[3]، فضلا عن غيرهم من عواهل وأساقفة دول المغرب الإسلامي الأخرى، كالدولتين الحمادية والزيرية[4].

---

(1) عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، د.ن، د.م، د.ط، د.ت، ج5، ص224.

(2) بوتشيش: مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى، ص99.

(3) كرسالة البابا أنوسنت الثالث لأبي يعقوب المنصور بتاريخ 8 مارس عام 1198م.
(De Mas latrie: Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de L'Afrique septentrionale au moyen âge, Paris, 1866- 1875, T. 2, PP. 8-9).

ـ رسالة الباب جريجوري التاسع للخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بتاريخ 27 مايو عام 1233م. (Ibid, PP. 11-12).

ـ ورسالة البابا أنوسنت الرابع إلى الخليفة الموحدي أبو الحسن علي السعيد بتاريخ 31 أكتوبر عام 1246م. (Ibid, P. 14).

ـ ورسالة الخليفة الموحدي أبو حفص عمر المرتضى بن السعيد باللغة العربية إلى البابا أنوسنت الرابع بتاريخ 18 ربيع الأول عام 648هـ 10 يونيو عام 1250م. (hesperis, t. V1, An. 1926, PP. 27-53).

(4) حيث كان من عادة باباوات روما أن يبعثوا برسائلهم وبراءاتهم لأساقفة الكنائس الموجودة بدول المغرب الإسلامي ولعواهلها. ومن أمثلة ذلك: الرسالة التي أرسلها البابا جريجوري السابع (1073 ـ 1085) إلى الأمير الحمادي الناصر بن علناس (1062 ـ 1088) في عام 1076م، كرد بالموافقة على طلب الأخير سيامة القس سرفانوس أسقفا لعاصمته بجاية. ولما كان الشيء بالشيء يذكر، نضيف أن أحد الباحثين ذكر أن هذا القس (سماه: سرفاند) عُـيِّنَ أسقفا لبونة (عنابة) وليس لبجاية، وهي المعلومة التي اجتهد سامي سلطان لنفيها، والتأكيد على أنه عين أسقفا لبجاية وليس بونة.

=

وعلى الجانب الآخر، حمل أحد الباحثين فتوى **ابن ورد** بمنع مسيحيي المغرب من بناء الكنائس في المناطق التي نزلوها، على منعهم من **بناء كنائس جديدة**[1]. وذلك بعدما استوقفه نص عند البيذق يذكر فيه أنه في عام 550هـ/

=

(Mas latrie: op. cit., T.2, pp. 7-8 ؛ سامي سلطان سعد: دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام 469هـ ـ 1076م، مجلة الداسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ع1، عام 1985م، ص42 ـ 43، 64 ـ 65 / حا17 ؛ عبد الحليم عبد الفتاح محمد عويس: العلاقات السياسية بين المغرب وأوربا في القرن الخامس الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود ـ السعودية، ع4، عام 1980م، ص339).

ـ ورسالة البابا جريجوري السابع التي كتبها لقرياقص رئيس أساقفة قرطاجنة في يونية 1076م.

ـ Mas latrie: op. cit., T.2, p. 6.

، وللإطلاع على الترجمة الفرنسية للنص اللاتيني أنظر:
Christian courtois: Grégoire VII et l' Afrique du Nord, Revue Historique .TCXCV, 1945, P. 217). ـ

ـ ورسالة البابا ليون التاسع لتوماس أسقف أفريقية في السابع عشر من ديسمبر عام 1053م .

ـMas latrie: op. cit., T.2, p. 1.

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص 58 ـ 59 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص85.

ـ أخذ بوتشيش ورد، ونفى وأثبت، وساق الأدلة على كل ما عرضه من آراء، وهو بذلك أفضل حالا من باحثين آخرين قرروا هكذا دون أي دليل، التأكيد على سماح المرابطين لهم ببناء كنائس في المناطق التي نزلوها لممارسة شعائر دينهم، كإبراهيم حركات وحسن أحمد محمود، اللذين أكدا ـ اعتمادا على تيراس ـ على السماح لهم ببناء كنائس، وكذلك سلامة الهرفي، الذي أكد هو الآخر اعتمادا على حسن أحمد محمود وكتابه قيام دولة المرابطين، على السماح لهم ببناء كنائس، هذا فضلا عن عبد الهادي التازي الذي اكتفى فقط بالتأكيد على:
=

1155م، أي بعد سقوط المرابطين بنحو تسع سنوات، رجع الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي من سلا إلى مراكش: «وغرس البحيرة التي بشنطلولية»[1].

حيث افترض من خلال التحليل اللغوي لكلمة شنطلولية "**صوتيًا**"[2]، أنها: «تعبر عن اسم كنيسة قديمة سميت باسم "القديسة أوليلة"، ومن ثم فهي تحوير لاسم Saint Eulalie»[3]، خصوصا وأنه كان من عادة البيذق أن يكتب بعض الكلمات كما تُنطق بالدارجة، التي تَسْتبدل السين المهملة بالشين المعجمة. بدليل استخدامه نفس المخرج الصوتي في نطق كلمة أخرى، هي كلمة "**سنيور**" التي نطقها " **شنيور** " بالشين المعجمة[4].

وبناءًا عليه رأى أنه بإمكانه الإدعاء أنه كانت هناك **كنيسة قديمة بمراكش** في عصر المرابطين، وأنه إذا لم تشيد هنالك كنائس جديدة: «فمن المحتمل أن يكون بعض المسيحيين من الحرس الأميري على الخصوص قد مارسوا شعائرهم الدينية في كنيسة شنطلولية القديمة إرضاء لهم على

=

«وجود بعض المعابد المخصصة لتلك المليشيات»، دون ذكر أية تفاصيل أخرى.

(إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص207 ؛ Terrasse: Hist. du Maroc, p. 246 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص380 ؛ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج5، ص224 ؛ سلامة محمد سلمان الهرفي: الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1982م، ص285).

(1) البيذق: أخبار المهدي ص79.

(2) إبراهيم القادري بوتشيش: النص التاريخي بين الدلالة التقريرية والهرمنيطيقا، مجلة علامات ـ المغرب، ع16، 2001م، ص39 ـ 40.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص83.

(4) **أنظر**: البيذق: أخبار المهدي، ص45 ؛ بوتشيش: النص التاريخي، ص40.

خدماتهم»[1]. خصوصا وأنه كانت هناك فتوى أخرى لفقيه مرابطي آخر (ابن الحاج التجيبي) أباح فيها للنصارى الداخلون من العدوة بناء الكنائس في مواضع استقرارهم، شريطة أن: «يمنعون من ضرب النواقيس»[2].

وبالرجوع لأوضاعهم الاجتماعية، لا تفوتنا الإشارة لما تمتعوا به من حرية تامة في لبس ما يناسبهم، وفي تناول ما تشتهيه أنفسهم من طعام أو شراب[3]، وهو ما سبب حرجا لعلي بن يوسف، وجعله وقضاته عرضة للإنتقاد، ولاسيما من ابن تومرت، الذي وبخهم على: «بيع الخمر جهارا، ومشي الخنازير التي للفرنج بين أظهر المسلمين»[4].

كما حظوا بمقابر خاصة بهم منفصلة عن مقابر المسلمين[5]، تماشيا مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم[6]، كمقبرتهم التي كانت تعرف في مكناس

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص85.
ـ **انتهى جورج مارسيه لنفس هذه النتيجة، حيث أكد على أن المسيحيين كانوا: «موضع تفضيل من قبل العاهل الإسلامي، فكانت لهم كنيستهم (كانت في مراكش كنيسة مهداة إلى القديسة أولالي (Sainte-Eulalie) وقساوستهم وأسقفهم». ولكنه لم يكلف نفسه عناء التوضيح أكثر.** (جورج مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصر الإسلامي، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1991م، ص284).

(2) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج2، ص17؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص215، 241.

(3) عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص33.

(4) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج2، ص422.

(5) **هذا ما نستشفه من فتوى ابن الحاج في رضيع من أولاد النصارى اشتراه مسلم مع أمه فمات، أنه: «يدفن في مقبرة النصارى».** (البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج1، ص506).

(6) فاطمة الزهراء بومزراق: وصايا الأموات في الغرب الاسلامي من قيام الدويلات المستقلة إلى سقوط دولة الموحدين ـ وصايا الدفن نموذجا، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون ـ تيارت، الجزائر، 2014م، ص120.

باسم "**مقبرة الذميين**"[1]، ولا شيء يمنع من الاعتقاد بوجود مقابر أخرى في باقي المدن التي استقروا بها.

كذلك كان لهم دور كبير ومشاركة هامة في شتى مجالات الحياة العامة، حيث مارس بعضهم عددا من المهن كالطب [2]، والتجارة[3]، وامتهن غيرهم بعض الحرف كصناعة الصِّحَاف[4]، وغيرها من الحرف اليدوية الأخرى. كذلك وقعت الاستفادة منهم في بعض المجالات كالزراعة والسقي والبناء[5]، بحكم خبرتهم التليدة وتجاربهم العميقة في مجال الزراعة، وكنتيجةً بديهية للطبيعة الزراعية للمدن التي أبعدوا إليها كفاس وسلا ومكناس[6].

---

(1) **أنظر:** حوالة مكناس الكبرى، رقم 5، ص295 ـ 298 . **نقلاعن:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص75.

(2) **هذا ما نستفيده من رد أبي يعزي على من لاموه في لمس صدور النساء وبطونهن بيده عند علاجهن، حيث قال لهم: «أرأيتم لو أن بنت أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه إلا الزوج، ولم يجد من يعاينه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألسم تجيزون ذلك»، ويقطع باقي رده: «ألستم تجيزون ذلك مع أن دواء اليهودي والنصراني مظنون»، الطريق على من يعتقد أن ذِكره لليهود والنصارى كان من باب المبالغة في المقارنة، وأنه لم يكون هناك أطباء لا يهود ولا نصارى.** (ابن الزيات: التشوف، ص269، 323 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص121).

(3) مارمول كاربخال: إفريقيا، ج2، ص128 ؛ فيليب فارج ـ يوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي، ص67.

(4) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص129.

(5) Lagardère(v.) «Communautés Mozarabes et pouvoir Almoravide en 519H/ 1125», S.I, Tom LXVII, Paris, 1988, P. 111. **نقلا عن:** بوتشيش، بوتشيش: (مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 114)

(6) **بدليل مُعاهِدَة غرناطة، الذين حملهم أذفونش معه في نهاية حملته الفاشلة عليها (519هـ ـ 1125م) لعمارة أراضي طليلطة. يقول ابن عذارى: «وحمل جملة من رعيتها المعاهدة ـ يقصد غرناطة ـ لعمارة أرض طليلة»** (ابن عذارى: البيان =

كذلك أرجع مارمول كاربخال لعشرين ألف أسير مسيحي، الفضل في حفر أربعمائة خطارة (قناة) لإيصال المياه لمراكش من أحد الأنهار النابعة من جبل درن (أطلس) الواقع جنوبي المدينة على بعد ستة فراسخ منها(1). كما كان لهم دورهم في التعجيل بإتمام بعض مباني العاصمة الجديدة مراكش(2)، واستغلت كذلك قوة أغلبهم وخبرة بعضهم، في بناء بعض الحصون والقصاب، كقصبة النصراني(3)، التي حملت اسمهم بجبل زرهون(4).

أما الجواري النصرانيات فقد ضمت بيوت بعض الأغنياء وقصورهن عددا منهن، إما لخدمتهم(5)، وإما لتسليتهم بالغناء والرقص(6). ومنهن من

=

المغرب، ج4، ص36. **وانظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص75 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص168 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص135).

(1) مارمول كاربخال: إفريقيا، ج2، ص56.

(2) مارمول كاربخال: إفريقيا، إفريقيا، ج2، ص47.

(3) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص225.

(4) **جبل زرهون: يقع بين مدينتين، فاس في الشرق ومكناسة في الغرب، وتقطنه زواغة (من البربر) وهم أغنياء شرسون كثيرو العدد، ومساحتة كبيرة جدا، حيث يمتد من سهل السايس على بعد عشرة أميال من فاس، لمسافة ثلاثين ميل غربا تقريبا، ويبلغ عرضه في بعض الأماكن حوالي عشرة أميال.** (الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص294 ؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص47).

(5) **هذا ما يستفاد من أحد نوازل عياض. (أنظر:** القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكام، ص254/ حا6 ؛ محمد بن شريفة: من أصداء الحياة اليومية في سبتة المرابطية، مجلة المناهل، المغرب، س9، ع22، يناير1982م، ص235).

(6) مليكة حميدي: المرأة المغربية في عهد المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002م، ص88 ؛ سعاد بنت عبد الله بن عبد العزيز اليحيان: المرأة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1436هـ، ص83.

هَنِئْنَ بالعيش كمحظيات وأمهات أولاد في بلاطات أمراء المغرب الأقصى، كالجارية الرومية **قمر**[1]، التي تزوجها يوسف بن تاشفين، وأنجب منها إبنه وولي عهده علي بن يوسف بن تاشفين، الذي تسرى بدوره بعدة جواري روميات، حتى صرن أمهات أولاده وأولياء عهده. **كقمر** أم ولده سير بن علي[2]، الذي بويع له بولاية العهد في عام 522هـ[3]، **وضوء الصباح** أم ولده تاشفين بن علي[4]، الذي بويع له بولاية العهد بعد وفاة أخيه سير في عام 533هـ[5].

كما اقتصرت مهمة بعضهن على مصاحبة الأميرات المرابطيات، وخدمتهن أينما حللن. وقد أثار هذا المشهد حفيظة ابن تومرت ضد **الصورة** أخت أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين**، ودفعه للتهجم عليها هو وتلامذته. بعدما رآها تسير في موكبها بمراكش ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة، وهن جميعا مسفرات كعادتهن. حيث أنكر ذلك عليهن، وأمرهن بستر وجوههن، وضرب دوابهن هو وأصحابه حتى سقطت أخت علي عن دابتها[6].

---

(1) **قيل إسمها منوا وتسمى بأم الحسن** (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص460)، **وقيل بل إسمها قمر وتكنى بأم الحسن** (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص157) **. وشك ابن عذارى فقال: «أمه رومية، وهي فاض الحسن وقيل قمر»** (البيان المغرب، ج4، ص101) ؛ **وقيل إسمها رميكة** (يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص122).

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص78، 97 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص447 .

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص446.

(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص170 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص165.

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص165 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص98 .

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص303 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص196 ؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص154.

ـ أشار ابن خلكان في معرض حديثه عن ابن تومرت أن تلك الواقعة كانت مع ابنة علي بن يوسف، لا أخته. حيث قال: «فشرع محمد في الإنكار على جاري عادته، حتى أنكر على ابنة الملك». (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص49).

دورهم السياسي والعسكري: قام نصارى المغرب الأقصى في عصر المرابطين بلعب أدوار عدة، واضطلعوا بمهام مختلفة، وتجلى دورهم في ميادين شتى، لكنها كلها كانت تتضائل أمام دورهم ومساهماتهم العسكرية، خصوصا وأن الدافع الأساسي لجلبهم إلى المغرب كان في الغالب الأعم لأغراض عسكرية. فقد بعث يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من اشترى له عددا كبيرا من العلوج أو الأرقاء النصارى[1]، فاختار منهم أحسنهم قواما وأشدهم قوة وأشجعهم قلبا وأكثرهم براعة[2]، ودربهم على جميع فنون القتال، وزودهم بالسلاح والخيل[3]، ثم أنشأ منهم فرقة قوية من الفرسان برسم حرسه وحجابته[4]. حيث كانت مهمتهم في البداية هي فقط التفرغ لتوفير الحماية لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين من خطر المتآمرين عليه من قبائل المغرب المندسين داخل دولته الناشئة، قبل نشره الأمن بشكل تام[5]، ومن تمرد القبائل التي لم تستفد من ثمار اقتصاد المغازي[6]. لكن لم تظل تلك مهمتهم الوحيدة طويلا، لأن علي بن

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص23 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص25 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص310 ؛ عيوني محمد: دور الرقيق في الحياة السياسية، ص51 .

(2) **أنظر:** حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1997م، ص298 ؛ مغنية غرداين: نظام الحكم في بلاد المغرب، ص175 ؛ سالم أبو القاسم محمد غومة: تطور المؤسسة العسكرية في دولتي الموحدين والمرابطين، كلية الآداب، جامعة الفاتح، ليبيا، 2004م، ص18.

(3) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس، ج2، ص236 ؛ سالم غومة: تطور المؤسسة العسكرية، ص18 ؛ مغنية غرداين: نظام الحكم في بلاد المغرب، ص175 .

(4) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص310 .

(5) هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب، ص145 ؛ سالم غومة: تطور المؤسسة العسكرية، ص18.

(6) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص88 .

يوسف توسع فيما بعد في استخدامهم[1]، وأشركهم في مهام أخرى غير حراسته[2]، لثقتة بولائهم: «لكونهم أقل عرضة للإغراء بتدبير المؤامرات من الأهليين»[3].

ففي عهده أصبح هذا الحرس، وغيرهم من المسيحيين الذي انضافو إليهم ـ وفق توصيف الباحثين ـ جناحاً كبيراً، وعنصرا فاعلا، وركنا أساسيا في الجيش المرابطي[4]. ولا غروا فقد أسهموا معه في حماية القلاع والحصون التي أقامها

---

(1) سليمان مالكي: بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش، ص176.

ـ **اخْتُلف في معنى قول ابن عذارى: «وهو أول من استعمل الروم، وأركبهم في المغرب»** (ابن عذارى: البيان المغرب،، ج4، ص102)، **لكنه بنظرة سريعة داخل أحد معاجم اللغة، سنصل إلى أنَّ معنى اسْتُعْمِلَ فُلاناَ: أَي وُلِّيَ عَمَلاً مِنْ أَعْمَالِ السُّلْطَان** (أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008م، ج2، ص1554)، **أي أن ابن عذارى لم يكن يقصد أن علي كان أول من استعملهم على الإطلاق، وإنما عَنَى ـ على الأرجح ـ أن علي بن يوسف كان " أول " من استعملهم، أي استخدمهم وأوكل إليهم مهام أخرى غير مهمتهم العسكرية الوحيدة سابقا، والمتمثلة في حراسته الشخصية، كاستخدامهم في حماية القلاع والحصون مثلا، وتحصيل الضرائب أو خفارة جامعيها.**

(2) يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص122 ـ ج2، ص236 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص168 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص367.

(3) يوسف أشياخ: تاريخ الأندلس، ج1، ص122 .

ـ رأى أحد الباحثين أن السبب الذى حدى بالمرابطين إلى الإستعانة بهم، هو إضطرارهم لملأ الفراغ الذي خلفته الفرق العسكرية المغربية التي تم إرسالها للجهاد بالأندلس. (حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص381) .

(4) **أنظر:** حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص298 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الأول، ص418 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص168 ـ 169.

المرابطين في بلاد المصامدة لحراستهم وإرهابهم[1]، وفي جباية الضرائب[2]، أو: «لعله من الأدق القول تزويد الخفراء لجباة الضرائب»[3]. كما اشتركوا معه في الدفاع عن المدن المغربية ضد هجمات الموحدين حتى اللحظات الأخيرة من عمر الدولة[4]. كما كان لنجاحهم في كبح جماح العصبيات الموزعة عبر مختلف فروع شبكة الطرق التجارية الغربية الواصلة بين غانة وشمال أيبيريا، والحيلولة بينهم وبين التألب على الدولة ومناوئتها، دوره في استمرار سيطرتها على تلك الطرق لمدة تجاوز عمر الدولة نفسها بكثير[5].

هذا فضلا عما أحدثوه من تطور في صناعة الأسلحة والذخائر، وما أدخلوه من طرق جديدة في القتال، استوحوها من فروسية العصور الوسطى والبيئة الإفرنجية المختلفة كلية عن طرق القتال الصحراوية التي اعتادها المرابطين[6].

كذلك كان لزوجات الأمراء المسيحيات تدخلاتهن السياسية في اختيار أولياء العهد[7]. حيث لم تستبعد إحدى الباحثات من تخطي يوسف ابن تاشفين ابنه

---

(1) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص207 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص381.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص85 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص367 ؛ سليمان مالكي: بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش، ص176 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص168 ؛ رضوان البارودي: عناصر المرتزقة في الجيوش المغربية، ص398.

(3) هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب، ص111.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص98 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص131 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص367.

(5) محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص36.

(6) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص89 .

(7) خوسيه اليماني: الكتائب المسيحية، ص35 .

الأكبر **أبي الطاهر تميم**، ومنح ولاية عهده لأخيه **علي بن يوسف** الأصغر منه: «أن تكون لزوجته فاض الحسن [أم علي الرومية الأصل] يد خفية في ذلك»[(1)].

كذلك ذكر ابن عذارى أن **سير بن علي** لما عَظُمَ عليه ما وُفِّقَ إليه أخوه تاشفين بالأندلس من فتوح، وما اشتهر به من الاستقامة وحسن السياسة[(2)]، شكا لأبيه قائلا: «إن الأمر الذي أهلتني له لا يحسن لي مع تاشفين، فإنه قد حمل الذكر والثناء دوني، وغطى اسمه على اسمي، وأمال إليه جميع المملكة، فليس لي اسم معه ولا ذكر»[(3)]، فقام أبوه بعزله عن الأندلس (531هـ)، وأمره بالحضور إليه، وصيره من جملة من يتصرف بأمر أخيه سير، ويقف ببابه كأحد حجابه[(4)]. لكنه يعود مرة أخرى ليقول أن **قمر** والدة سير: «هي التي غارت بأخيه تاشفين لئلا يكبر على ابنها، ويتملك في بلاد الأندلس، فكانت سبب عزله ووصوله»[(5)]. ويرى الباحث أنه لا تعارض، لأن ما قاله ربما كان بلسانه فعلا، ولكن بتوجيه من أمه، التي كان عظيم الإيثار والإرضاء لها[(6)].

وقد أكد ابن الخطيب على تدخلها هذا، ولكن بدون الشك الذي ظهر في صياغة ابن عذارى للخبر[(7)]. وأكده أيضاً محاولتها إقناع زوجها علي بن يوسف

---

(1) سعاد اليحيان: المرأة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص57، 122.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص 79 ـ 80 .

(3) ابن عذارى: البيان المغرب،، ج4، ص79 ؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص446.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص446 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب،، ج4، ص79 .

(5) ابن عذارى: البيان المغرب،، ج4، ص97.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص447. **وانظر:** سعاد اليحيان: المرأة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص83 ؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص333.

(7) أورد ابن عذارى الخبر بطريقة توحي بشكه فيه، حيث قال: «وذكروا أن والدة سير..». (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص97)، **بينما أتى ابن الخطيب على ذكر ذات المعلومة، ولكن بطريقة توحي بأنه على يقين تام من صحتها، حيث قال: «وهي التي**

منح ولاية عهده لابنه **إسحاق** بدلا من ابنه **تاشفين**، لتمتع إسحاق فوق صغر سنة بميزة أخرى، وهي أنه كان بمثابة ابنها؛ لأن أم اسحاق ماتت وهو صغير: «فربته قمر أم سير، فكان لها كابنها» [1]، ومن ثم كان صغر سنه وميله لقمر ميزتان ستضمنان لها السيطرة عليه .

أي أن سابق سعيها لإخفات ضوء تاشفين بن علي لصالح ابنها سير، لم يكن على ما يبدوا غيرة لابنها أكثر منه رغبة في استقرار الأمر له لتتمكن من السيطرة من خلاله، وهي الرغبة التي سعت لتحقيقها بعد وفاة ابنها سير، بالضغط على علي بن يوسف حتى آخر لحظة من عمر الدولة، ليمنح ـ الطفل ـ إسحاق ولاية عهده. وهذا كله إن دل على شيء، فلا أكثر من دلالته على دورهم في سياسة الدولة وتأثيرهن وفاعليتهن السياسية التي كانت لهن داخل القصر [2] .

البناء الطبقي:

لا نعدم القرائن الدالة على اتخاذ قدامى أهل القلم للمعيار المادي ـ من كسب وسعة مال ـ كأساس للترتيب الطبقي [3] . فقد قسم ابن الحاج التجيبي ـ

=

تسببت في عزل تاشفين وإخماله». (ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص447).

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص97.

(2) أنظر: عبد العزيز بن عبد الله: المرأة المراكشية في الحقل الفكري، مجلة المعهد المصري للدارسات الإسلامية في مدريد، مجلد6، ع1 ـ2، 1958م، ص271 ؛ عصمت عبد اللطيف دندنش: أضواء جديدة على المربطين، ص180 ـ 183.

(3) كمحيي الدين ابن عربي (ت638هـ) الذي انتقد وهو يبذل نصائحه وتوجيهاته الموصلة لحسن الخلق، حقيقة أن الناس «لا يترتب بعضهم على بعض إلا بكثرة الاموال، وبالجاه المكتسب بالمال». (ابن عربي: تهذيب الأخلاق، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، مصر، د.ط، 1986م، ص42)، **وكابن حيون المعروف بالقاضي النعمان (ت 363هـ)، الذي يقول: «إعلم أن الناس خمس طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض. فمنهم الجنود، ومنهم أعوان الوالي من القضاة**
=

مفتي المرابطين وفقيههم ـ المجتمع المرابطي على أساس مادي إلى ثلاثة طبقات: أغنياء ومتوسطي الحال ومقلون[1]. ولم يتوقف الإمام الغزالي المعاصر للمرابطين طوال كتابه إحياء علوم الدين عن المقارنة بين قطبي المجتمع ـ الأغنياء والفقراء ـ في الحالات والمآلات، حتى أنه عقد بابا منفصلا لبيان فضيلة الفقر على الغنى[2]، وَوَصَف الأغنياء بكونهم أصحاب الدراهم والخزائن المترعة[3]. وتابعه في ذلك مؤلفوا كتب المناقب، فقسموا المجتمع المرابطي ـ عبر رواياتهم المنقبية ـ إلى صنفين: أهل اليسار والثروة، والفقراء[4].

بيد أن الباحث حتى وإن كان يتفق معهم ـ في كون الثروة أرضا كانت أو مال هي المحدد الأساسي للوضع الطبقي للفرد ـ لا يسعه التوقف عن لفت النظر إلى أنه هناك ثمة عوامل أخرى ترتبط بطبيعة المجتمع المرابطي، أعطت للطبقة الاجتماعية بعض الخصوصيات.

حيث كان لاعتماد الدولة المرابطية ـ القائمة على مبدأ سلطة الفرد ـ على ما كانت تدره عليها مغازيها وفتوحاتها من غنائم وجزية وخراج، فضلا عما كانت تتحصل عليه جرَّاء تفننها في فرض المغارم والمكوس، ناهيك عن المصادرات، دوره في عدم استقرار الوضعية الاجتماعية للأفرد؛ لارتباط وضعيتهم بامتلاكهم

=

والعمال والكتاب ونحوهم. ومنهم أهل الخراج من أهل الأرض وغيرهم، ومنهم التجار وذوو الصناعات، ومنهم الطبقة السفلى وهم أهل الحاجة والمسكنة» (ابن حيون: دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي (دار المعارف، مصر،1963م)، ج1، 389).

(1) ابن الحاج التجيبي: نوزل ابن الحاج، مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط، رقم: ج55، ص90 ـ 91.

(2) الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ج4، ص201.

(3) الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص22.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص119.

لثروات ووسائل إنتاج تشكلت أساسا من الأموال السلطانية التي درها اقتصاد المغازي[1].

وذلك لأن الأمير كان يقوم بعد جمع الغنائم والاستيلاء على الأراضي، بمنح هذه الأموال وإقطاع تلك الأراضي لوجوه دولته. لكن ليس لفترة طويلة، لأنه كان يعود لانتزاع تلك الأراضي ومصادرة تلك الأموال كلما بدرت من أيهم هفوة أو ذلة، أو احتاج لما ينفقه على مشروعاته التوسعية أو الدفاعية. وشاركهم في ذلك من آلت إليهم أرضهم بالشراء، وثروتهم بالإرث أو التجارة، وعزتهم بتولي إحدى الوظائف المخزنية[2]. ما يعني أن الثروة أو الأرض التي يمتكلها شخص ما، ومعها وضعه الاجتماعي، كانا خاضعين لمزاج الأمير الذي كان يحتكر السلطة هو وأقرباءه وعشيرته، ولتقلبات أحوال دولته الاقتصادية.

مصداق ذلك غير قصص التعيين[3]، والعزل[4]، والنكب والمصادرات التي أوقعها أمراء الدولة بولاتها وأعيانها وكبرائها، فغيروا وضعهم الطبقي بين

---

(1) **أنظر:** إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص121.

(2) **أنظر:** عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ص 131 ـ 133.

(3) **كأبو عبد الله محمد بن عائشة البلنسي الذي استدعاه علي بن يوسف بن تاشفين، فقدمه على حسبانات جميع المغرب، ووضع في يده مقاليد الأمور وحكمه في الأموال فعظم قدره ونبه ذكره، بعدما كان في زمان عطلته ووقت اضطراره وقلته، من العيش أنكده ومن التحرف أجهده.** (أنظر: ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج2، ص314 ـ 315 [تر559] ؛ ابن خاقان: مطمح الأنفس، ص345 ـ 348 ؛ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثالث ـ المجلد الأول، ص889).

(4) **كقول يوسف بن تاشفين في رسالته لأحد ولاته: «أما بعد، فإنه قد قل شاكروك وكثر شاكوك، وقد عزلناك عزلة تحط قدرك وتخمد ذكرك. والسلام».** (ابن ليون التجيبي: لمح السحر من روح الشعر، تحقيق: منال محمد منيزل، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الأردن، 1995م، ص254).

ليلية وضحاها[1]، وصية أبي الوليد الباجي (ت474هـ) المعاصر للمرابطين لولديه، بعدم الاستكثار من الدنيا وحطامها، لكونها تصرف: «وجوه الحسد إلى صاحبها، والطمع إلى جامعها، والحنق على المنفرد بها. فالسلطان يتمنى أن يزل زلة يتسبب بها إلى أخذ عظم في نفسه من ماله»[2].

خلاصة القول أن ذلك التذبذب أفسح المجال لتدخل **عوامل جديدة**، صارت تسهم ـ إلى جانب الثروة ـ في صياغة الوضع الاجتماعي وتحديد الهوية الطبقية للفرد، كـ: «الجاه، والاستناد إلى الأمير، والتقرب من ذوي النفوذ»[3]. كذلك كان للتبحر في مذهب مالك[4]، والمت للأمير بصلة نفس الأثر[5].

وقد عبر ابن خلدون، الذي انبثقت رؤيته على ما يبدو من التجربة

---

(1) **أنظر أمثلة على ذلك عند**: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص13ـ14 [تر31] ؛ ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص134 [تر120]، ص241 [تر220]، ص187 [تر166]، ص126 [تر116] ؛ السملالي: الإعلام، ج2، ص5 [تر125] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص60 [تر175] ـ ج2، ص65 [تر177].

(2) أبو الوليد الباجي: وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط3، 2000م)، ص45.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص129. **وللتفاصيل أنظر**: المرجع نفسه، ص120ـ131.

(4) **هذا ما نستشفه من موقف عبد العزيز التونسي (ت486هـ) المدرس بأغمات، الذي قرر التوقف عن التدريس لما: «رأى جملة من تلامذته نالوا بالفقه الخطط»**. (ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي ـ أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، د.ط، 1965م، ص107).

(5) **هذا ما نستشفه من جموع لمتونة وجدالة ومسوفة التي ما أن وفدت على يوسف بن تاشفين حتى: «ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال، فاكتسبوا الأموال، وملكوا رقاب الرجال»**. (مجهول: الحلل الموشية، ص33).

المرابطية نفسها[1]، عما سبق بقوله: «فلابدّ لصاحب المال والثّروة الشّهيرة في العمران من حامية تذود عنه وجاه ينسحب عليه من ذي قرابة للملك أو خالصة له أو عصبيّة يتحاماها السّلطان فيستظلّ هو بظلّها ويرتع في أمنها من طوارق التّعدّي. وإن لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجوه التّخيّلات وأسباب الحكّام»[2].

وقد تشكل المجتمع المرابطي استنادا إلى هذه الخصائص من ثلاث طبقات:

1: طبقة الخاصة: تكونت من الأمراء وأقربائهم وبنو عشيرتهم[3]. ومن الأوساط القريبة من السلطة[4]، كالوزراء والكتاب[5]، والولاة[6]، وقادة

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص206.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص461.

(3) **ولىّ يوسف بن تاشفين عددا من أقربائه وبنو عشيرته لما وفدوا عليه بمراكش: "الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال، فاكتسبوا الأموال، وملكوا رقاب الرجال". ويقول ابن خلدون: "ثم اقتسم المغرب عمالات على بنيه، وأمراء قومه، وذويه".** (مجهول: الحلل الموشية، ص33 ـ ابن خلدون: العبر، ج6، ص247).

(4) إيفان هربك ـ جان دُفيس: المرابطون (ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام ـ اليونسكو، طباعة حسيب درغام، المكلس، لبنان، ط2، 1997م)، ج3، ص400.

(5) **تشهد لذلك تراجمهم التي كشفت عما اكتسبوه من اتصالهم بأمراء الدولة من جاه ومن رفعة وعظمة قدر. وحسبنا ابن القصيرة كاتب يوسف بن تاشفين، الذي: «ولاه كتب دواوينه، ورفع شأنه وأعلاه».** (ابن الآبار: إعتاب الكتاب، ص223 ؛ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الثاني ـ المجلد الأول، ص240). **وابن عائشة الذي قدمه: «على حسبانات جميع المغرب، ووضع في يده مقاليد الأعمال، وحكمه في الأموال».** (ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب ج2، ص314).

(6) **كينالوا صاحب تاودة (المعروفة اليوم بفاس البالي)، الذي وصل بفضل لمتونيته لحد وصفه بـ "سلطـان الغـرب".** (البيذق: أخبار المهدي، ص24).

الجند[1]، ورجال الدولة[2]، وفقهاء السلطة[3]، وأبناء البيوتات الوجيهة[4]، ممن حازوا الثروة والمجد، واتصفوا باليسار[5]، والوجاهة [6]، والظهور[7]، ووصفوا بالأكابر[8]، وأعيان القوم[9].

---

(1) **حيث عمد المرابطين ـ وقد كانت حظوتهم لا تنال إلا بالغناء والنجدة ـ لإكرام من ظهرت إعانته وشجاعته: «بولاية موضع ينتفع بفوائده».** (مجهول: الحلل، ص28، 121)، **فنمت أحوالهم وكثرت أموالهم وبنو الدور وسكنوا القصور.** (الحميري: الروض المعطار، ص540).

(2) **ولاسيما مشرفوا المدن المكلفون بجمع الضرائب. فقد كان تولي أحدهم هذا المنصب مدعاة لتهنئتة به** (المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج5، ص165)، **ولعل وصف البيذق للجياني مشرف فاس بأنه كان: «له حظ عظيم، حتى لم يكن في زمن الحشم أحظى منه»، يفسر تلك التهاني والتبريكات.** (أخبار المهدي، ص24).

(3) **أمثال أبو بكر بن خلف الأنصاري، وعبد الله بن محمد بن جبل الهمداني** (ابن الآبار، التكملة، ج1، ص181 ـ ج2، ص304)، **ومحمد بن عبيد الله بن حسون الكلبي** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص362)، **وغيرهم ممن اكتسبوا الأموال وكدسوا الثروات بفضل حاجة المرابطين لفتاويهم في شرعنة توجهاتهم، والتنظير لسياستهم الاقتصادية القائمة على نمط اقتصاد المغازي.** (بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص143).

(4) **كبيت بني القاسم بن عشرة في سلا** (ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص388)، **وبيت بني الأزدي، والأوربي بفاس** (الكتاني: زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق: علي بن المنتصر، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ج1، 77، 102)، **وبيت بني دبوس، وبني حمد اليفرنيين** (ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص26).

(5) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، 1997م، ص60.

(6) ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ط، 1908م)، ص167.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص11.

(8) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص84 .

(9) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص220.

2: الطبقـة الوسطـى: اشتملت على شرائع متنوعة كالتجار والصيارفة وكبار السماسرة وصغارالملاك، وأرباب المهن وأصحاب الحرف من أطباء ومهندسين وغيرهم، وأصحاب الوظائف المتوسطة كصاحب الأحكام وصاحب المواريث وصاحب المدينة وصاحب الأحباس.. إلخ[1].

3: طبقـة العامـة: العامة خلاف الخاصة[2]. سموا بذلك لكونهم: «كثيرين لا يحيط بهم البصر»[3]، ولا غروا فقد عُرِّف لفظ العامة بأنه: «اسْـمٌ لِلْجَمْع.. فيُقَالُ: رجلٌ عُمِّيٌّ وَرَجُلٌ قُصْرِيٌّ، فالعُمِّيُّ العامُّ، والقُصْرِيُّ الخاصُّ»[4]، و:«العَمَاعِمُ: الجماعاتُ من الناس، واحدُهُم عَمٌّ»[5].

اشتملت طبقة العامة في بنيتها ـ حسبما يستشف من النصوص ـ على فئتين: نخبة العامة الذين تبوءوا قمة الهرم الاجتماعي للطبقة، وخساس العامة الذين استقر بهم المقام في قاعه. شفعينا في ذلك تقسيم ابن أبي الربيع للعامة إلى نوعين، أولهما: التجار وأهل المراتب، الذين تميزوا بالكسب الدائم والدخل المعتدل والسيرة الحسنة. والآخر: السوقة والجمهور: «وهي أدنى المراتب، وهي مبذولة لكل دنيء النفس»[6]. وَتَفْيِيء الجاحظ المجتمع إلى فئتن: المياسير وأهل الثروة، والعوّام والحشوة[7].

---

(1) **أنظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص159ـ169.

(2) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، ج12، ص426.

(3) الصفدي: نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، مصر، 1911م، ص10.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص426.

(5) ابن سيده: المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1996م، ج1، ص315.

(6) ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، ص83 .

ـ **زادهم الشيزري لثلاث طبقات، حيث قال: «وأما العامة فهم ثلاث طبقات. أخيار، وأشرار، ومتوسطون بين ذلك».** (المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1987م، ص220).

(7) الجاحظ: البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط5، د.ت، ص87 .

ويدفع في الاتجاه ذاته ما ذكره المقري عن قيام فقراء العامة لا كلهم بالكتابة على حيطان جامع الفسطاط بالفحم والحمرة(1)، وما ذكره ابن سعيد عن إساءة شخص من جُهَّال العامة لا جميعهم للرعيني (ت435هـ) قاضي المرية(2)، وما ذكره ابن عذارى عن التماس الجزيري (الثائر) جهال العوام فقط ليدعوهم إلى حركته(3)، وتصديق المستضعفين من العوام وحدهم في أخباره المستحيلة(4). فهذه الشواهد وغيرها تنهض دليلا على اشتمال تلك الطبقة على فئتين اندرجتا تحت مصطلح أشمل هو **العامة**، عامة ذو دخل معتدل وأخلاق سوية، وحشوة من الفقراء والمستضعفين والجهال.

وقد وقفت المصادر **بأنواعها** من طبقة العامة **بشقيها** موقفا معاديا. فكالت لهم الشتائم وصبت عليهم اللعنات، ووصفتهم بأخس الأوصاف وأحط النعوت، وذمت أخلاقهم وسفهت آرائهم وضللت طرائقهم، وقللت من قيمتهم(5).

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج2، ص341.

(2) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج2، ص207.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص207.

ـ لتفاصيل أكثر عن الجزيري الثائر على الموحدين في عهد ثالث خلفائهم المنصور يعقوب بن يوسف (ت595هـ) (أنظر: ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص207 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس، العصر الثالث ـ القسم الثاني، ص179).

(4) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص208.

(5) كوصفهم في كتب السير والمغازي بأحداث الرجال وضعفاء الناس (الزهري: المغازي النبوية، تحقيق: سهيل زكار، دارالفكر، دمشق، 1981م، ص46).

*** وفي المصنفات التاريخية بالجهل وقصر الفهم** (ابن حبوس: كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحرير: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص27)، **وبكونهم سوقة** (ابن القطان: نظم الجمان ص159)، **ورعاع** (ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1908م، ص215)، **وفسقة وأغمار ولصوص** (مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، عناية: لافي بروفانصال (د.ط، مطبوعات معهد العلوم العليا =

=

المغربية، الرباط، المغرب، 1941م، ص202)، **وسفلة** (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص35)، **وأوباش وجهال** (ابن عذارى، البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص207ـ208؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب ج2، ص207)، **وسفهاء وغوغائيين** (ابن أبي ذرع: روض القرطاس، ص96)، **وفقراء وعميان وفاسدين** (المقري: نفح الطيب، ج2، ص27، 341 ـ ج7، ص143).

* **وفي كتب الفقه والنوازل والفتاوى بالضعف والفقر** (ابن الحاج: المدخل، دار التراث، القاهرة، د.ط، د.ت، ج1، ص83 ـ ج4، ص71)، **والمسكنة ودناءة الحال** (الونشريسي: المعيار المعرب ج3، ص30)، **وبالجهل في أمور دينهم** (ابن الحاج: المدخل، ج1، ص156)، **والتصحيف والتحريف في كتاب الله** (عبد القادر الفاسي: الأجوبة الصغرى، تحقيق: علي بن أحمد الإبراهيمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2007م، ص213)،

* **وفي كتب السياسة بالسوقة** (المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: محمد حسن محمد ـ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص46؛ الطرطوشي: سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م، ج1، ص211)، **والضعفاء** (المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، ص102؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ج1، ص219)، **والأخساء الرمادية والغوغاء الأدنياء** (ابن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، دار السلام للنشر، القاهرة، 2008م، ج2، ص340؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ج2، ص475ـ476)، **وباللؤم والسفالة** (المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، ص45)، **والشر، والفساد والظلم والهرج، والعيارة واللصوصية.**

(الطرطوشي: سراج الملوك، ج1، ص200)، **والكذب والتصنع والملق والمراءاة والمزاح والمهاترة** (الطرطوشي: سراج الملوك، ج2، ص573).

* **وفي كتب الأدب بالجهل وضعف العقل** (ابن حيون: المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، لبنان، 1996م، ص59)، **وسوء الأدب** (أبي إسحاق الحصري: جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1953م، ص320)؛ **والخسة والسفاهة والسفالة** (أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، =

وتكتمت عن إبراز دورهم في بناء المجتمع وتطوير الاقتصاد[1]، وبالغت في وصف ضررهم وتجسيم خطرهم[2].

=

د.ط، 2011م، ج1، ص86 - 87)، **وبكونهم رعاع لا يعقلون** (ابن حيون: المجالس والمسايرات، ص57)، **وسفاكين ومخربين، وبأن التشبه بهم نقيصة** (أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ج1، 156 - ج2، ص207 - 208).

* **وفي معاجم اللغة بالشر** (ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص426). **وفي كتب البلدان والجغرافيا والرحلات بالسفالة** (الحميري: الروض المعطار ص112)، **والثقل والغباء** (المقدسي: أحسن التقاسيم، ص229)، **والجهل والتصديق في الخرافات** (ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار الهلال، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص105)، **والبخل وسوء الخلق، وقلة التغاضي والتهور والمفاتنة، والزعارة والمفاخرة بالقتل** (العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص85، 92)، **والسفاهة، وسوء الفهم، والكفر** (ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج2، ص171 - 172 - ج3، ص289).

* **وفي كتب المناقب والتراجم والطبقات بالفقراء المحاويج، والأشرار الجفاة، والصعاليك** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص241 - ج4، ص165 - ج5، ص339)، **والرعاع اللئام الحسدة** (الكتاني: سلوة الانفاس، ج1، ص93)، **الجهلاء، المشاغبين السفهاء، الأوباش** (النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1983م، ص37، 79 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج2، ص171، 173).

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص169.

(2) حيث صورهم بعض أصحاب المصادر كدعاة للفتنة وحملة للوائها، كالسراج والمسعودي اللذين اتهموهم بأنهم همج ورعاع وأتباع لكل ناعق. وابن الازرق الذي أكد أن وجوههم لا ترى إلا عند الشر، وأنهم إذا اجتمعوا ضروا. والطرطوشي الذي وصف تحينهم ساعات الخلل لإثارة الفوضى وإيقاع الفتنة والهرج، بقوله: «وفي زوال السلطان أو ضعف شوكته، سُوق أهل الشر، ومكسب الأجناد، ونفاق أهل العيارة والسوقة واللصوص والمناهبة».
(المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص35 ؛ السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، 1984م، ج1، ص396 ؛ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص819 ؛ الطرطوشي: سراج الملوك، ج1، ص200).

عناصر العامة:

أما عن بنية هذه الطبقة التي ضمت ـ فضلا عن العبيد والمهمشين الذين تدفقوا على مدن المغرب الأقصى بحثا عن مصدر رزق ـ[1]، شرائح اجتماعية متنوعة كالمَهنة والفلاحين وصغار التجار وغيرهم[2]، ممن كانوا يعملون بأبدانهم وأدواتهم[3]، مقابل الأجر التافه اليسير[4]، فكانت كالتالي:

الفلاحون والرعاة: اعتبر ابن عبدون الفلاحين من أهم شرائح العامة، لكون حرفتهم: «هي العمران، ومنها العيش كله والصلاح جله»، لذا أوصى بالرفق بهم، والحماية لهم في أعمالهم[5]. لكن يبدوا من ملاحظة ابن خلدون اللاحق عليه أن دعوته لم تلق آذانا صاغيه[6]. حيث عانى الفلاحون ظروفا اجتماعية مزرية؛ نتيجة تضافر عوامل عدة أسهمت مجتمعة ومنفردة في الحط من وضعيتهم وإجبارهم على مكابدة حياة الفاقة والفقر المذل. كالسياسة الجبائية المجحفة، والكوارث الطبيعية، والتقلبات والفتن السياسية التي كانت تزر بقرنها ما بين الفينة والأخرى[7].

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص170.

(2) المسعودي: التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، د.ط، 1893م، ص104.

(3) اخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، د.ط، 1405هـ، ج1، ص285.

(4) ابن حيون: المجالس والمسايرات، ص53.

(5) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص5.

(6) وصف ابن خلدون الفلاحة بأنها معاش المتضعين، وأكد على اختصاص منتحليها بالمذلة. (أنظر: العبر، ج1، ص493 ـ 494).

(7) أنظر: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص204 ـ 210 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص188 ؛ عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص136.

وقد استوي في الوقوع تحت طائلة هذا الحكم، الفلاحون من **ذوي الأنصبة المحدودة** من الأراضي[1]؛ لأن عائداتها لم تكن تقوم بهم أو تفي باحتياجاتهم[2]، إما: «لقلتها وإما لإثقالها بالعديد من أوجه الاستغلال الجبائي»[3]. وكذا **من لم يكونوا يملكون سوى بعض وسائل الإنتاج** كالبقر والآلات والبذور، فضلا عن قوة ساعدهم. حيث عانوا بدورهم صورا متعددة من أشكال الاستغلال الفلاحي التي كانت سائدة وقتئذ بين ملاك الأراضي والمزارعين كالخماسة[4]، والمزارعة[5]،

---

(1) **حيث تواترت المعلومات عمن زرع فدانا بباب الجيسة بفاس، ومن ورث مالا حلالا من والده الذي اكتسب هذا المال من حراثته بيده في أرضه** (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص70 ـ ق2، ص392)، **ومن تواصى فتيان القرية على حصاد فدانه تبرعا، ومن كان له حائطا يخدمه بنفسه** (ابن الزيات، التشوف، ص113، 134).

(2) **يستشف ذلك مما أورده ابن الزيات على لسان أحد فلاحي الحقبة المرابطية، حيث قال: «كنت مقدورا علي في رزقي، وكان حرثي لا يقوم بي».** (ابن الزيات: التشوف، ص278).

(3) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص188.

(4) **الخماسة: «شركة يخرج فيها أحد المشاركين في الزراعة جميع ما يحتاج إليه من أرض وبذر وآلة. والآخر عمل يده فقط، على أن يكون للعامل جزء من الزرع كالخمس مثلا. وللآخر الذي أعطى الأرض والبذر والآلة، ما بقي من محصول ما تجمع من الغلة».** (عبد الله معصر: معجم مصطلحات الفقه المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م)، ص63. **وأنظر:** الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص150 ـ 151).

(5) **المزارعة: «معاقدة على الزرع بين صاحب الأرض وبين المزارع على أن يقسم الحاصل بينهما بالحصص التي يتفقان عليها وقت العقد. فهي نوع شركة على كون الأرض من طرف والعمل من طرف آخر، على أن تزرع الأرض، وتكون حاصلاتهما بينهما».**

(نزيه حماد: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، دار القلم، دمشق، سوريا، 2008م، ص411).

والمساقاة[1] والمجاعلة[2]. ناهيك من أن أصحاب الأراضي لم يقبلوا استخدام أياً كان في فلاحة أرضهم، بل فقط الشباب طوال القامة أشداء البدن، لكونهم أقوى على انحناء الظهر، وأصبر على الكد في الحر والقر[3]، ولا عزاء لمن فنيت أبدانهم وخمدت بشريتهم.

ولم يكن **الرعاة** أفضل حالا من الفلاحين[4]، فقد أفصحت المصادر عن قيام أحدهم بالرعي مقابل طعامه[5]، كأبي يعزي الذي كان يرعى المواشي مقابلة رغيفين كل يوم[6]. وعن قيام غيره بالرعي مقابل نفقته وكسوته[7]. بل وكان من بين القواعد المتعارف عليها أن يقوم الراعي برعي ما تواضعته الأغنام التي استؤجر لرعايتها بلا أجرة: «حتى تبلغ من السباب والكبر ما تجب له الأجرة عليها»[8].

---

(1) المساقاة: «دفع الشجر إلى من يصلحه، بتنظيف السواقي والسقي والحراسة وغيرها بجزء شائع من ثمره». (محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، 1993م، ص531).

(2) الجعالة: هي أن يغرس فردا لآخر: «أرضه كرما أو تينا، وله في كل شجرة تنبت أو تثمر قدر معين، ولا يتقاضى ذلك إلا بتمام عمله، وهو استقامة النبات أو ظهور الثمر». (كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص91).

(3) أنظر: ابن الحجاج الإشبيلي: المقنع في الفلاحة، تحقيق: صلاح جرار ـ جاسر أبو صفية، منشورات مجمع اللغة العربي الأردني، الأردن، 1982م، ص9 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور سليم ـ سميرالدروبي ـ علي أرشيد، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردني، الأردن، 2012م)، ج3، ص249، 251.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص128، 136.

(5) المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص487.

(6) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص68 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص215ـ 216.

(7) المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص481 .

(8) المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص486.

وعلى عكس ما قد يظنه المرء، فقد كان أرباب المواشي متطلبين في اختيار من يقوموا برعي سائمتهم. حيث كشفت المصادر عن اشتراطهم فيمن يستأجرونه عدة شروط، من بينها أن يكون: «قصيرا خفيف كريم طلق اللسان، شجاعا صابرا على الحر والبرد»[1]، زيادة على شرط آخر هام، ألا وهو الشباب، لكونهم: «في كل الوجوه أقدر من الشيوخ على كل العمل وأطوع في الأعمال، وأحسن وأثبت أبصارا، وأبصر في جميع ما تصرفوا فيه»[2].

الحرفيون والصناع: حثت أمثال العامة على السعي والكد، وذمت العطالة والتبطل[3]، واعتبرت الصنعة: «أول ما ينبغي للإنسان أن يتعلمه»[4]، لكونها أشرف شيء قد يتعلمه: «بعد علمه بمسائل دينه ومحابل شريعته»[5]. ومن ثم لا غرابة في اشتراط إحدى النساء على زوجها عند عقد نكاحها: «أن لا يمنعها من صنعتها»[6]. ولا في تكليف أهل السوس: «نسائهم وصبيانهم التحرف والتكسب»[7]، ولا في كون أكثر أطفال مكناسة: «حاكة يصنعون أشغالهم في

(1) **أنظر:** الطغنري: زهرة البستان ونزهة الأذهان، تحقيق: إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (CSIC)، مدريد، إسبانيا، 2006م، ص104 ـ 105.

(2) الطغنري: زهرة البستان، ص105.

(3) **قالت العامة: «إخدم باطل ولا تجلس عاطل»، وقالت: «الجلوس بلا شغل يحمق».** (ابن عاصم: حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، تحقيق: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م، ص280، 282). **وفي المغرب يقال: «الصنعة إذا ما غنت تستور».** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص69 [حاشية المثل293]).

(4) الإشبيلي: التيسير في صناعة التسفير، تحقيق: عبد الله كنون، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، أسبانيا، مج 7 ـ 8، 1950م / 1960م، ص41.

(5) الإشبيلي: التيسير في صناعة التسفير، ص40.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص278.

(7) البكري: المغرب، ص163.

بيوتهم»[1]، ولا في رغبة أم أبي العباس السبتي تعليمه الحياكة وهو بعد مازال ابن عشر سنين: «ليستعين بذلك، وما يعود به من نفع تعليم الصنعة»[2].

لكن ذلك لا يعني أنهم عاينوا وضعا أرفه من سابقيهم. بل عاشو على العكس: «تحت رحمة أرباب المهن المالكين لوسائل الإنتاج من أرحاء ومعادن ومعاصر»[3]. وقبضوا أجورا لا تغني ولا تسمن من جوع[4]، ما اضطرهم للغش والمماطلة في إنجاز ما التزموا للناس بصناعته[5]، وأحوجهم للجمع بين مهنتين وأكثر[6]، وأرغمهم على الاشتراك مع غيرهم من أبناء مهنتهم في حانوت واحد[7]، أو ممارسة حرفهم في بيوتهم[8].

---

(1) مجهول: الاستبصار، ص188.

(2) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص225 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص459 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص242.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص172.

(4) حيث تواترت الإشارت عمن: «استأجر حدادا بنصف درهم» (ابن الزيات: التشوف، ص197)، **ومن «كان يعمل المراوح من العزف [جريد شجر الدوم] ويتقوت من ثمنها على قلته»** (التميمي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي، 2002م، ق2، ص176)، **ومن كان يعمل خياطا: «ثم سار يوما إلى والدته وأخبرها بضيق حاله».** (ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، ص101).

(5) السقطي: في آداب الحسبة، ص62.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص136، 138 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص274 ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص136 ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص276.

(7) الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، تحقيق: السلمي، فايز بن مرزوق بن بركي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1422هـ، ج2، ص346.

(8) مجهول: الاستبصار، ص188 ؛ ابن يوسف الحيكم: الدوحة المشتبكة، ص117.

ويمكننا ـ إعتماداً على النصوص ـ تصنيف أصحاب الصنائع والحرف إلى ثلاثة أصناف. **الأول**: الصُناع والمعلمين[1]، ممن كانوا يمتلكون أدوات العمل من حيث الآلات[2]، والحوانيت والطرز والمحلات[3]، والعَمَّالون والمتعلمون الذين يساعدوهم[4]. **الثاني**: العمالون الذين لم يكونوا يملكون سوى قوة عملهم. **الثالث**: المتعلمون أو المبتدئون[5]، الذين كانوا يؤجرون أنفسهم أو يؤجرهم أوليائهم لأرباب العمل بواسطة عقود تسجل فيها نوعية العمل ومدته والأجر المتفق عليه[6].

---

(1) ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصُنّاع، تحقيق: محمد أبو الأجفان، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ـ بيت الحكمة، تونس، 1986م، ص78 ؛ ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117.

(2) المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص477.

(3) السملالي: الإعلام، ج1، ص266 ؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص509 ؛ ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصُنّاع، ص78.

(4) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117.

ـ ضمت المشاغل التي كان يملكها الحرفيون صبيانا صغارا ـ أو بمعنى آخر صناع تحت التمرين غير مأجورين في غالب الأحيان ـ ليساعدوهم، وليكتسبوا منهم بمداومة العمل وطول التجربة، المهارة والحرفية اللازمة لإفساح المجال لهم للارتقاء داخل الصنف الحرفي. وبالإضافة للمتعلمين كان يعمل مع المُعلم صُنّاع: «لا يقلون عنه كفاءة ودراية بأسرار الصنعة، ولكنه يختلف عنهم بملكيته لوسائل الانتاج». (أنظر: أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2001م، ص43ـ44).

(5) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117 ـ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص119.

(6) **أنظر عينة لتلك العقود عند:** المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص477، 509، 513ـ الجزيري: المقصد المحمود، ج1، ص320، 327.

أما الحرف التي مارسوها، فقد كان من بينها على سبيل المثال: الحدادة[1]، والخياطة[2]، والحياكة[3]، والخرازة[4]، والوراقة[5]. وأشارت المصادر كذلك للنجارين[6]، والخمارين[7]، والنبيذيون[8]، والحلاجين[9]، والطرازين[10]، والصباغين[11]، والبزازين[12]، والدباغين والصبانين والقصابين والسفاجين والكغداين[13]، والطحانين والفرانين[14]، والصيادين[15]،

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص197.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص316، 370 ؛ التميمي: المستفاد، قسم2، ص138 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص266 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص182.

(3) التميمي: المستفاد، ق2، ص142 ؛ مجهول: الاستبصار، ص188.

(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص102 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص274 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص138 .

- يستشف من إحدى نوازل المعيار أن الخرازة هي صناعة الخفاف والنعال. (الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص420).

(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص409 .

(6) ابن الزيات: التشوف، ص285.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص201 .

(8) البكري: المغرب، ص162.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص331 .

(10) **الطراز هو: «محترف تطريز الثياب بخيوط الحرير وخيوط الذهب».** (ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص301 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج48/ 1، يناير 1973م، ص119).

(11) ابن الزيات: التشوف، ص97.

(12) السملالي: الإعلام، ج1، ص242.

(13) ابن أبي ذرع: روض القرطاس، ص49 .

(14) ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصناع، ص82 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص320.

(15) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعـزي، ص139.

والبنائين[1]، والفحامين[2]، والقصارين[3]، والشراطين[4]، والحصارين[5]، والنَعَّالِين[6]، وصناع الأطباق، والقدور[7].

ولا تفوتنا الإشارة لاشتهار بعض مدن المغرب الأقصى بحرف بعينها. فمثلا كان لأهل فاس: «اليد الطولى في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس»[8]، وصَنَعَ أهل وجدة من صوف شياههم: «أكسية ليس لها نظير في الجودة»[9]، وفَاقت جودة جلود أغمات: «جميع جلود الدنيا، وحُملت منها إلى سائر بلاد المغرب»[10]. وعُمِلَ ببلاد السوس: «من السكر المنسوب إليها ما عم أكثر الأرض.. ومن الأكسية الرقاق والثياب الرفيعة ما لا يقدر أحد على عمله بغيرها من البلاد»[11]، وعُمِلَ بمراكش أنواع سكر في: «نهاية البياض والصلابة ولطافة الذوق»[12]. وامتازت نكور، وجبل مديون (بشرق فاس) ببرانسهما

---

(1) التميمي: المستفاد، ق2، ص143.

(2) البيذق: أخبار المهدي، ص69.

(3) **القصار هو: «معالج الثياب بغسلها ودلكها وتليينها بعد خروجها من المناسج».** (ابن أبي ذرع: روض القرطاس، ص190 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص123).

(4) **الشراط هو: «صانع شريط الدوم المستعمل لربط البضائع».** (ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس، ص303 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص116).

(5) **الحصار هو: «ناسج الحصر المعروفة التي تفرش بها المساجد وبعض البيوت».** (ابن الزيات، التشوف، ص280، 294 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص108).

(6) ابن الزيات: التشوف، ص147.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص268، 414.

(8) العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص92.

(9) مجهول: الاستبصار، ص177.

(10) الحموي: معجم البلدان، ج1، ص225.

(11) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص227.

(12) العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص98.

الحصينة التي لا ينفذ منها ماء المطر[1]، وامتازت نول لمطة بصناعة: «الدروق اللمطية التي لا شيء أبدع منها، ولا أصلب منها ظهرا ولا أحسن منها صنعا.. والسروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل»[2].

صغار التجار: اشتملت تلك الشريحة على قطاع عريض من المنتمين لطبقة العامة، لِمَا كانت تمثله التجارة -كما عبرت أمثالهم- من ضمان من الفاقة والفقر ومكابدة نوائب الدهر[3]. وقد مارس هؤلاء نشاطهم داخل حوانيت كانوا يكترونها بإحدى القيساريات أو الأسواق[4]، سواء الثياب، أو القراقين، أو الخرازين[5]، أو الشقاقين[6]،

---

(1) البكري: المغرب، ص155 ؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 141.

(2) الإدريسي: صفة المغرب ص59.

(3) **قالت العامة: «الحانوت هي إن لم تغذ تعش»، وقالت: «صاحب دكان ما يحتاج بستان».** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص69 [مثل293] ـ ص364 [مثل1602]).

(4) ابن الزيات: التشوف، ص393، 447.

(5) **سوق القراقين هو السوق الخاص بصناع وباعة القرق. والقرق هو حذاء (صندل) نلعه مصنوع من خشب الفلين. أما سوق الخرازين، فَيُستشف من إحدى نوازل المعيار أنها السوق الخاصة بباعة وصناع الخفاف والنعال.** (الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص420 ـ ابن القطان: نظم الجمان ص268 ـ رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة: د. محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1982م -1992م، ج8، ص243).

(6) **الشقاقين: هم بائعي الشقة من الثياب، وهي القطعة المشقوقة شقا مستطيلا. وقد كان الشقاق ـ مع الوضع في الاعتبار أن السوق المشار إليه آنفا كان بسبتة ـ إسما شائعا لتاجر المنسوجات في قرطبة.** (القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكام، ص194 ؛ سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2000م، ج1، ص495 ؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ج2، ص627).

أو الحدادين، أو الغزالين[1]، أو العطارين[2]، أو الحواتين[3]، أو الصيارفة[4]، أو البقر[5]، أو غيرها، عن طريق تقديم أعلى سعر لأصحابها في الموضع الذي يجتمع فيه الناس لكراء الرَّبْع.

لكنهم كانوا يضطرون بعد انتهاء مدة الكراء للقبول بزيادة قيمته، وإلا عَرَضَهُ صاحبه كالسابق لمن يدفع أكثر[6]، لذلك كان يضطر من يعجز عن كراء حانوت يباشر فيه تجارته[7]، إما لافتراش الأرض داخل السوق[8]، وإما للتجول ببضاعته في الطرقات والتطواف بها على البيوت، ودخول الأزقة، وسلوك المواضع البعيدة[9].

أما عن كنه أنشطتهم، فقد أشارت المصادر للصرافين[10]، والخضارين[11]،

(1) السملالي: الإعلام، ج1، ص251، 256 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص475.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص447.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص137؛ ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ج1، ص 336.

(4): ابن الزيات: التشوف، ص100.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص97.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص61 .

(7) **بسبب ارتفاع قيمة كرائه في الغالب. ولا غروا فقد وصلت قيمة كراء حانوت بسوق العطارين إلى ستين دينار. (أنظر:** ابن الزيات، التشوف، ص447).

(8) التميمي: المستفاد، ق2، ص64 [تر12].

(9) ابن الحاج: المدخل، ج1، ص101.

(10) ابن الزيات: التشوف، ص257، 100 ؛ ابن عبد الرؤوف: أداب الحسبة والمحتسب (ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ط، 1955م)، ص85.

(11) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين ـ مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، المغرب، د.ط، 1989م، ص55.

والجزارين[1]، والعشابين[2]، والعطارين[3]، والبقالين[4]، والسمانين[5]، ولبائعي الكنابيش[6]، والملابس البالية[7]، والملح[8]، والأطباق، والقدور[9]، وغزل القطن والكتان[10]، والحطب[11]. وأشارت كذلك لبائعي الأطعمة من حواتين[12]، وهراسين[13]، وسفاجين[14]، ولمن كانوا يعضدونهم في الميدان التجاري من أمينة وصاحة وسماسرة ودلالين[15]، إلى آخر ذلك من وسطاء العملية التجارية.

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص170 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص101-102، 162، 352.

(2) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص67، ابن الزيات: التشوف، ص172.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص168، 257، 447.

(4) التميمي: المستفاد، ق2، ص152.

(5) **هم بائعي السمن. (أنظر:** ابن الزيات: التشوف، ص117).

(6) **مفردها كَنْبُوش، والكنبوش: «صنف من الخمار تلبسه نساء الأندلس والمغرب».** (ابن أبي ذرع: روض القرطاس، ص190 ؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص440)

(7) ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد الجد، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1993م، ج2، ص823.

(8) التميمي: المستفاد، ق2، ص64.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص268، 414.

(10) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص55.

(11) الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص167.

(12) ابن الزيات: التشوف، ص244.

(13) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص55.

(14) **السفاج هو: صانع السفنج، وهي فطيرة كانت تتخذ من الدقيق والزيت.** (ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص305 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص258 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص115).

(15) **الدلال والسمسار والصاحة هم من يجمعوا بين البيّعين، وينادون على السلعة في الأسواق طلبا للزيادة في ثمنها، مقابل جُعْل يأخذوه على ذلك. أما الأمينة فكانت وظيفتها - بحسب السقطي - استبراء الخدم بسوق العبيد والخدم.** =

الأجراء والأكرة: اشتملت تلك الشريحة على قطاع عريض من المنتمين لطبقة العامة، على نحو أكثر اتساعا وتنوعا ربما من كل ما سبقها من الشرائح، والسبب في ذلك كما شرح العباسي راجع إلى أنه: «ما من صنف من الأصناف إلا ويستغني أهل المدينة عنهم إلا الأكرة فإنه لا غناء لأحد عنهم»[(1)].

أما عن خدماتهم التي قدموها للمجتمع، فقد كان من بينها العمل كنجارين ونشارين وفعلة لأصناف البناء[(2)]، وطحانين[(3)]، وحجامين[(4)]، وكنافين[(5)]، وجَنَّانين[(6)]. وحمالين[(7)]، سواء على ظهورهم أو ظهور دوابهم[(8)]. وبوابين عند أحد الأثرياء[(9)]، أو على باب إحدى المدن[(10)]. وملاحين لنقل البضائع

=

(السقطي: في آداب الحسبة، ص48 ـ ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصناع، ص92، 100 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص393 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج4، ص388 ؛ نزيه حماد: معجم المصطلحات المالية والاقتصادية، ص273، 249).

(1) العباسي: آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1989م، ج1، ص135.

(2) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987م، ص384 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص138.

(3) التميمي: المستفاد، ق2، ص84.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص 344 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص123.

(5) البكري: المغرب، ص148 ـ 149 ؛ البكري: المسالك والممالك، ص333 ؛ مجهول: الاستبصار، ص202.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص474.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص274 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص219.

(8) المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص596.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص290.

(10) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص301 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص134 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص310، 469.

في البحر[1]، وخفراء للقوافل[2]، وحراس للأسواق[3]، والمنازل والدروب[4]، وحُفَّاظ للبساتين[5]. وأجراء للصيادين[6]، وَخَدَمة للدواب[7]. ومُنادين[8]، للإعلان عن قرار مخزني، أو عن وفاة أحدهم، أو إيقاع العقوبة ببعضهم[9].

وعملوا كذلك في حصاد القمح[10]، وقلع الحناء[11]، ونقل الزبل[12]، وكري الدواب والجمال[13]، وحفر الآبار[14]، واستقاء الماء[15]، وإحياء الأفراح[16]،

---

(1) ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد، ج2، ص1121.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص99.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص370.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص119، 394.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص255.

(6) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص139.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص35.

(8) ابن الزيات: التشوف، ص126.

(9) كمنادة المنادي بأغمات، كل من هو ساكن بدار قريبة من الجامع فلينتقل منها بأهله وماله في مدة أقصاها ثلاثة أيام، ثم مناداته ثانية بالإذن برجوع الناس إلى ديارهم. (أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص149، 170، 370**).**

(10) ابن الزيات: التشوف، ص103، 113، 278.

(11) ابن الزيات: التشوف، ص257.

(12) ابن الزيات: التشوف، ص436.

(13) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص102 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص246.

(14) التميمي: المستفاد، ق2، ص46 ؛ القصري: نوازل القصري، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2009م، ج4، ص22-26.

(15) ابن الزيات: التشوف، ص341.

(16) حيث أشار ابن الزيات في تشوفه لاحتراف عددا من زهاد المغرب وأولياءه للعب والغناء وضرب الدفوف في الأعراس قبل انخراطهم في سلك التصوف. (أنظر: التشوف: ص311 [تر155]، ص365 [تر191]**).**

وتغسيل الموتى[1]، وقراءة القرآن على قبورهم[2]. وعملوا أيضا كخدمة في الحمامات[3]، وحراس للثياب بها[4]، وخدام في المنازل وخادمات[5]، ومزينين (حلاقين)[6]، وماشطات[7]، وقابلات[8]، ومرضعات[9].

الأيتام: عانى من فقدوا آبائهم نتيجة وفاتهم طبيعيا، أو استشهادهم في إحدى المعارك واقعا مريرا، بعدما أصبحوا بوفاتهم دون ولي يعيلهم[10]؛ لأن كفالة أبناء المجاهدين، فضلا عمن قضوا لأسباب طبيعية، لم تكن من بين اهتمامات السلطة المرابطية[11]. ولعل هذا يفسر التوأمة الحاصلة ـ في مصادر الفترة مدار البحث ـ بين اليُتم، وبين البؤس والشقاء[12].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص285.

(2) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص707 ـ ج4، ص483.

(3) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص66.

(4) التسولي: البهجة في شرح التحفة، ضبط: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ج2، ص469.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص170، 465؛ التميمي، المستفاد، ق2، ص34.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص279 [تر125].

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص278.

(8) التميمي: المستفاد، ق2، ص63، ص142.

(9) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص279.

(10) **أنظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص188.

(11) **يُستشف ذلك من رد زناتة والحشم على تاشفين بن علي لما ندبهم لقتال الروم (530هـ) «لا جواب إلا الفعل، وشرطنا أن تعول أيتامنا». فردهم يكشف عن خوفهم على مستقبل أبنائهم في حالة استشهادهم، لعلمهم أن كفالة أبناء المجاهدين ليست من شيم الدولة، ولا من بين اهتمامات عواهلها.** (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص94).

(12) **أنظر:** الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص272 [مثل1173]؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص139، 225، 279؛ ابن الزيات: التشوف، ص459، 465؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص242، 266، 267.

المستنيرين[1] **: يرى الباحث أنه لا بأس في الاعتقاد بصحة وصف بعضهم للعامة بالجهل**[2]**، ولكن البأس كله يكمن برأيه في تعميم هذا الحكم. لأن صفوف العامة كما اشتملت على سفهاء وجُهَّال، ضمت كذلك مستنيرين كُثر، حاولوا في تعليم هؤلاء الجهال وأبنائهم، وأسهمو في الفصل والقضاء بينهم، والتفريج عنهم**[3]**، وأَمِّهم وقيادة شعائرهم، وكتابة وتوثيق عقودهم، إلى غيرذلك من المهمات التي قاموا بها إحتسابا أحيانا، ومقابل أجر لا يغني ولا يسمن من جوع أحايين أخرى.**

وإن شئت فانظر لإشارات المصادر للفقهاء والمتصوفة والمعلمين ومؤدبي الكتاتيب[4]**، وطلبتهم الفقراء**[5]**. وإشاراتها لأئمة المساجد**[6]**، والوعاظ**[7]**،**

---

(1) عارض محمد الخضر، طه حسين صاحب كتاب: في الشعر الجاهلي، فيما ذهب إليه من كون المستنيرين هم من تميزوا بالثروة والجاه والذكاء والعلم؛ لما يقتضيه هذا التأويل من اعتبار صاحب الثروة مستنيرا حتى ولو هوى به الجهل والغباوة إلى درك سحيق. وذهب محمد الخضر إلى القول بأن الصواب: اعتبار المستنيرين هم من رزقوا العلم وحصافة العقل حتى وإن حُرموا الجاه وتجردوا من الثروة. (أنظر: محمد الخضر حسين: نقض كتاب في الشعر الجاهلي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ط، د.ت، ص53).

(2) أنظر: ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج2، ص207 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص207.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص158 ؛ أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص41 .

(4) ابن الزيات: التشوف، ص106، 147، 156، 184، 187، 272 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص58، 137، 144، 158 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص180، 225 ؛ ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، ص30 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص264 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص219.

(5) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص180 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص272.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص37، 58. السملالي: الإعلام، ج1، ص268 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص114.

(7) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص409 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص369.

والمؤذنين[1]، والمقرئين[2]. وإشاراتها للنساخ، وكتاب العقود والموثقين[3]. والأطباء الذين كانوا يقدمون خدماتهم داخل حوانيت خاصة بهم[4].

المهمشـون: تشكلت تلك الفئة من أهل البطالة والراحات[5]، والفقراء الذين لا مال لهم[6]، ولا مأوى[7]، والمتسولين والشحاذين الذين دأبوا على طرق الأبواب[8]، وارتياد الأسواق، والتجول في الطرقات[9]، وولوج المساجد[10]، وتحين المناسبات الدينية، واستغلال الأعياد الإسلامية في استدرار عطف الناس واستجداء أموالهم[11].

---

(1) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص133 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص71.

(2) التميمي: المستفاد، ق2، ص164.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص280 [تر126] ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص147.

(4) التميمي: المستفاد، ق2، ص74 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص269.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص175.

(6) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص225 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص131 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص266-267.

(7) التميمي: المستفاد، ق2، ص48.

(8) ابن الزيات: التشوف، ص466، 405، 310.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص189، 288، 452، 465 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص25.

(10) ابن الزيات: التشوف، ص246.

(11) **هذا ما يستشف من إفتاء أكثر من عالم واهتمام أكثر من محتسب بالتنبيه ضدهم، والتوصية بمنعهم من ممارسة أنشطتهم بين صفوف المصلين. (أنظر:** ابن عبد الرؤوف: أداب الحسبة والمحتسب، ص74 ؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص24 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص146-147 ؛ الطرطوشي: الحوادث والبدع، تحقيق: عبد المجيد زكي، دار الغرب الإسلامي، د.م، 1990م، ص246 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج2، ص225**)**.

ومن المحتالين[1]، وقطاع الطرق واللصوص[2]، الذين دأبو على السطو على المسافرين[3]، والإغارة على القرى[4]، وسرقة المنازل[5]، والمحلات[6]، والملابس[7]، والبقر[8]. ومن المغنون واللاعبون في الأفراح، وعازفي الزمر وضاربي الدف والراقصات[9]، والحواة، والمهرجون، وأصحاب الحلقة والمشعبذين، والعاهرات اللائي كن يتعاطين البغاء تكسبا للعيش[10]، والأسرى والعبيد[11]، إلى آخر ذلك من فئات المهمشين التي تند عن الحصر.

---

(1) كهذا المحتال الذي أخبر أبي عبد الله التاودي أنه رأى رسول الله "ص" في منامه، وأن رسول الله "ص" طلب منه أن يحضر إليه ويأمره بدفع أثوابه إليه، فدخل أبو عبد الله: «في داره وتجرد من أثوابه ودفعها له من وراء الباب وبقي عريانا».
(ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص219 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص88 ـ 89 ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص273).

(2) المراكشي: المعجب، ص156 ؛ الناصري: الاستقصا ج2، ص24 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص94 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص131، 393 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص269.

(3) كأولاد تبرزوفت الذين سرقوا دابة ابن تومرت بما عليها في الليلة التي أقام فيها بتابرندوست، في طريقه من سلا لمراكش. (أنظر: البيذق، أخبار المهدي، ص26).

(4) كبنو فلان الذين أشار الصومعي ـ دون تحديد إسمهم ـ لقيامهم بالإغارة على ماشية أبي يعزي وجيرانه. (أنظر: الصومعي، المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص127).

(5) ابن عيشون: الروض العطر الانفاس، ص206.

(6) السملالي: الإعلام، ج1، ص269 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص370.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص103.

(8) السملالي: الإعلام، ج1، ص261.

(9) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص311، 365 ؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص82 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج5، ص607.

(10) ابن الزيات: التشوف، ص340 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص192 ـ 193.

(11) أنظر المبحثين المتعلقين بالسودان والمسيحيين في الفصل الاول.

نستخلص مما سبق: أن المجتمع المرابطي تشكل من عدة فئات اجتماعية، كالبربر الذين شكلوا غالبية سكان البوادي والحواضر، والعرب الذين شكلوا العنصر الثاني بالمغرب، بالإضافة للسودان، وأهل الذمة من يهود ونصارى.

رغم اتخاذ المال كأساس للترتيب الطبقي، فإنه لم يكن في عصر المرابطين هو العامل الأساسي في تحديد الهوية الطبقية، بل شاركته عوامل أخرى في صياغة الوضع الاجتماعي وتحديد الهوية الطبقية للفرد كـ: الجاه، والاستناد للأمير، والتبحر في مذهب مالك، إلى آخر ذلك من العوامل.

تشكلت طبقة العامة من فئتين. عامة ذو دخل معتدل وأخلاق سوية، وحشوة من الفقراء والمستضعين والجهال. ووقفت المصادر بأنواعها منهم موقفا معاديا، وكالت لهم الشتائم، وبالغت في وصف ضررهم وتجسيم خطرهم.

ضمت بنية العامة ـ فضلا عن العبيد والمهمشين ـ شرائح اجتماعية متنوعة كـ: الفلاحين والرعاة، والحرفيون والصناع، والأجراء والأكرة. والمستنيرين الذين اجتهدو في تعليم هؤلاء وأبنائهم، وأَمِّهم وقيادة شعائرهم، وكتابة وتوثيق عقودهم.

* * *

الفصل الأول

مظاهر حياة العامة الاجتماعية

ـ تكوين الأُسـرة:

ـ المستوى المعيشي:

المأكل والمشرب

الملبس

المسكن

الأعياد والمناسبات

وسائل التسلية والترفيه

ـ المؤسسات الاجتماعية:

الحمامات

الفنادق

المساج

تكوين الأســرة:

رغم أنه كان هناك بالمغرب شرع يحكم الخاصة والعامة، وعادات وتقاليد وأعراف تنظم حياة الجميع، وتصوغ العلاقات والروابط فيما بينهم، إلا أن ذلك كله لم يمنع من تمرد بعضهم أو خروجهم على تلك الأحكام، وخير دليل على ذلك كتب النوازل والفتاوى، فهما ما كانا إلا لعلاج محاولات البعض الخروج عن أحكام الشرع ومقتضيات العرف.

ولما كان من الصعب تتبع مظاهر حياة مجتمع ما، بعاداته وتقاليده وأعرافه، كان البديل لذلك هو دراسة حياة الأسرة التي تعد صورة مصغرة عن المجتمع الذي تنتمي إليه، لكونها النواة الأساسية لتكوينه. ولمّا كان الزواج هو اللبنة الأولى في بنيان أية أسرة، وتفاصيله من أكثر الأمور التي كان للشرع فيها تحكما وللعرف تدخلا، كانت المشكلات والقضايا التي تعتري وترتبط بتلك العلاقة من أكثر ما تطرق إليه العامة بأمثالهم وأزجالهم، وما تناوله أصحاب النوازل بفتاويهم وأجوبتهم. وذلك نتيجة لمحاولة الكثيرين مخالفة الشرع ولي ذراع العرف ليوافقا أهوائهم، أو ظروفهم وأوضاعهم، التي ألزمها الواقع ما لا تطيقه. ومن ثم صارت علاقة الزواج ـ وما يرتبط بها ـ من أنسب الموضوعات لقراءة المجتمع من خلالها.

شجع الإسلام أتباعه على الزواج، ودفعهم نحو تلك الخطوة بجعلها نصف الدين[1]، لكن مع ذلك لم تكن الاستجابة لهذا المحفز واحدة، حيث أوضحت أمثال العامة أن هناك من اجتهد بصورة ما حتى نجح في إكمال نصف دينه[2]، ومن فقط تمنى ذلك لولا تكاليف الزواج الباهظة، مما أدى به للعزوف عنه، أو

---

(1) قال رسول الله (ﷺ) «إذا تزوج العبد، فقد استكمل نصف الدين». (الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، 2000م، ج2، ص404ـ حديث1916).

(2) قالو: «زوجـوه حـوجـوه»، وقالو: «مـن زوج حـوج». (الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص235، [مثل1035]، ص339، [مثل 1472]).

تأجيله للفكرة لحين استطاعته[1]. حيث كان لبعضهن مطالب كثيرة كُنَّ يتمنين على من يتقدم لخطبتهن تلبيتها، حتى ولو اضطر في سبيل تحقيقها لبيع ملابسه[2]، وإلا قالت له "خَلِّينِي"[3].

لكن تأجيل الزواج أو العزوف عنه لم يكن مرتبطا دائما بثقل النفقات، فهناك من أحجموا عنه لأسباب أخرى كالتفرغ لتعليم العلم[4]، أو للإنشغال عن الدنيا وأهلها بالإقبال على العبادة[5]، أو للخوف من عدم القدرة على معاشرة الزوجة بالمعروف[6]. وهناك من رغب عنه هربا مما يفرضه عليه من التزامات تُحَجِّمُ انطلاقه، وتَلْجِم حريته في الدخول والخروج كما يُحب[7].

ولكن تظل كل هذه حالات فردية. حيث بقي الزواج لدى عامة المغرب وخاصته أمر لا مفر منه[8]، ووسيلة لإنجاب الأبناء، وسببا لتمتين الروابط بين

---

(1) **وهو ما عبر عنه العامة بقولهم: «ما أطيب العرس لولا النفاقة».** (ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص293 ؛ الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص242).

(2) **قالت العامة على لسان هؤلاء الفتيات: «بِع اكْساك وَاعْمِل كَذاك».** (الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص134[مثل 589]).

(3) **إشارة إلى مثلهم القائل: «حليني وإلا خَلِّيني».** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص185[مثل816]).

(4) ابن الزيات: التشوف، ص109 ؛ مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، المغرب، 2005م، ص165. [ترجمة أبو موسى عيسى بن سليمان الرفروفي].

(5) ابن الزيات: التشوف، ص 136، 233، 255، 301.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص161 [ترجمة أبو الطيب].

(7) **وهو ما عبر عنه ابن قزمان بقوله: «أنا تايب يا لَسْ نقول بِزِواجْ - ولا جلوة ولا عروسة بتاج - لا رِياسَةْ غَيْر اللَّعب بالزُّجاج - وَالمَبِيت بَرَّة البيت والطَّعامْ والشَّرابْ».** (أنظر: ديوان ابن قزمان ص89 [زجل21]).

(8) **عبرت العامة عن ذلك بقولها: «الزواج والموت هم لا يفوت» .** (عبد القادر زمامة: الأمثال المغربية، مجلة البينة، ع6، 1962م، ص113 ـ 114 ؛ زكية عراقي سيناصر: المرأة والمثل، مجلة فكر ونقد، ع35، يناير 2000م، ص140).

أفراد الأسرة، وطريقة للحفاظ على إرثها[1]، وحصانة من الوقوع في الرزيلة[2]، ودرءاً كذلك للشبهات، حيث كانت أخلاق أمثال هؤلاء الراغبين عنه دائما متهمة، وسلوكهم محل شك وارتياب[3].

وقد كان للرجال والنساء ـ ضمانا للحصول على شريك مناسب والتمتع بحياة مستقرة ـ شروط ومواصفات، كن يحرصن على توفرها فيمن سيرتبطون بهم[4]. فمثلا دلت أمثال العامة وأزجالهم على أنه كان من بين الصفات التي

---

(1) بلبشير عمر: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9هـ من خلال كتاب المعيار للونشريسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2010م، ص84 ؛ شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي، ص126 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص22.

(2) كهذا الشاب الذي قرر أن يَعِفَّ نفسه بالزواج من إحداهم "زواج المتعة"، رغم علمه بإجماع العلماء على تحريمه. مفضلا أن يتعلق بما دار حوله من الخلاف بين ابن عباس وغيره على أن يطأها بدون أية حُجَّة: «فرأيت التعلق بهذا الخلاف أخف من أن أزانيها». والآخر الذي خاف على نفسه العنت والوقوع في الزنى بعدما مرضت زوجته، وأرسل يستفسر هل يسقط عنه ـ وهذا حاله ـ إلتزامه لزوجته في كتاب صداقها أن لا يتزوج عليها زوجة سواها أو يتسرى أو يتخذ أم ولد.

(**أنظر**: الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص17، 393ـ394).

(3) **أنظر**: الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص243.

ــ عبر العامة عن ذلك بقولهم: «عَازِب وَمُتفَنّق، تُلثَي قَطيم يُفْتَي فِيه»، والقطيم هو: المخنث. (الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص256 ــ ج2، ص379 (مثل1664).

(4) نبهت أمثال العامة على أهمية تلك الخطوة بقولها: «من لا يختار، ما يفقد عار». (أنظر: الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص230، (مثل 1425).

حرص عليها الرجال: حُسن الخُلُق[1]، وجمال الخِلْقة[2]. وكذلك الشُقرة[3]، وطول القامة[4]. كما كانت السِّمْنة واحدة من أهم الصفات[5]، لدرجة أن بعض النساء: «إذا كانت مبدنة وخافت إن صامت اختل عليها حال سمنها، تفطر لأجل ذلك. كما كانت بعض البنات الأبكار يفطرهن أهلن خيفة على تغير أجسامهن على الحسن والسمنة، وكذلك من كانت منهن قد عَقد عليها زوجها ولم يدخل بها بعد، تترك الصوم خيفة على بدنها أن ينقص»[6]، كما كانت النساء بسجلماسة يأكلن حيوان الحرزون، أو ما يسمى آقزيم باللسان البربري، ليسْمُنَّ وَتَخْصُب أبدانهن: «ولذلك كن في نهاية السمن وكثرة اللحم»[7].

لكن كل هذه الصفات كانت تتضائل في الحقيقة أمام أهم شرط كان الرجال يشترطونه في المرأة التي يعتزمون نكاحها، ألا وهو "**البكارة**". حيث

---

(1) عبرت العامة عن ذلك بقولها: «قَردان مُهَاوِدْ، أَخْيَرْ مِنْ غزال ان شَـرُود» (الزجالي، أمثال العوام، ص414، مثل1802)، وقولهم: «اخنيفسة تنوس، خير من اغزالة تهوس»، بمعنى أن الدميمة المؤانسة خير من الحسناء المشاغبة. (محمد بن أحمد أشماعو: من الأمثال المغربية، مجلة التراث الشعبي، العراق، مج12، ع 3-4، عام 1981م، ص93، 103)، وقولهم: «خذ المرا الأصيلة ونم على الحصيرة». (زكية عراقي سيناصر: المرأة والمثل، ص140).

(2) وهو ما أشار إليه ابن قزمان بقوله: نِحِبّك والجَمَال مَحْبُوبْ - وَإِنْ كُنْتَ مَمْنُوع أَو مَحْجُوبْ. (ديوان ابن قزمان، ص389 [زجل134]).

(3) قالت العامة: «أي هو النَّمش ثم افتَشْ». (الزجالي: أمثال العوام ج2، ص17 (مثل476).

(4) بدليل سخرية أمثالهم من قصيرات القامة، حيث قالوا: «أي هي رُكْبَتها، ثَمَّ هي ثَقْبَتْها». (الزجالي: أمثال العوام ج2، ص34 (مثل 122).

(5) قالت العامة: «الشَّحمَ زين ومن فَقدتُّ حَزينَ». (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص34 (مثل121).

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص 487-488.

(7) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 38.

اعتبروها الدليل الوحيد على طهارة الفتاة وعفتها، ومن ثم كان فقدها لها بمثابة الكارثة التي كانت تحل على العائلة بأسرها، وسببا لردها[1]، والحكم بإعادة صداقها: «فإن كان زَوَّجَهَا أبوها أو أخوها فعليه صداقها ويرجع به عليهما، وإن كان غيرهما فهي الغارة فيرجع عليها به»[2]. ولهذا كانت الفتيات ـ حتى وهن يباشرن علاقاتهن المحرمة ـ يحرصن على بقاء بكارتهن، وهو ما عبر عنه العامة بقولهم: «بُسْ واقْرُصْ وَخَلِّ مُويضع العَروسْ»[3].

لكن لم يكن انحدار أخلاق بعضهن هو السبب الوحيد لزوال غشاء بكارتهن، لأن: «العُذْرة قد تسقط من الوثبة وما أشبهها»[4]، كالسقوط: «من دَرجٍ أو سُلَّم دُكَان»[5]. وقد عمد الآباء في حالات كهذه، لإشاعة ماحدث وإفشائه بين الجيران، كما حرصوا على كتابة عقود يثبتون فيها ذلك: «ليدفعوا عنها بذلك العار الذي نزل بها. ولئلا يُظن بها عند بلوغها غير ما حدث بها.. فيأثم الظَّان بها، وتلحقها هي من ذلك غضاضة»[6].

أما عن الصفات غير المستحبة، فكان من بينها: أن تكون الفتاة حبشية، حيث عُدَّ نكاح الحبشية عند المصامدة عارا[7]. كذلك تَلكأ العامة قبل

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص ص385ـ386.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص256.

(3) **أنظر:** الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص132 (مثل 582).

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص133.

(5) الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص67.

(6) الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص67.

ـ **ولمطالعة نموذج عن هذا العقد أنظر:** ابن سلمون الكناني: العقد المنظم للحكام فيما يجرى بين أيديهم من العقود والأحكام، تحقيق: رازق حبيب، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2012م، ص556؛ الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص67.

(7) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص132 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص328 [ترجمة أبو محمد عبد الرزاق الجزولي] ؛ ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، ص36.

الخاصة في زواج من لا مال لها، بدليل تلك المرأة الفقيرة التي لجأت لأبي العباس السبتي رجاء أن تظهر بركته على بناتها الأربعة اللواتي لم يتزوجن بعد، رغم بلوغهن وقدرتهن على الزواج، لأن الناس على حد قولها: «لا يتزوجون إلا مِنْ عِنْد مَنْ كَان لهُ مال»[1]. حيث كان من المقبول عند **بعضهم** التغاضي لمن تملك المال أو ما يقوم مقامه عن باقي شروطهم، وهو ما عبر عنه العامة بقولهم: «لا مليح ولا الدار معها»[2].

لكن هذا لا يمنع من القول أن وجود ما يخل بجمال الفتاة وأنوثتها أو يمنع من الاستمتاع بها، كان مدعاة لعزوف **البعض الآخر** عن الارتباط بها. بدليل ما ورد بإحدى النوازل عن توقف أحدهم عن إتمام خطبته، بعدما حضر إليه من أخبره بزوال أسنان خطيبته العليا[3]، واستفتاء آخر حول الحكم في رد نكاح من لا ثدي لها، أو من كان في فرجها عيب[4]، أو في جسدها برص أو جذام[5]. وقد ذكر ابن سلمون أنه: «إذا اطلع الرجل على أن بالمرأة أحد العيوب المذكورة، وكانت بها قبل عقد النكاح، وأحب الفراق، رفع أمره إلى السلطان فيحكم له بالرد في الحال إن كان لا يرجى بُرؤه. وإن كان يرجى بُرؤه فيؤجلها في الجنون والجذام والبرص سنة، وفي الرتق وغيره من عيوب الفرج على قدر الاجتهاد. ويكتب في ذلك عقد نصه..»[6].

أما فيما يتعلق بالصفات التي اشترطتها النساء فيمن يتقدمن لخطبتهن، فالنصوص التي توفرت للباحث بخصوص العامة لا توحي بأنه كان لهن الحق في

---

(1) السملالي: الإعلام ج1، ص269.

(2) **أنظر**: الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص455 (مثل 1976).

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص158.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص139.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص177.

(6) ابن سلمون: العقد المنظم للحكام، ص551.

القبول أو الرفض أو المفاضلة، حيث أشارت: «أغلب النصوص إلى أن الأب أو الولي كانت له اليد الطولى في تزويج ابنته دون أدنى استشارة»[1]. وإذا حدث وكان لها رأي فيمن سترتبط به، فهو غالبا ما كان يظهر متأخرا، أي بعد إتمام الزواج، ومعاشرة الزوج والإطلاع على صفاته وطباعه.

وقد كان لكل واحدة سببها الذي كانت ترفض من أجله البقاء في عصمة زوجها، وطريقتها الخاصة في التعبير عن رفضها الاستمرار في تلك العلاقة. فمثلا رفضت إحداهن البقاء في عصمة زوجها لإصابته بالجذام[2]، وثانية لأنها: «لا تستطيع الصبر عما يُلحقها به من الضرر فيما يرغب النساء من أزواجهن»[3]، وثالثة لأنه: «يمكث في جماعها مدة طويلة، يلحقها من ذلك ضرر عظيم لا طاقة لها به»[4]، ورابعة لكونه من أهل الفساد والفجور[5]، وخامسة لبخله وقيامه بضربها[6]، وسادسة لمجرد كراهيتها له[7].

كما قرر غيرهن الانفصال عن أزواجهن لمخالفتهم ما سبق وشرطوه لهن على أنفسهم، كزواجه عليها رغم أنه: «شرط لها عند عقد نكاحه إياها على الطوع منه أن الداخلة عليها بنكاح طالق»[8]، أو لقيامه بإخراجها من بلدها[9]،

---

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص25 .

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص93.

(3) ابن رشد: فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ج1، ص185.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص235.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص230.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص131.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص235، 319، 378.

(8) ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ج1، ص173 ـ ج2، ص789 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص94 / ج4، ص431، 432.

(9) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص264.

أو لأنه منعها من زيارة أحد من محارمها من الرجال أو قرابتها من النساء[1]، أو لامتداد يده إلى مالها بغير إذنها[2]، أو لغيابه عنها فوق المدة التي شرطها على نفسه في كتاب صداقها[3]، إلى آخر ذلك من أسباب.

أما عن طريقتهم في التعبير عن رفضهم للاستمرار في تلك العلاقة، فغالبا ما كانت الهرب، حيث كانت الفتاة تهرب إما لأبيها[4]، أو لبيت أمها[5]، أو مع رجل آخر[6]. لكن يبدوا أن بعضهن عانين بصورة لم يكن يكفي معها مجرد الهرب، وإنما كان لابد من الإنتقام، وهذا ما نستشفه من النازلة التي وردت بالمعيار: «عن رجل بات صحيحا في بيته، فأفطر عند امرأته في بيته، فأصابه وجع شديد من ذلك الطعام الذي أفطره عند امرأته، فدخل عليه أناس فقالوا له مالك يا فلان؟ فقال لهم امرأتي أطعمتني في الطعام، إشهدوا إذا مت من هذا المرض فدمي عليها»[7].

ولكن للإنصاف لم تكن إساءة تقدير الأب أو الولي للشريك الأصلح لابنته أو من يتولى أمرها، دائما مقصودة؛ لأنه ربما زوّجها من أحدهم، ثم يَكتشف بعدها أن أخلاقه كانت مصطنعة، وأن تقواه مزيفة، وأنهما كانا فقط مجرد أدوات استخدمها لخداعه وإقناعه بتزويجه من ابنته أو ممن يتولى أمرها: «وأحدث الزوج شرب الخمر ومخالطة أهل السوء.. وقد كان قبل تزوج هذه

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص108.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص48.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص387؛ ابن رشد: فتاوى بن رشد، ج2، ص785.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص48، 319.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص235، 378؛ ابن رشد: فتاوى بن رشد، ج1، ص295.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص46، 90.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص294.

الطفلة يوسم بذلك، لكنه لم يجاهر به ولم يصححه أبو الزوجة ولا ظنه به، ولو علم بذلك ما أباحها له بالتزويج»[1]

مر الزواج عند المرابطين شأن غيرهم من المجتمعات الإسلامية الأخرى بعدة خطوات:

أولاً: الخطبة: كانت الخاطبة هي من تتكفل بالقيام بهذه المهمة، حيث كانت تتولى الاتصال بين الرجل والمرأة، وتبيين صفات كل منهما للآخر[2]، وخصوصا إن لم تكن تجمعهما قرابة، لأنه حينها كانت أسرته هي من تتولى القيام بهذه المهمة[3]. وهذا ما كان يحدث أيضا في حال جمعته بوالدها سابق معرفة، حيث كان يتحدث إليه مباشرة طالبا يدها[4].

وإذا لم يكن للفتاة ولي، توجه إليها شاهدان لينظرا إليها[5]، ويعرضا عليها أمرا الخطبة والمهر. فإن سكتت سكوتا بان منه الرضا، عد ذلك منها قبولا وتمت الخطبة[6]. ومن ذلك قصة البكر اليتيمة التي تزوجت رجلا حضر: «في منزلها مع شهود وأكلوا طعاما، والزوجة في المنزل حاضرة عالمة بذلك غير منكرة، مظهرة للرضى والقبول»[7]، أما: «إن نَكَّرَتْ بالقول أو ما يظهر منها، لم تُزوج»[1].

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص272.

(2) البلوي: العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل، الخزانة الحسنية، المغرب، تحت رقم: 6148، ورقة 112؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص121، 190.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص247، 161.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص248، 298.

(5) **حيث عُدَّ النظر إليها من شروط: «الشهادة على البكر في الاستئمار».** (الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص253).

(6) **لا كسكوت تلك اليتيمة التي عرضوا عليها الزواج فغلب: «عليها البكاء، ولم تصمت منه».** (الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص136).

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص169.

=

ثانياً: الصداق: بعد القبول بالخاطب، كانت أسرته تذهب لمنزل العروس للتحدث مع أهلها، والاتفاق معهم على كل ما يتعلق بالزواج من نقد وهدية وكالئ وما إلى ذلك[2]. وحسبما يستشف من نوازل الفترة محل الدراسة وما قبلها وبعدها، فقد كان الصداق من الموضوعات التي أثارت الجدل بين والد العروس وخطيب ابنته؛ لاشتطاط بعض الآباء في شروطهم الخاصة بالهدية والصداق. حيث تمادى بعض الآباء في شروطهم فزادوا: «مع الصداق هدية كبشا وثورا»[3]، على الرغم من أنه: «لم تجر العادة بتسمية هذا النوع صداقا، ولا يكتب مع جملة ما يكتب في رسم الصداق»[4].

لكن ليس هذا حال الجميع، فقد قبل أحدهم بتخفيض قيمة صداق ابنته من ثلاثمائة دينار إلى مائة وخمسين دينارا فقط[5]، وإذا كان هذا قبل إتمام الاتفاق، فقد أسقط غيره عن زوج ابنته: «من نقدها أربعين مثقالا حين أراد الدخول بها، رفقا به وإحسانا»[6]، رغم سابق اتفاقهم.

=

ـ أورد البرزلي نقلا عن السيوري، أن من صفة استئذان البكر: «أن تخبر أن إذنها أن تسكت، وأنها تزوج إن سكتت. وتخبر بمن تزوجها وما صداقها، وتخبر أن سكوتها يوجب تزويجها ويجزي ذلك. لكن يقام عندها إقامة يعلم أنها لو كرهت لعُـلِمَ ذلك منها». (البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج2، ص328).

(1) ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص80 .

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص247 ـ 248 ـ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1996م)، ص11.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص46.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص46.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص164.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص383؛ ابن رشد: فتاوى بن رشد، ج2، ص1137.

وقد انقسم الصداق الذي كان يتم الاتفاق على جملته مع والد الفتاة أو وليها، إلى **عاجل** أو ما يسمى بالنقد، **وآجل** أو ما يسمى: **بالمهر** أو **المؤخر** أو **الكالئ**[1]. أما **النقد** فكان يدفع كاملا، إما مباشرة بعد الاتفاق[2]، وإما عند البناء والتعريس والدخول[3]، وكان من يعجز عن دفعه كاملا يقوم بتقسيطه. لكن ذلك لا يمنع من أن بعضهم كان يفاجئه موعد الزفاف، وهو بعد مازال غير قادر على إتمام سداده[4]. أما المؤخر أو المهر أو الكالئ فكان يدفع بعد الدخول: «والمهر هو نصف الصداق يدفع بعد الدخول»[5].

وكان لكل طريقته في سداد قيمة صداقه، فهناك من: «تزوج بصداق جميعه حال»[6]، وهناك من قام بدفع: «النصف نقدا والنصف مهرا»[7]، وهناك من كان: «يقلل النقد ويكثر المهر، وهو المؤخر»[8]. كما افترق الناس في

---

(1) **حيث ورد ببعض فتاوى المعيار المعرب للونشريسي قولهم: «المهر عندنا معروف على عاجله وآجله»** (ج3، ص47، 160، 378)، **وقولهم: «وكتب على أبيه الصداق نقده ومؤخره»** (ج3، ص290)، **وقولهم: «دفع النصف نقدا والنصف مهرا»** (ج3، ص263، 164)، **وقولهم: «إلا بصداق مائة دينار نقدا وكالئا»** (ج3، ص96، 222، 404 ؛ ابن سهل: ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007م، د.ط، ص177).

(2) **بدليل ما ورد بإحدى النوازل: «ورجعت والدته وأعلمته بذلك، ثم إن الرجل ووالدته دفعا لوالد البنت النقد، وذلك بعدما أعلمته به والدته ورضي به».** (الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص160، 247).

(3) **انظر:** الونشريسي: المعيار المعرب ج3، ص153، 160، 289، 383 ؛ ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ج2، ص1137 ؛ ابن سلمون: العقد المنظم للحكام، ص194.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص132.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص263، 153.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص263.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص263، 153 ؛ ابن سهل، ديوان الأحكام، ص177 .

(8) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص153، 158، 294-295 .

تأجيل الكالئ، فهناك من كان: «يجعله إلى خمسة أعوام وأقل وأكثر»[1]، ولا غروا فقد زوج أحدهم: «أخته البكر بنقد وكالئ، وجعل للكالئ أجلا عشرين سنة»[2].

وقد اختلفت قيمة المهر بحسب الوسط الاجتماعي للخاطبين واختلاف البيئات[3]، لكنه كان في النهاية خاضعا لاتفاق الأسرتين عليه كما وكيفا. وقد اعتبر الحد الأدنى له: «ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة أو ما يساويهما»[4]، كما كان عبد الله بن ياسين داعية المرابطين لا يتجاوز مهره الأربعة مثاقيل[5].

وكان يتم آداء المهر أحيانا عينا، لكنه إذا دفع نقدا، كان لا يُكتب في عقد الصداق بحسب الدينار المرابطي، وإنما بحسب صرف كل مدينة، وإلا فسد العقد[6]. وبالطبع لم تترك مدة قبضه مفتوحه أو مجهولة، وإلا فُسخ العقد قبل البناء، حيث أفتى الإمام مالك، وأصحابه (ابن القاسم وغيره): «فيمن نكح بمائة نقدا ومائة مؤخرة لم يضرب لها أجل، أنه يفسخ قبل البناء»[7]. كذلك

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص404 . **تأخير الكالئ لثمانية أعوام** (المصدر نفسه، ص406)، **تأخيرالكالئ لعشرة أعوام** (المصدر نفسه، ص261).

(2) أنظر: الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص136، 222 .

(3) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص28.

(4) ابن سلمون: العقد المنظم للحكام، ص199 ؛ الغرناطي: الوثائق المختصرة، تحقيق: إبراهيم بن محمد السهلي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ص94. **وانظر:** ابن سهل: ديوان الأحكام الكبرى، ص178 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص80 .

(5) البكري: المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج2، ص356 ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص16.

(6) مجهول: كتاب في الفقه، الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط ـ رقم 2198، ورقة 63. **نقلا عن:** بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص28 .

(7) ابن سهل: ديوان الأحكام، ص178 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص80.

كان عدم تحديد العين حسبما ورد بمعيار الونشريسي مدعاة لفسخ عقد النكاح: «فإن كان أخذ لها في صداقها أرضا مجهولة كما زعمت، انفسخ النكاح ولم يجز»[1].

وبعد إتمام الإتفاق بين العائلتين، الذي كان يتم عادة في بيت والد العروس على شرف وليمة ضخمة[2]، كانت النساء يولولن (يزغرطن) فرحا وابتهاجا[3]، ويُشْهَرُ في القرية أن فلان تزوج من فلانة ابنة فلان، فتهنأه: «قرابته وأصحابه رجالا ونساء»[4]، ويهنئها الناس ويسمونها: «بامرأة فلان»[5]. كذلك كان من: «عادة الناس حين يتزوجون ويكونون في الأملاك»[6]، أن يُتحف الواحد منهم خطيبته أو لنقل زوجته في الأعياد والمناسبات ببعض الهدايا المناسبة لوضعه الاجتماعي[7]، ولذلك كانت هدايا العامة لا تعدو:«الخفين والجوربين ونحوهما»[8]، كـ: «الحناء والصابون والفاكهة»[9].

(1) الونشريسي: المعيار المعرب ج3، ص222.

(2) **سَمَّتْ إحدى نوازل المعيار إجتماع أهل العروسين للاتفاق، والطعام المقدم في هذه المناسبة بـ "مجلس وليمة عقد الصداق"** . (الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص206).

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص96.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص247.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص96.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص96.

(7) **بدليل ما رُدّ به على من استفتى عن أحقية العروس في الهدايا التي يهديها الأزواج إلى زوجاتهم قبل البناء، كالخفين والجوربين ونحوهما، بأنه: «يقضى عليه بها على قدره وقدرها، وقدر صداقها»**. (الونشريسي: المعيار المعرب ج3، ص406).

(8) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص406؛ ابن سهل: ديوان الأحكام، ص195 .

(9) الونشريسي: المعيار المعرب، **ج3، ص96** .

ثالثاً: عقد القران: بعد انتهاء فترة الخطوبة كان يتم إبرام عقد النكاح في أحد المساجد القريبة، على يد القاضي أو صاحب الأنكحة (المأذون)(1). حيث كان من عادة بعض المدن كتازا(2)، وسجلماسة: «أن يعقدوا أنكحتهم بالسحر في المسجد»(3)، تبركاً به ورجاء أن يُثمر هذا النكاح ويستمر. أما في المناطق البعيدة كالقرى والحصون فقد كان إمام المسجد هو من يتولى القيام بتلك المهمة: «لضرورة بعد القاضي عنه»(4). أما لو تعذر فإن أهل العروسين كانا يستدعون أحد العدول من النواحي القريبة، أو يكتفوا بأهل القرية، أو بخمسة أشخاص من أهل المرأة للشهادة على صحة الزواج في حال ما إذا كانت القرية نائية(5). بيد أنه في مدن أخرى كفاس كان يتم إبرام عقد النكاح في بيت والد العروس، أو ربما كان يعقد في البيت ويشهر في المسجد. أيا ما كان فقد جرت العادة أن يقدم أهل العروس لمن حضر إبرام العقد من شهود وإخوان وجيران الكعك والحلوى(6).

---

(1) كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص13 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص97 .

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص97 .

(3) ابن الزيات: التشوف، ص98.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص198، 121.

(5) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص27.

(6) هذا ما نستدل عليه من وصف أبي الخطاب عمر ـ الذي انتقل أباه قديما من بلده لنائرة العدو فاستوطن فاس إلى أن توفى بها بعد الأربعين وخمسمائة ـ لعقد نكاح أخته، حيث قال: «لما احتاج والدي إلى عقد نكاح أختي مع متروجها، قال لي: يا عمر، كلم من الشهود والإخوان من يحضر عقد النكاح، قال: فكلمت جماعة من الناس، فلما كان من الغد واجتمعوا أمر باشتِرَاءِ ثُمن قنطار من حلواء، وربع قنطار من الكعك، فاشتُرى ذلك، فلما حَضَر قلت: هذا ما لا يقوم بمن دعوته، فقال لي: كم كلمت من الناس؟ قلت: نحو مائة وخمسين، فقال: يكفيهم». (أنظر: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص60 ـ 62 [تر117]**).**

وكان عقد النكاح يشتمل على عدد من الشروط التي يحددها الطرفان: «رغبة منهما في تفادي ما قد يكون سببا في تعكير صفو حياتهما الزوجية في المستقبل»[1]. وقد لخص أبي إسحق الغرناطي هذه الشروط التي ذكر أن عددها سبعة، في معرض حديثه عن صيغة عقد الصداق بقوله: «وتذكر الشروط السبعة على الطوع، وهي: التزويج، والتسري، واتخاذ أم الولد، والمغيب، والإضرار، والرحلة، والزيارة، وعقد ذلك بيمين أو تمليك أو طلاق، إن فعل ذلك بغير إذنها»[2].

رابعاً: إعداد الجهاز: كانت أسرة العروس تبدأ مباشرة بعد عقد القران ـ وقبل البناء ـ في إعداد جهاز ابنتها[3]. وقد كان بعض الآباء أو أكثرهن يساراً، يتهيأن لهذه الخطوة قبلها بسنوات، حيث كانوا: «يعدون للبنات في صغرهن من الهبات والعطايا ما يكون بجهازهن» [4]، أما سواهم فقد كان الفقر يجبرهم على تجهيزهن: «بقدر النقد مما يعرف أنه جهازها جار عندهم»[5].

وهناك أيضا من أبرز لابنته: «شورة أكثر من قيمة النقد»[6]، ولكن عادة ما كان ذلك: «على وجه التزيين والإصلاح عليها»[7]، «لا على طريق

---

(1) شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي، ص132.

(2) الغرناطي: الوثائق المختصرة، ص97 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج2، ص185.

(3) **بدليل ما ورد بإحدى نوازل المعيار: «إنما الشورة عند البناء».** (الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص142).

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص246.

ـ كان هذا حال الخاصة، أما العامة فحالهم كحال أبي العباس السبتي، الذي قال فيه السملالي: «وابنته صغيرة، ما وجدت ما تتجهز به». (السملالي: الإعلام، ج1، ص266).

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص117.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص122.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص125، 405، 122.

العطية»[1]. وهو ما أثار مشاكل عدة، أحيانا بين الزوج وأبي الزوجة الذي كان يأتي بعد الزواج مطالبا: «بتثقيف ماكان أبرزه لها وأخرجه عن بيت بنائها، إلا مقدار نقدها»[2]، وأحيانا بين الزوجة وإخوتها الذين كانوا يطالبونها بعد وفاة أبيهم بحظهم من الحلي والأسباب التي تحت يدها، محتجين عليها بأن العادة الجارية ببلدهم: «أن الرجل إذا جهز ابنته بحلي أو غيره، إنما هو على معنى العارية والتجميل بيد الابنة وإن طالت السنون»[3]. وهو ما يعكس ـ رغم كل ما سبق ـ مدى اهتمام الأهل بتشريف ابنتهم، عن طريق إظهارها في ثوب الغنى، حتى وإن كان هذا عكس حقيقتهم جميعا.

وقد اتصف جهاز العامة بالبساطة، حيث لم يزد في كل حال عن فرش، ولحاف، وبساط، ووسائد، وبعض الحلي، والثياب[4]، كـ: «الغفارة والمحشو والقميص والسراويلات»[5]. وغالبا ما كانت: «الجارية البكر تتخذ الشورة في بيت أبيها بصنعة يدها أو يد أمها، أو يشتري لها ذلك أبوها»[6].

خامساً: الزفاف: بعد الانتهاء من إعداد الجهاز، كان يتم الاتفاق على موعد الزفاف، ويبدأ الاستعداد لإقامة وليمة العرس التي لا تدع النصوص ـ على حد تعبير أحد الباحثين ـ مجالا للشك فيما كانت تتطلبه من نفقات باهظة[7]. حيث كان الزوج يرسل إلى بيت زوجته، هديتها المتمثلة في الثورين[8]، أو الكبش والثور[9]،

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص122.
(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص122 .
(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص36 ـ ج9، ص128 .
(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص116 / ج9، ص128.
(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص122.
(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص126.
(7) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص29.
(8) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص43.
(9) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص46.

اللذين سبق واشترطهما أبوها أو وليها عليه، ليُصنع منهما طعام الوليمة كما جرت العادة[1]، حيث كان من عادتهم في الهدية، أنهم كانوا: «يُطعمونها لأهل العروس والعروسة وغيرهم»[2]. كما كان من عادة الناس أيضا إذا تزوج الرجل، أن يُهْدِي إليه إخوانه الشياه[3]، والكباش والجَزُور والخبز، والدراهم والدنانير[4]. وكما يستشف من بعض النصوص فقد كان هذا الطعام الذي يصنع في بيت الزوجة سبباً في إدخال السرور إلى قلبها[5]، وفي جلب العار لأبيها، في حال ما لو قصر فيه: «... احبس العجلتين عندك، واذبح من متاعك ما يزيل عنك العار»[6].

وغير تقديم ما يلزم لإعداد الوليمة، جرت العادة كذلك أن يرسل الزوج إلى زوجته بعض المال، لتستعين به قبل الزفاف على شراء ما يلزمها من: «طيب وصباغ وحناء وكذا كراء حلي»[7]، وهو ما سمته إحدى نوازل المعيار بـ "**حق العروس**". وهو شيء لم يقضي به الشرع، وإنما أسسه الناس ـ حسب نازلة أخرى ـ لأن النقد كان يصرف كله في الثياب والشوار[8].

ولم تكن العروس تألوا في تلك الليلة أي جهد في سبيل الظهور بأبهى حلة وأجمل صورة، بمساعدة الماشطة التي كانت تقوم: «بدهان جسدها ووجهها ببعض الطيوب والأصباغ التي تُظهر جمالها» نظير أجر معين[9]. لكنها ليست

---

(1) بدليل ما ورد بإحدى نوازل المعيار: «فأخذ ما جرت به العادة من الهدية فصنع به طعاماً». (الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص129، 92).

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص92.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص156 .

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص180 ـ 181.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص129.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص43.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص156.

(8) أنظر: الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص156.

(9) كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص16.

=

وحدها من كانت تحرص على جمال منظرها وحسن هندامها في تلك الليلة، بل وكل النساء المدعوات للعُرس، وخاصة قرابة العروسين. كزوجة أحدهم التي طلبت من زوجها شراء كسوة جديدة، لتحضر بها عرس أخيها[1]. أما الحلي، فقد كن يلجان ـ في حالة افتقارهن لما يتزيّن به ـ لاستعارته من إحدى الجارات، وأحيانا ما كان يترتب على ذلك حدوث مشاكل بينهن وبين أزواجهن، وذلك لأن بعضهن كن يفقدن في غمرة انشغالهن بعض قطع الحلي المستعارة تلك: «فخرج زوجها من أجل ذلك، وقال لها إن لبست بعد هذا حاجة غير متاعك، فأنت علي حرام»[2].

وفي المساء كان يقام حفل الزفاف، وتوقد الشموع والقناديل والثريات[3]، ويستدعي الراقصون والمغنون وضاربي الدفوف، الذين كانوا غالبا من السودان: «ورجال السودان يلعبون الثقاف بالحديد ويرقصون، ونساؤهم يضربن آلة اللعب ويغنين»[4]. ونقول غالبا لأنهم لم ينفردوا بذلك على ما يبدوا، حيث ذكر ابن الزيات أن عددا من زهاد المغرب وأولياءه احترفوا الغناء واللعب وضرب

=

ـ أَجمل ابن قزمان وصف ما كانت تتخذه النساء من مظاهر الزينة في تلك الليلة بقوله: «وقد زينت العيون بالتكحيل، والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل، وطوقت الأعناق بالعقود، وضرب العكر في صفحات الخدود، ومد بالغالية على مواضع السجود، وأقبلت صنعا بأوشيتها، وعنت بأرديتها، ودخلت العروس في حليتها، ورقمت الكفوف بالحناء، وأثنى على الحسن وهو أحق بالثناء، وطلقت التوبة ثلاثا بعد البناء، وغص الذراع بالسوار، وتختم في اليمين واليسار». (ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص502).

(1) ابن الزيات: التشوف، ص173 [ترجمة ابن حرزهم].

(2) أنظر: الونشريسي: المعيار المعرب ج4، ص232.

(3) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص29.

(4) ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج5، ص607 ؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص82 .

الدفوف في الأعراس، قبل انخراطهم في سلك التصوف[1]. وغير ضاربي الدفوف أشارت أمثال العامة وأزجالهم لعازف المزمار الذي كان يتميز بزيه الخاص وبمظهره الذي: «بلغ الغاية في التأنق»[2]، وأشارت كذلك لِتيههم وتَدلُّلهم لاشتداد الحاجة إليهم وكثرة الطلب عليهم لاحياء هكذا مناسبات[3]، هم والراقصات اللائي كن يرقصن كاشفات الرأس[4].

وأشارت إحدى نوازل المعيار لإقبال العامة - أقارب وجيران وغرباء - على حضور الأفراح، للإستمتاع بمشاهدة الرقص واللعب وسماع الموسيقى والغناء، حيث تقول: «وَصِفَةُ العُرس أن يحضر المزامير... وإذا كان بالليل... يجتمع أهل الموضع الرجال معهم النساء فوق أسقف الديار، وعلى الجدران والطرق»[5]. كما أشارت أمثال العامة وأزجالهم إلى أن بعضهم لم يكتفوا فقط بمجرد المشاهدة، بل كانوا يقومون بفتل أكمامهم والتقدم لمشاركة المحتفلين في الرقص على الغناء[6]، رغم أنهم لا يمتون للعروسين بأية صلة، أو تجمعهم بهم سابق معرفة[7].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص311 [ترجمة أبو إسحاق الصنهاجي 155]، ص365 [ترجمة أبو عبد الله الأزكاني 191].

(2) الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص250.

(3) **هو ما عبر عنه العامة بقولهم: «دَلَّـت زامر في مَكَـبَّة عروسْ»**، وبقولهم: «مَنْ يُعِير بُوق في يَوِمْ عُـرْس. (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص212، (مثل938) ـ ص296 [مثل1275]).

(4) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص51.

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص251.

(6) **يقول ابن قزمان: «فتلت أكمامي للرقص على الغنا»**. (ديوان ابن قزمان، ص130 [زجل37]).

(7) **هو ما عبرت عنه العامة بقولها: «يَرْقُص وَلا يَدْري في عُرس مَنْ»**. (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص437 [مثل 2066]).

وبعد انتهاء الحفل كانت الزوجة تدخل مع زوجها إلى غرفتهما، بينما تنتظرهما على بابها إحدى النساء: «حتى تُفتض، ويسلم لها الزوج ثوبا ملطخا بالدم، فتذهب والثوب في يدها إلى المدعوين لتعلن لهم بأعلى صوتها أن العروس كانت بكرا»[1].

وكانت الفتاة قبل مغادرة بيتها باكية على مفارقة أهلها[2]، يُوصُونَها بِبِرِّ زوجها وطاعته، وهو ما نستدل عليه من النصيحة التي وجهها المعتمد بن عباد من سجنه بأغمات لابنته بثينة بأشبيلية: «بُنَيَّتِي كُونِي بِه بَرَّة .. فَقَدْ قَضىَ الوقتُ بِإسعافِهِ»[3]. كما جرى العرف أن يقصد العروسيين بعد انتهاء مراسم الاحتفال التي كانت تمتد لسبعة أيام[4]، أحد الصلحاء: «برسم الدعاء لهما والتبريك عليهما»[5].

وهذا ليس كل شيء، لأنهما وببساطة كانا يسطران باجتماعهما فصلا جديد في تاريخ أسرتهما الناشئة، حيث كانا يبدآن ـ بعد تسعة أشهر من دخولهما ـ الاستعداد لاستقبال مولودهما الجديد. وغالبا ما كان عامة المغرب ـ شأن الرجال في كل عصر ـ يفضلون إنجاب الذكور على الإناث، بل إن الواحد منهم ربما دفعته بشارة أحد الأولياء، أنه ستهدى إليه: «جارية حبشية يرزق منها ولدا»، لتحدي أعراف قبيلته التي كانت ترى نكاح الحبشية عارا وتزوجها [6]، لأنهم كانوا يعتبرون

---

(1) **أنظر:** الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص256.

(2) **عبرت العامة عن ذلك بقولها: «قالت أم العروسة لبنتها: كَاع بكاو ومشوا ابنيتي»، بمعنى أن كل عروسة تبكي ليلة زفافها، رغم أنها متشوقة للذهاب إلى بيت زوجها.** (محمد بن أحمد أشماعو: من الأمثال المغربية، ص95، 105).

(3) المقري: نفح الطيب، ج2، ص285.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص207.

(5) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص41.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص328 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي في مناقب أبي يعزي، ص132.

الذكور ـ فوق كونهم امتدادا للأسرة ومكانتها ـ وسيلة لتأمين حياتهم وإعانتهم على مواجهة أعبائها[1]. ولم تكن تلك نظرة الآباء وحدهم بل وكذلك الأمهات[2].

أما الأنثى فقد اعتبروا مسؤوليتها هما يلازم الأسرة للممات[3]، وخنجرا في خاصرتها يجبرها على مصاهرة الأَرْذَال[4]. ومن ثمة لا غرابة في لجوء بعض العامة لصلحائهم كي يدعوا لهم أن يرزقوا أولادا ذكورا[5]. كما عبرت أمثال العامة عن رغبة الرجال في إنجاب التوائم، وأشارت كذلك لطريقتهم التي اعتقدوا أنها وسيلة لحدوث ذلك[6]، وهو ما يعكس رغبتهم ليس فقط في إنجاب الذكور، بل وفي كثرة الولد.

وقد ذكر الأطباء أن للحمل عدة علامات من بينها غوار العينين وعمقهما، وتغير بياض العين إلى الكمودة، وسكون أوجاع المرأة في رأسها أو وركها، ونفورها من الجماع وكرهها للمباضعة، وارتفاع ثديها[7]، وقلة شهيتها للأكل، والغثيان،

---

(1) **أنظر:** بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص33، 35.

(2) **وهذا ما يستشف من تمثلهم بقول: «المرا بلا ولاد بحال الخيمة بلا وتاد».** (زكية عراقي سيناصر: المرأة والمثل، ص140).

(3) **عبرت العامة عن ذلك بقولها: «هم البنات للمات».** (الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص243)، **وقولهم: «وَي على من مات وخلَّى سبع بنات».** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص452 [مثل1965]).

(4) **عبرت العامة عن ذلك بقولها: مَنْ كَـثُر ابْنَـاتُ، كانوا الكِلابْ اخْتَانُ».** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص334 [مثل 1446])، **ومن أمثال فاس: «اللي كثروا بناته، تايعمل الكلاب نسابو».** (الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص334، [حاشية المثل رقم 1446]).

(5) ابن الزيات: التشوف، ص357.

(6) **عبر العامة عن ذلك بقولهم: «زِدْ للحُبلَ نيك تجيكْ بالتوأم».** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص232 [مثل1023]).

(7) **أنظر:** عريب: خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين، تصحيح وترجمة: نور الدين عبد القادر ـ هنري جاهية، مكتبة فراريس، الجزائر، 1956م، ص28).

والميل إلى الحوامض[1]. وذكر السقطي أنه كان يوضع تحت المرأة لمعرفة حملها من عدمه: «بخورا أو عنبرا، ويمنع من أن يخرج من أردانها أو على ثيابها. فإن ظهرت الرائحة على فيها فهي حامل، وإن لم تظهر فليست حامل»[2]. وأكد الأطباء على أنه من الضروري أن: «تطاع شهوتها زمن الوحام»[3]؛ لذلك حرص العامة ـ طوال فترة الحمل ـ على تحقيق رغبات زوجاتهم، وتوفير ما تشتهيه أنفسهن من مأكولات[4].

ومع اقتراب عملية المخاض كانت تَجِدُّ على المرأة بعض الأعراض، كأن تجد ثقلا في ظهرها وأسفل بطنها، وينتصب رحمها، ويكثر بولها، الذي ربما خرج ومعه القليل من الدم لنزول المشيمة. حينها كانت تُستدعى القابلة لترشدها إلى فعل الأشياء التي من شأنها تسهيل عملية الولادة عليها. كأن تطلب منها أن تتمشي قليلا، أو تجعلها تصعد الدرج ـ إن كان بإمكانها ذلك ـ[5]. وأشار ابن زهر إلى أن من علامات الولادة الطبيعية أن ترى: «المرأة تنزجر إلى أسفل، وتشتاق أن تتنسم الهواء، ويهون عليها ما هي عليه من النفاس، ويسرع خروج الجنين»[6]، ويكمل: «فإذا رأيت هذه العلامات، فينبعي أن يعصر بطنها لكيما ينحدر

(1) **أنظر:** داود الأنطاكي: نزهة الأذهان في إصلاح الأبدان، تحقيق: محمد ياسر زكور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2007م، ص151.

(2) السقطي: في آداب الحسبة، ص52 .

(3) داود الأنطاكي: نزهة الأذهان، ص151.

(4) التميمي: المستفاد، ج2، ص186، 189 [ترجمة أبو عبد الله الدقاق] ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص268، 270.

(5) **أنظر:** عريب: خلق الجنين، ص45ـ46 .

(6) علي محمد علي سميم: دراسة وتحقيق المقالة الثلاثين من كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لمؤلفه أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مصراتة، ليبيا، 2003م، ص297.

الجنين بسرعة»[1]. فإذا عسر عليها الطلق واشتدت آلامها، أُجلست على كرسي الولادة[2]، وتولت ثلاثة نساء الإمساك بها: «امرأة عن يمينها وامرأة عن شمالها، فيلزماها لزوما قويا ويشجعانها على الولادة ويهونان عليها أمره، فإن ذلك مما يطيب نفسها ويقويها، وتجلس امرأة أخرى خلفها عند ظهرها لتستند إليها إذا أرادت أن تستلقي إلى ورائها، ولتكن القابلة جالسة بين يديها»[3].

وقد أشار ابن الأحمر لواحدة من الخرافات التي ارتبطت في أذهان العامة بقدرتها على تخفيف آلام المخاض على من تعسرت ولادتها. حيث ذكر في معرض حديثه عن مآثر يوسف بن تاشفين، أن الحوامل بمراكش كُن: «إذا عسرت عليهن الولادة، يأخذن سراويله ويجعلنها في أرجلهن فيلدن من حينهن من بركته»[4]. كما كانت هناك طريقة ثانية اعتقدوا في قدرتها هي الأخرى على تيسير عملية الوضع. ملخصها أن مؤدب الكتاب كان يقوم بإرسال صبيان المكتب ـ كلما علم بتعثر الوضع على إحدى الحوامل ـ وفي يدهم رداء: «يمسكون بأطرافه، ويتجولون في طرقات المدينة مرددين بصوت عال: (آنفيسة طال بها النفاس، يارب واعطها الخلاص، حرمة طه ويس والقرآن الحكيم)، وأصحاب الدكاكين والمارة يلقون التين والتمر والدراهم والبيض في الرداء، ويزور الصبيان أشهر أضرحة الصالحين بالمدينة ويغطسون الرداء في سقاياتها، ولا يزالون يفعلون ذلك إلى أن تتكسر بيضة أو عدد من البيض الموجود في الرداء فيعتقدون حينئذ أن الحامل وضعت، أو أن النفساء تخلصت من أوجاعها، حينئذ يعود الصبيان إلى المكتب، ويستحوذ المؤدب على ما في الرداء من مال ومواد»[5].

---

(1) علي محمد سميم: التصريف لمن عجز عن التأليف، ص297.

(2) **أنظر:** علي محمد سميم: التصريف لمن عجز عن التأليف، ص298.

(3) عريب: خلق الجنين، ص46ـ47.

(4) ابن الأحمر: بيوتات فاس، ص30.

(5) الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص59/ حا124.

كان اليوم الذي تستقبل في الأسرة مولودها الجديد من أكثر أيامها فرحة وسعادة، ولاسيما إذا كان المولود ذكرا، وهذه الحقيقة كانت ما سيتسرب لمشاعرنا لو أننا سمعنا هذا الرجل وهو يقول لأبو يَلْبخت مفتخراً: «وقد ولد لي مولدا ذكرا»[1]، بعدما لجأ إليه ليساعده في توفير ما يطعم به زوجته النفساء. وحسبنا مثالا على ذلك أيضا الفرحة الغامرة التي انتابت أم المهدي ابن تومرت لما أنجبته، يقول البيذق: «ولما وُلِد فرحت به أمه وسُرَّتْ، وقالت باللسان البربري آتُومَرتْ آيْنَوْ آيْسَّكْ آيِيوِي، ومعناه: يا فرحتي بك يا بني. وكانت تكثر من قول ذلك»[2]، كما كانت تقول باللسان البربري كلما سُئلت عنه وهو صغير: «يَاكْ يَاكْ تُومَرت» أي: «صار فرحا وسرورا»، حتى غلب عليه مع الوقت إسم تومرت، وترك دعائه باسم عبد الله الذي سمي به أولا عند تسميته[3]. وقد جرت عادة الناس في مناسبة سعيدة كهذه أن يقدموا الهدايا لأهل المولود[4]، كما كان من عادة النساء أن يعبرن عن فرحتهم بإطلاق العنان لزغاريدهن، وقد رآها ابن تومرت ـ رغم ما عرف عنه من تحري سقطات المرابطين ـ مناسبة تستحق فعلا كل هذه السعادة، وذلك بعدم إنكاره على من سمعها تزغرد فرحا بإنجابها للولد[5].

لكن هذا لا يمنع من وجود بعض المنغصات التي كانت تعكر صفو هذه المناسبة السعيدة، كضيق ذات اليد. حيث كان من الممكن أن تضع زوجة أحد العوام وليس عنده ما يلفه فيه أو ما ينفقه عليه، كابن ويَخْلاَن الذي وضعت زوجته وليس عنده غير كساء واحد يستر به نفسه[6]، وكالآخر الذي أصبحت زوجته نفساء:

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص381.

(2) البيذق: المقتبس من كتاب الانساب، ص27.

(3) البيذق: المقتبس من كتاب الانساب، ص27.

(4) ابن القطان: نظم الجمان، ص90 .

(5) **أنظر:** البيذق: أخبار المهدي، ص29.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص147.

«ولم يكن عنده ذلك اليوم ما ينفقه»[1]. غير أن ذلك لم يمنع أية أسرة من الإحتفال بإبنها وعمل عقيقة له، حتى ولو اضطرو لسؤال ما يقيموها به. وحسبنا ما نقله البادسي على لسان أحدهم، قال: «كانت أمي حاملا بي، ولم يجد أبي ما يقيم به شأن ولادتها، فتوجه من بادس إلى الشيخ محمد اليستثني، قال أبي: فقلت في نفسي أريد أن يعطيني هذا الشيخ عنزا جيدا وصحفة من قمح»[2]، يقصد ليطعم بها مدعوي عقيقة ابنه الحاكي، يقول: «فدعا [الشيخ محمد] برجل وقال له ادفع لهذا الرجل عنزا جيدا، ودعا بآخر وقال له ادفع له أربعين درهما يشتري بها صفحة قمح»[3]، فعاد وأقام عقيقته وأطعم وأنفق كأفضل ما يكون.

كذلك كان إعذار الأطفال (ختانهم) مناسبة عائلية أخرى تستدعي الفرحة وإطلاق الزغاريد[4]، وصنع الطعام ودعوة الأهل والجيران. فقد جاء في ترجمة أحد المتصوفة أنه أعد ثوراً ليطعم جيرانه إذا اختتن ولده[5]. وذُكر في مناقب آخر أن فقيرا لجأ إليه - بعدما أمره الرسول (ص) بذلك في منامه - ليُعينه على ختن ابنه الذي كبر ولم يختتن بعد، فأمر الفقيه من يشتري له: «كسوة لعياله ولجميع أولاده. وأصلح من شأنهم، وطهر ولده، وقام بجميع أموره من طعامٍ وغيره»[6]. ونستفيد من نازلة أخرى أن هذه كانت مهمة الحَجَّام، وأنه رغم كراهة ذلك، كانت العادة أن يختتن الطفل في اليوم السابع من ميلاده: «فَعَلَتْ ما العادة أن يفعل الناس مثله»[7].

---

(1) السملالي: الإعلام، ج1، ص264.

(2) البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف (تحقيق: سعيد اعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1993م)، ص87.

(3) البادسي: المقصد الشريف، ص87.

(4) البيذق: أخبار المهدي، ص29.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص 381.

(6) التميمي: المستفاد، ج2، ص ص 88 - 89.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص 344.

المســتوى المعيشي[1]

**المأكل والمشرب:

ساهمت عدة عناصر غذائية في صياغة مائدة عامة المغرب الأقصى في عصر المرابطين، ولا شك أنه كان للبيئة، واختلاف المكان، والطبقة، والعادات والمعتقدات الشعبية، دور هام في تحديد مما وكيف تصنع تلك العناصر، وأيضا لماذا وكيف تؤكل[2].

وكبداية تعتبر الحبوب من قمح وشعير وذرة ودخن أهم العناصر الغذائية، والأساس لعدد كبير من الأطعمة، كالخبز الذي شكل مادة الغذاء الرئيسية لسكان البوادي ـ بجبالها وبسائطها ـ والحواضر على حد سواء. وقد كانت أرقى أنواعه الخبز الأبيض المصنوع من دقيق الدرمك Froment الصافي

---

(1) عُرِّفَ مستوى المعيشة وفق تقرير صدر سنة 1954م، عن لجنة من خبراء الأمم المتحدة، ومنظمة العمل الدولية، واليونسكو، ومنظمة الأغذية، بأنه: مستوى إشباع الاحتياجات المتحقق في فترة معينة، كنتيجة لانسياب السلع والخدمات التي ينعم بها السكان في نفس الفترة. وقد اقترحت اللجنة تسع مكونات ارتأت أنها الأفضل لقياس مستوى المعيشة دوليا، وهذه المكونات التسع هي: الصحة، استهلاك التغذية والأغذية، التعليم، العمالة وظروف العمل، السكن، الضمان الاجتماعي، الملبس، الترفيه والحرية الإنسانية. من هنا قرر الباحث التحدث تحت هذا العنوان عن المأكل والمشرب والملبس والمسكن ووسائل التسلية والترفيه .. إلى آخر ذلك من عناصر قياس مستوى المعيشة. (أنظر: فتحية مزارشي: أثر السياسية النقدية على مستوى المعيشة ـ دراسة حالة الجزائر، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة سطيف ـ1، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر، 2018م، ص64 ـ 65**).**

(2) أنظر: حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص435 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص69 ـ 70 ؛ الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، مجلة أمل، مج6، ع16، 1999م، ص35.

الخالص، لكنه كان يستهلك فقط من طرف فئات طبقة الخاصة مترفي الحال[1]، بينما صنعته العامة المتقشفين ـ على حد تعبير ابن خلدون ـ في عيشهم، مثل: المصامدة وأهل غمارة والسوس، من الشعير أو الذرة[2]. كذلك كان قوت هكسورة موطن أبي يعزي من الشعير[3]، وأيضا درعة لغلو القمح بها[4]. وأكلَ سائر أهل أودغست الذرة رغم أنهم كانوا يزرعون القمح، لأنه لم يكن يأكله إلا خاصتها[5].

أما في المناطق الصحراوية القاحلة، فإن الرُحَّل أمثال الملثمين من صنهاجة، الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال، فيما بين البربر والسودان[6]، لم يعرفوا الخبز إلا سماعاً. بل إن الواحد منهم كان ينفذ عمره وما رأى خبزا ولا أكله، اللهم إلا أن يمر بهم التجار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان، فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق[7]. وبدلا من الخبز كانت قبائل لمطة وصنهاجة تصنع من الحنطة التي ربما جُلبت إليهم، طعاما عرف بالبربرية بإسم **آسلوا**. وكانت أولى خطوات صنعه: قلي الحنطة قليا معتدلا، ثم دقها حتى تصير جريشا، فإذا صارت كذلك أضافوا إليها مقدار من العسل ومثله سمنا وعجنوها على النار، قبل أن يضعوها أخيرا: «في مزاودهم، فيأتي طعاما شهيا»[8].

ويأتي بعد الخبز أطعمة أخرى تعتمد بالأساس على دقيق الحبوب،

---

(1) **انظر:** الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، ص36.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1 (المقدمة)، ص111.

(3) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص51.

(4) مارمول كاربخال: إفريقيا، ج3، ص145.

(5) البكري: المغرب، ص 158 ؛ مجهول: الاستبصار، ص 215.

(6) ابن خلدون: العبر، ج1، ص 110.

(7) البكري: المغرب، ص164 .

(8) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص36 .

كعصيدة الشعير طعام الفقراء[1]، وبعض أهل الزهد والتصوف كالهكسوري أبي يعزي يلنور[2]، وغيره[3]. **وحساء الشعير** قوت أهل درعة[4]، **والهريسة** التي كانت تصنع إما من القمح، أو الأرز، أو فتات الخبز[5]. **والسويق** الذي كان البربر يصنعونه من دقيق الشعير، أو القمح[6].

الكسكسو: وهو وإن كان أكلة يعرفها جميع الناس[7]، فقد اختلف تبعا لمستوى عيش كل فرد، وحسب كل منطقة وإنتاجها الفلاحي[8]. فمثلا كان البربر يصنعونه من دقيق الشعير أو القمح، ويجعلون مرقه من الحليب والسمن، أو من اللحم وبعض البقول التي يزرعونها[9]. كما اشتهته نفس خادم أبي العباس السبتي مصنوعا بالسمن والبصل والقديد[10].

---

(1) الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، ص 37.

(2) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص39.

(3) **أنظر**: ابن الزيات: التشوف، ص145، 181.

(4) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص 119.

(5) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص71.

ـ زكّى الإدريسي بلاد السوس الأقصى بكونها: «بلاد حنطة وشعير وأرز ممكن بأيسر قيمة»، بيد أن الأرز لم يكن يؤكل عندهم رغم ذلك: «إلا في يوم حفل أو دعوة أو مريض أو غريب اعتاد أكل الأرز في بلاده». (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص228 ؛ العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص98).

(6) كانوا يقومون بقلي الشعير أو القمح، ثم يخلطونه بالزيت أو السمن ويأكلونه. (محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، د.ط، مؤسسة تاولات الثقافية، د.م، د.ط، 2010م، ج1، ص49).

(7) مجهول: الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق: أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات العربية في مدريد، مج9ـ10، 1961ـ1962م، ص181.

(8) الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، ص38.

(9) محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج1، ص49.

(10) السملالي: الإعلام، ج1، ص260.

الثريد: كان يصنع باللبن، أو بالفول والسمن. وكان يقدم على هذه الصفة الأخيرة ـ كما حكى أبو جبل ـ للعاملين في الحصاد بنواحي فاس، بينما اكتفى المُقلين من أصحاب الحقول بتقديم الخبز واللبن لهم[1]، وذكر صاحب التشوف أن أبا يعزي كان في ابتداء أمره يرعى البقر، وأن أرباب المواشي التي كان يرعاها لهم كانوا يصنعون له ـ فقط ـ رغيفين كل يوم[2].

كذلك كانت الأطعمة المكونة من **البقوليات** من بين الأغذية المستحسنة لدى المغاربة والطبق اليومي عندهم، حيث استخدموها ـ وخاصة شتاء ـ كبديل عن المحاصيل والخضروات الطازجة. وكان من بين أطباق البقول المشتهرة لديهم طبق البيسار، حيث حل هذا الطبق المصنوع من الفول دائما كضيف على موائد الخاصة والعامة بالمغرب، ولاسيما بمنطقة جبل غمارة[3].

كما كانت الخضروات كالكرنب[4]، والباذنجان[5]، والبقل[6]، من الأغذية الشائعة أيضا في أوساط العامة. وشكلت اللحوم عصب حياة اللمتونيين، سيما وهم رحالة لا يستقر بهم موضع ولا يعرفون حرثا ولا زرعاً[7]، وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن[8]. وكانت طريقتهم في صنعه هم وسائر أهل الصحراء، هي تصفيف اللحم وتجفيفه في الشمس، ثم طحنه وأكله بعد إضافة

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص103، 134.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص215 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص68.

(3) **أنظر:** ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، 1984م، ص222، 226، 240 ؛ عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص260.

(4) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص55.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص431.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص334 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص144.

(7) مجهول: الاستبصار، ص213 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص 584.

(8) البكري: المغرب، ص 164.

الشحم المذاب أو السمن عليه[1]. وبخلاف الأنعام كانت الطرائد من نعام وغزلان وأرانب وحمام بري وغيره[2]، أحد مصادر حصولهم على اللحم، ولا غروا فقد كان عبد الله بن ياسين داعية المرابطين يعيش من: «صيد البرية»[3].

أما في الشمال، فرغم إشارات المصادر لكثرة المراعي ووفرة الماشية بأنواعها[4]، تؤكد أمثال العامة أن غلو أسعار اللحوم حرمت العامة من استهلاكه حتى في الأوقات العادية[5]. اللهم أن تكون هناك مناسبة هامة كحفل عرس[6]، أو عيد[7]، أو أن يسعف أحدهم نجمه ويُضِيفه ولي، كأبي يعزى الذي كان يُطعم زُوَّاره وقُصَّاده من ـ الفتوح التي كانت تأتيه من إخوانه في الله ـ كل مُشتَهى من: «عسل ولحوم ضأن ودجاج وفواكه طيبة»[8].

---

(1) **صفف اللحم: أي قطّعه إلى شرائح عريضة وبسطها في الشمس لتجف.** (البكري: المغرب، ص 170 ؛ مجهول: الاستبصار، ص213 ؛ أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1303).

(2) ابن الزيات: التشوف، ص140، 322، 273 ؛ الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص47.

(3) البكري: المغرب، ص165 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص132.

(4) **أنظر:** البكري: المغرب، ص107، 109 ـ 110 ؛ الإدريسي: صفة المغرب، ص 75، 79 ؛ مجهول: الاستبصار، ص177، 187، 189 .

(5) **قالت العامة: افتح كرنب سقتلكم، إن اللحم غالي.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص89 [حاشية المثل393] ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص211 ؛ ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص282).

(6) **أنظر:** الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط ص43.

(7) **كالسلاوي الذي كان لا يأكل اللحم إلا من أضحيته.** (التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ص144).

(8) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص117 ـ 118 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص215، 220، 222.

وكتعويض عن لحوم الأنعام الغائبة عن موائدهم، لجأ العامة إلى الإقبال على تناول الأسماك، حيث لم يكونوا بحاجة للدراهم لشراءه، بل كان يكفي أحدهم أن يأخذ حبلا ويربط في طرفه مسمارا ويرمي به في البحر وينتظر(1). على أية حال كانت تشتهر بصيد السمك واستهلاكه عدة مدن مغربية داخلية، وساحلية **كسبتة** التي لم يكن يعدلها في إصابة الحوت وجلبه بلد، حتى أن الإدريسي قدر ما كان يصاد بها بمائة نوع، أهمهم سمك التن الكبير(2)، والطردنس(3). **وسلا** التي كان واديها يتوفر على أنواع من السمك وضروب من الحيتان لا تكاد تباع لكثرتها وجودتها ولا تشترى(4).

كذلك اشتمل **نهر فاس** هو الآخر على أنواع من الحيتان لذيذة الطعم وكثيرة المنفعة، كاللبيس والبوري والسيناخ والبوقة(5). هذا فضلا عما كان يجلب لها (فاس) من نهر سبو المار بشرقها على مقدار ميلين منها، من البوري الكبير والشابل والقُرْب واللبيس وغيرها من أصناف الحوت(6)، كالشولي الذي ذكر صاحب الاستبصار أنه كان ألذ ما يوجد من أنواع السمك **بفاس ومكناسة**، وأكد أنه كان يُصنع منه ألوانا متعددة بأصناف البقل فلا تُشَم له رائحة السمك(7).

وقد لجأ العامة في حال نفاذ ما سبق أو انعدامه لأكل الأعشاب والحشائش(8)،

---

(1): ابن الزيات: التشوف، ص322.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص 529.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص 160.

(4) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 48.

(5) الجزنائي: جنى زهر الآس، ص35؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص35.

(6) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص36.

(7) مجهول: الاستبصار، ص 185.

(8) **أنظر**: الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط **ص 48 ـ 49**.

ولحفر الأرض للبحث عن جذور النباتات[1]، ولجمع: «ثمر بعض الأشجار البرية ونواها وبعض البقول البرية وبذورها وأصولها» وطحنها وصنع الخبز منها إلى أن يأتي الله بالفرج[2]. واضطروا في مراكش لمَّا حاصرها عبد المؤمن 541هـ / 1146م لأكل الجيف، بل وأَكَلْ بعضهم البعض[3].

كما عمد أهل سجلماسة لتسمين الكلاب وأكلها، ولأكل حيوان آخر يسمى الحرزون أو آقزيم باللسان البربري[4]. وأَكثَرَ أهل السوس الأقصى من أكل حشرة الجراد مقلوة ومملحة[5]. هم وأهل مراكش التي كان: «يباع منه بها كل يوم الثلاثون حملا فما دونها وفوقها»[6]. كذلك اعتاد الناس في بلاد جدالة -ولاسيما بجزيرة أيونن- على أكل لحوم السلاحف[7].

نستطيع أيضا من خلال كتب التصوف التعرف على ألوان أخرى من الطعام، خرج أولياء المغرب ومتصوفوه بها عن دائرة المعقول، هم ومن تبعهم من الضعفاء. لكنه ينبغي الإنتباه إلى أنه إذا كان متصوفي المغرب لجأوا لهكذا أنواع زُهْدا ودَيَانة كأبو يعزي آل النور[8]، صاحب شعار: «ما أصنع بأكل الطعام ونبات الأرض يكفيني عنه»[9]، فغيرهم من عوام المغرب لجأوا إليها لانعدام القوت من الأساس.

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص 142، 263.

(2) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج5، ص209.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص 138.

(4) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص 38.

(5) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص39.

(6) الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص45 .

(7) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص358-359.

(8) ابن الزيات: التشوف، ص231 (تر85).

(9) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص68 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص216.

حيث حكى أبو يعزي عن نفسه أنه أقام في البراري سائحا خمسة عشرة عاما لا يأوي إلى معمور ولا يتقوى بغير الجُمَّار ولا كان قوته إلا من نبات الأرض[1]، وأنه انحدر بعد ذلك إلى السواحل فأقام بها ثمانية عشرة سنة لا طعام له إلا **الولكوط** (وَنَلكُوط)، المعروف عند العامة بفول أمازير[2]. كذلك أكل أبو يعزي **الدفلي**، وهو نبات معروف بمرارته وفظاعة طعمه[3]. **والخباز أو الخبيز**، وهو نبات كان يجمع له، ثم يطبخ ويجفف، ثم يرفع، فإذا أراد أن يأكل جعله في قدح فأكل منه لقمة أو لقمتين[4]، كما كان يقدمه لضيوفه في صحاف مع خبز الشعير[5]. **والبلوط**، وكان يطحنه ويصنع منه أقراصا يقتات بها، أو يجعل معه أوراق اللباب[6]، أو النبليا (الخبيز) ثم يجففهما ويطحنهما، فإذا صلى المغرب أخذ قدر نصف رطل فاقتات به[7].

---

(1) الجُمَّار: قلب النخلة، أو شجر الدوم. ويستهلك في بعض المناطق مثل مراكش وطنجة. (الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص67/ حا 42).

(2) أمازير كلمة بربرية تعني الزبل. وسمي النبات بذلك لأنه غالبا ما كان ينبت في الأزبال ووسط المزابل، لذلك عافته حتى أنفس الدواب، لكن الحاجة وطارئ الجفاف وما يترتب عليهما من مجاعات كانا يُلجئان الفقراء والضعفاء لأكله. (الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي)، ص67/ حا 52 ـ 55، 68 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص217/ حا490).

(3) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص39 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص68/ حا64، ص117 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص218.

(4) أحد النباتات المشهورة بالمغرب، وهو يحمل أكثر من اسم لأن إسمه يختلف حسب المنطقة الموجود بها. ومن بين أسمائه الخبيزة والبقولة وتيبي وواجير وغيرها. (الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص68/ حا 62، ص70).

(5) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص118 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص220.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص 215 .

(7) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص69.

كذلك اضطر آخَرِينَ سدا لحاجتهم لصيد السمك بأيديهم، **كعيسى ابن سليمان الرفروفي** الذي كان يُدخل يده إلى الوادي كلما احتاج إلى القوت: «فَيُخرج منه حوتا فيقتات به»[1]. وكهذا الشيخ الذي أضاف أبو مدين ثلاثة أيام، وكلما جاع أخذ بحبل في طرفه مسمارا ورمى به في البحر، يقول أبو مدين: «فَيُخرج به حوتا، فيشويه وآكله»[2].

وقد سلك آخر نفس مسلكهما، ولكن ليسد به هذه المرة رمق من جمعهم حوله من المساكين الذين أتت عليهم مجاعة عام 535هـ، حيث قام بمؤونتهم وأنفق عليهم مما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصبوا[3]. كما اعتمد ثالث على جمع ما تُنبته الأرض وما يلفظه البحر من مباح الأكل في قفة كبيرة، وبيعه، وشراء الخبز بثمنه[4]، بينما عمد غيره إلى سمكة لفظها البحر فقطع منها بسكينه ما كفاه هو صاحبه، وأكلوه[5].

أما عن مشروبات العامة، فقد كان أهمها **اللبن**. حيث لعب اللبن دوراً أساسيا إلى جانب اللحوم في تغذية الرحل[6]، بل وحصل لهم به الإغتناء كليا عن الماء، حتى أن الرجل منهم كان يبقى الشهر أو الأشهر لا يشرب الماء، ومع ذلك كانت قوتهم: «مكينة وأبدانهم صحيحة»[7]. وذكر أبي الخير الإشبيلي أن من: «**الدلاع** [البطيخ] نوع رابع ينبت بصحراء المرابطين قدر الحنطل، إلا أن مائيته حلوة عذبة مستلذة كأن قد مزجت بسكر. يشربونه في الحر فيبرد أمزجتهم،

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص109.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص322.

(3) **هو عمر بن معاد الصنهاجي. (انظر:** ابن الزيات: التشوف، ص 183. **وانظر أيضا:** الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص140).

(4) ابن الزيات: التشوف، ص206.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص93[ترجمة أبو محمد عبد العزيز].

(6) **انظر:** الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، **ص 46.**

(7) البكري: المغرب، ص170 ؛ مجهول: الاستبصار، ص213.

ويجعلونه في القرب ممزوجا بالعسل ودقيق الأقط الجاف ويتركونه يحمض ويشربونه فيأتي لذيذا جدا»[1]. وأشار الإدريسي إلى أن لمتونة وغيرهم من قبائل الصحراء، كانوا: «ينقعون الزبيب في الماء بعد الدق ويشربون صفوه نقيعا حلوا»[2]. أما في مراكش فقد كان بعضهم يعصره العنب، ثم يجعله في ظرف: «يوما وليلة فيصير مسكراً»[3].

كذلك كانت عصارة **قصب السكر** أكثر شراب أهل إيجلي[4]، ولا شك في اشتهاره بتارودنت أيضا لاسيما وصاحب الاستبصار يصفها بأكثر بلاد الله قصب سكر[5]. وشَرِب أهل السوس الأقصى غير قصب السكر، شراب آخر يسمونه **أنزير**، أو **الرُّب** كما تسميه المصامدة[6]. وكانوا يصنعونه من عصير العنب الحلو، حيث كانوا يطبخونه على النار إلى أن يزول منه الثلث، ثم يزال عن النار، ويرفع ويشرب، فيسكر شاربيه سكرا عظيما، ويفعل بهم كما يقول الإدريسي: «ما لا يفعله الخمر»[7]، لكن أهل السوس مثل غيرهم من المصامدة كانوا يجيزون رغم ذلك شربه، مالم يتعد بهم إلى السكر[8]. وقد برر صاحب

---

(1) أبي الخير الإشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ج1، ص86 [مادة 198].

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص224.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص243 [تر96].

(4) إيجلي: قاعدة بلاد السوس الأقصى، وإحدى القلاع الحصينة ببلاد المصامدة. (مجهول: الاستبصار، ص212 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص287-288).

(5) مجهول: الاستبصار، ص211-212.

(6) الحسن أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، منشورات العهد الملكي للثقافة الأمازيغية - مركز الدراسات التاريخية والبيئية، المغرب، د.ط، 2010م، ص27.

(7) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص39.

(8) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص40 ؛ الحسن أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ص27.

=

الاستبصار ذلك بأن مصامدة جبل درن ـ أكثر مستعملي الرُب ـ لا يمكنهم الإستغناء عن شربه: «لشدة برد الجبل وثلجه»[1].

المـلبـس:

تنوعت ألبسة العامة خلال العصر المرابطي تنوعا كبيرا، فقد كان هناك الكساء والجبة والدراعة والبرنس والسروال والعمامة والشاشية والقلنسوة.. وغير ذلك، وكان الصوف بطبيعة الحال هو مادة صنع أغلب هذه الملابس[2]، إن لم يكن كلها، لاسيما مع وفرة الأغنام بسهول المغرب الأقصى وهضابه[3].

ورغم ما دلت عليه المصادر من اشتراك مختلف شرائح المجتمع المرابطي في بعض الأزياء[4]، فإن الطبقية، وتنوع البيئات، واختلاف المناطق، أبوا كما وضعوا بصماتهم على طعام العامة وشرابهم، ألا يتدخلوا تارة أخرى في كنه لباسهم. حيث لَبِس العامة ـ في الوقت الذي امتاز فيه لباس الخاصة بجودة مادته صوفا وقطنا وكتانا، ورقته ونعومته ودقة صنعته[5]ـ العباءات الخشنة[6]،

=

ـ يبدوا أن وزرج الزاهد (ت560هـ) كان يشربه على هذا الأساس، أعني أن لا يصل به إلى حالة السكر. فقد ذكر صاحب التشوف أنه كان يفرح به كثيرا عندما يجده، ويقول: «فرحا به، يا قريب عهد بربه». (ابن الزيات: التشوف، ص297 ؛ الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص669 [تر1459]).

(1) الحسن أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ص27 ؛ مجهول: الاستبصار، ص 211.

(2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص116 .

(3) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص437 ؛ **وانظر:** الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص37، 46ـ48، 50ـ51.

(4) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص235.

(5) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص39.

(6) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص60.

والبرانس المرقعة[1]، والجباب المُطْرِقة (الوضيعة)[2]، ولفوا رؤوسهم بالشاش[3]، أو بقطع من ثوب وسخ[4]، ولبسوا في أقدامهم النعال

والأقراق[5]، والبلغ الخَلِقَة (البالية)[6]. وهذا بالتأكيد ليس حصرا لكل ما لبسته العامة، فالفاقة والفقر والحاجة واختلاف المناطق والبيئات، كلهم كانوا أصحاب خيال واسع، ودائما ما انتهزوا أية فرصة تواتيهم ليفرضوا ذوقهم الخاص على عامة المغرب الأقصى.

ولما كان اللباس يعتبر أهم مظهر خارجي يجسد سلوك الصوفي، وأهم مؤشر يدل عليه[7]، فقد اهتمت كتب المناقب بوصف لباس من ترجمت لهم من متصوفي المغرب الأقصى وصالحية، لتستشهد برقاعهم وخَلاقة أثوابهم على تقشفهم ومجاهدتهم وَعُلوا همتهم، كما استشهدت بفقرهم على زهدهم واستغنائهم وتعففهم. وأيا كان الأمر فقد تعرفنا من خلال تلك الإلماعات على عدد من الأزياء التي كانت شائعة في الأوساط الشعبية في الفترة موضوع الدراسة، حيث كان من بينها:

ـ الإحرام[8].

ـ الجُبَّة[9]: وكانت تصنع إما من تلِّيس، كتلك التي كان يلبسها

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 267؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص32.

(2) التميمي: المستفاد، ق2، ص33؛ ابن منظور: لسان العرب، ج10، ص222.

(3) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص 33؛ الصومعي، المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص70.

(4) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص331.

(5) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص33.

(6) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص331.

(7): عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص237.

(8) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص144.

(9) الجبة: رداء واسع فضفاض يلتحف به، وهي قصيرة الأكمام، ومفتوحة من الجهة الأمامية، وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول
=

أبو يعزي[1]. وإما من صوف كالجبة التي كانت تُصنع لأحمد بن لب السلاوي من صوف أضحيته[2]، وجبة يوسف الفرار التي لم يكن يملك غيرها[3]، وجبة ابن النحوي التي لم تكن تتعدى ركبته، وجبة أبو محمد مع الله بن يحيى[4].

ـ البُرْنس[5]: من أكثر الملابس شيوعا وشهرة بين أهل المغرب، وكانت أشهر ألونه الأكحل (الأسود)[6]، كبرنس أبو يعزي الأسود الخَلِق المرقع الذي كان يصل إلى أسفل ركبته[7]. لكننا نستفيد من الهدية التي أهداها يوسف بن تاشفين لابن عمه أبي بكر بن عمر أنه كان هناك كذلك برانس حمراء وبيضاء[8]. وقد اشتهرت مناطق عدة بصناعته: منها على سبيل المثال: نكور[9]،

=

الجسم. (أنظر: رينهارت دوزي: المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، مج9/ 2، 1972م، ص20 ؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص105).

(1) التليس: عبارة عن قطعة كبيرة من نسيج خشن من صوف أو من شعر الماعز أو من الخوص، ويستعمل كبساط أو غطاء أو لباس. (أنظر: التميمي: المستفاد، ق2، ص33/ حا74).

(2) التميمي: المستفاد، ق2، ص 144.

(3) التميمي: المستفاد، ق2، ص141.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص100، 133.

(5) البرنس: هو رداء أو ثوب رأسه ملتصق به، أو رداء رأسه منه، وعرفه ابن سيده بقوله: «والبُـرْنُس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به». (رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص61 ؛ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، ج8، ص653).

(6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص116 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص 257 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص27/ حا39.

(7) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص70 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص 32.

(8) مجهول: الحلل الموشية، ص27.

(9) البكري: المغرب، ص155.

وجبل مديون (شرق فاس)[1]، اللتين امتازت برانسهما بكونها حصينة لا ينفذها الماء.

ـ **العَبَاءة**[2]: كانت تصنع من الصوف كعباءة يوسف ابن موسى الضرير التي كانت تصنعها له زوجته من صوف أضحيتهم[3]، وعباءة أبو جبل التي حاول لصان سرقتها منه[4]، وعباءة ابن حرزهم الخشنة جداً التي كان ينام فيها[5].

ـ **الدُّرَّاعَة**[6]: كانت تصنع إما من الصوف، كتلك الدراعيات الزرقاء التي كان يلبسها الأطفال بالريف[7]. وإما من القطن، كدراعة ابن حرزهم المصبوغة التي كان يلبسها صيفا، وكذلك شتاء بعد أن يضيف إليها دراعة أخرى مثلها[8].

السُلْهَامة: هي كالبرنس رأسها ملتصق بها[9]، كما تتصف بثقل وزنها

---

(1) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص141.

(2) **العباءة: عبارة عن ملحفة قصيرة ومفتوحة من الجهة الأمامية، وهي لا أكمام لها وإنما فقط تقويرتان لإمداد الزراعين من خلالهما.** (رينهارت دوزي: المعجم المفصل لأسماء الملابس، مج10/ 3، ص154 ؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص 316).

(3) ابن الزيات: التشوف، ص106.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص103.

(5) التميمي: المستفاد، ق2، ص17.

(6) **الدراعة: هي ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل جبة مشقوقة المقدم.** (ابن منظور: لسان العرب، ج8، ص82 ؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص171).

(7) ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ج1، ص 336 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص71.

(8) التميمي: المستفاد، ق2، ص17.

(9) رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص241 .

ـ ويدل على ذلك قول أحدهم: «فجاءتني الغزالة على عادتها فشمت السلهامة من قرني إلى قدمي». (الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص142. **وانظر أيضا:** علي بن ظافر الأزدي: بدائع البدائة، ضبط: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م، ص68).

وكثافة خامتها[1]. وقد لَبِسها أبو مدين بينما هو بفاس[2].

الجلابية: كانت تصنع من التليس[3]، وتلبس فوق الجبة[4].

السروال[5]: هو لباس عام، لذلك اختلف في شكله ولونه ونوعه حسب مركز لابسيه[6]. أما العامة تحديدا فقد اتخذوه من الصوف، كأبو يعزي[7]، وأبو العباس السبتي[8]، والسلاوي الذي لم يلبس يوما قطنا ولا كتانا، وإنما كان لباسه: «جبة صوف وإحرام صوف وسراويل صوف وغفارة صوف»[9].

كذلك كان هناك من كان كل لباسه خرقة صوف يضعها على كتفه وأخرى يلفها حول وسطه[10]، ومن كان عليه ثوب خَلِق تظهر منه عورته[11]، ومن لم يكن عنده يوم وَلدت زوجته غير كساء واحد فقسمه بينه وبينها[12]، ومن كان

---

(1) **يدل على ذلك طلب أبا موسى الدكالي (ت550هـ) من أحدهم أن يحمل عنه قفته وسلهامته قائلا: «خذ عني هذه القفة والسلهامة فقد أثقلتاني»**. (ابن الزيات: التشوف، ص207).

(2) ابن الزيات: التشوف، ص323.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص367.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص368.

(5) **السروال: هو لباس يستر العورة إلى أسفل الجسم**. (رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص234).

(6): عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص242.

(7) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص53-54.

(8) ابن الزيات: التشوف، ص544.

(9) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص144.

(10) ابن الزيات: التشوف، ص181.

(11) السملالي: الإعلام، ج1، ص258.

(12) ابن الزيات: التشوف، ص147.

ثوبه خَلِق لا يكاد يستره من الأساس[1]، ومن أقام عشرون سنة لا أسم له إلا أبو كرتيل (وَجَرْتِيل) أي أبو حصيرة، لأنه لم يكن يلبس سوى حصيرة يستر بها بدنه[2].

أما **رؤوسهم** فهناك من غطاها بشاشية من عزف[3]، أو قلنوسة من عزف[4]، أو غفارة من صوف[5]، أو خرقة من صوف[6]، أو عمامة[7]، أو جلموس غليظ[8]، أو قطعة ثوب وسخ[9]. بينما اهتم أهل السوس الأقصى بجمال شعورهم أكثر من اهتمامهم بتغطيتها، يقول الإدريسي: «وعلى رؤسهم الشعور الكثيرة، ولهم بها اهتمام وحفظ، ذلك أنهم يصبغونها في كل جمعة بالحناء ويغسلونها في كل جمعة برقيق البيض وبالطين الأندلسي»[10].

---

(1) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، قسم2، ص138.

(2) تعني كارتيل حصيرة الدوم، وأبو كارتيل هو الشخص الذي يرتدي أو يحمل دائما حصير. (أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص217 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص67/ حا50).

(3) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص70 ؛ التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص33.

(4) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص120.

(5) التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص144 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج1، ص253.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص181[ترجمة أبو حدو القاسم] .

(7) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص253 ؛ التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص77 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص27 ؛ أبو العباس العزفي: دعامة اليقين ص60 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص284 [ترجمة أبو علي سالم] .

(8) البادسي: المقصد الشريف، ص59.

(9) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص331.

(10) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص39 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص228.

كذلك حظيت **الأقدام** بنفس الإهتمام الذي حظي به غطاء الرأس ولباس البدن، بدليل ما اشتملت عليه كتب النوازل من أسماء متعددة للباس القدمين. ففي باب نوازل الطهارة بمعيار الونشريسي، وتحديدا الخاص بأحكام الصلاة بالحذاء، نجد أسماء متعددة لأنواع مختلفة من لباس القدمين، إستفتى أصحابها في حكم المسح عليها للصلاة فيها، مثل: الهركس(1)، والحذاء، والخف، والسيقان، والأمنغات، والبلغة، والأمنوق، والسباط(2)، وأيضا النعال والأقراق(3). غير أن كل هذه الأسماء لا تمنع من القول أن بعضهم سار حافيا(4)، حتى تألمت قدماه ألما أعجزه عن القيام لآداء الصلاة(5).

ولا يفوتنا لفت النظر لاختصاص بعض المدن بلباس مميز عن لباس غيرها من المدن الأخرى. فمثلا جرت عادة أهل **السوس** على لف أجسادهم بأكسية مصنوعة من الصوف، وتحزيم أوساطهم بمآزر صوفية يسمونها أسفاقس(6)،

---

(1) **الهركس: يعني بلسان أهل فاس الأحذية الخشنة أو البالية.** (الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص12/ حا1).

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص12 ـ 13 ؛ سارة بلحساني ـ لينة كعور: الملابس والأزياء في المغرب من الفتح الاسلامي حتى عهد المرابطين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2016، ص45ـ46 .

(3) ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص73 ؛ التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ق2، ص33.

ـ **الأقراق: اسم يطلق على نوع من الأخفاف نعله من لحاء شجرة الفلين.** (عبد العزيز الأهواني: ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3/ 2، نوفمبر 1957م، ص305 ؛ رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص386).

(4) السملالي: الإعلام، ج1، ص261، 281.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص 454.

(6) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص39 ؛ الإدريسي: صفة المغرب، ص62.

وعلى التسلح برمحان قصيران، يقول الإدريسي: «ولا يمشي الرجل منهم أبداً إلا وفي يده رمحان قصار العصي طوال الأسنان»[1]. واعتاد أهل **آزكي** لبس مقندرات ثياب الصوف، التي كانوا يسمونها بلغتهم قداور[2]. واشتهرت **لمتونة** بلبس أكسية الصوف رجالا ونساءً، وبربط رؤوسهم بعمائم صوفية يسمونها كرازي[3]. وَلَبِس أهل **نول** البرانس والأكسية المسماة بالسفسارية[4]. ولبس العامة بمنطقة الريف أكسية من صوف، ومطرفة من أرجوان، وشدوا رؤوسهم بجلموس غليظ، وتسلحوا بسراف (سكين كبير) تقلدوه أينما حلو[5]. وتَزَيَّا عامة فاس بدُرَّاعَات مصنوعة من القطن صيفا وشتاء، فضلا عن طواقي بسيطة ومآزر قصيرة[6]، وسروايل أجبرهم على لبسها ـ رجالاً ونساء ـ قاضيهم ابن عبد الرحيم الكتامي[7].

وارتدت نساء العامة جباب من صوف[8]، وسروايل تسترن كل أقدامهن[9]،

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص228.

(2) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص37 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص225.

(3) الإدريسي: صفة المغرب، ص58 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص224.

(4) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص37 ؛ محمود مقديش: نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوري ـ محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج1، ص55.

(5) البادسي: المقصد الشريف، ص59.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص17 ؛ الكتاني: زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ج1، ص354 ؛ علي محمود عبد اللطيف الجندي: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، 2004م، ص238.

(7) ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ج1، ص253.

(8) ابن الزيات: التشوف، ص112.

(9) ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ج1، ص253.

وغطين رُؤوسهن بخمار من صوف[1]. أما وجوههن فالغالب على نساء البوادي كشفه[2]. لكن ليسوا وحدهم، حيث نستشف من شهادة البكري لنساء البصرة بالجمال[3]، ومن وصفه لنساء عدوة الأندلسيين بأنهن أجمل من نساء عدوة القرويين[4]، وتسليم الإدريسي بجمال نساء السوس الفائق[5]، أنهن لم يكن يسترن وجوههن[6]، ومن ثم تأتى لغريبين كالبكري والإدريسي ـ أو لمن حدثاهم بذلك ـ تسجيل تلك الملاحظة. حيث كانت أخبار النساء الجميلات مما يتناقل في مجالس الرجال، بدليل عبد الله بن ياسين الذي لم يكن يسمع بامرأة جميلة إلا خطبها[7].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص112.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص 131.

(3) البكري: المغرب، ص 110.

(4) مجهول: الاستبصار، ص181 ؛ البكري: المغرب، ص 116.

(5) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص39.

(6) **لكنه يُستشف أيضا من تهجم ابن تومرت وتلامذته على الصورة أخت يوسف ابن تاشفين وجواريها ـ دون غيرهن ـ بعدما رآهن يسرن بمراكش مسفرات. أنه لم يكن بالمدينة مسفرات غيرهن** (ابن خلدون: العبر، ج6، ص303 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص196 ؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص154)، **وإلا كان أُشير إليهم كما أشار البيذق للنساء اللواتي قابلهن ابن تومرت بصاء (تاوريرت الحالية) وهن يبعن اللبن متحليات متزينات: «كأنهن قد زففن لبعولتهم»** (البيذق: أخبار المهدي، ص21). **ويستشف كذلك من التركيز على سفور الصورة وجواريها بمراكش دون غيرهم من سكان المدينة، ثم من تأكيد البيذق على اختلاط الرجال بالنساء في مكناس دون الإشارة لسفورهن** (البيذق: أخبار المهدي،ص25)، **ثم من تفصيله لكيفية تغيير ابن تومرت للمنكر بفاس دون التطرق لذكر أي امرأة ما، لفت نظره سفورها أو إلتواء سلوكها** (البيذق: أخبار المهدي، ص23 ـ 24)، **اعتياد نساء العامة بفاس ومراكش ومكناس على ستر وجوههن.**

(7) البكري: المغرب، ص169 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص132 ؛ بان علي محمد: جوانب حضارية للمرأة في المغرب الاقصى خلال الدولة المرابطية 448– 541هـ، مجلة الجامعة العراقية،ع35/ 1، 2016م، ص676.

كذلك نستفيد من قول **ابن حرزهم** لرجل جائه مبهورا بكرامة لأحد المنقطعين برابطة في الطريق إلى **فاس**: «أقام في مكان خال لا يشاهد فيه فتنة، وظن أنه جاء بشيء. لو أقام بفاس حيث يعاين المعاجز الزرق على الأعين البلق لعلم هل يصبر أم لا»[1]. أن ملابس بعضهن لم تكن تحقق لهن الستر الكامل، بل كانت تشف وتصف أنوثتهن بكيفية لا يقاومها حتى أصحاب الكرامات. وهذا تحديداً ما جعل **ابن يِسولال** يختار البقاء في بيته **بأغمات**، ويقرر عدم الخروج منه ثانية رغم إلحاح أصحابه عليه في ذلك، حيث رد عليهم ـ وكان قد مر في طريقه بامرأة متزينة فبهره جمالها وفتنه ـ قائلا: «رأيت الحور العين في الدنيا، فكرهت أن أخرج لئلا أرى مثل ما رأيت»[2].

**** المسكن:**

لم يتمكن جل عامة المغرب الأقصى من اقتناء الدور أو بنائها، لذا كان الواحد منهم يلجأ لكراء منزل عند رغبته في تكوين أسرة أو تحصيل مأوى[3]. لكن بعضهم كان يعجز عن سداد قيمة هذا الكراء[4]، لذا كان يعمدون لكراء غرفة واحدة[5]، أو للاشتراك مع آخرين في كراء منزل واحد[6]، كما اختار بعضهم الإقامة بأحد الفنادق[7].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص172.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص230.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص270.

(4) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص78ـ ابن الزيات: التشوف، ص147.

(5) المقري: نفح الطيب، ج3، ص533.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص63، 141 ـ 142.

(7) **يبدوا أن تكلفة الإقامة بأحد الفنادق زمنئذ لم تكن معجزة، وحسبنا أبو موسى الدكالي دليلا على ذلك. فقد كان الرجل يقيم بفندق الزيت بسلا، رغم أن كل ما كان يملكه: مصحف ومجرد سبعة سبعة دراهم أوصى أن يجهز بهم إلى قبره متى توفي.** (ابن الزيات: التشوف، ص205ـ206 [تر73]).

وأين كانت إقامة أحدهم فقد كانت بلا شك أفضل من أن يقيم بخص من البوص[1]، أو بعمران في الجبل طرأ عليه الخراب فلم يبق من بنيانه شيء[2]، أو بالغيران والكهوف[3]، أو بخيمة على البحر[4]، أو بكهف في جبل درن[5]. أو ألا يكون له: «مأوى يأوي إليه إلا ظلال الأشجار والجدر والمساجد والشواهق وبطون الأودية»[6]، كحال بعضهم.

اتخذ العامة بيوتهم من الحجارة والطين[7]، ومن الطوب اللبن[8]، ومن شجر الأرز[9]، ولم يستبعد علوي: «استعمال خشب شجر النخيل على نطاق واسع في عملية البناء بمدينة سجلماسة»[10]. وصنعوا أسقفها إما من جذوع الصنوبر المغطاة بطبقة وقائية[11]، وإما من التبن أو القرميد[12]. ولم تكن تتألف في الغالب سوى من طابق واحد يشتمل على ثلاثة حجرات ـ صغيرة وضيقة ـ أو أربعة حجرات ومدخل[13]، وأحيانا من طابقين يربط بينهما

---

(1) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص61.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص322.

(3): ابن الزيات: التشوف، ص90.

(4): ابن الزيات: التشوف، ص322.

(5) ابن الزيات، التشوف، ص266.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص259 [تر109] ـ التميمي: المستفاد، ق2، ص48، 141.

(7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص116.

(8) روجيه لوتورنو: فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد الحجي ـ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، 1992م، ج1، ص67.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص133 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص116.

(10) حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997م، ص112.

(11) روجيه لوتورنو: فاس قبل الحماية، ص67.

(12) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص32.

(13) ابن مريم: البستان في ذكرالأولياء والعلماء، ص89 ؛ روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص92 ؛ كريمة عبد الرؤف: عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين، رسالة =

درج[1]. ومن بئر في الوسط للاستقاء منه[2]: «إلى جانب عقاب وهو كومة من الحجر تعتمد عليها لوازم البئر»[3]، ومن مطمر لتجتمع فيه مياه المطر[4]، التي ربما استخدمت لاحقا في الشرب[5]. ويلاحظ أيضا على تلك المنازل إنعدام النوافذ في أغلبها ربما طلبا للأمن، وقلة ارتفاع أبوابها لدرجة أن الداخل كان بحاجة للإنحناء للمرور من خلالها[6].

أما الأثاث فقد اتصف بالتواضع. ولا غروا فقد اقتصر أثاث منزل أحدهم على حصيرة يصلي عليها، وسليخة ينام عليها[7]. وأثاث آخر على حصير في وسط البيت لا غير: «وسجادة عليها حصير حلفاء، وفوق الحصير عباءة خشنة جدا كان ينام فيها»[8]. ويندرج تحت بند الأثاث السرير[9]، واللحاف[10]، وكذلك القناديل[11]، والشموع التي كانت تستخدم لإنارة البيوت في المساء[12]،

=

ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2005، ص214 ؛ سمية مقورة: أثاث المنازل في الغرب الإسلامي من القرن 4هـ ـ 10هـ، مجلة المواقف، الجزائر، مج17، ع1، جويلية 2021م، ص722.

(1) القاضي عياض: الغنية، ص210.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص235.

(3) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص31.

(4) ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد، ج2، ص1191.

(5) ابن القطان: نظم الجمان، ص90.

(6) سمية مقورة: أثاث المنازل في الغرب الإسلامي، ص722.

(7) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص80 .

(8) التميمي: المستفاد، ق2، ص17 .

(9) ابن الزيات: التشوف، ص237.

(10) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص182 ؛التميمي: المستفاد، ق2، ص139.

(11) السملالي: الإعلام، ج1، ص266.

(12) التميمي: المستفاد، ق2، ص142.

والمجامر التي كانت تستخدم للتدفئة في الشتاء[1]. والأواني المنزلية كالقدور وقصاع وصحاف الطعام[2].

**** الأعياد والمناسبات:**

لم يفوت المغاربة في الفترة موضوع الدراسة - ولا قبلها أو بعدها حقيقة - فرصة أو مناسبة للاحتفال إلا واقتنصوها، لِما كانت تمثله الأعياد والاحتفالات لهم من متنفس ومناسبة للاستمتاع، لذلك كانت الاحتفالات عندهم كما عبر أحد الباحثين: «لا تنقطع»[3]. لكن ذلك لا يمنع من أن كيفية الاحتفالات نفسها كانت تختلف من طبقة إلى أخرى، لأنه كلما كان مستوى المحتفلين أرفه، كلما كانت احتفالاتهم أكثر إسرافا وبذخا، أما العامة والبسطاء فقد كانت احتفالاتهم كَهُمْ، بسيطة مثلم. لكن الجيد في الأمر أنهم كانوا يستفيدون من تلك المناسبات السعيدة إستفادات مختلفة، نقودا مرة، ومرة طعاما أو لباساً أو عفواً أو إطلاق سراح أو عتق أو غير ذلك[4].

على أية حال كانت أكثر تلك الأعياد تكراراً: **يوم الجمعة**[5]. وقد جرت العادة فيه أن يكون يوم راحة أسبوعية لطلبة الكتاتيب: «وذلك سنة المعلمين منذ كانوا»[6]، حيث كانوا ينصرفون إلى بيوتهم بعد عصر الخميس ثم يبكرون

---

(1) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص182 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص139.

(2) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص215.

(3) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص180.

(4) كما حدث بمناسبة انتصار الزلاقة 479هـ. (أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص149).

(5) روي عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «إن يوم الجمعة يوم عيد». (ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ط، 1980م، ج3، ص 316).

(6) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص135.

إلى معلميهم يوم السبت[1]. كذلك كانت تتوقف فيه كل مرافق الدولة الإدارية[2]، ويمتنع فيه الناس عن البيع والشراء وخاصة بعد النداء[3]، ويقبل فيه المتسولون على المساجد، ليستغلوا روحانيات ذلك اليوم وما يكتسيه من حلل دينية ويصبطغ به من احتفالية، في استدار عطف المصلين واستجداء أموالهم. ويظهر أنهم بلغوا من الكثرة والإلحاح والابتذال الحد الأقصى، بدليل إفتاء أكثر من عالم واهتمام أكثر من محتسب بالتنبيه ضدهم، والتوصية بمنعهم من ممارسة أنشطتهم بين صفوف المصلين[4].

أيضا كان من المناسبات الدينية المتكررة التي احتلت مكانة كبيرة وقداسة وتعظيما منقطعي النظير في نفوس عامة المغرب الأقصى وخاصته على السواء، **شهر رمضان** المعظم. وقد اجتهد قضاة المغرب في مراقبة طلوع هلاله المبارك، واستفرغوا وسعهم في ذلك أشد ما يمكن. حيث كانوا يبعثون في نواحي بلدانهم من يأمر أئمة المساجد وأهل الثقة في جهاتهم، بإلتماس رؤيتة. بل وربما بعثوا الخيل في نواحي عمالتهم، رجاء أن يكون أحد رآه بها، فيعمل ـ إن كان عدلا ـ برؤيته. فإن ثبتت رؤيته بمن تثبت عدالته عندهم، بعثوا في نواحي بلدانهم بالنداء بذلك والإخبار عليه[5]. كذلك كان من عادة أهل البادية إضرام النار من قرية إلى أخرى إعلاما برؤية الهلال[6]، ويبدوا أن إيقاد النار لم تنفرد به أول ليلة

---

(1) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، ص135 ـ 136 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص290.

(2) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص86.

(3) ابن عبد الرؤوف: أداب الحسبة والمحتسب، ص76.

(4) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص24 ؛ ابن عبد الرؤوف: أداب الحسبة والمحتسب، ص74 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص146 ـ 147 ؛ الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص 246 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج2، ص 225.

(5) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج1، ص518.

(6) الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص412 ـ ج2، ص465 / ج10، ص149.

فحسب بل تعدتها إلى سائر أيام الشهر، بدليل ما ذكره الجيلالي في رسالته من أن المرابطين كانوا: «ينيرون المآذن ليلا في فاس طيلة شهر رمضان»[1].

أما السحور فقد استعملت لإيقاظ الناس له عدة طرق، من بينها: أن يدق المُسحِّر الأبوب على أصحابها وينادي عليهم قوموا كلوا واشربوا[2]، أو أن يصعد بعضهم على المأذنة إذا كان وقت السحور ويضربو بالنفير سبع مرات، ثم بالأبواق سبعا أو خمسا: «فإذا قطعوا، حرم الأكل إذ ذاك عندهم»[3]، أو أن ترفع النار في المنائر وقت السحور إعلاما بدخول وقت الفجر[4].

وكانت عادة العامة أن يستعدوا لاستقبال هذا الشهر المبارك من أول ليلة فيه، بإسراج قناديلهم وشراء ما يتسحرون به، كهذه المرأة الفقيرة التي أعطت لابنها غزلا وأوصته أن يشتري بثمنه خبزا وزيتا ليوقدوا قنديلهم ويتسحروا بالخبز والزيت: «فإن هذه أول ليلة من رمضان وهي ليلة مباركة»[5]، كذلك كانوا خلاله أكثر حرصا على بر أقاربهم، والعطف على أيتامهم وإطعامهم وكسوتهم[6]، واصطحاب أبنائهم معهم لآداء صلاة القيام[7].

وكان لكل طريقته في إحياء ليالي هذا الشهر الكريم، فمنهم من أحياها

---

(1) رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس، القاهرة، دار الكتب المصرية، مخطوط رقم: 8861ح ـ **نقلا عن:** عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص182/ حا3.

(2) ابن الحاج، المدخل، ج2، ص255 .

(3) ابن الحاج: المدخل، ج2، ص255ـ256 ؛ الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص118/ حا 522.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص465.

(5) السملالي: الإعلام، ج1، ص266.

(6) السملالي: الإعلام، ج1، ص267.

(7) السملالي: الإعلام، ج1، ص268.

بالصلاة أول الليل[1]، ومن أقاموها آخر الليل في جماعة[2]، ومن أقامو الليل كله[3]. وهناك من أحياها بقراءة القرآن كأبو عمرو (شيخ أبو عبد الله الدقاق)، الذي كان يختم القرآن كلّ ليلة[4]. ومحمد بن عمراللمطي، فقد كان هو الآخر إذا جاء رمضان: «سد عليه بابه، وختم القرآن كل ليلة، فيأتيه أهل الجهات فيصلون بصلاته»[5]. وهناك من أحياها بالقراءة، كابن النحوي الذي انتسخ كتاب الغزالي (إحياء علوم الدين) في ثلاثين جزءاً، فإذا دخل رمضان قرأ في كل يوم جزءاً[6]. ومن كان إذا دخل رمضان طوى فراشه وأخذ في الإجتهاد[7]، لا تدري أي باب سلكه.

لكن هذا لم يمنع من انقضاءه على بعضهم وهم -كشأنهم في باقي الشهور- في لهو ولهوة. بل إن أحدهم تمنى سقوط شهر رمضان من كل عام[8]، حيث يقول:

بَشِّر أيلول بشهر الصيام	وما قضينا فيه حق المدام
والله ما أرضى عن الدهر أو	يسقط شهر الصوم من كل عام

(1) السملالي: الإعلام، ج1، ص268.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص147.

(3) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص70.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص140/ حا197.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص344.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص96.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص 338.

(8) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص227.

- وانظر تعليق الدكتور محمد بن شريفة في أمثال العوام، ص357، على المثل رقم: 1571.

وفي أمثال هؤلاء يقول الجورائي (ت589هـ):

لا تَجْعلــنَّ رَمضــانَ شَــهر فُكَاهــةٍ تُلهيــكَ فِيــهِ مــن الحَــدِيثِ فُنونُــهُ
واعْلَــم بِأنَّـــكَ لَـــنْ تَنـــال ثَـــوَابَهُ حَـــتَّى تَكــونَ تَصُــومُهُ وتَصُــونُهُ[1]

كما كانت ليلة **السابع والعشرون من رمضان** من الليالي التي عظمها أهل المغرب[2]، واتخذوها موسما[3]، ومُنَاسَبة لا تُفوَّت لختم القرآن الكريم. وحسبنا في ذلك تاشفين ابن علي الذي صعد في جماعة يسيرة من خاصة أصحابه ـ رغم محاصرته من قبل الموحدين في وهران ـ إلى رباط يأوي إليه المتعبدون على ربوة مطلة على البحر، ليتبرك بحضور ختم القرآن مع أولئك الصالحين[4].

وبعد نهاية الشهر اعتاد الناس على **الإحتفال برؤية هلال شوال**. حيث كانت تقرع الطبول احتفالا بليلة العيد، وترفع الراية فوق صومعة جامع يوسف ابن تاشفين ابتهاجا بقدومه، وتقدم التهاني، وتخرج الزكوات، لكن الملابس الجديدة كانت مكلفة بصورة يصعب على غير الموسرين تحملها[5]. ونستشف

---

(1) هو أبو محمد يسكر بن موسى الجورائي أو الجراوي (ت598هـ)، فقيه مدينة فاس وخطيب مسجد القرويين على عهد بني عبد المؤمن، وصاحب ابن حرزهم (ت559هـ) المعاصر للمرابطين. (أنظر: الجزنائي: جنى زهر الآس، ص56 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس،ج2، ص562 [تر655] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص337 [تر171]).

(2) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص202 ؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ج2، ص26.

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص251.

(4) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص161 ؛ ابن الأثير: الكامل، ج9، ص202 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص126.

(5) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص88 ـ 89.

كذلك من أمثال العامة، ومن سؤال أحدهم عن الحُكم فيما اعتادت عليه الناس بعد انقضاء صلاة العيد من المصافحة والمعانقة وتقبيل الرأس واليدين[1]، ماجرت عليه عادة الناس بعد آدائهم لصلاة العيدين من تهاني وتحيات.

أما **عيد الأضحى** فقد دأب الخاصة على التهيئ له بشراء أضحيـة مُشَرِّفة، بعدما صارت في أوساطهم مادة للتباهي والمفاخرة[2]، على عكس العامة اللائي مثلت الأضحية لهم مادة للنزاع وسببا للخصام والنفار والمناكدة بين الزوجات وأزواجهم؛ لعجزهم عن شراء أضحية[3]. فمن أسفعه حظه ساندته زوجته بما يشترون به أضحيتهم، كهذه المرأة التي دفعت لزوجها غزلا ليشتري بثمنه أضحية لهم[4]. أما من لم يسعده طالعه بامرأة نجيبة كهذه فقد كان يضطر أمام إلحاح زوجته وبكاء أطفاله إما لسرقة هـذه الأضحية[5]، وإما لإراقة ماء وجهه وتسولها[6]، بيد أن حرارة كل ذلك كانت تزول بمجرد الخروج للمصلى[7].

وكانت العادة ألا **يذبح** أهل أية قرية أو بلد تُصلى فيها صلاة العيد في جماعة، حتى يذبح إمامهم الذي صلى بهم صلاة العيد. ومن ذبح قبل إمامه ـ وإن كان بعدما صلى وخطب ـ لم تجزئه أضحيته، لذلك أفتى ابن رشد بوجوب إخراج أضحية الإمام إلى المصلى ليذبحها بيده عند فراغه من الصلاة والخطبة، حتى

---

(1) **قالت: جِي العيد، بخَبَر البارد وسلام المَسُوسْ.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص178[مثل784] ؛ الشاطبي: فتاوي الإمام الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، مطبعة الكواكب، تونس، ط2، 1985م، ص 213).

(2) الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص117.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص274 ؛ أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص62.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص274.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص234.

(6) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص62 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص131.

(7) عبر ابن قزمان عن ذلك بقوله: **وش يقاسي الإنسان من حرارة فالاعياد ** بالخروج للمصلى تنطفي ذي الحرارة.** (ديوان ابن قزمان، ص162[زجل48]).

يذبح الناس بعده، كي لا يضيع ثواب من قد يذبحون قبل ذبحه، لسبقهم إياه بالوصول إلى دورهم[1].

ولا توفتنا الإشارة إلى أنه كان من عادة عامة المغرب في الأعياد، غير الإستماتة في تحصيل أضحية، **زيارة المقابر**. وهو ما نستفيده من وصف المقري وابن خاقان لزيارة الشاعر ابن عبد الصمد لقبر المعتمد بن عباد بأغمات ضمن من حضروا لزيارة قبور ذويهم، يقول: «فلما كان يوم العيد، وانتشر الناس ضُحى، وظهر كل متوار وضَحى، قام على قبره عند انفصالهم عن مصلاهم، واختيالهم بزينتهم وحلاهم، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه، وخر على تربه ولثمه: ملك الملوك أسامع فأنادي»[2]. كذلك كان من عادة الناس بفاس ومكناسة متى كانت بطالة لعيد أو غيره أن يرحلوا لزيارة أبي يعزي بالجم الغفير والعدد الكثير[3]، ولا شك في تكرار هذه الزيارات في أماكن أخرى لأولياء ومباركين آخرين.

أيضا كان من المناسبات والمواسم الإسلامية التي احتفل بها عامة المغرب الأقصى، **يوم عاشوراء** (عيد الفاكهة)[4]، وقد تجلت مظاهر الاحتفال به في شراء الفواكه المتعددة والياميش والحلوى[5]، والإكثار من الطعام ـ حتى لو استدين في سبيل تجهيزه ـ والدعوة إليه[6]. **وليلة النصف من شعبان**، التي أحيوها أيضاً بإعداد الولائم (الشعبانية)[7]، وصناعة الحلوى[8]، وشراء الألعاب

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص32 ـ 33.

(2) ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص107 ؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص224.

(3) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص50.

(4) الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص 238.

(5) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص138.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص271.

(7) **سميت ولائمه باسم شعبانية نسبة لشهر شعبان.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص438/ حا1917).

(8) ابن الحاج: المدخل، ج1، ص299.

ـ **ولذلك قيل فيه: شعبان شبعان.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص438 [مثل1917]).

لأبنائهم. حيث كان من عادة الآباء في هذا اليوم أن يشترو لأبنائهم النفير أو الأبواق ليلهو ويتسلو بها. بيد أن تسليتهم تلك كانت تسبب صخبا وضجيجا منفرا ضرب به المثل في الإزعاج[1]، ولعل هذا يذكرنا بما يحدث اليوم في أريافنا بمصر بمناسبة المولد النبوي الشريف حتى ساعات الصباح الأولى.

هذا بمصر أما بالمغرب فالظاهر أن الاحتفال **بالمولد النبوي** لم يصبطبغ بالرسمية إلا في أواخر القرن السابع الهجري[2]، وكان أول من ندب للإحتفال به قاضي سبتة أبو العباس العزفي (ت 633هـ)[3]، لذلك كان أول ما قام به ابنه أبو القاسم محمد العزفي لما استبد بحكم سبتة هو تحقيق دعوة والده والإحتفال بالمولد النبوي من أول ربيع بعد إمارته (648هـ / 1250م) وحتى وفاته عام (677هـ / 1279)[4]. يقول ابن عذارى: «ومن مآثره العظام قيامه بمولد النبي عليه السلام من هذا العام»[5]. بيد أن ذلك لا يمنع من أن يكون العامة قد احتفلوا به قبل هذا التاريخ بطريقة تلقائية[6].

ومما يلحق بالاحتفالات الدينية تلك الإحتفالات التي يمتزج فيها الحزن بالمشاعر الدينية، حيث كان الناس يخرجون في شبه مظاهرة دينية، للمشاركة في جنائز الصالحين الذين امتلأت بهم جنبات المغرب، لتشييعهم وإلقاء النظرة

---

(1) قيل: أوحش من نفير الصبيان في شهر شعبان. (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص118 [مثل 522]).

(2) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص91.

(3) أنظر: محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000م، ص518 ؛ حمدي عبد المنعم: مدينة سلا في العصر الإسلامي، ص78.

(4) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، ص 519.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص398.

(6) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص91.

الأخيرة عليهم[1]. كابن العريف (ت537هـ) الذي احتفل الناس في مراكش بجنازته[2]، وزمور بن يعلي الهزرجي (555هـ) الذي تفاتنت القبائل عليه، كلهم تريد أن يدفن عندها لتنال بركته[3]، ويوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي (572هـ) نزيل مراكش الذي لم تكد جنازته تخرج من باب الدباغين، حتى: «أتى الناس إليها من كل جهة، واحتفل الناس بجنازته، وحضرها خلق كثير»، رغم أنه لم يكن يَعلم بموته غير جيرانه[4]. وابن بِرَّجان (536هـ) الذي دَعىَ ابن حرزهم الناس لحضور جنازته مخالفا بذلك أمر علي بن يوسف بن تاشفين بطرحه على المزابل[5]: «فامتلات الرحاب من الناس وضاقت البلد عنهم»[6]. وأبو موسى الدكالي الذي اجتمع لجنازته خلق كثيرون كل واحد منهم يقول إنما يدفن في روضتي: «فطائفة تحمله إلى هذه الجهة وأخرى تحمله إلى جهة أخرى»[7]. والتميمي الذي: «احتفل الناس لجنازته، وولعت العامة بنعشه مسحا بالأكف ولمسا بأطراف الثياب تبركا به»[8]. وآخر مجهول رُئيت له بأغمات: «جنازة عظيمة قد احتفل الناس لها»[9]، نتيجة لما اعْتُقِد فيه من الصلاح وما لوحظ

---

(1) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص420.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص118 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص169 ؛ ابن المؤقت: السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، مراجعة: أحمد متفكر، آفاق للدراسات والنشر، مراكش، المغرب، ط3، 2011م، ص75.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص 225.

(4) ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ص 99.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص170 ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص57.

(6) ابن برجان: تفسير ابن برجان، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2013م، ج1، ص27.

(7) ابن الزيات: التشوف، 206.

(8) القاضي عياض: الغنية، ص29 [تر1].

(9) ابن الزيات: التشوف، ص230.

عليه من علامات الولاية. ما يعني أن وفاة العُباد والصالحين كانت فرصة لعامة الشعب للتعبير عن احترامهم وتقديرهم للصالحين من أبناء وطنهم[1].

يأتي إلى جانب الإحتفالات الدينية والمواسم الإسلامية التي احتفى بها العامة، **الإحتفالات العائلية والأسرية** من خطبة وزواج وغير ذلك. حيث جرت العادة بعد اختيار العروس المناسبة ـ وهي مهمة عادة ما كانت تقوم بها النساء المسنات من باب حب الخير والوصل بين الفتى والفتاة ـ تحديد يوم الخطبة[2]. وبعد إتمام الخطبة والإتفاق على الصداق وهدايا العروس، كان يُعلَن عن موعد حفل الزفاف، والذي كان يستدعى لإحيائه المغنون والعازفون[3]، لإطراب الحاضرين بأصواتهم وإمتاعهم بعزفهم وضربهم على الآلات الموسيقية المختلفة من عود ودف ومزمار وخلافه[4]. هذا فضلا عن الراقصات اللائي كن يرقصن حاسرات الرأس، والحواة المسؤولين عن إبهار الحاضرين بألعابهم وحيلهم[5].

ومن المناسبات الأسرية كذلك الإحتفال بإنجاب مولود جديد ولاسيما إذا كان ذكرا، وهذه الحقيقة كانت ما سيتسرب لمشاعرنا لو أننا سمعنا هذا الرجل وهو يقول لأبو يَلْبخت مفتخراً: « ولد لي مولدا ذكرا»[6]، بعدما لجأ إليه ليساعده في توفير ما يطعم به زوجته النفساء. وحسبنا مثالا على ذلك أيضا الفرحة الغامرة التي انتابت أم المهدي ابن تومرت لما انجبته، يقول البيذق: «ولما وُلِد فرحت به أمه وسُرَّتْ، وقالت باللسان البربري آتُومَرتْ آيْنَوْ آيْسَّكْ آيِيوِي،

(1) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص421.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص330.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص311، 365.

(4) ابن عبد الرؤوف: أداب الحسبة والمحتسب، ص83 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج2، ص256.

(5) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص51.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص381 .

ومعناه: يا فرحتي بك يا بني. وكانت تكثر من قول ذلك»[1]. وقد جرت عادة النساء في مناسبة سعيدة كهذه أن يعبرن عن فرحتهن بإطلاق العنان لزغاريدهن، وقد رآها ابن تومرت مناسبة تستحق فعلا كل هذه السعادة بعدم إنكاره على من سمعها تزغرد لفرحها بإنجاب صبي[2]، رغم ما عرف عنه من تحري سقطات المرابطين[3].

والحقيقة أن هذه الفرحة ـ وبما أننا نتكلم عن العامة ـ كانت معرضة دائما لما يعكر صفوها ويجعلها على العكس مناسبة تستدعي التغير والانقباض، كأن تضع زوجة أحدهم مثلا وليس لديه ما يلفه فيه أو ينفقه عليه، كابن ويْخْلاَن الذي وضعت زوجته وليس عنده غير كساء واحد يستر به نفسه[4]، وكهذا الرجل الذي أصبحت زوجته نفساء: «ولم يكن عنده ذلك اليوم ما ينفقه»[5]. غير أن هذه الحاجة لم تكن تمنع أية أسرة من الإحتفال بإبنها وإقامة عقيقة له، حتى ولو اضطر والد الطفل لسؤال ما يقيمها به. وحسبنا ما نقله البادسي على لسان أحدهم، قال: «كانت أمي حاملا بي، ولم يجد أبي ما يقيم به شأن ولادتها، فتوجه من بادس إلى الشيخ محمد اليستثني، قال أبي: فقلت في نفسي أريد أن يعطيني هذا الشيخ عنزا جيدا وصحفة من قمح»[6]، يقصد ليطعم بها مدعوي

---

(1) البيذق: المقتبس من كتاب الانساب، ص27.

(2) أنظر: البيذق، أخبار المهدي، ص29.

(3) لو نظرنا إلى نصف الكوب الفارغ في إرسال ابن تومرت من يتقصى عن سبب ما سمعه من زغاريد، لرأينا شخص يتحرى عن سقطة جديدة يضيفها لسجل سقطات المرابطين ليشنع بها عليهم، أو شبهة يُبِّدعهم أو يكفرهم بها إن أمكن، لا مُصلحا يتحرى أخطاء أمته ليهديها سواء السبيل. لتفاصيل القصة (أنظر: البيذق: أخبار المهدي ص29**).**

(4) ابن الزيات: التشوف، ص147.

(5) السملالي: الإعلام، ج1، ص264.

(6) البادسي: المقصد الشريف، ص87.

عقيقة ابنه الحاكي: «فدعا [الشيخ محمد] برجل وقال له ادفع لهذا الرجل عنزا جيدا، ودعا بآخر وقال له ادفع له أربعين درهما يشتري بها صفحة قمح»[1]، فعاد وأقام عقيقته وأطعم وأنفق كأفضل ما يكون.

كذلك كان إعذار الأطفال (ختانهم) مناسبة عائلية أخرى تستدعي الفرحة وإطلاق الزغاريد[2]، وصنع الطعام ودعوة الأهل والجيران. حيث جاء في ترجمة أحد المتصوفة أنه أعد ثوراً ليطعم جيرانه إذا اختتن ولده[3]. وذكر في مناقب آخر أن فقيرا لجأ إليه - بعدما أمره الرسول "ص" بذلك في منامه -، ليعينه على ختن ابنه الذي كبر ولم يختتن بعد، فأمر الفقيه من يشتري له: «كسوة لعياله ولجميع أولاده. وأصلح من شأنهم، وطهر ولده، وقام بجميع أموره من طعامٍ وغيره»[4]. ونستفيد من إحدى النوازل أن هذه كانت مهمة الحَجَّام، وأنه رغم كراهة ذلك، كانت العادة أن يختتن الطفل في اليوم السابع من ميلاده: «فَعَلَتْ ما العادة أن يفعل الناس مثله»[5].

***وسائل التسلية والترفيه:**

شَغَل العامة في عهد المرابطين أوقات فراغهم بالاستمتاع بكل ما أُتيح لهم من وسائل التسلية والترفيه، تارة شحنا لطاقتهم وشحذاً لهممهم وترويحاً لقلوبهم وبعثاً لها، وتارة بطالة وفراغ وقت وفساد رأيي. وأيا كان الباعث فقد اختلفت طرقهم ووسائلهم لتحقيق هذا الترفيه. فمثلا كان من بين وسائلهم، ارتياد الحدائق والمنتزهات وممارسة بعض الرياضات والألعاب، وسماع الموسيقى والغناء.. إلى غير ذلك من عوامل التسلية والترفيه.

(1) البادسي: المقصد الشريف، ص87.
(2) البيذق: أخبار المهدي، ص29.
(3) ابن الزيات: التشوف، ص 381.
(4) التميمي: المستفاد، ج2، ص ص 88 ـ 89.
(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص 344.

أسهمت طبيعة المغرب الأقصى بما اشتملت عليه من رياض وبساتين ومتنزهات - أفرغت الطبيعة في تصورها كل خيالها، وفي تشكيلها وتجسيدها وصياغتها كل موهبتها - في جذب عامة المغرب الأقصى وخاصته لقضاء أوقات فراغهم في الإستمتاع بهذه المناظر الطبيعية الخلابة. وقد تجلى هذا السحر في عدة أماكن، منها مثلا جبل غُمَارة الذي امتاز بالغياض والأودية والمتنزهات التي لا توجد في غيره من الأماكن[1]، وكذلك وادي شفشاون، فقد امتاز هو الآخر بالجنات والصفصاف وأنواع الشجر[2]. وامتازت أيضا جبال بني يازغة بغابات الأَرز[3]، وجبل بني بهلول بغابات البلوط[4]. وقد اتخذت عدة أنواع من الطيور والحيوانات من أغصان تلك الأشجار أوطانا لها، كالقردة التي كان بالإمكان مشاهدتها: «تثب من أرزة لأخرى، وهي في الجو الأعلى»[5].

كذلك اشتهر جبل غياتة بأشجار الجوز والتين والأعناب وجميع الفواكه، وبعدة شعاب مكسوة بغابات تكثر فيها القرود والفهود[6]. أيضا حكى البيذق أنَّ ابن تومرت لما أشرف على الكدية البيضاء - وهو في طريقه لمكناسة - وجد

---

(1) مجهول: الإستبصار، ص 190.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص 127.

(3) **جبال بني يازغة: تقع على بعد ثلاثين ميلا من فاس.** (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص 44 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص35 - 36 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص35).

(4) **جبل بني بهلول: يقع هذا الجبل جنوبي فاس، بينها وبين صفرو، وفي سفحه قرية البهاليل العتيقة.** (الجزنائي: جني زهر الآس، ص35/ حا84).

(5) مجهول: الإستبصار، ص 187.

(6) **جبل غياتة: يقع على بعد خمسة أميال من تازة، ويمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة قرابة ثمانية أميال طولا وخمسة أميال عرضا. ويسكنه قبائل من البربر يعرفون بغياتة.** (مجهول: الاستبصار، ص 186 ؛ الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص 356).

متنزهاتها: «مملوءة رجالا ونساء تحت شجرة لوز»، فدخل فيهم وبددهم يمينا ويسارا[1]. ولا ننسى كذلك ما وصفت به فاس من كثرة ما بها من أنواع الورود، لدرجة أنه كان: «لا يشق شيء من ذلك لمن طلبه»[2].

كما اعتاد العامة على الاستمتاع في فصل الصيف بالسباحة في مياه المحيط، وعلى نصب خيامهم على شاطئه، والمبيت بها خلاله[3]. ولم يُحْرم سكان المدن الداخلية ـ بفضل شبكة الأنهار المغربية ـ من التنزه والاستمتاع بنزول الماء وممارسة الصيد هم الآخرين، ولا غروا فالمصادر تخبرنا أن أكثر نزهات أهل فاس كانت في نهر سبو وعلى ضفافه[4].

كذلك اعتاد أهل فاس على الخروج للحِمَّات القريبات منها، كَحِمَّة خولان[5]، التي وُصف ماؤها بأنه أشد ما يكون سخونة[6]. وحمة وشتاتة[7]،

---

(1) **الكدية البيضاء: اعتبرتها الدكتورة عصمت دندش متنزها عندما قالت: «أو مناطق المنتزهات..»، ولعلها هي المسماة الآن "حمرية" المشرفة على مدينة مكناس القديمة. ولا ينبغي الخلط بينها وبين الكدية البيضاء بالريف، التي صارت تدعى فيما بعد مرسى غساسة.** (البيذق: أخبار المهدي، ص25/ حا28 ؛ عصمت عبد اللطيف دندنش: المرأة في تادلا من خلال كتب الرحلات في العصر الوسيط، مجلة المناهل، سنة 19، ع44، يونيو 1994م، ص167).

(2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص 44.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص 234[تر88].

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص36.

(5) **حِمَّة خولان: هي الحمة التي تعرف اليوم بحمة حرازم، وتقع على بعد 15 كم إلى الجنوب الشرقي من فاس، وتنبع منها مياه غنية بالغاز الكربوني تبلغ حرارتها 35 درجة.** (الجزنائي: جنى زهر الآس، ص 36/ حا85).

(6) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص36.

(7) **حِمَّة وشتاتة: حمة صغيرة تقع في المنحدرالشمالي لجبل زالغ المطل على فاس، غير بعيد عن باب وشتاتة. مياهها دافئة غنية بالكبريت ولكنها قليلة، إذ لا تتجاوز كمية نبعه ثلاثة ألتار في الثانية، لذلك لا يستحم بها إلا أهل القرى والمداشر** =

وأبي يعقوب[1]، للاستشفاء بمياههما الكبريتية، والاستمتاع بدفئهما[2]. ولعل ما قاله ابن أبي ذرع (ت741هـ) بخصوصهم: «وهي من الحمات المشهورة بالمغرب»[3]، يعني أنهم أصبحو ـ على أيامه ـ مقصدا لكل أهل المغرب، لا أهل فاس فقط.

وقد رأى ابن الذيب أن المجتمع المرابطي شأنه شأن غيره من المجتمعات الإسلامية التي أولت للخيل عناية واهتمام كبيرين[4]، لذلك لم يستبعد بوتشيش وهو يتحدث عن ممارسة الأندلسيين لألعاب الفروسية، والباحث معه: «أن تكون بعض القرى المغربية قد عرفت بدورها ألعاب الفروسية»[5]. خصوصا مع وصف الإدريسي لأهل أم الربيع بأن: «الغالب عليهم الفروسية»[6]، واعتياد أهل آنقال صيد النعام طرداً بالخيل في الفحص الطويل

=

المجاورة لها والمارين بها. (الجزنائي: جنى زهر الآس، ص 36/ حا86 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص36/ حا21 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص45/ حا 77).

(1) حِمَّة أبي يعقوب: تعرف اليوم بحمة "مولاي يعقوب"، وأبو يعقوب هذا المنسوبة إليه الحمة هو يعقوب المنصور بن الأشقر البهلولي(ت689هـ). تقع الحمة في شمال غرب فاس على بعد 15كم منها، وتنبع منها مياه سخنة ممتزجة بكميات وافرة من محلول الكبريت، لذلك يؤمها الناس من داخل المغرب وخارجه لعلاج الأمراض الجلدية والزكام الدماغي والروماتزم. (الجزنائي: جنى زهر الآس، ص36/ حا87 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص45/ حا78 ؛ الكتاني: سلوة الانفاس، ج3، ص270 [تر1191]).

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص36 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص36 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص44 ـ 45.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص36.

(4) عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص188 ـ 189.

(5) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص96.

(6) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص46.

الواقع قبالتهم[1]، وامتداح صاحب الاستبصار خيل جبال فازاز (الأطلس المتوسط)[2]، بأنها: « من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها »[3]. إذ لا شك أن يكون أهل فازاز قد أمتعوا أنفسهم بامتطاء هكذا خيول، وأرضوا غرورهم بالمسابقة بها، وأظهروا شجاعتهم بخوض حروب وهمية على ظهورها.

وكالفروسية كان الصيد هو الآخر ضمن الأنشطة التي استهوت عامة المغرب الأقصى ووجدوا في ممارستها المتعة والتسلية، ولاسيما مع وفرة كل أشكال الطرائد، بشهادة ابن القاضي الذي اعتبر أنَّ من مآثر فاس أنها: «لا ينعدم بنواحيها صيد، سابحاً كان أو طائراً أو ماشياً»[4]. وغير فاس اعتاد أهل آنقال (دار المرابطين) هم وأهل ناحيتهم الخروج لصيد طيور النعام من الفحص الطويل الواقع قبالتهم، طرداً بالخيل:

«فيقبضون منها جُملا كباراً وصغارا»[5]، كما اصطاد أهل تاودا الأرانب باستخدام الكلاب[6].

---

(1) آنقال: قرية على بعد مرحلتين من أم الربيع، ويقال لها أيضاً دار المرابطين. (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص 237 ؛ الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص47).

(2) عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ص 124.

(3) مجهول: الاستبصار، ص 187.

(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص44.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص237 ـ 238 ؛ الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص47.

(6) تاودا: تاودا أو بني تاودا هي ثغر بناه المرابطين على بعد مرحلتين من فاس، وثلاثة أميال من طرف جبل غمارة لتكون سدا مانعا ضد عبث طغاة غمارة وغاراتهم. (أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص248 ـ 249 ـ ابن الزيات: التشوف، ص273).

وَجَرُؤَ أهل أم الربيع على صيد الأسود بأنفسهم من غير سلاح، حيث كانوا: «يُلْقون أكسيتهم على أذرعهم ويمسكون معهم قنات من شوك السدرة وسكاكينهم بأيديهم لا غير»[1]، كذلك كان لأهل قرية ايكسيس بيت متخذ لصيد الأسود: «حتى أنه ربما صيد منها في الجمعة الثلاثة والأربعة، والأكثر من ذلك والأقل»[2]. وقد بلغت جرأتهم في صيد تلك الحيوانات حد أنها كانت تخاف ضرهم وتجتنب طرقهم[3]. ويبدوا أنهم أورثوا أبنائهم تلك القوة، بدليل ما ورد بمناقب أبي يعزى عن أبناء جيرانه الذين سرقوا شبلين، وعن الآخر الذي ربى في بيته فرخ ذئب وجده في مغارة[4].

وعلى الرغم من تحمس داعية المرابطين عبد الله بن ياسين ضد كل أشكال اللهو وعلى رأسها الموسيقى وآلاتها، شكلت الموسيقى والغناء ـ بعدما فقدت تعاليم ابن يا سين بالوقت كل تأثيرها ـ أهم الوسائل التي رَوَّح بها العامة عن أنفسهم، وأحيوا بها لياليهم ومناسباتهم السعيدة. حيث مال المرابطون مع أول احتكاك حقيقي لهم بأهل الأندلس للإنغماس في كل ألوان الترف ضاربين بتعاليم ابن ياسين عرض الحائط، فصارت هناك مجالس للغناء، وأصبحت أدوات اللهو والغناء متوفرة في كل مكان[5]. كحوانيت زقاق بزقالة بمدينة فاس التي كانت مملوءة ـ على فرض صدق ما حكاه البيذق ـ[6]، قراقر،

---

(1) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص46 ؛ الإدريسي: صفة المغرب، ص71.

(2) ايكسيس: هي قرية تبعد مرحلة عن سلا، وثمانية مراحل عن مراكش.
(الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص236، 238 ؛ الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص47 ؛ الإدريسي: صفة المغرب، ص72).

(3) الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، ص46.

(4) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص54، 57.

(5) أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص128 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص430.

(6) البيذق: أخبار المهدي، ص23 ـ 24.

ودفوفا[1]، وعيدانا[2]، ومزامير[3]، وأربية[4]، وروطا[5]، وكيتارات[6]، وجميع اللهو. ما جعل ابن تومرت ينقم على المرابطين تهاونهم في محاربتها، ويأخذ على عاتقه فعل ذلك بنفسه[7].

ونذكر أخيرا بعض اللعب والألعاب التي مورست في الفترة موضوع الدراسة، والتي وردت أسماؤها عَرضاً ببعض كتب الحسبة والنوازل، وفي بعض الأزجال والأمثال، مثل: لعبة **اللطمة والمقرع** التي نهى ابن عبدون عن لعبها لما كانت تحدثه من هرج وما تورثه من نفاق[8]، وتقريباً هي هي **اللعب بالمقارع**

---

(1) **دفوف: مفردها دف، وهي: «آلة للطَّرب، مُسْتديرة لها جلد مَشدودٌ يُنْقر عليه».** (أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص755).

(2) **عيدانا: مفردها عود، وهو: «آلة موسيقية وتريّة يضرب عليها بريشة ونحوها».** (رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج7، ص339).

(3) **مزامير: مفردها مزمار، وهي: «آلة من خشب أو معدن بها ثقوب للأصابع، ولها مفاتيح، تنتهي قصبتها ببوق صغير، يُنفخ فيها فتحدث صوتًا».** (أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص994).

(4) **أربية: مفردها ربابة، وهي: «آلة طرب شعبية ذات وتر واحد، تُشبه الكمنجة في شكلها».** (أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص842).

(5) **روطا: مفردها رُوطَة، وهي: «آلة وترية يعزف عليها في مصاحبة الغناء».** (رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج5، ص251).

(6) **كيتارات: مفردها قيتارة (قيثارة) أو كطارة، وهي: «آلة طرب ذات ستة أوتار».** (رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج8، ص182 ـ ج9، ص103 ؛ أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص1882).

(7) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص430.

(8) **اللطمة والمقرع: لعبة كان يلعبها الأطفال والشبان على حد سواء. وهي لعبة خشنة جدا، حيث كان يتجمع اللاعبين في أحد الشوارع وهم مسلحين بالعصي ليشتبكو مع بعضهم بها، مما كان يؤدى لإصابة بعضهم ولإشاعة الصخب ونشر الهرج.** (ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص52 ؛ محمود أحمد هدية: =

والعصي التي منع ابن عبد الرؤوف من لعبها هو الآخر لما كانت تحدثه من صخب وهرج[1]. ولعبة **خيال الظل** التي أشار إليها ابن بسام في الذخيرة بقوله: «ومد فيه شرائط وحبالاً، كأنه يريد أن يخرج خيالا»[2]، وابن الحاج في المدخل بقوله: «بعض المخايلين من أهل اللهو واللعب إذا عملوا الخيال بحضرة بعض العوام.. يخرجون في أثناء لعبهم لعبة يسمونها لعبة **بابة القاضي**، فيلبسونها زيه، من كبر العمامة وسعة الأكمام وطولها وطول الطيلسان، فيرقصون به.. فيكثر ضحك من هناك»[3].

ولعبة **أبو الحيات** التي أشير لها في التشوف بترجمة أبو صالح الهكسوري: «أريتني ما يريه أبو الحيات للصبيان»[4]. ولعبة **الخُمَيْسَة**[5]، التي وردت في أزجال ابن قزمان هي ولعبة **القلياني**[6]. ولعبة **الغبار** التي أشارت إليها إحدى أمثال العامة[7]، هي ولعبة **الركل**[8].

=

ألعاب الأطفال الشعبية في الموروث الأندلسي، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ع44، شتاء 2019م، ص119).

(1) ابن عبد الرؤوف: أداب الحسبة والمحتسب، ص124.

(2) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول ـ المجلد الثاني، ص677.

(3) ابن الحاج: المدخل، ج1، ص146.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص340 [تر172].

(5) **الخُمَيْسَة: تشبه الشطرنج أو السيجة عندنا في مصر.** (ديوان ابن قزمان، ص38 (زجل7) ؛ الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص256 ؛ محمود أحمد هدية: ألعاب الأطفال الشعبية، ص116).

(6) **القلياني: كانت تحتاج لعدد من الأفراد للقيام بها، وتقوم على الغناء والرقص وآداء بعض الحركات.** (ديوان ابن قزمان، ص328 [زجل103] ؛ محمود أحمد هدية: ألعاب الأطفال الشعبية، ص119 ؛بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص97).

(7) **قالوا: صاحب فَرْد عَيْن ما يلعب الغبار.** (الزجالي،أمثال العوام،ج2،ص361[مثل 1591]).

(8) **قالوا: الحُبْلى ما تلعب الرَّكْلَ.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص85 [مثل372]).

المؤسسات الاجتماعية:

اشتمل المغرب الأقصى في الفترة محل الدراسة على عدد من المؤسسات الاجتماعية: كالمساجد والفنادق والحمامات، التي أدت رغم كونها ذات صبغة دينية وتجارية، خدمات إنسانية واجتماعية.

** المساجد:

حازت المساجد نصيبا من اهتمام عواهل المرابطين، ولاسيما يوسف بن تاشفين وابنه علي بن يوسف. ولا غروا فقد احتزم يوسف وتشمر وعمل بيده مع الخدمة في بناء مسجد الطوب بمدينة مراكش(1)، وأجبر أهل فاس على بناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها، وتوعد أي زقاق لا يوجد فيه مسجد بمعاقبه أهله(2)، وأمر ببناء المسجد الجامع بسبتة والزيادة فيه: «حتى أشرف على البحر»(3). وأنفق ابنه علىَ بناء مسجده في مراكش والمنار الذي عليه ستين ألف دينار(4)، وأَمَرَ بتوسعة

---

(1) مسجد الطوب أو صومعة الطوب كما سماه البيذق، هو المسجد الذي بناه يوسف بن تاشفين في مراكش عند تأسيسها سنة 454هـ. (أخبار المهدي، ص27 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص234 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص138 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25 ؛ حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين (ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م، ص156).

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص72.

(4) بُني مسجد علي بن يوسف ـ ويطلق عليه أيضا إسم جامع السقاية ـ بمراكش سنة خمس وعشرين وخمسمائة، بتكلفة قدرها ستين وقيل سبعين ألف دينار. وقد كان مسجد علي الوحيد الذي تقام فيه صلاة الجمعة بمراكش. (البيذق: أخبار المهدي، ص27 ؛ التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156 ؛ ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ص20 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص166 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص397).

مسجد القرويين والزيادة فيه[1]، وصنع له منبرا (538هـ) كلفه ثلاثة آلاف دينار وسبعة عشر درهم[2].

المهم أن هذه المساجد أدت هي وغيرها فوق كونها مكانا لآداء الصلوات وإقامة شعائر الدين، ومراكز لشع أفكار ومنهاج ابن ياسين، وملتقى لعقد المناظرات وتلقي البيعات[3]، وتربة خصبة لنمو المعارضة وانطلاق الثورات، إلى آخر ذلك من أوجه الاستغلال السياسي والمذهبي، عدة أدوار اجتماعية، من بينها: تسوية الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، وخلق تعاضد قد يذهب أحيانا إلى حد العصبية في إطار الحي وعلى مستوى المدينة. ولا غروا فقد كان أهل المدينة والحي يتآخون في: «المساجد والأضرحة دون أي اعتبار للثروة، بفضل مساعدة الغني للفقير في الحي، واختلاط أبناء الدرب كيفما كان مستواهم الاجتماعي»[4]. كذلك كان إيواء الغرباء[5]، ومن لا مسكن لهم[6]،

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص59 ـ 60 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص67 ـ 68 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص68 ـ 69.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص62. **وانظر:** الجزنائي: جنى زهر الآس، ص55 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ق1، ص56.

(3) البيذق: أخبار المهدي، ص27 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص98.

(4) لكديم الصوصي مولاي إبراهيم: مراكش بين التأسيس والتمدين في العصرين المرابطي والموحدي (ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م، ص74.

(5) هذا ما نستشفه من التجاء ابن تومرت طيلة تنقله بالمغرب إلى المساجد. كمسجد ابن الغنام ومسجد ابن الملجوم اللذين نزل بهما أثناء مروره بفاس، ومسجد أبي تميم الذي نزل به أثناء مروره بمكناسة، ومسجد عرفة الذي مكث فيه أياما عديدة بعد مناظرته لفقهاء المرابطين. (أنظر: البيذق: أخبار المهدي، ص23، 25، 27**).**

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص48، 141.

وتوزيع الزكاة والصدقات على أبوابها[1]، وتعليم أبناء الفقراء في رحابها، من بين أدوار المسجد الاجتماعية[2].

****الفنادق:**

كانت الفنادق موضع اهتمام عواهل المرابطين، بدليل ما قيل عن قيام يوسف بن تاشفين: «بجلب العمال من مدينة قرطبة للعمل في فندق مُقْبِل في حي الكُتُبِيّة»[3] بمدينة مراكش. وما ذكره ابن أبي زرع عن قيام الأخير ببناء الفنادق بفاس بعد فتحها (462هـ)[4]. وإشارات المصادر العارضة للفنادق الموجودة بالمدينتين وبغيرهما من مدن المغرب الأقصى[5].

وقد أدت الفنادق فضلا عن كونها مخزنا للبضائع، ومستودعا للأموال، ومكانا لإبرام الصفقات، وبيع السلع والمواد التجارية المختلفة[6]، عدة وظائف

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص246 [تر99].

(2) **أنظر:** جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص174.

(3) أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب في العالم المتوسطي، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، دار المدي الإسلامي، بيروت، لبنان، 2013م، ص130 ؛ الجزنائي: جنى زهرة الآس، ص42 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص50.

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

(5) المقري: نفح الطيب، ج7، ص33 ؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج1، ص260 ؛ ابن دحية: المطرب، ص25، 124؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص253 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص69 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص205.

(6) حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص403 ؛ ليوبولدو توريس: الأبنية الإسبانية الإسلامية، ترجمة: علية إبراهيم، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، س1، ع1، 1953م، ص118 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مج11، ع1، ابريل ـ مايو ـ يونيو 1980م، ص123 ؛ المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال في العهدين والمرابطي والموحدي (ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م)، ص87.

اجتماعية، من بينها: خدمة التجار الذين كانوا ينتقلون من بلد لآخر للبيع والشراء، وتوفير الراحة والأمن والسلامة لهم[1]. زيادة على أن بعضها كان أداة لفعل الخير، إما بصورة مباشرة عن طريق توفير الطعام والإقامة للطلبة والمسافرين الفقراء على وجه الإحسان. وإما بصورة غير مباشرة عن طريق تسخير مداخيلها في توفير الأموال لبناء والإنفاق على أنشطة ومؤسسات خيرية أخرى[2].

**** الحمامات:**

انتشرت الحمامات بتوجيه من أولي الأمر في أجزاء متفرقة من البلاد[3]، كمراكش[4]، وسجلماسة[5]، وسلا[6]، ومكناس[7]، وسبتة[8]، وفاس[9]،

---

(1) أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، ص123.

(2) أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب، ص137 ـ 138.

(3) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية، ص402.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص541 ؛ المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال، ص78.

(5) بدليل ما ذكره صاحب التشوف في معرض ترجمته لابن النحوي، عن رغبة الأخير في النزول بدار قريبة من الحمام بعيدة عن المسجد، وما وصف به البكري حماماتها من رداءة البناء. (ابن الزيات: التشوف، ص99 [تر9] ـ البكري: المغرب، ص148).

(6) القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام، ص256.

(7) ذكر ابن غازي أنه كان بمكناس في أيام الموحدون ثلاثة حمامات: البالي والجديد والصغير. ومن ثم لا شك في انتساب هذا البالي إلى عصر المرابطين. (الروض الهتون، ص75).

(8) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص285 ؛ القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام، ص194، 256.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص196.

التي أمر يوسف بن تاشفين بعد فتحها (462هـ) ببناء الحمامات بها[1]، حتى وصل عددها عشرون حماما[2].

وقد تجلت وظيفتها الاجتماعية في كونها فضاءا للمساواة وإمحاء الطبقية، ومركزا لاستقبال مختلف فئات المجتمع، ومحطة ضرورية من محطات الحياة الاجتماعية من زواج وولادة وختان وعقيقة وغيرها. كما كانت النساء ـ أمهات وخاطبات ـ يغتنمن فرصة وجودهن به للبحث عن خطيبات لأبنائهن وزبائنهن، ولعقد اللقاءات وتبادل الأحاديث[3]. حيث لم يكن الحمام بالنسبة لهن مجرد مكان للتطهر: «بل هو خاصة مخرج، وكذلك مجال للتسلية والمراوحة»[4]، كذلك يمكن القول إعتمادا على تحريم كتب الحسبة لدخول النساء للحمام إلا في حالتي المرض والولادة: «أن الحمام كان المكان المخصص والملائم للولادة»[5].

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

(2) البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية، ص115.

(3) أنظر: نعيمة الحضري: الحمام العمومي المغربي تاريخ وتخطيط، مجلة بصمات ـ سلسلة جديدة، جامعة السن الثاني المحمدية، ع6، 2015م، ص110 ؛ الهادي بو وشمة: الحمام الشعبي بتلمسان، مجلة إنسانيات، الجزائر، ع63ـ 64، جانفي ـ جوان 2014م، ص147 ـ 150، 163 ؛ رولى رفعت أبو خاطر: الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية ـ دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية، مجلة إنسانيات، الجزائر، ع63ـ 64، جانفي ـ جوان 2014م، ص 87 ـ 89 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، ص173 ؛ محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع128، أغسطس 1988م، ص221 ـ 224 ؛ ليوبولدو توريس: الأبنية الإسبانية الإسلامية، ص108.

(4) محسن بوعزيزي: السيميولوجيا الاجتماعية، إصدرات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2010م، ص97.

(5) أنظر: نجلاء سامي النبراوي: القابلة في المغرب والأندلس ـ الدور الطبي والقضائي والاجتماعي 6 ـ 9هـ، مجلة كلية الآداب بقنا، ع24، 2008م، ص150.

واستشف أحد الباحثين من قول ابن خلدون: «وبقدر ما تزيد الحضارة وتستدعي أحوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع، فتوجد بذلك المصر دون غيره، ومن هذا الباب الحمَّامات، لأنها إنّما توجد في الأمصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعو إليه التّرف والغنى من التّنعّم، ولذلك لا تكون في المدن المتوسّطة»[1]، أدوار اجتماعية أخرى للحمامات، **لخصها في قوله:** «كان الحمام ذو دور هام في تطوير نسيج وتحضر المدينة، وتمدين مجالها وباقي أمصارها... هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الحمام فضاء للقاء الحضر بالبدو»[2].

* * *

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص472.

(2) الهادي بو وشمة: الحمام الشعبي بتلمسان، ص150.

الفصل الثاني

الدور السياسي

الـدور السياســـي للعامة

الدور السياسي للعامة

يرى الباحث أنه من المفيد قبل الحديث عن **العامة والسياسة**، التحدث عن **سياسة العامة**. حيث لم تضن علينا كتب **الفكر السياسي الإسلامي** ضن كتب التاريخ عن تسليط الضوء على العامة ودورهم وأوضاعهم. بل نشطت كلها ـ أو لنقُل ما تيسر للباحث الإطلاع عليه ـ لتوضيح الدور الذي اضطلعوا به، والمكانة التي ارتقوها، والخطر الذي مثلوه، وأنجع السياسات في التعامل معهم.

وكان **أول** ما اهتم به كُتاب هذا اللون ويمس العامة، هو أقسام الناس وما تُقَابل به طبقاتهم[1]: «لإيقاع السياسة في موضعها ومعاملة كل طبقة بما تستحقه»[2]. فوضحوا بادئ ذي بدء أن الرعية هي الركن الثاني من أركان المملكة وقاعدتها[3]، وأنها تنقسم إلى قسمين: خاصة وعامة. وأن الخاصة قسمان، والعامة ثلاثة: أخيار، وأشرار، ومتوسطون بين ذلك[4].

---

(1) **قسم المرادي وابن رضوان الناس إلى ثلاثة أقسام: كريم فاضل، ولئيم سافل، ومتوسط بينهما. (أنظر:** ابن رضوان: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1984م، ص318 ؛ المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: محمد حسن محمد ـ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص45).

(2) ابن رضوان: الشهب اللامعة، ص319 ؛ المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، ص46.

(3) الشيزري: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، ص219.

ـ **قسم الشيزري أركان المملكة وقاعدتها إلى خمسة أركان: الوزارة، الرعية، القوة، المال، الحصون** (المنهج المسلوك، ص200، 219، 222، 226، 233)، **بينما قسمهم ابن أبي الربيع لأربعة أركان: الملك، الرعية، العدل، التدبير.** (سلوك المالك في تدبير الممالك، ص94).

(4) **أنظر:** الشيزري، المنهج المسلوك، ص219ـ220.

ثم التفتوا ـ بعدما نبهوا الولاة إلى أنهم في حاجة لإصلاح رعيتهم مثل ما رعيتهم في حاجة لصلاحهم[1]، وحذروهم من أن: «الرعية إذا هلكت هلك الراعي، وإذا فسدت فسد حال الراعي»[2] ـ لذكر ما تَصْفُوا به للمدبر مودتهم وتزول أحقادهم ويذل مقادهم. فنصحوهم بالعفو، لأن به تكتمل مصلحة الرعية[3]. وبالرفق، لأن به تزول أحقادهم ويذل مقادهم[4]. وبالصفح والحلم، لأن الملك الحليم مشكور[5]. ونصحوهم أيضا بالتودد لهم[6]، واصطناع المعروف إليهم[7]، واتخاذهم أهلا وإخوانا لا قنية ومالا[8].

وشددوا على **العدل** الذي اعتبروه: «أساساً لسائر الأساسات»[9].

---

(1) **يقول الماوردي: «وبالوالي ـ مع فضل منزلته ـ من الحاجة إلى إصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة إلى إصلاح الوالي؛ لأن قوة بعضهم زيادة في قوة بعض، ووهن بعضهم سريع لإيهان بعض».** (الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق: خضرمحمد خضر، مكتبة الفلاح، الصفاة، الكويت، 1983م، ص199).

(2) **الماوردي: نصيحة الملوك، ص196.**

(3) **قال الشيزري: «إعلم أن وصف العفو خليق بالملك، لما فيه من المزية، وكمال مصلحة الرعية».** (المنهج المسلوك، ص316).

(4) **قال الشيزري: «إعلم أن الرفق من أفضل أوصاف الملك.. فإن الرعية قد تعامل بالرفق فتزول أحقادها ويذل مقادها».** (المنهج المسلوك، ص282).

(5) أبو حمو الزياني: واسطة السلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدولة التونسية، تونس، د.ط، 1297هـ، ص118.

(6) **يقول ابن رضوان موجها حديثه للملوك: «فلا تمتنع من أن تتود إلى العامة، اتخلص لك محبتهم وتنال الكرامة».** (الشهب اللامعة، ص262).

(7) الشيزري: المنهج المسلوك، ص300.

(8) **يقول ابن رضوان موجها حديثه للملوك: «ولا ينبغي للمدبر أن يتخذ الرعية مالا وقنية، ولكن يتخذهم أهلا وإخوانا».** (الشهب اللامعة، ص262).

(9) ابن الموصلي: حسن السلوك الحافظ دولة الملوك، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، الرياض، السعودية، 1416هـ، ص70.

=

سياسـة الرعية: أكد **الغزالي** في معرض حديثه عن سياسة الرعية، أنه من الضروري على الملك: «أن ينظر في أمور الرعية، ويقف على قليلها وكثيرها، وعظيمها وحقيرها»[1]. لكنه لما كان قيامه بذلك وحده يفوق الاستطاعة، فقد أوجب عليه **ابن الموصلي** أن يبحث لرعيته: «عمن يستحق الولاية من نوابه على الأمصار.. وأن يستعمل عليهم أصلح من يجده»[2]. وكنه صلاحهم: «أن يكونوا ذوي حزم وكفاية، ودربة ودراية، وضبط وأمانة، وفضل وديانة»[3]، اللهم

=

ـ تكررت الإشارة للعدل وتزكيته والحث على تحريه في سياسة الرعية في أكثر من مُؤَلَّف. فهذا أبو حمو الزياني يقول: «إعلم يا بني أن الملك بناء والعدل أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء، وإن ضعف الأساس انهار البناء.. العدل أساس، ومن استعمل العدل حصن ملكه، ومن استعمل الظلم عجل هلكه» (واسطة السلوك، ص118). **ويقول الغزالي: «والسلطان العادل من عدل بين العباد، وحذر من الجور والفساد»** (التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م، ص44)، **ويقول ابن الموصلي: «كما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد، كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد»** (حسن السلوك، ص64)، **ويقول الطرطوشي: «واعلم أنه إذا عدل السلطان، ملك قلوب الرعية»** (سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م، ج2، ص477).

(1) الغزالي: التبر المسبوك، ص50.

(2) ابن الموصلي: حسن السلوك، ص83.

ـ شبه الطرطوشي تولية الظالمين بقوله: «وَمَثَلُ السلطان إذا ولى العمال الظالمين، مثل من يسترعي غنمه الذئاب، ومثل من يربط الكلب العقور ببابه». (سراج الملوك، ج2، ص568).

(3) أبو حمو الزياني: واسطة السلوك، ص72.

ـ ورأى الطرطوشي أن على السلطان «أن يولي على الأعمال أهل الحزم والكفاية والصدق والأمانة، وتكون الولاية للغناء لا للهوى». (سراج الملوك، ج2، ص560).

أن يكون: «الأصلح بغيضا إلى الناس أو محتقرا عندهم، ويكون الصالح محببا إليهم أو عظيما في أعينهم، فيقدم الصالح على الأصلح»[(1)].

ويبدو أن هذا ما كان يقصده **الطرطوشي** عندما قدر أن من أقوى أسباب صلاح العامة: استعمال الخاصة منهم عليهم، ولاسيما من تميز منهم بالعقل والمرؤة والعفة والنزاهة: «فمتى رأس العامة سُراتهم [أشرافهم]، فهو الطريق إلى حفظ أديانهم ومروآتهم»[(2)].

وحذر **الزياني** السلطان من الاطمئنان: «إلى العمال، وإن أظهروا التقشف والإقلال، وتلبسوا بالعبادة والزهادة في الحال»[(3)]، هو **والمرادي** الذي شدد على ضرورة تحفظ السلطان: «بأعماله ممن هذه صفته، والبحث عن أهل الفضل فيمن غاب عنه وفيمن صحبه»[(4)]، وأوجب عليه متى: «ولى عاملا أو قاضيا بعد اختباره، أن يتعاهده بالنظر»[(5)]. لكن ليس هذا كل شيء، فقد رأى **العباسي** أن على الملك: «أن يجلس للعامة جلوسا يشملهم في بعض الأحايين، بحيث يصل إليه الضعيف وذو الحاجة ومن لا وسيلة له»[(6)]. وحبذ **الزياني** أن يكون يوم الجمعة هو هذا اليوم[(7)].

---

(1) ابن الموصلي: حسن السلوك، ص88.

(2) الطرطوشي: سراج الملوك، ج2، ص474.

(3) أبو حمو الزياني: واسطة الملوك، ص72.

(4) المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، ص39.

ـ يتضح سر هذا التشديد من قول الطرطوشي: «واعلموا أن معظم ما يدخل على الدول من الفساد، تقليد الأعمال لأهل الحرص عليها. لأنه لا يخطبها إلا لص في ثوب ناسك، وذئب في مسلاخ عابد حريص على جمع الدنيا». (سراج الملوك، ج2، ص561).

(5) المرادي: الإشارة في تدبير الإمارة، ص40.

(6) العباسي: آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1989م، ج1، ص135.

(7) يقول الزياني: «وبعد فراغك من الصلاة، تجلس بمجلسك للشكيات.. وهذا المجلس في هذا اليوم المذكور [يوم الجمعة]، مخصوص بالرعية وبالجمهور، فيه تتفقد الضعفاء والمساكين، والأرامل والأيتام والمحتاجين». (واسطة السلوك، ص84).

كما تعرضت كتب الفكر السياسي لممارسات العامة وأنشطتهم الاقتصادية المختلفة. فهذا **العباسي يؤكد** للملك ـ بعدما حدَّثه عن أصحاب الحرف من صناع وجَلاَّبين وتجار وما يكابدوه في الأسفار من عذاب وأخطار، وعن دورهم في عمارة بلده وتزيينها وتكميلها وتحصينها ـ على **ضرورة**: «أن يحنو عليهم ويحسن إليهم ويرفق بهم في أخذ ما أوجبته الشريعة في أموالهم ويسامح بعضهم في ماله»[1]. **وضرورة** الرفق بالمزارعين والأكرة والإحسان إليهم وإزحة عللهم وإعانتهم على ما هم بسببه؛ لأن: «لهم حقوق أكيدة، وبسببهم تكون مادة النسل وأقوات الحيوان»[2]. **ويحذره** من مزاحمة العامة: «في المتاجر والمكاسب»[3]، **وينصحة** بمنع: «أمراؤه وأجناده عن ذلك» أيضا[4]؛ «لأن علو الهمة ينافي ذلك»[5]، ولأنه: «لا ينبغي للملك أن يبتغي عمارة منزله بتخريب منازل الرعية، ولا توفير خزائنه وبيوت أمواله بإخلاء بيوت العامة وإقلالها»[6].

وكما أوصت كتب الفكر السياسي بالعامة وأخذت بيد ملوكهم لحسن سياستهم، حذرتهم كذلك منهم وخوفتهم. وحسبنا **الماوردي** الذي حذر الملوك بأن ما يأتيهم من مخالفة قلوب رعيتهم، أبلغ وأعظم وأقطع وأخوف مما يأتيهم من أعدائهم المخالفين لهم في ملتهم وأمتهم[7]. ويستشف الباحث من استقراءه للنصوص أن **الجور** كان المحرك الأساسي لكل ما يُتَخَوَّفُ من العامة؛ لأن الرعية كما قالوا: «لا تثبت على الجور»[8].

---

(1) **أنظر:** العباسي: آثار الأول، ج1، ص134.

(2) **أنظر:** العباسي: آثار الأول، ج1، ص135.

(3) العباسي: آثار الأول، ج1، ص134.

(4) العباسي: آثار الأول، ج1، ص135.

(5) العباسي: آثار الأول، ج1، ص135.

(6) الماوردي: نصيحة الملوك، ص196.

(7) **أنظر:** الماوردي: نصيحة الملوك، ص197.

(8) الغزالي: التبر المسبوك، ص46.

ويتضح ذلك من تحذير كُتَّابُ الفكر السياسي مما يجره الجور من خراب[1]، واختلال واضطراب[2]، وما يفسده من بلاد وعباد[3]، وما يولده من أحقاد[4]، ويتلفه من أخلاق[5]،

ويفسده من ضمائر[6].

وقد تلخصت رؤيتهم للحؤول دون كل هذا الشر **بالاعتدال**. فلا يَسُوسُوُهُمْ بِحِلْمٍ يجرئهم على الفتنة[7]، ولا بجور يحتم عليهم الثورة[8]، بل يستعملوا معهم

---

(1) يقول أبو حمو الزياني: «وأسرع الأمور في خراب البلاد الجور». (واسطة الملوك، ص78).

(2) يقول الشيزري: «فيجب اجتنابه [أي الجور] والورع عنه، لما فيه من اختلال الرعية واضطراب الدولة وخراب البلاد وعذاب الآخرة». (المنهج المسلوك، ص367).

(3) يقول ابن الموصلي: «كما أن بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد، كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد» (حسن السلوك، ص64)، ويقول الغزالي: «والأماكن تخرب إذا استولى عليها الظالمون، ويتفرق أهل الولايات ويهربون في ولايات غيرها، ويقع النقص في الملك، ويقل في البلاد الدخل، وتخلوا الخزائن من الأموال، ويتكدر عيش الرعايا، لأنهم لا يحبون جائرا». (التبر المسبوك، ص46-47).

(4) يقول الشيزري: «الجور هو العدول عن الحق، واستمراره يخل بنظام الطاعة من الرعية، ويبعثهم على ترك المناصحة، وعدم النصرة، ويحملهم على نصب الغوائل [الدواهي] وتربص الدوائر». (المنهج المسلوك، ص359-360).

(5) يقول الطرطوشي: «إذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية، وإذا جار لم يملك منهم إلا الرياء والتصنع». (سراج الملوك، ج2، ص477).

(6) يقول الشيزري: «وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق منه [أي من الجور]». (المنهج المسلوك، ص360).

(7) ذكر الشيزري أن الفتنة «يثيرها أمران: أحدهما: أثرة تضغن الخاصة - الثاني: حلم يجرء العامة». (المنهج المسلوك، ص561).

(8) يقول ابن الموصلي والطرطوشي: «إعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت على أن تفعل، فاجتهد أن لا تقول تسلم من أن تفعل». ويرى الباحث أنه =

الرفق واللين، ولكن ليس في كل المواطن. بل يجعلوا الرعية ثلاثة طبقات ويسوسوهم بثلاث سياسات، أما العامة فيسوسهم باللين تارة وبالشدة تارة أخرى[1]، ويعاملوا: «السفلة بالمخافة صَرَاحاً»[2]. ويستعملوا بعض الشدة مع أهل الجبال: «لأن في طبعهم الخشونة»[3]. وإن علموا في ولايتهم من يُتهم بمذهبه، أحضروه إليهم وهددوه وزجروه وتوعدوه، فإن أصر عاقبوه ونفوه: «لتطهر الولاية من إغوائه وبدعته، وتخلوا من أهل الأهواء»[4]. وأن يتقدموا إلى الرعية بالانعكاف على شأنهم والاشتغال بصنائعهم وحرفهم: «وترك التعرض لأحوال الملك والخوض فيما يجري من ذلك»[5].

ومن مطالعتنا للنصوص يتأكد لنا حذر المرابطين فعلا وخشيتهم حقا مما يمكن للعامة إقحام نفسها أو تقحيمها فيه، وهو شيء - لا شك - يعكس قيمتهم وثقلهم السياسي. حيث كشف خوف السلطة المتكرر من إفساد عقول العامة وعقيدتهم، عن قيمتهم لديهم وعن إدراكهم لما تمثله قناعاتهم ومتانة عقيدتهم من ضمانات هامة لاستقرار النظام واستمراره. وحسبنا ما حدث مع ابن تومرت مهدي الموحدين وداعيتهم، فالرجل ما لبث أن دخل فاس وأظهر ما كان يظهره، وتحدث فيما كان بصدده من علومٍ جَلُّها الاعتقاد على طريقة الأشاعرة، حتى جمع له الوالي الفقهاء ليناظروه. فلما انتهوا، استقر رأيهم على ضرورة: «إخراجه لئلا يفسد عقول العوام»[6].

=

لا شيء يدفع العامة للقول والفعل، أنكى من الظلم والغبن والجور. (حسن السلوك، ص181؛ سراج الملوك، ج2، ص477).

(1) الشيزري: المنهج المسلوك، ص288 - 289.

(2) الشيزري: المنهج المسلوك، ص289.

(3) العباسي: آثار الأول، ج1، ص135.

(4) الغزالي: التبر المسبوك، ص50.

(5) العباسي: آثار الأول، ج1، ص135.

(6) **أنظر:** المراكشي: المعجب، ص251.

وتكرر الأمر في مراكش، ولكن هذه المرة مع علي بن يوسف الذي أمر بإحضار الفقهاء إلى مناظرته، لاختباره واكتشاف حقيقة أمره. ولكن لما كان أغلبهم أصحاب حديث وفروع وليس فيهم من له معرفة بالأصول والجدل، فقد عجزوا جميعا عن جوابه أو فهم معنى خطابه، لذلك نصحوا علي بإخراجه من المدينة لئلا يفسد عقائد أهلها إن بقي بها، فأمره بالخروج منها[1]، ليطَرَدَهُ كذلك صاحب أغمات ـ التي حل بها بعد إخراجه من مراكش ـ إلى السوس الأقصى[2]، نتيجة الفتنة والفرقة التي أحدثها بين أهالي أغمات بعد مناظرته لعبد الحق بن إبراهيم، أحد فقهاء جامع وطاس بن يحيى[3].

ولم ينحصر دور العامة السياسي فيما كانت تمثله قناعاتهم ومعتقدهم من قيمة سياسية، بل تعداه إلى مؤازرة الدولة في إنجاز مشروعاتها الحضارية[4]، وتنفيذ مخططاتها العسكرية. حيث أسهم انضمامهم لجيوش لمتونة في إتمام **فتح** المغرب وضم الأندلس، **وحسم** عددا من المعارك، **وإفشال** مخططات الثائرين، **والتصدي** للخارجين على الدولة في أحلك لحظاتها. ما يعني أن مساعدات العامة للمرابطين استمرت لم تتوقف من يوم كانت دولتهم مشروعا، وحتى أصبحت إمبراطورية.

---

(1) **أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص174 ـ 175 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص101 ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص398.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص101.

(3) **يقول البيذق: «وأقبل إليه فأفحمه المعصوم، وقامت أغمات فرقتين: مؤمن وكافر». (أنظر:** أخبار المهدي، ص30**).**

(4) **كتأسيس مدينة مراكش مثلا. حيث أشارت المصادر لمجهودات البنائين والخدمة والفعلة في بناء مسجدها وقصبتها وقصورها، ومساهمة الناس في حفر آبارها، وبناء دورها وتعميرها، وجهود الأسرى في بناء سورها وإنهاء تشييدها. (أنظر:** مجهول: الحلل الموشية، ص25 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص20، 123 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص138 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص245 ؛ مارمول كربخال: إفريقيا، ج2، ص47 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25 **).**

ففقهاء سجلماسة هم من كتبوا (447هـ) إلى عبد الله بن ياسين، يشكون إليه ما لحق بأهل العلم والدين وسائر المسلمين من الجور وشدة العسف، على يد أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي الزناتي، ويدعونه لتخليصهم مما هم فيه من الذل والصغار[1]. وأهلها هم من أرسلوا إليه بعد، يعتذرون من غدر زناتة بواليهم المرابطي ومن معه، ويطلبوا منه: «الوصول إليهم والقدوم عليهم ليأخذوا ثأرهم منهم»[2]. وأهل مكناسة هم أيضا من أرسلوا إلى يوسف بن تاشفين، بعد مقتل صاحبها المهدي بن يوسف الجزنائي، ليخبروه بموت أميرهم ويعطوه البلاد[3].

كما كان لانضمام العامة لجيوش لمتونة دوره في فتح ما بقي من مدن المغرب. ولا غروا فزيادة جيش يوسف بن تاشفين بعد عام من تمييزه بوادي ملوية (453هـ) من: «أربعين ألفا من المرابطين»[4]، إلى: «أزيد من مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة»[5]، لا معنى لها إلا انضمام قبائلهم إلى ركب الدعوة. وحتمية اشتراكهم فيما لحق من معارك، تعني أن شيئا كثيرا من فضل ما تلى انضمامهم من فتوح واستتباب يرد إليهم[6].

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص127 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص12.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص13 ؛ البكري: المغرب، ص167.

(3) الناصري: الاستقصا، ج2، ص28 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص140.

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص138.

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص139.

ـ **يقول صاحب الحلل الموشية عن انضمام أبناء القبائل لصفوف المرابطين، وما ترتب عليه ذلك من توفر عساكرهم وكثرة جمعهم: «وكثرت جموعهم، وتوفرت عساكرهم، وعظم ملك يوسف بن تاشفين. وضم من جزولة، ولمطة، ومصمودة، وقبائل زناتة جموعا كثيرة»** (مجهول: الحلل الموشية، ص33)، **ويقول ابن عذارى عن يوسف: «أركب الرجال الكثيرة، وجمعت له القبائل أموالا عظيمة، فجند الأجناد، وأخذ في جمع الجيوش من البربر والاحتشاد».** (البيان المغرب، ج4، ص22).

(6) من المدن التي فتحت ـ حسب صاحب القرطاس ـ بعد سنة 453هـ: جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف إلى طنجة. وفتحت فاس للمرة الثانية سنة460هـ، =

ولما تأكد عزم يوسف بن تاشفين على الجواز للأندلس للمرة الأولى (479هـ) تلبية لصريخ أهل الأندلس، استنفر حشوده وبعث في البلاد إلى جنوده[1]، فقدمت عليه بسبتة الوفود، وأتته من بلاد الصحراء والقبلة والزاب القبائل والحشود[2]، فَجوَّزهم إلى الجزيرة الخضراء من بر الأندلس، ثم جاز في أثرهم ليخوض معهم معركته الأشهر (الزلاقة)، التي أبلى فيها العامة أيما بلاء، وأظهروا فيها كثيرا من ألوان البطولة والفداء[3]. وحسبنا رحبات الجزيرة الخضراء ومساجدها التي امتلأت بضعفاء المطوعة دليلا على مشاركتهم بها[4]، والأربعة آلاف أسود الذين دُفع بهم في نهاية المعركة فأفزعوا القلوب وأربكوا الصفوف وانتزعوا النصر انتزاعا، دليلا على دورهم في حسمها[5]. ولم يكن هذا آخر عهد الأندلس بهم، فكم من مرة جاز المطوعة وأخلاط البربر مع الجيوش إلى الأندلس برسم الغزو والجهاد ونصر الملة وإعزاز الكلمة[6].

=

وللمرة الثالثة سنة 462هـ، وفتحت طنجة سنة 470هـ، وسبتة سنة 477هـ. (**أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141 ـ 142، 144).

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص51.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص144.

(3) أنظر بخصوص المعركة: مجهول: الحلل الموشية، ص51 ـ 62 ؛ المقري: نفح الطيب، ج4، ص361 ـ 368 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص289 ـ 291 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص ص116 ـ 118.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص133 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص289.

(5) أنظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص379 ؛ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2005م، ص108 ؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص325.

(6) أنظر: مجهول: الحلل الموشية، ص85 ـ 86 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص52 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص164.

ولما امتنع أمير فاس، يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين، عن تقديم البيعة لعمه علي بن يوسف بن تاشفين، مبيتا الثورة عليه (500هـ). لم يُفشل خططه ويحطم آماله ـ رغم دعم نفر من أمراء الأسرة وجماعة من شيوخ أمراء المرابطين لحركته[1] ـ إلا انهزام عامة فاس عنه ورفضهم مطاوعته. يقول صاحب القرطاس: «وجمع **أهل البلد** واستشارهم في الحصار والمقاتلة، فلم يوافقوه على ذلك. فلما يئس منهم خرج فاراً»[2].

كما ساهموا بحماس في مدافعة الخارجين على الدولة، ووقفوا إلى جانب الجيش في الدفاع عن مدنهم ضد هجماتهم. وحسبنا مثالا على ذلك **أهل أغمات** الذين خروجوا عن بكرة أبيهم، بما فيهم التجار الذين لا خبرة لهم بفنون الحرب، لقتال الموحدين[3]. **وعامة مراكش** الذين خروجوا جميعا بعزيمة ونشاط للدفاع عن مدينتهم بمجرد سماعهم بوصول الموحدين (524هـ) إلى باب الشريعة (باب الخميس حاليا)[4]. **وأهل فاس** الذين وقفوا لعبد المؤمن على

---

(1) حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص129، 132.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص159.

(3) **يقول ابن القطان: «وخرج يوم الأربعاء جميع أهل أغمات حتى التجار».** (ابن القطان: نظم الجمان، ص158).

(4) **يقول ابن القطان: «وأصبح الموحدون يوم الخميس [524هـ] على باب الشريعة، فخرجت إليهم العامة أجمعون بنشاط وعزم بغير سلاح، وبرز علي بن يوسف بعساكره»** (نظم الجمان، ص159). **ولم تكن تلك المرة الوحيدة التي خرجوا فيها للمشاركة في الدفاع عن المدينة، فقد ذكر البيذق أن أهلها خرجوا بعدها(541هـ) لقتال عبد المؤمن بعدما سمعوا بوصوله إلى جبل إيكليز المطل على المدينة من ناحية الشمال** (أخبار المهدي، ص63).

ما تهدم من سورها ليحولوا بينه وبين المدينة[1]. **وأهل سلا** الذين امتنعوا منه[2].

وقد عبر أرباب السلطة عن امتناهم للعامة على تلك الخدمات الجليلة التي أسدوها ويسدوها لهم، بإرضائهم والتودد إليهم بالعديد من السبل: كتأمينهم والعفو عنهم، كما حدث في **سلا** التي أمن يوسف أهلها وانصرف عنها[3]، **وسبتة** التي هدنها وأصلح أحوالها[4]، **وفاس** التي أمن أهلها وعفا عنهم رغم تمنعهم عليه وقتالهم له سبعة أيام كأشد ما يكون القتال (467هـ)[5]. وبتفريق الأموال بينهم، وتسريح من في السجون منهم[6]، ومتابعة شئونهم وتفقد أحوالهم في كل سنة، والنظر إلى سير ولاتهم وعمالهم وقضاتهم فيهم[7].

كما عملوا على إرضائهم بإسناد عَمالاتهم لمن توسموا فيه مخائل النجابة[8]، و قضائهم لمن لمسوا فيه القدرة على التزام الحق والعدل والإنصاف،

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص136.

- قدر البيذق أعداد القوات المتصدية للموحدين أثناء حصارهم للمدينة: «بألف وخمسمائة، ما بين لمتونة وأهل المدينة»، تحت قيادة يحيى بن أبي بكر الصحراوي. (أخبار المهدي، ص60 ـ 61).

(2) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص25.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص26، 27.

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص144.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص28.

ـ لم تكن تلك المرة الأولى التي تُفتح فيها فاس بعد قتال ويؤمَّن أهلها. فقد فتحها يوسف بن تاشفين ـ حسب ابن عذارى ـ قبل ذلك التاريخ (264هـ)، وأقر العامة بها، ونفى الجند والبربر. (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص124).

(6) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص157.

(7) الناصري: الاستقصا، ج2، ص30، 60 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص142، 152.

(8) ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص330 .

والتسوية بين الأقوياء والضعفاء والمشروفين والشرفاء[1]. وَبِحَثِّ عمالهم على تحري العدل مع الرعية وَاطِّرَاح كل من يحيف عليهم ويؤذيهم[2]. وبعزل كل والٍ جار في ولايته[3]، وكل قاض جهل وجار في حكمه[4]. فأحبهم الناس حتى أفسدهم ابن تومرت عليهم[5].

ورغم ذلك، تؤكد إحدى الباحثات أن تلك الإجراءات لم تكن كافية لإحداث تغيير شامل في أوضاع هؤلاء العوام، والنهوض بشأنهم؟ لأنها كانت مجرد مسكنات لأوضاع طاقة تأزمها متجددة لا تنضب، لذلك لم يتأتى لها تحقيق التوازن والعدل الاجتماعيين المنشودين[6]. وبمعاينة الواقع يتبين لنا صدق ما قالت. فقد عانى العامة من مشاكل متعددة أسهمت كلها في زيادة متاعبهم، من بينها:

مداخيلهم الهزيلة: حيث كدرت مداخليهم الهزيلة صفو حياتهم، وحرمتهم من الوفاء بأدنى لزوميات معيشتهم. فالمزارعين - رغم سعيهم وكدهم - عاشوا وضعية مزرية، لأن مدخولهم من الأرض كان لا يقوم بهم أو يكفي للوفاء بمتطلبات حياتهم[7]. والصناع اضطروا للمماطلة في إنجاز ما التزموا للناس

---

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص219.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص63؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص332 .

(3) كعزل عمر بن علي بن يوسف عن فاس، لما جار في ولايته. (أنظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص216).

(4) جاء في كتاب علي بن يوسف لأهل فاس بعزل قاضيهم ابن الملجوم: «وتحقق لدينا أن الجهول ابن الملجوم، أجهل بأحكام القضاء من العلجوم. وأنه أظهر فيكم أحكاما يترحم من مثلها على سدوم». (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص92).

(5) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص167؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص74.

(6) أنظر: كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص243.

(7) يدل على ذلك قول أحد مزارعي الفترة مدار البحث متشكيا: «كنت مقدورا علي في رزقي، وكان حرث لا يقوم بي». (ابن الزيات: ابن الزيات: التشوف، ص278).

بصناعته[1]، لانشغالهم بالعمل في مهنتين وأكثر[2]، لأن دخلهم من مهنة واحدة كان لا يكفيهم للوفاء بالتزاماتهم. ورغم حسم الفقهاء مسألة الأجرة التي يأخذها مؤدبي الكتاتيب القرآنية[3]، ظل شبح الفقر يخيم على معظمهم[4]، ما دفع ببعضهم لامتهان مهن أخرى إلى جانب تعليم القرآن، أملا في التغلب على صعوبات المعيشة[5]، كبيع الأعشاب[6]، وصناعة الحصر من العزف وبيعها للاقتيات بثمنها[7].

الكوارث الطبيعة: حيث تكررت معاناة العامة من الكوارث الطبيعة، ولاسيما الجفاف وما كان يجره في أذياله من مجاعات وأوبئة، للحد الذي أصبحت معه صلوات الاستسقاء ـ كما عبر أحد الباحثين ـ نغمة متواترة في حوليات الفترة المرابطية[8]. فقد شاهد المعتمد بينما كان في طريقه لمنفاه بأغمات من بر العدوة (484هـ)، خروج أهل إحدى المدن التي مر بها

---

(1) السقطي: في آداب الحسبة، ص62.

(2) التميمي: المستفاد، ق2، ص**136**.

(3) حاجج ابن رشد من قال بعدم جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، بإباحة الإمام مالك وجل أهل العلم لذلك. وأضاف أن رأي هؤلاء المعترضين على أخذ الأجرة «محجوج بمن أجاز ذلك، لأنهم الجمهور والقدوة». (أنظر تفاصيل المسألة في: ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد، ج1، ص182 ـ 183).

(4) يشفع لذلك الطرح وصف التميمي لأبو عبد الله محمد التاودي (ت580هـ)، وكان معلما لكتاب الله العزيز: «وثوبه خلق لا يكاد يستره». (التميمي: المستفاد، ق2، ص137ـ138).

(5) أنظر: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص**182**.

(6) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص136 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص90 .

(7) كإبراهيم بن يسول، فقد ذكر ابن الزيات أنه: «إذا صرف الصبيان احتطب من الجبل العزف يصنع منه حصر الصلاة، فباعها واشترى بثمنها شعيرا يقتاته». (ابن الزيات: التشوف، ص294 [تر139]) .

(8) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص199 .

للاستسقاء[1]. وتناهي القحط سنة 498هـ: «في بلاد الأندلس والعدوة، حتى أيقن الناس بالهلاك»[2]. وأشار ابن القطان في أخبار سنة 524هـ، لإصابة مدينة فاس بالقحط[3]. ولم يتأتي لعبد المؤمن فتح مراكش (541هـ) بعد طول حصارها إلا بعدما: «بلغ القحط من أهلها الجهد»[4]، وكان الجدب قد تولاها: «حتى جفت في الأرض مذانبها واغبرت جوانبها»[5]. وأضاف كُتَّاب المناقب لما سبق سنوات مَحْل أخرى، ولكن دون تحديد تاريخ لها، حيث اشتملت كتبهم على العشرات من قصص إلتجاء العامة إلى صلحائهم، ليشكوا إليهم: «القحط واحتباس المطر»[6]، ويلتمسوا منهم الاستسقاء لهم[7].

المهم أن العامة عانوا نتيجة هذا الجفاف من المجاعات التي كانت تعصف بأرواح العديد منهم، لعجزهم على عكس الخاصة عن توفير ما يقوم بهم خلال

---

(1) قال المعتمد عندما رآهم خارجين للاستسقاء:

خرجوا ليستسقوا فقلت إليهم ... دمعي ينوب لكم عن الأنواء

قالوا حقيق في دموعك مقنع ... لكنها ممزوجة بدماء

(أنظر: ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، تحقيق: أحمد أحمد بدوي ـ حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، د.ط، 1951م، ص26 ؛ عماد الدين الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1986م، ج2، ص25).

(2) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص45.

(3) ابن القطان: نظم الجمان، ص217.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص126 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص127 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص73.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص16.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص**32** .

(7) **أنظر:** الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص127، 238، 245 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص104، 138، 140، 217، 255 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص32 ؛ العمري: مسالك الابصار، ج8، ص214.

هذه المسغبة الناجمة عن توالي سنوات القحط والجدب. ولا غروا فقد كانوا يتحصلون بالكاد على قوت يومهم، فما بالك بادخار ما يقوم بهم، ما قُدِّر لهذه الكارثة أن تستمر[1].

وتبث المصادر صورا مؤلمة عما قاساه العامة خلال بعض المجاعات من محنة حقيقية. حيث احتاج بعضهم لبيع منازلهم بالبخث ليحصلوا بثمنها على ما يسد رمقهم[2]، واضطر غيرهم لحفر الأرض واستخراج أصول النباتات وأكلها[3]. وفنيت مخازن مراكش خلال الحصار الموحدي للمدينة، حتى أكل أهلها: «دوابهم، ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين ألفا. ولما طال عليهم الحصار واشتدت أحوالهم، هلكوا جوعا حتى أكلو الجيف، وأكل أهل السجن بعضهم بعضا، وعدمت الحيوانات كلها والحنطة بأسرها»[4]. وعاش عامة مكناسة خلال حصار الموحدين لمدينتهم تجربة لا تقل بشاعة عن تجربة

---

(1) **أنظر:** بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص200.

(2) ابن الزيات، ابن الزيات: التشوف، ص153.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص142، 263.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص138 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص27.
ـ لم يعدوا فقادي الصواب حين قدم ما حدث لأهل مراكش ـ من حيث نفاذ قوتهم أثناء حصار الموحدين للمدينة ـ كدليل على أن الحروب وما يقع أثنائها من حصارات طويلة، من بين العوامل السياسية / العسكرية التي تُنتج الجوع والموت (الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط، مجلة أمل، مج6، ع16، 1999م، ص49). **لكنه نسي أن نفاذ قوت، وجوع أهل مراكش وغيرها من مدن المغرب الأقصى في المرحلة الأخيرة من عمر الدولة، كان من بين أسبابه غير الفتنة التي أشعل ابن تومرت أُوارُها: ما اقترن بخروجه من قحط وجدب. شفعينا في ذلك قول صاحب الحلل الموشية: «وبسبب هذه الفتنة.. وعم الجدب وقلت المجابي»** (مجهول: الحلل الموشية، ص119ـ120)، **وتأكيد ابن خلكان أن مراكش لم تسقط إلا بعدما: «بلغ القحط من أهلها الجهد».** (وفيات الأعيان، ج7، ص127).

عامة مراكش، حيث اضطروا بعد فناء أقواتهم: «لأكل خسيس الحيوان حتى عدم كل ذلك، وهلك الناس قتلا وجوعا»[1]. ولسنا في حاجة للتأكيد على أنه غالبا ما كانت تعقب كل مجاعة أوبئة مميتة[2]، ولا إثبات أن الوفيات في صفوف العامة كانت أكثر من غيرهم، خاصة بعدما أكد ابن عذارى ذلك بصحيح العبارة: «وكثر الموتى في الضعفاء»[3].

الفتن والحروب: كان العامة من أكثر الشرائح التي تحملت وزر الفتن، ومن أول ضحايا الحروب[4]. فقد جُندوا قسرا[5]، وتُرك من أسر منهم طُعْمَة في يد العدو[6]، وحُرِم من نجى بنفسه من عطائه[7]، ومُثِّل بمن فر[8]، وضُيِّعَ يتيم من مات[9]. وتعرض من بقي منهم ـ على قيد الحياة ـ لأواخر عصر الدولة، للقتل والحرق والاسترقاق على يد ابن تومرت وعبد المؤمن[10].

---

(1) ابن غازي: الروض الهتون، ص71.

(2) ابن القطان: نظم الجمان، ص217.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص100.

(4) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص202.

(5) **شفعينا في ذلك إلزام علي بن يوسف رعيته (523هـ)، بتقديم عددا من عبيدهم السودانيين ليغزوا مع عساكره في الأندلس.** (ابن القطان: نظم الجمان، ص152).

(6) ابن الزيات: التشوف، ص159 [ترجمة ريحان الأسود ـ 43]، ص188 [ترجمة أبو شعيب السارية ـ 62].

(7) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص102.

(8) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص76.

(9) **يُستشف ذلك من رد زناتة والحشم على تاشفين بن علي لما ندبهم لقتال الروم (530هـ) «لا جواب إلا الفعل، وشرطنا أن تعول أيتامنا». فردهم يكشف عن خوفهم على مستقبل أبنائهم في حالة استشهادهم، لعلمهم أن كفالة أبناء المجاهدين ليست من شيم الدولة.** (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص94).

(10) **أنظر:** ابن القطان: نظم الجمان، ص225 ـ 226، 238، 250، 254، 264 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص135 ؛ الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص175.

وإن شئت فانظر ما حدث لأهل مكناسة من القتل والحرق، وسبي النساء والذرية، واستباحة الأموال[1]، وما حدث لأهل مراكش. فقد جَرَى دمهم في سككها أنهارا[2]، بعدما استباح الموحدين دماء كل ما اشتملت عليه المدينة من الذكور البالغين مدة ثلاثة أيام[3]، قتلوا خلالها: «ما نيف على سبعين ألف رجل»[4]. أو بطريقة حساب أخرى.. فكل من في المدينة قُتلوا خلا سبعين رجلا أظهروا أنفسهم بعدما نودي بالأمان[5]. أما قبل النداء فكل من وُجِد من العامة قُتل، وكل من قُبض عليه أخرجه أبو الحسن بن واكاك إلى باب الصالحة [القصبة] وقتله[6]. ومن قُدِّر لهم النجاة بيعوا: «بيع الأسارى المشركين هم ونسائهم»[7]، حتى بيعت الحرة الجميلة بدجاجة[8]، وبيع عيال مراكش بيع العبيد[9]. وتَحصَّل في يد عبد المؤمن أثناء فتحه لفاس (540هـ): «جملة من الناس فأمر بقتلهم»، ورجع البحر على من فروا من سلا عند اقتحام الموحدين لها ـ وكان بسعده في آخر مده ـ فأغرقهم[10].

الاضطهاد والسجن: تعج المصادر ـ ولاسيما كتب المناقب ـ بتولهات المعذبين وشكاوى المضطهدين إلى أوليائهم وصلحائهم مما طالهم من أذى

---

(1) **أنظر:** ابن غازي: الروض الهتون، ص60 ـ 62، 72.

(2) ابن دحية: المطرب، ص27.

(3) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص409.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص139.

(5) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص409.

(6) **يقول البيذق: «وأُخرِجت العامة متاع الحاضرة إلى باب الصالحة، وقتلهم أبو الحسن بن واكاك».** (أخبار المهدي، ص65).

(7) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص409 .

(8) ابن دحية: المطرب، ص27.

(9) مجهول: الحلل الموشية، ص143.

(10) ابن عذارى: البيان المغرب ـ قسم الموحدين، ص25 .

ونالهم من مكاره، وبتدخلات الأخيرين لإنقاذهم وتخليصهم. حيث تعكس مناقب المتصوفة وكرامات الأولياء ـ رغم كل ما لُمزلت به ـ واقعا حدث حقا، وتشير لتجاوزات ارتكبت فعلا ضد العامة. وقائمة الأمثلة تطول.. فقد تشفع أبو شعيب السارية في جماعة من أهل **أزمور** بعدما قبض عليهم واليها وقرر قتلهم، يقول ابن الزيات: «فَشفَّعَهُ في أولئك الذين أمر بقتلهم»[1].

واعترض ابن تومرت على أهل **أكرسيف**[2]، لصلبهم رجلا حيا قائلا: «لأي معنى يصلب الأحياء، إنما الصلب للأموات»[3]. وتوسط لسوقتها عند يحيى بن فانوا لإعفائهم من دفع غرامة مقدارها ألف مثقال، عوضا عن نعامته التي قُتلت، يقول البيذق: «فأمر الوزير أن يَغْرم ما أُخذ من الناس من المظالم»[4]. ودعا تُنفيت اليرصجي ـ بتحريض من أهل **دكالة** ـ على أحد عمال علي بن يوسف الجائرين: «فجاء كتاب السلطان إلى العامل بالعزلة»[5].

وسُجِنت طائفة من أهل فاس ظلما مع ابن عباد في **أغمات**، بتهمة الخروج على الدولة[6]. وسَجَن الجياني خضارا من أهل الصلاح يسمى دوناس في تهمة لم تكشف عنها المصادر، لكنها على ما يبدوا باطلة لأنه سرعان ما خلى

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص188.

(2) يقول محقق أخبار المهدي عنها: «هي قرية كرسيف الحالية الواقعة على نهر ملوية في الطريق بين وجدة وتازة». (البيذق: أخبارالمهدي، ص21/ حا19).

(3) البيذق: أخبارالمهدي، ص21ـ22.

(4) البيذق: أخبارالمهدي، ص21.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص155 [تر40] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص260 [تر267].

(6) يتضح من قول المقري: «وكانت فيهم طائفة شعرية مذنبة أو برية»، أنهم لم يكونوا كلهم مذنبين، بدليل الإفراج عنهم أو عن بعضهم لاحقا، حيث يقول ابن عباد: «خرجتم جماعات وخُلفت واحدا .. ولله في أمري وأمركم الحمد». (**أنظر:** المقري: نفح الطيب، ج4، 220ـ221 ؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص100).

سبيله بعدما قيل له أنه لن يبرأ مما جد عليه من وجع حتى يُطلق دوناس[1]. وأُشْخِص أبو عبد الله الأصم، وأبي عبد الله الدقاق من **سجلماسة** إلى **فاس** في فرية باطلة، فَسُجِنا بها مكبلين[2]. وطُلب أبو الفضل هو الآخر: «فخاف على نفسه فاختفى في جنة له»[3]. ولم يتوقف الأمر عند حد مطاردة الأبرياء وحبسهم، بل تعداه إلى ضربهم والتنكيل بهم[4]، كما حدث مع الميورقي الذي: «ضُرب بالسوط عن أمره»[5]، وما حدث مع السجينة التي عمدوا لفقأ عينها لإجبارها على الافصاح عما يريدون معرفته منها[6]، ويخشى الباحث أن ما خفي كان أعظم.

الاستغلال الجبائي: عانى العامة على يد المرابطين ضروبا من الاستغلال الجبائي والابتزاز الضرائبي، وخاصة في عهد علي بن يوسف الذي تفننت السلطة في عهده - ولا سيما بعدما بدأت مداخيلها من الغنائم والجزية والخراج في النضوب - في فرض أنواع شتى من المغارم على كل القطاعات الانتاجية الرئيسية: صناعية وتجارية وفلاحية[7].

---

(1) أبو العباس العزفي: دعامة اليقين، ص55.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص155 [تر40].

(3) ابن الزيات: التشوف، ص154 [تر39].

(4) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص63.

(5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص191.

(6) ابن العريف: مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تحقيق: عصمت دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م، ص141.

- كما يستشف الباحث من تحذير ابن عبدون من ضرب المسجونين وصلبهم إلا بإذن القاضي والسلطان، أن هذه الشنائع كانت ترتكب بالفعل في حق العامة. (ابن عبدون: رسالة في الحسبة، 19-20).

(7) **للتفاصيل أنظر:** منال صيودة: الجباية في عهد المرابطين 448هـ-541هـ، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2018م، ص 52 - 61 ؛ بوتشيش: أثر الحروب في المجال الضرائبي، ص 82 - 85 ؛ غانية البشير: الضرائب غير الشرعية في دولتي =

ولم يتوقف الأمر عند حد تلك القطاعات التقليدية، بل وفرضوا الضرائب على عبور الأنهار[1]، والأضاحى، ودواب النقل[2]، والأعراس، والمواريث[3]، إلى آخر ذلك من الأشياء الغير معقولة. وزاد الطين بلة ـ كما عبر أحد الباحثين ـ وسائلهم التي اتبعوها في جباية تلك المغارم من العامة[4]. فعلى فرض صدق الدعاية الموحدية، كان الجند المسيحي الذين أَوكلت إليهم الدولة جباية الضرائب تفاديا لرفق المسلمين بأهل ملتهم[5]، يختلون بنساء العامة رغما عن أزواجهم الذين كان يتم إجبارهم على الخروج من بيوتهم[6]. كما كشفت بشاعة وصف **ابن عبدون** للخُرَّاص والقُبَّاض والمتقبلين[7]، وما أوجبه على وزير السلطان بخصوص: «العمال والمتصرفين من القباض والخراص»[8]، عن تعدي هؤلاء وإجحافهم بحق العامة.

=

المرابطين والموحدين وأثرهما على علاقتهما مع الرعية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، مج2، ع8، نوفمبر2016، ص 80 ـ 84 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 204 ـ 208.

(1) البيذق: أخبار المهدي، ص26.

(2) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص31.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص125.

(4) أنظر: مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1999م، ص 91 ـ 92.

(5) أنظر: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص90 ؛ محمد القلبي: مراجعات حول المجتمع والثقافة في العصر الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص36.

(6) النويري: نهاية الأرب، ج24، ص155 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص51 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص87.

(7) أنظر: ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص5، 7، 30.

(8) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص15.

لكن اللافت أنه رغم تردي أوضاع العامة، لم تواكب ردود أفعالهم حجم محنتهم. بل كانت على النقيض: «هزيلة ومتواضعة، ولم يترتب عليها أي تغيير جذري في أي من مناحي الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية»[1]. ولعل السبب في ذلك يكمن ـ من وجهة نظر الباحث ـ في وجود عدد من المثبطات التي حالت مجتمعة ومنفردة بين العامة وبين ما من شأنه تخليصهم من هذا العسف والغبن. ومن بين تلك المثبطات:

نمط معيشتهم: حيث كان أغلبهم فلاحون مرتبطون بأرضهم وأهل قرى ومدن يتعاطون التجارة والصناعة، ولم تكن لهم نفس روح لمتونة الحربية، لذلك كانوا أبعد ما يكونوا عن ـ حمل السلاح والثورة ـ أشهر وسائل التغيير وأكثرها بداهة[2]. ويزكي هذا الطرح ما انتهى إليه العلوي من أن مجتمع فاس وغيرها من مدن المغرب: «لم يكن مجتمعا حربيا هجوميا، وإنما كان مجتمعا منظما فقط للدفاع عن نفسه»[3].

بل إنهم لم يكونوا بارعين حتى في الدفاع عن أنفسهم. فهذا ابن القطان يحدثنا عن أهل أغمات قائلا: «وخرج يوم الأربعاء [524هـ] جميع أهل أغمات حتى التجار، فتنادب الموحدون على القتال.. فكانت الهزيمة وأخذت جميع المحلات، وقتل من أهل أغمات مقتلة عظيمة»[4]. ويقول عن عامة مراكش:

---

(1) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص 240.

(2) **أنظر:** محمد زنيبر: المغرب في العصر الوسيط ـ الدولة المدينة الاقتصاد، منشورات كلية الآداب ـ جامعة محمد الخامس، الرباط، 1999م، ص116.

(3) **كانت تلك إحدى الحقائق التي تمخضت عنها دراسة هاشم العلوي لمجتمع مدن المغرب الأقصى، ولاسيما مجتمع مدينة فاس، منذ قيامها كعاصمة للإمارة الإدريسية في نهاية القرن الثاني للهجرة، إلى قيام المرابطين في أواسط القرن الخامس الهجري.** (أنظر: هاشم العلوي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، وزارة الأوقاف، المغرب، د.ط، 1995م، ج2، ص485).

(4) ابن القطان: نظم الجمان، ص158.

«وأصبح الموحدون أعزهم الله يوم الخميس [524هـ] على باب الشريعة، فخرجت إليهم العامة أجمعون بنشاط وعزم بغير سلاح، وبرز علي بعساكره. فلما رأى السوقة بغير سلاح نودي فيهم أن ارجعوا ليأخذوا السلاح، فكان رجوعهم شبها بالهزيمة»[1].

الإيمان بالفكر الغيبي: التجأ العامة لعجزهم عن تجاوز مشاكلهم، أو مجابهة الدولة التي لم تقدم لهم أية حلول لتحسين أوضاعهم، لتبني الفكر الغيبي والإيمان بالمعتقدات الشعبية، كوسيلة من وسائل الاحتجاج والمناهضة، ولنسيان واقعهم المزري التعس وتلبية ماديات ومعنويات لم تلب بما هو متوفر. وأسسوا عالما خياليا اختزنوا فيه كل توجهاتهم وتطلعاتهم وعبروا من خلاله عن طموحاتهم وأمانيهم، بعدما أقفلت دونهم على أرض الواقع أبواب الرزق وسدت أمامهم كل الطرق الممكنة لتحسين أوضاعهم[2].

الاعتقاد بفكرة القضاء والقدر: اعتقد العامة والخاصة اعتقادا لا يتزعزع بفكرة القضاء، وآمنوا إيمانا راسخا بأن الأرزاق مقسومة ومقدرة، وبأن الإنسان عاجز مهما فعل عن مغالبة مصيره المحتوم، ومن ثم فالأفضل له لو قبل به وتعايش معه[3]. وقد تجلى ذلك في عدد من أمثالهم، كقولهم: «الذي خرق الأشداق يأتي بالأرزاق»[4]، وقولهم: «الرزق والأجل ليس فيه عمل»[5]. وكذا في

---

(1) ابن القطان: نظم الجمان، ص159.

(2) أنظر: بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص111 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص240 ؛ شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي، ص105 ؛ سلمى براهمة: السحر بين الفقه والتصوف، دفاتر مركز الدكتوراه ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2015م، ص80 .

(3) أنظر: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص214.

(4) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص82 [مثل 353].

(5) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص63 [مثل 257].

نصيحة الأمير مذلي لإبراهيم بن أبي بكر بن عمر، لما قدم المغرب (469هـ) ليطالب يوسف بن تاشفين بملك أبيه. حيث قال له: «إن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، والله تعالى قد خص هذا الرجل بالملك دوننا»[1].

كما دفع بعض المتصوفة في اتجاه أن ما يجري للعامة على يد أمرائهم وألسنة ولاتهم، ما هو إلا عقاب مستحق من الله على خيانتهم وقلة أمانتهم ورداءة أفعالهم، ومن ثم فهم في حاجة لتغيير أنفسهم لا أمرائهم: «أما الآن في هذا الزمان فكل ما يجري على يد أمرائنا وألسنة ولاتنا فهو جزائنا واستحقاقنا. كما أننا رديئوا الأعمال قبيحوا الأفعال، ذوو خيانة وقلة أمانة»[2]. والأغرب من ذلك محاولة أمثال العامة تبرير جور ولاة الأمر بأنه رادع للعامة أنفسهم من جور بعضهم ببعض[3].

خدمات المتصوفة: كان لخدمات الأخيرين الاجتماعية ومساعداتهم المادية دورها في تخفيف العبء عن العامة المتضررين من سوء الأوضاع الاقتصادية وتسكين غضبهم وامتصاصه. مما ترتب عليه عدم ظهور أية ثورات أو احتجاجات: «رغم توفر الظروف والشروط الموضوعية أحيانا لقيامها، كحدوث الجفاف وما يرتبط به من مجاعات وارتفاع أسعار»[4].

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص29.

(2) الغزالي: التبر المسبوك، ص51 ـ 52.

(3) قالت العامة: **«إذا ارتفعت المقارع، قطعت الكلاب الشوارع»** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص14 [مثل 44])، **وقالت: «إذا عدل السلطان جارت الرعية».** (الطالقاني: رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة، مطبعة رعمسيس، مصر، د.ت، ص5، [مثل40]، الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص14 [حاشية المثل44]).

(4) محمد العمراني: الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري ـ ملاحظات واستنتاجات، أشغال الملتقى الدولي الخامس حول الحركات الإجتماعية في العالم العربي الإسلامي – كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بجامعة تونس، تونس، 2008م، ص417، 418 . **ولتفاصيل أكثر عن دور المتصوفة الاجتماعي** =

المرتزقة المسيحيين: كان لإحكام الحاميات المسيحية قبضتها على الجهاز العسكري بالمغرب دوره في خنق وإخماد جل الثورات الاجتماعية، والتقليل من إمكانية تمرد القبائل ـ الموالية ـ التي لم تستفد بما يكفي من ثمار اقتصاد المغازي، وإضعاف شوكة العصبيات القبلية، وكبح جماح القبائل الثائرة وإرهابها[1].

المعارضة السلبية: حيث اكتفى بعض العامة ـ خشية بطش السلطة ـ بالمعارضة السلبية، التي تمثلت في التنفيس عما يجيش في صدورهم من سخط واستياء ببث شكواهم في الأشعار والأزجال والأمثال. كقولهم في قضاة السوء:

=

أنظر: حسين سيد عبد الله مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين، المطبعة الاسلامية الحديثة، القاهرة، د.ط، 1994م، ص83 ـ 89 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص155 ـ 163.

(1) أنظر: بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص88 ـ 90.

ـ هذا ما يستنتج من رد أهل تينمل على ابن تومرت لما قبح صبرهم على اغتصاب جباة علي بن يوسف ـ المسيحيين ـ لنسائهم. حيث قالوا له: «فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة» (النويري: نهاية الأرب، ج24، ص155 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص51 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص87). **ومن دور الربرتير وجنوده في التصدي لابن تومرت ومن لف لفه واتبعه من قبائل المغرب** (البيذق: أخبار المهدي، ص47 ـ 58). **ومن الأربعة آلاف فارس مسيحي الذين استعان بهم تاشفين بن علي في التصدي للموحدين** (مجهول، الحلل الموشية، ص131). **ومن القلاع والحصون التي أقامها المرابطون في بلاد المصامدة وكدسوها بالنصارى لحراستهم وإرهابهم. (أنظر:** الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، 248 ـ 249 ؛ مجهول: الاستبصار، ص190 ؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص207 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص381 ؛ محمد العمراني: ثورات بلاد غمارة خلال الفترتين المرابطية والموحدية، مجلة أمل، المغرب، مج6، ع17، 1999م، ص106**).**

«إذا كان القاضي خصيمك، لمن تشتكي»[1]، وفي فقهاء السلطة: «خاف الله واتقيه، ولا تعامل الفقيه»[2]، وفي قسوة المحتسبين: «بَحَل مُحتسب، يضرب ويطوف»[3]، وفي خيانة رجال الشرطة: «بحال شرطي يأكل معك ويكسر الصحفة»[4]. وكقول ابن خفاجة (ت533هـ) في انتهازية الفقهاء: «وتزهدوا حتى أصابوا فرصة .. في أخذ مال مساجد وكنائس»[5]، وقول ابن قزمان في سجانيه: «ملطي لَسْ بقلبه .. من الاسلام رُطوبة ـ ألقى خلخال بساقي .. ثم أوفاني طوبة»[6].

وعمد البعض الآخر ـ تفريغا لطاقتهم ـ للاتساق بسلك الطغيان والانغماس بأعمال السلب والنهب، كما حدث بفاس عندما عمدت طائفة منها لممارسة إرهابها على أهل المدينة: «حتى كادت تقفر [تخلو من الناس] على أيديهم، وتدثر رسومها بإفراط تعديهم»، لولا تدارك أمير المسلمين أمرهم[7]. وشكل غيرهم عصابات تخصصت في السطو على المسافرين والإغارة على ماشية الفلاحين، كأولاد تبرزوفت الذين سرقوا دابة ابن تومرت بما عليها في الليلة التي أقام فيها بتابرندوست[8]، وبنو فلان الذين أشار الصومعي ـ دون تحديد إسمهم ـ لقيامهم بالإغارة على ماشية أبي يعزي وجيرانه[9].

---

(1) ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص276.

(2) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص207 [مثل 924].

(3) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص149 [مثل 668].

(4) ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص284.

(5) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، 1960م، ص366 ؛ المقري: نفح الطيب، ج3، ص303.

(6) ديوان ابن قزمان: ص146 [زجل 41] .

(7) **أنظر:** المقري: نفح الطيب، ج4، 220 ؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص100.

(8) **بات بها في طريقه من سلا لمراكش.** (البيذق: أخبار المهدي، ص26).

(9) **أنظر:** الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعـزي، ص127.

أيضا حال بين العامة وبين الثورة على أوضاعهم الإجتماعية المنحطة: رفضهم الاستجابة لنداءات المصلحين الداعين لتغيير المناكر التي شابوا عليها[1]. وافتقادهم لقيادة محنكة يلتفو حولها تحت مظلة برنامج واضح وأهداف محددة، وافتقارهم للوعي الطبقي الذي يؤطر كفاحهم ضد خصومهم، بسبب عجزهم عن استيعاب مفهوم: «الصراع الاجتماعي كمحرك في عملية التغيير»[2]. وسيطرة فكرة عجز الإنسان عن معاندة قدره ومغالبة مصيره عليهم، ناهيك عن الرعب الذي كانت السلطة تتعمد بثه في قلوبهم بتعليقها رؤوس الثوار والمتمردين على أبواب المدن والحواضر[3]، لردعهم: «وتحسيسهم بمدى خطورة الجهاز السلطوي الذي يتصدى لأي محاولة تمردية»[4].

بيد أن ذلك لا يعني تقاعسهم البتة عن القيام بأي رد فعل ثوري. فكم من مرة انتقض العامة وانتفضوا في وجه الدولة، وسجلوا إعتراضهم على تشددات ممثليها وتجاوزاتهم، وعبروا عن سخطهم واحتجاجهم على بؤس أحوالهم وزراية أوضاعهم.

من ذلك ما حكاه ابن خاقان (ت529هـ) عن ثوار فاس الذين انقلبوا على سلطة المرابطين وتلقبو بالإمارة، وما اتخذوه من تدابير إجرامية وإجراءات

---

(1) **كما حدث لابن تومرت مع عامة مكناسة. فقد هددوه بالتمثيل به وبتلامذته إن لم ينصرفوا عنهم ويكفوا عن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.** (البيذق: أخبار المهدي، ص22 ؛ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص5 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص82).

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص 214.

(3) **كما فعل ينالو سلطان الغرب بثلاثة من أشياخ غمارة. حيث قام ـ بعدما حطم ثورتهم وجمع غنائمهم ـ بقطع رؤوسهم وتعليقها في باب السلسلة بفاس، ليكونوا عبرة لمن يفكر في التمرد على سلطان الدولة.** (البيذق: أخبار المهدي، ص24).

(4) محمد العمراني: الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس، ص416.

تخريبية لضمان سيطرتهم على المدينة: «حتى كادت تقفر على أيديهم، وتدثر رسومها بإفراط تعديهم»[1].

وظهر ببلاد غمارة (491هـ) ثائر يعرف بابن الزنر، وَادَّعى أنه ابن معنصر الزناتي ـ صاحب فاس الذي فقد بدون أثر خلال آخر معركه له ضد لمتونة (460هـ)[2] ـ فلاقت دعوته صدى لا يستهان به والتف حوله الكثير من الناس: «فتوجه إليه يوسف وقتل خلقا من أصحابه، ثم أعطى غمارة مالا فغدروه وأتوا إليه برأسه»[3]. وقام عليه ماخوخ الزناتي في العام نفسه بناحية تلمسان: «فخرج إليه يوسف ففر أمامه وخرج من بلاده»[4].

كذلك انتفض أهل فاس ضد قاضيهم محمد ابن العربي الإشبيلي (ت543هـ)، بعدما أثارت حفيظتهم صلابة أحكامه وشدته على أهل المناكر، يقول ابن عيشون: «فأدته شدته إلى أن قامت عليه العامة، ونهبت داره»[5]. ولولا اختباءه في غُرَفْ زوجاته وتستره بحريمه، لكان كما قال: «شهيد الدار، يعني عثمان رضي الله عنه»[6].

---

(1) ابن خاقان: قلائد العقيان، ج1، ص100 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص92.

(2) **هو معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيري بن عطية المغراوي. بايعته القبائل المغراوية بفاس ملكا على المدينة بعد تخلى الفتوح بن دوناس عن ملكها (457هـ)، واستمر يمارس سلطاته حتى فُقد خلال آخر معركة له مع لمتونة (460هـ) دون أن يدرى ما فعل الله به. (أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص112 ـ113 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص337ـ338).

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص58 ؛ محمد العمراني: ثورات بلاد غمارة، ص 109ـ110.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص58 .

(5) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص323 .

(6) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص323.

وأشار ابن الزيات في معرض حديثه عن كرامات ابن يسولال الدكالي، لدعاء الأخير على وسنوس بن موسى بعدما شكاه الناس إليه، لتضررهم من قيامه بجمع الجيوش وإثارة الفتن بين القبائل وتهييجه الحروب بينهم. يقول ابن الزيات: «فقال: اللهم ابعده عنا وأرحنا منه. فلم يلبث غير يسير حتى بعثه علي بن يوسف إلي ميورقة وسجنه. فاقام بها مسجونا إلى أن مات واستراح الناس منه»[(1)].

وذكر البيذق أنه بينما كان ابن تومرت بفاس (514هـ)[(2)]، إندلعت ثورة عارمة في بلاد غمارة تحت قيادة ثلة من أشياخها، فخرج إليهم ينالوا ـ وكان يومئذ سلطان الغرب ـ من مدينة تاودا المعروفة اليوم بفاس البالي، والتي أقيمت أساسا على بعد ثلاثة أميال من طرف جبل غمارة، ليُمْلَك منه، لتتابع نفاقه عليهم، فَقَتَلَ: «منهم ثلاثة أشياخ: يكساس، وحيان، وسحنون، ثم قتل لجاية، وساق رؤوسهم وعلقها في باب السلسلة، وأتى بغنائمهم»[(3)].

وثار بسبتة سنة 520هـ شخص سماه الشطيبي بالحاجب[(4)]. ويبدوا أنه هو هو الثائر الذي قام في كركال بريف سبتة وادعى ـ حسبما نقل ابن عذارى عن ابن حمادة ـ أنه الخضر[(5)]. لأن ابن عذارى ذكر أن خروج كركال كان في سنة 520هـ، والشطيبي ذكر أن خروج الحاجب تزامن مع رجوع ابن رشد للاندلس،

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص151.

(2) **أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص173.

(3) البيذق: أخبار المهدي، ص24 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص248 ـ 249 ؛ مجهول: الاستبصار، ص190.

(4) الشطيبي: الجمان في مختصر أخبار الزمان، تحقيق: عبدالحفيظ الطيبي، رسالة دكتوارة غير منشورة، كلية الآداب والفلسفة، قسم الدراسات السامية، جامعة غرناطة، آسبانيا، 2012م، ص379.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص74 ـ 75.

والذي جعله صاحب الحلل ضمن أحداث سنة 520هـ[1]. وأيا كان هو فقد كشف حرص علي بن يوسف على التحرك له بنفسه وتكبده مشقة حصاره[2]، عن كثرة أتباعه، وشدة خطره وقوة تهديده.

وبعدما تكونت قناعاته المذهبية والأيديولوجية ونضجت، رحل ابن تومرت إلى المشرق (500هـ)[3]، حاملا في: «نفسه بعض المآخذ على الواقع المغربي»[4]، وفي رأسه فكرة الثورة على هذا الواقع وخاصة في ميدان الاجتماع[5]. وعاد بعد خمسة عشرة عاما إلى المغرب وهو لم يكتسب معلومة فقهية أو كلامية جديدة، بقدر ما اكتسب من حنكة وسعة أفق سياسية[6]، وقوة إقناع وتمرس على المناظرة والجدل، وقدرة على التأثير في سامعيه[7]، إلى آخر ذلك من الملكات التي استغلها في إقناع عامة المغرب بخلع بيعة علي بن يوسف من أعناقهم، والثورة عليه[8]. وتمهيد الطريق لعبد المؤمن لاقتلاع جذور الدولة: «وإبادة أمر أمراء اللثام»[9].

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص90.

(2) الشطيبي: الجمان في مختصر أخبار الزمان، ص379.

(3) الحسن أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ص69.

(4) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ـ حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1983م، ص109، 112؛ عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1995م، ص65.

(5) عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، د.م، ط2، د.ت، ج1، ص99.

(6) عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م، ج2، ص146؛ عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص110.

(7) الحسن أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ص69-70.

(8) ابن القطان: نظم الجمان، ص83.

(9) **لتفاصيل أكثر عن ابن تومرت وثورته أنظر:** عبد العزيز شاكي: ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين، مجلة الحكمة، الجزائر، ع20، 2013م، ص 152 ـ 168؛ =

ولم يقتصر الأمر على الفقهاء. فقد حاز المتصوفة بفضل مواقفهم إلى جانب العامة إشعاعا لا يُنَاقَشْ، ومنحتهم تدخلاتهم بين الحكام ورعيتهم بُعداً سياسيا، وأكسبهم صفة المعارضة. بيد أن معارضتهم تلك كانت سلمية تعتمد على التمويه، وتوظيف الكرامة برموزها المتنوعة لتمرير خطابهم والتعبير عن رؤيتهم لإصلاح المجتمع وتطهيره، وبالتالي تحسين وضع الطبقات الفقيرة[1]. لكن معارضتهم تلك لم تبق أبداً سلمية، بل كانت تأخذ أحيانا منحى أقسى، كمقاطعة أولي الأمر، أو رد عطاياهم، أو رفض مقابلتهم، أو السير إليهم، أو تقلد وظائفهم.. إلى آخر ذلك من صور التباعد والنفور[2].

من ذلك ما نقله ابن الزيات عن رفض أبو محمد بن الأمان الهكسوري الأسود دخول السلطان عليه بيته[3]، وإقسام أبي الحسن بن الصائغ أنه لم يمشي بقدمه: «قط في مظلمة، ولا إلى باب سلطان»[4]، وسجن أبو عبد الله

=

محمد زنيبر: الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي بن تومرت، مجلة المناهل، المغرب، ع24، يوليو 1982م، ص 107 ـ 140 ؛ عباس الجراري: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل، المغرب، ع1، نوفمبر 1974م، ص 84 ـ 121 ؛ عبد العزيز شاكي: حروب عبد المؤمن بن علي ضد دولة المرابطين، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، موريتانيا، ع12، 2016م، ص66 ـ 83.

(1) **أنظر:** فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص174 ؛ إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، 1995، ص137.

(2) **أنظر:** ريم محمود محمد راشد: موقف العلماء من السلتطين المرابطية والموحدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، 2014م، ص121.

(3) **رفض المتصوف أبو محمد بن الأمان الهكسوري الأسود، دخول علي بن يوسف عليه بيته وخرج إليه من داره فلقيه في الفحص وقعد معه ساعة . (أنظر:** ابن الزيات، ابن الزيات: التشوف، ص152 **)**.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص297.

التميمي لرفضه تقلد قضاء فاس[1]، ورفض ابن الصقر الانقطاع إلى صحبة عامل دكالة مقابل ألف دينار ذهبا مرابطية [2]، وتحذير أبو الأمان لصاحبه الأخص من لقاء الناس، بعدما لمسه في نفسه من فقد الأحوال وضياع البركة بعد اجتماعه بالسلطان وحديثه معه[3]، واشتكاء ابن العريف من فقده لذة التواضع وصدق الخلوة وصحة التوبة بعد توليه خطة الحسبة[4]، ورد أبو محمد عبد الله الألف دينار التي بعث بها السلطان إليه، وتصدق عبد الجليل بن ويحلان بها[5]، وتفريق أبو الحجاج الضرير لها[6].

ولا نعدم من النصوص ما يثبت تحدي بعض المتصوفة لقرارت عواهل المرابطين وعصيانهم لأوامرهم.

فقد عصى ابن حرزهم أوامر علي بن يوسف بطرح جثمان أبي الحكم ابن برجان على المزابل ومنع الصلاة عليه، بدعوة الناس لحضور جنازته[7]. واعترض أبو محمد عبد الله المليجي[8]، وابن النحوي وابن حرزهم على قرار علي بن يوسف حرق كتاب الإحياء، وأَحَلَّوا الناس من أيمانهم المغلظة التي أقسموها أنه ليس عندهم[9].

نخلص من كل ذلك للقول بأنه كان للعامة دور سياسي لا يناقش. صحيح

---

(1) القاضي عياض: الغنية، ص28.

(2) ابن عبد المللك: الذيل والتكملة، ج1، ص408.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص152.

(4) ابن العريف: مفتاح السعادة، ص121.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص145.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص106.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص170.

(8) ابن الزيات: التشوف، ص145.

(9) ابن الزيات: التشوف، ص96؛ ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، ص108.

أنهم عجزوا عن إدراك ذلك، لكن السلطة أدركته وعملت له حسابه، فحاولت بعض الوقت كسبهم، واستغلت الآخر في تدبير ما يحول بينهم وبين التغيير. بمعنى أنها كانت تبعث إلى الأندلس من يشتري لها العلوج وتبني القلاع والحصون وتكدسها بالجنود، في نفس الوقت الذي كانت تعمل فيه على استرضائهم والتودد إليهم[1].

وللقول بأن رخاوة موقف العامة السياسي وبلادة ردود أفعالهم لم تكن كلها عجز، بل وأشياء أخرى، كإيمانهم باستحالة مغالبة مصيرهم المحتوم، واتكالهم على مساعدات المتصوفة، وافتقادهم القائد والبرنامج، وارتعاد فرائصهم كلما جال بذهنهم فكرة أن رؤوسهم قد يكون مصيرها نفس مصير تلك الرؤوس المعلقة من آذانها على أبواب المدن.

لكن هذا لا يعني أنهم عزفوا تماما عن الثورة، بل ثاروا ـ رغم كل تلك المعوقات ـ مرات ربما ضعف ما أورد الباحث !؟ لكنه التعتيم والتغييب المتعمد لتلك الفئة هو ما حال بين الباحث وبين إتيانه على ذكرها، حيث لم ترتبط قلة الثورات بالمغرب المرابطي كما عبر أحد الباحثين: «بغياب الشروط المسببة للفتن والتمردات، بقدر ما ارتبطت بالكتابات التي أرخت للمغرب الأقصى خلال هذه المرحلة»[2].

* * *

(1) **أنظر:** مجهول: الاستبصار، ص190.

(2) محمد العمراني: الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس، ص410.

الفصل الثالث

العامة والنشاط الاقتصادي

-الإنتاج الزراعي والرعوي:

الإنتاج الزراعي

الإنتاج الرعوي

-التعدين والحرف الصناعية:

الصناعات المعدنية

صناعة النسيج

الصناعات الغذائية

الصناعات الخشبية

الصناعات الزجاجية

الصناعات الفخارية والخزفية

ـ النشـاط التجـاري:

الإنتـاج الزراعي والرعوي:

لما كانت دراسة الأساس الاقتصادي لمجتمع ما ـ من حيث نمط الانتاج السائد به والأنماط الهامشية ـ بمثابة حجر الأساس في التعرف على كافة بنيات المجتمع السياسية والاجتماعية والإيديولوجية[1]؛ فقد عمد الباحث في الصفحات التالية لدراسة قوى الإنتاج المختلفة، ولكن لفئة واحدة من فئات المجتمع، ألا وهي العامة. حيث حصر بحثه وركز تقصيه في أنماط الانتاج السائد فيهم وأثرها في بنية مجتمعهم.

** الإنتـاج الزراعي:

عرَّف ابن العوام **الفلاحة** بأنها: «إصلاح الأرض وغِراسة الأشجار فيها، وتركيب ما يُصلحه التركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها فيها، وإصلاح ذلك وإمداده بما ينفعه ويجوده، وعلاج ذلك بما يدفع الآفات عنه، ومعرفة جيد الأرض ووسطها والدون منها»[2]. وقد نالت نتيجة لحجم الدور وقيمة الخدمات التي تقدمها، اهتماما بالغا من طرف كل فئات المجتمع[3]، فحظيت باهتمام الحكام، ربما لتأثرهم **بتوصيات كُتَّاب الأدب السياسي** الداعية للإحسان إلى المزارعين والمحذرة من إضعافهم[4]، **ونصيحة المحتسبين** للرؤساء

---

(1) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ـ طور الإزدهار ـ الخلفية السوسيو / تاريخية، سينا للنشر ـ الانتشار العربي، مصر ـ لندن، ط3، 2000م، ص24 ؛ كريمة عبد الرؤوف: عامة مدينة فاس، ص61.

(2) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص273.

(3) لخضر العربي: واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزّياني، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، الجزائر، 2018م، ص50.

(4) حذر الطرطوشي من إضعافهم لئلا يهربوا: «فتضعف العمارة، فيضعف الخراج، وينتج عن ذلك ضعف الأجناد، وإذا ضعف الجند طمع الأعداء في =

بالرفق بهم والحماية لهم في أعمالهم[1]، **وإفتاء الفقهاء** بأن العمل بها يَجْبُر التقصير الحاصل في العبادة والإنقطاع إلى الله[2]، **وتأكيد كُتاب الفلاحة** أنها من الفنون التي يستعان بها على منافع الدنيا ومصالح الآخرة[3].

وغير اهتمام الحكام، حظيت الفلاحة لدى العامة بقدسية خاصة ونظرة جد إيجابية. وهو شيء يمكن الاستدلال عليه من عدة أمثال عامية، من بينها **قولهم**: «ما يكون الحج حلال إلا بحرثة وإلا بورثة»، الذي يعني أنهم لم يكونوا يجيزون الحج إلا بنقود مكتسبة من حراثة الأرض. **وقولهم**: «أدي الفرض وانقب الأرض»، الذي يعني أن خدمتهم للأرض كانت تأتي مباشرة بعد عبادة الله، **وقولهم**: «الفلاحة عبادة». إلى آخر ذلك من الأمثال الدالة على قيمة الفلاحة لديهم: **كقولهم**: «الفلاحة متعة، والصناعة منعة، والتجارة فجارة»، **وقولهم**: «الفلاحة تعب وراحة»، **وقولهم**: «الأرض تعطيها تعطيك»، **وقولهم**: «اللي ما غناتو السكة ما تغنيه الركة»، **وقولهم**: «فلاحة الزيتون عز، وخدمة الرجال ذل». **وقولهم**: «حرثة ولا ورثة ولا سر حتى»[4].

=

السلطان». (الطرطوشي: سراج الملوك، ج2، ص496 ـ 497. **وانظر**: ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، ص103، 105 ؛ ابن رضوان: الشهب اللامعة، ص231 ـ 232 ؛ ابن الأزرق: بدائع السلك، ج2، ص718).

(1) **لكون الفلاحة بحسبهم: «هي العمران، ومنها العيش كله والصلاح جله.. وببطالتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام»**. (ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص5).

(2) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص4 ؛ عبد الرحمن المجاجي: التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليج، تحقيق: خالد بوشمة، دار التراث ـ دار ابن حزم، الجزائر ـ بيروت، 2005م، ص510 ؛ لخضر العربي: واقع الفلاحة في المغرب الأوسط، ص38.

(3) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص262.

(4) مختار المومني: الفلاحة في أمثالنا العامية، مجلة الإتحاف، تونس، ع 143 ـ 144، يناير 2004م، ص67، 70، 73 ؛ لخضر العربي: واقع الفلاحة في المغرب الاوسط، ص40 ـ 41 ؛ عبد القادر =

وكما أسهمت الأمثال في بلورة الموقف الشعبي الإيجابي تجاه النشاط الزراعي، اضطلعت كذلك بكشفت ما كانوا يعانونه من ضنك وضيق، من خلال تطرقها للمستوى المعيشي للفلاحين[1]. حيث قيل في المثل العامي: «ثلاثة من الناس ما يلباس غفار، ولا يوقد قنديل في منارا، ولا يولد في طَنْجَهار: صياد بِصَنَّارة، ومَيَّار بِحِمَارة، وَجَنَّان بِخَطَّارة»، **وقيل**: «فقير وبدوي، ما يدوي»[2]، **وقيل**: «افتح كرنب سقتلكم إن اللحم غالي»[3]، للإشارة لعجز الفلاحين عن شراء اللحم. لذلك قالوا ـ يحثون على الاقتصاد ـ في مثل آخر: «كُل خُبزك باللمَكْ [الثريد] يكون أوفر لدرهمك»، **وقالوا**: «ضُم البصل واشْمَا حَصَل» أي كل البصل وليكن ما يكون[4]. ما يعني أن عامة البوادي، ومن وفدوا منها على الحواضر للعمل في فلح الأرض وسقي الشجر وخدمة ضياع الخاصة، ظلوا يعانون هم وصغار الملاك الذين يعملون بأيديهم، وغيرهم ممن يملكون بعض وسائل الإنتاج وأدواته كالبقر أو الآلات أو البذور، من وضعية مزرية، رغم كدهم وسعيهم الحثيث لتأمين لقمة عيشهم. حيث لم تكن مداخيلهم تكيفهم، ولا عائدات أراضيهم تقوم بهم أو تفي باحتياجاتهم، إما لقلتها وإما لإثقالها بالعديد من أوجه الاستغلال الجبائي[5].

=

الخلادي: أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية، مجلة دعوة الحق، المغرب، س11/ 8، ع110، ربيع الاول والثاني 1388هـ-يونية ويولية 1986م، ص125.

(1) **أنظر**: أنور محمود زناتي: أمثال العوام مصدرا للنشاط الزراعي في الأندلس ـ الزجالي وابن عاصم أنموذجان، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ع22، 2017م، ص20.

(2) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص170 (مثل 756) ـ ص407 (مثل 1775).

(3) ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص282 ؛ الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص89 (حاشية المثل 393).

(4) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص265 (مثل1140) ـ ص371 (مثل 1628) ؛ أنور محمود زناتي: أمثال العوام مصدرا للنشاط الزراعي، ص20.

(5) **أنظر**: ابن الزيات: التشوف، ص278 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص178 ـ 179 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص187 ـ 188.

أما عن تفاصيل العملية الفلاحية وحجم وشكل مشاركة العامة بها في الفترة محل الدراسة، فهذا ما لا سبيل للإلمام به بالكلية؛ لندرة النصوص التاريخية ونضوب المعلومات المصدرية، نتيجة قلة المصنفات المونوغرافية الخاصة بتاريخ المدن بسبب اندثار معظمها بفعل الزمن ووطأة الأحداث، واكتفاء الكتابات المغربية بالتلميح لموضوع الفلاحة في ثنايا التاريخ العام للمغرب وإحجام بعضها الآخر عن الخوض فيها بالكلية بسبب الشحة المصدرية التي كانت مثار تأفف عددا من الباحثين[1].

لذلك عمد الباحث ـ ترميما لهذا العجز ـ للم شتات الشذرات والنصوص المتناثرة بالمصادر التاريخية والدفينة، ولاستخدام المتاح من مؤلفات التراث الفلاحي ـ ولاسيما الأندلسي ـ علّه يتمكن بمعاونتها من الإلمام ببعض خيوط الموضوع وولوج تفاصيله المختلفة. ثم قسّم نتيجة بحثة، وخلاصة تقصية للأعمال الفلاحية التي اضطلع العامة بها على سبيل الخدمة لزروعهم، لعدة منطلقات، من بينها:

ـ اختبار الأرض وتهيئتها للزراعة بواسطة تسميدها وحرثها:

بداية قسم ابن بصال الأرض الصالحة للزراعة والغراسة ـ إعتمادا على حجم الحبيبات المكونة لها ولونها ـ إلى عشرة أنواع: «اللينة، والغليظة، والجبلية، والرملة، والسوداء المدمنة [الدمنة] المحترقة الوجه، والأرض البيضاء، والأرض الصفراء، والأرض الحمرة، والأرض الحرشاء المضرسة،

---

(1) **أنظر:** إبراهيم القادري بوتشيش: إسهامات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، 1997م، ص33 ـ 34 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص77 ؛ سعيد بنحمادة: الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصرالوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية، مجلة كان التاريخية، ع22، ديسمبر2013م، ص116.

والأرض المكدنة المايلة إلى الحمراء»[1]. وقد كان العامة على علم تام بهذه الأنواع، بدليل أخذهم ذلك التنوع بعين الاعتبار عند توارثهم فيها[2]، أو عند صياغة عقود الشركات الفلاحية بأنواعها[3]. وتأكيد الفقهاء أن: «من الغرر في الصداق، أن يتزوج الرجل المرأة بأرض للزوج.. ولا تُعرف بعينها ولا توصف بحالها»[4].

وغير إلمامهم بأنواع الأرض، كانت للعامة طرقها في اختبار الأرض لمعرفة جيدها من رديئها، **بدليل** ما نقله ابن العوام على لسان صاحب المُقْنع: «امتَحَن **الناس** الأرضين على وجوه شتى، فمنهم من امتحنها بالرائحة والذوق، ومنهم من امتحنها بالنظر إليها واللمس لها»[5]. ويحسب لهم كذلك أن صحة تنفيذ ما اقترحته كتب الفلاحة من طرق عالمة لاختبار جودة الأرض كانت مرهونة بخبرتهم أنفسهم. فمثلا كان من بين طرق اختبار جودة الأرض أخذ تراب من قعر

---

(1) ابن بصال: كتاب الفلاحة، ترجمة: خوسي مارية مياس ـ محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1955م، ص41 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله، 2016م، ص 24. **وانظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص321 وما بعدها.

(2) **أنظر:** البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج5، ص28ـ29.

(3) **كعقدي المغارسة والمزارعة اللذين كانت نوعية الأرض أول ما يذكر فيهما، قبل بقية التفاصيل الأخرى كموضعها وحدودها، بل وحتى قبل نوع الزرع والغرس ذاته. (أنظر:** وثائق المرابطين والموحدون، ص533، 575**).**

(4) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج2، ص210 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص389.

(5) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص341.

ــ **انظر أيضا بخصوص طرقهم في اختبار الأرض:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص359 وما بعدها ؛ أبي الخير الإشبيلي: كتاب في الفلاحة، المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، 1357هـ/ 1938م، ص3 ـ 4 ؛ ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص55 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، بدمشق، 1923م، ج1، ص320ـ322.

حفرة عمقها ذراعين وشمها: «فإن كانت الرائحة **طيبة كريح التراب الطيب السليم**.. فإنها صالحة محمودة»[1].

ولم يكن اهتمام العامة بالتربة اعتباطا، بل كانوا أولى من غيرهم بمعرفة الأرض ومَيْزُها وعلم جيدها من دنيها، حتى يودعوا: «كل أرض منها ما هو موافق لها من الشجر ومن الغروس ومن النخل والزروع»[2]، حيث كان لكل أرض: «نبات يجود فيه، وعمل وتدبير» خاص به[3]. يقول ابن العوام: «ومن لا يعلم ذلك فقد أضاع الأصل، واستحق في هذه الصناعة إسم الجهل»[4].

وكان أول إجراء يتخذه العامة بخصوص الأرض هو **تسميدها**، والسماد: «ما يطرح في أصول الزرع والخُضر من العذرة والزبل ليجود نباته»[5]. وهو يعتبر من أهم خطوات العملية الزراعية، لأنه كان ينفع، فوق منفعته للنبات: «الأرضين، التي فيها النبات والتي لا نبات فيها ولا شجر. وذاك أنها إن طرحت في أرض ردية أصلحتها، وإن كانت الأرض صالحة زادتها صلاحا وطيبتها وقوتها»[6].

وتقدر أنواع السرقين (السماد) المستعمل في صناعة الفلاحة بحسب ابن بصال، بسبعة أنواع[7]. أجودها زَرْق الحمام، يليه رجيع الناس، يليه سرجين

---

(1) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص321.

(2) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص321، 353 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص307-308.

(3) ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص41.

(4) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص321.

(5) ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص220.

(6) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص371 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص441.

ـ **عن فوائد التسميد للتربة، أنظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص262.

(7) ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص49.

الحمير، يليه بعر المعز، يليه الضأن، يليه خُثِي (روث) البقر. وأضعفها وأخسها سرجين الخيل والبغال[1]. وقد استعملها العامة على ضربين، إما كما هي، وإما مخلوطة: «شيء على شيء، ويجمع زبل إلى غيره. إما زبل مثله وإما تربة من التراب الموافق له»[2]. يقول أبي الخير: «وإذا كان الزبل مخلوطا كان أحسن»[3].

وبالاعتماد على كتب الفلاحة، فقد كان لكل نبات نوع من السماد أوفق له، ولكل تربة ما يُصلحها ويَصْلُح لها[4]. كما كانت هناك أسمدة عامة: «المنفعة لكل نبات جملة، صغيره وكبيره، على التجربة»[5]. لكن أيا منها لم يكن يستعمل مباشرة، وإنما بعد عام ـ من تعاهده بالتحريك الدائم والخدمة المستمرة ـ على الأقل[6]، لخطورة استعماله قبل ذلك على الزرع[7].

---

(1) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص442 ـ 444. **قارن ذلك بما ورد عند:** ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص361 ؛ ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص49 ـ 51 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص10 ـ 11.

(2) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص361 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص448.

(3) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص11.

(4) **يقول ابن وحشية: «فأما [الأرض] الفاسدة فتحتاج إلى سرقين، وتحتاج منه إلى مقدار ما يصلحها بقدر إصلاحها».**

(ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص373. **وانظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص415 ـ 469 / ج3، ص257 ـ 263 ؛ ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص41 ـ 53).

(5) **لصفة صنعه أنظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص464 ـ 365 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص368 ـ 369.

(6) ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص52.

(7) **يقول ابن العوام: «والذي يستعمل قبل تمام سنة فضرره أنه يولد هواما رديئة، وديدانا صغارا وكبارا. وربما إذا زبل به نبات وسقي ماء كثيرا، وكانت الأرض نَزَّة أو عرقة تآكلت أصول النبات».** (ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص471 ـ 472. **وانظر:** ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص50، 52 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة،، ص11).

ولضيق المجال عن ذكر طريقة تحضير كل هذه الأنواع، فيسكتفي الباحث بوصف طريقة معالجة العامة لرجيع الآدميين ـ أو خُرء الناس على حد تعبير ابن العوام ـ حتى يصير صالحا لاستخدامه في التسميد. حيث كان يجفف من رطوبته حتى يسود، ثم يوضع في حفاير طوال كهيئة السواقي والأحواض: «ويرش عليه الماء العذب ويحرك تحريكا كثيرا، ويخلط حتى يختلط، ويجفف حتى يجف جفافا جيدا»[1]، ثم يخلط به الرماد الناتج عن حرق أغصان الشجر أو البقول أو النبات الذي يراد أن يزبل به، يقول ابن العوام: «فإن هذا أفضل التذبيل»[2]. لكن فضله لا ينفي ما عاناه العامة المضطلعين بإعداده من رائحته الكريهة، لذلك نصحت كتب الفلاحة الأكرة المتأذين من ذلك بكسر رائحته بواسطة خلط خُرء الناس بأزبال الطيور وبتراب أرض حمراء التربة طيبة الريح: «فإنه يزيل رائحته المنتنة البتة، لكن بعد أن يمكث جافا أياما كثيرة»[3].

أما عن طُرق العامة في تسميد الحبوب والخضار والبقول[4]، فقد كان من بينها ذرّوا (نثر) السرقين على الماء الجاري حتى يحمله: «الماء إلى أصول تلك المنابت»[5]، أو نثره عليها كلها نثرا خفيفا: «بعد أن يرش عليها الماء ليستمسك الغبار عليها»[6]. بينما عمدوا ـ لتزبيل الغروس والشجر ـ إلى: «حفر أصولها إما

---

(1) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص453 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص374 ـ 375.

(2) **أنظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص453 ـ 454.

(3) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، **ج1، ص454** ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، **ج1، ص375.**

(4) **أنظر:** أمينة بلكعلول: تقنية التسميد في الزراعة في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مذكر لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2019م، ص39 ـ 41.

(5) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص373 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص477.

(6) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص473، 475 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص370.

قليلا أو كثيرا، وطمر هذه الأزبال فيها»[1].

وغير التسميد كانت هناك خطوة أخرى لا غنى للأرض عنها، ونعني بتلك الخطوة **قلب الأرض**، أي حرثها ورد أعلاها أسفلها مرة بعد مرة[2]. حيث كان العامة المقتنعون بأنه **"لا حرث لمن لم يقلب"** يقومون بتقليب الأرض إذا أرادوا إنشاء الغرس فيها، أي أخذ: «ما كان على وجه الأرض من ترابها الذي أثرت فيه الشمس والهواء، وجعله أسفل الأرض المحفورة»[3]، وذلك لأنها إذا: «قُلبت وصار الأعلى أسفل والأسفل أعلى واختلطا اعتدلت تلك الأرض وصلحت»[4]. ليس هذا فقط، فقد كان القلب يُمَكِّن الشمس من النفوذ إلى داخل التربة، والهواء من الولوج إلى أعماقها، ويُمسك رطوبة الأرض المحروثة والماء الذي بداخلها، ويَقطع العشب عنها: «لئلا يذهب بطيب غذاء الأرض»[5].

وكانت تسبق عملية الحرث تلك وتتلوها عدة أعمال لا تستقيم الحراثة إلا بها، من بينها: قطع الحلفاء: «والثِّيْل [كل عشب لا ساق له كالنجيل] والشوك والقصب، وما أشبه ذلك من النبات المُضر»[6]، إما بالحفر وإما

---

(1) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص369 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص473.

(2) ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص56.

(3) النابلسي: الملاحة في علم الفلاحة، تحقيق: عادل محمد علي، دار الضياء، الأردن، 2001م، ص25 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص57.

(4) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص12.

(5) النابلسي: الملاحة في علم الفلاحة، ص28 ـ 29 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص219ـ220ـ ج4، ص11ـ12.

(6) **أنظر:** الونشريسي: المعيار المعرب، ج7، ص37 ـ 38 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص585 ـ 586 ـ ج2، ص8 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص197 ؛ يوسف النكادي: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، ضمن كتاب: الفلاحة والتقنيات الفلاحية، مؤسسة =

بتكرار الحرث، وإما بغير ذلك. حيث زعمت العامة أنه من اتخذ فأس من صفر (نحاس) وسقاه: «في دم تيس عند عمله، لم يقطع به نبت إلا استؤصل ولم ينبت أبدا»[1]. وقد أوصىَ ابن وحشية إيكال: «تقصى هذه الأشياء وما أشبهها إلى الصبيان.. لفراغ قلوبهم، وأنهم يقيمون ذلك مقام اللعب»[2].

كذلك كان من بين الأعمال التي اضطلع العامة بها قبل القيام بحرث الأرض: تنقيتها من الحطب والحجارة ـ ولاسيما التي لها حد ـ لأنها: «تَحرق الغروس في وقت الصيف إذا أحمتها الشمس»[3]. وتسويتها

للحرث[4]، وسقيها ـ ولاسيما في سنوات الجدب والقحط ـ لترطيبها ومن ثم تسهيل دخول سكة المحراث فيها[5].

أما بعد الحرث فقد حرص العامة على التخلص من المَدَر (قطع الطين اليابس) التي كانت تظهر بالأرض بعد كل قلبة[6]، وذلك بدقها دقا شديدا

=

الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2011م، ص245 ـ 246.

(1) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص585 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص14. **وانظر:** موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص60.

(2) ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ص197.

(3) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص336، 585 ـ 586. **وانظر:** أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص5، 21 ؛ الفرسطائي: القسمة وأصول الأرضين، تحقيق: بكر بن محمد بن الشيخ بلحاج ـ محمد صالح ناصر، جمعية التراث، الجزائر، ط2، 1997م، ص409.

(4) الفرسطائي: القسمة وأصول الأرضين، ص409.

(5) ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ج2، ص1088 ـ 1089 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص59.

(6) **يقول ابن العوام نقلا عن صاحب الفلاحة النبطية: «لا يصلح أن تكون في الأرض تزرع في وقت زراعتها مدر، وكذلك التي تغرس.. فتحرق ما نما منها من الزرع والشجر».** (ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص68).

بواسطة المرزبات الخشبية وأقفية الآلات (الفؤوس) التي تقلب الأرض بها، حتى تصير ترابا. يقول ابن العوام: «فإنه لا يجيء منها شيء إلا بهذا العمل»[1]. وقد استنتج هواري من مطالبة أحدهم شريكه بكراء يده على قيامه بدق الطوب خلف الزوج (الثورين اللذين يجران المحراث)، أنه كان لهذا العمل قيمة مادية معتبرة في المعاملات الزراعية المعروفة زمنئذ[2].

كذلك عمد العامة بعد حرث الأرض لتعديلها، بأخذ التراب من المكان المرتفع منها وجعله في المنخفض: «حتى يستوي جري الماء عليها.. فإذا عُدلت الأرض، أُخذ في غرس الثمار، بعد أن يُخط لها في الأرض خطوطا مستقيمة»[3]. أما إن كان الغرض من التعديل زراعة القطاني[4]، أو البقول كالجزر واللفت والبصل وغيرهم، فقد كانوا يصنعون لها في الأرض أحواضا مستطيلة (مابين 5: 7متر × 2: 2.80متر) ومحددة بتراب مرتفع ليفصل بينها ويمنع خروج الماء منها عند السقي[5].

---

(1) **أنظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص369، 375ـ377، 380.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص139 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص424 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص67.

(3) ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص55 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص560 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص190. **وانظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص547 وما بعدها.

(4) **القطاني: هي الحبوب التي تخرج من الأرض وتُدخر، وقد سميت بذلك لأنها تقطن في البيوت، وهي سبعة أنواع: البسلة والترمس والجلبان والحمص والعدس والفول واللوبيا. (أنظر:** ابن بصال: كتاب الفلاحة، ص109 وما بعدها ؛ محمود عبد الرحمن عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة، 1999م، ج3، ص101ـ102).

(5) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص90 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص68 ـ 69 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص190 ؛ يوسف النكادي: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب، ص249، 254ـ255.

وبالعودة للحراثة فقد كان من أهم آلات قلب الأرض وإثارتها: **المحراث**. وكان يصنع بمدينة فاس ـ كمثال ـ من الخشب[1]، ويُجر في الغالب باستخدم **زوج** من البقر ذكرين كانا أو أنثيين، أو **بأربعة** إذا كانت الأرض صلبة، ويعرف ذلك **بالقرن**[2]. ولم يكن الحرث به من بين الأعمال التي يمكن لأيا كان القيام بها: «فليس كل الناس يُحسن الحرث»[3]، لاسيما وأن مهمة الحارث لم تكن تقتصرة على قلب الأرض فقط، بل وكان عليه القيام بأعمال أخرى لا تقل عن الحرث صعوبة. يقول ابن رحال: «والحرث نفسه فيه أمور. فإنه يحتاج لربط الثورين بعد سوقها لمحل الحرث، وحفظ الآلات التي يكون بها الحرث، وهي كثيرة غير يسيرة.. ويحتاج من يرجع بالثورين لمحل مبيتهما، وتقديم العلف لهما، والتبن، وسقيهما، وإقامة نحو نَوَّالَة [حظيرة] ليبيتان فيها، وإتيان تبن لهما، وربما يحتاج للمبيت معهما حين تكون السرقة، إلى غير ذلك»[4].

لذلك لجأ الكثير من الملاك لاكتراء من يحرثون لهم أراضيهم ـ رغم امتلاكهم للبقر والمحاريث ـ مقابل أجر معين[5]، أو مقابل إشراكهم في غلة

---

(1) الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص244.

(2) موسى هواري: استخدام الحيوانات في الزراعة ببلاد المغرب خلال الفترة الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر(2)، ع14، 2012م، ص40 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص377.

(3) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، تحقيق: رشيد قباط، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2012م، ص147 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص70.

(4) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص147-148. **وانظر**: كرم إدريس: علاقات الإنتاج بالمغرب من خلال نوازل الفقهاء، مجلة دعوة الحق، س26/ 9، ع252، ذي الحجة 1405هـ - شتنبر[سبتمبر] 1985م، ص79 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص70-72.

(5) **يقول ابن رحال: «فإن صاحب الزوج يكتري من يحرث له.. وغير ذلك بالدراهم أو الدنانير»**. (ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص147. **وانظر**: كرم إدريس: علاقات الإنتاج بالمغرب، ص79 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص72).

الأرض "وهم أكثر الزُّرَّاع ". وغالبا ما كانت نسبتهم تلك هي الخمس، لذلك سمو **بالخماسين**(1). وقد كانت الخِماسة على حد تعبير بوتشيش أبشع علاقة إنتاجية على الإطلاق(2)، حيث: «أصبح الخماس آنذاك مجرد أجير بالثوب والطعام، يكتفي بأخذ أجرة عينية توفر له الحد الأدنى من ضروريات المعاش. وفي المقابل فإنه على ذمة سيده طوال السنة مُسخرا لكل الخدمات والأعمال الشاقة سواء أكانت فلاحية أم لا، شأنه شأن القِن الذي يأويه سيده تحت سقفه»(3).

العمال المأجورين كذلك عانوا بدورهم من التحكمات المُهينة والاشتراطات الفارغة للملاك الذين دفعتهم كثرة العمليات الفلاحية ورغبتهم في سرعة إنجازها للاستعانة بهم، ليس في الحرث فقط بل وفي التزبيل والتنظيف والبذر والحصاد والقطف واللقط وحفر الآبار وبناء الجُدر وحراسة الزروع والجنان والبساتين والكروم وغير ذلك(4). حيث تحرّوا في عملهم حَسَن الصمت ومن رأو عليه الوقار باديا، وتجنبوا استخدام كثيرِي الكلام، وذو التهاون في الخدمة، ومن عَيناه أو إحداهما مشتكية، والعُوُر والعُمْش، ومن في عينهم إلتواء(5). والفقراء، لاشتطاطهم في السلف وقعودهم - إن مُنعوا - عن العمل(6).

---

(1) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص186 ـ 187 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص88.

(2) إبراهيم القادري بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2002م، ص80.

(3) محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس، 1986م، ص51. **وانظر كذلك عن سوء وضيعة الخماسين:** محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية، ص47 ـ 54 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص88 ؛ بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ص80 ـ 81.

(4) **أنظر قائمة المصادر التي اعتمدها كلا من:** عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص187 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص91 ـ 92، 193.

(5) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص250.

(6) الطغنري: زهرة البستان، ص105 ؛ بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ص82.

ومن بين صور تحكماتهم: منعهم الأكرة من العمل في موضع واحد أو التحدث فيما بينهم، لئلا ـ بظنهم ـ يُشير: «بعضهم على بعض بالمكر والخبث في العمل»[1]. وتوقفهم عن إعطائهم طعامهم كله دفعة واحدة، لئلا ـ من وجهة نظرهم ـ يأكلوا ويشربوا مرة واحدة، فتضيق أنفسهم وينتقص عملهم[2]، وامتناعهم عن دفع أجرتهم مقدما، لاعتقادهم أن: «تسبيق الأجرة من تبطيل العمل»[3]. واشتراطهم فيمن يحفر بالفأس والبيل والمِرْبَعَة أن يكون: «طويلا عريضا قويا جسيما»[4]، وفيمن يَحرث أن يكون شابا قصير القامة؛ لكون الشباب: «أقوى على انحناء الظهور والأتعاب، والمداومة على العمل من ذوي الأسنان.. وأطوع وأصح أبدانا وأدوم نشاطا، وأصبر على الحر والبرد، وأحد أبصارا وأثبت نظرا»[5]. ولأن قصار القامة: «أشد انطباعا للحرث، وأكثر انحناء. ويخف عليهم الانحناء على المحراث، لقرب أعضائهم»[6].

---

(1) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص9 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص251 ؛ بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ص82.

(2) الطغنري: زهرة البستان، ص105 ؛ بوتشيش: إضاءات حول تراث الغر ب الإسلامي، ص82.

(3) عبد القادر الخلادي: أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية، ص125 [مثل37].

(4) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص10 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص251.

(5) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص9. **وانظر:** الطغنري: زهرة البستان، ص105 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص249، 251.

(6) هذا عكس ما ذهب قسطوس، لأنه رأى: «أن أفضل ما يوثق عمل الثيران في تشقيق الأرض وإثارتها، طوال الرجال».

(الطغنري: زهرة البستان، ص104 ؛ قسطوس بن أسكولستيكه: كتاب الزرع، تحقيق: بوراوي الطرابلسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ـ بيت الحكمة، تونس، 2010م، ص70).

وبعد التهيئة بالتسميد والقلب كانت تأتي مرحلة أخرى، هي بذر الحب، أي: «نثره في الأرض مُتفرقا للإنبات»[1]. وقد حملت تلك المرحلة للعامة في طياتها بعض الصعوبات، حيث لم يكن التحصل على زريعة صالحة للبذر أمرا هينا، إما بسبب الغش والتدليس الذي مورس عليهم[2]، وإما لضيق ذات أيديهم الذي اضطر بعضهم لتسلف نصيبه من الزريعة من شريكه في عقد المزارعة[3]، وأَدَّى بغيرهم لشرائه بالدين إلى أن يجعل الله لهم سبيلا[4]، وهو ما لم يحدث على الدوام[5]. على عكس أصحاب الملكيات ـ حتى الصغيرة ـ الذين كانوا يختارون الزريعة من سنابل وأكمام (أوعية السنبل) الموسم السابق: «وغير ذلك مما هو مِكْثِير عَظِيم الحَب»[6].

على أية حال، كان العامة يبدأون ببذر الذريعة ـ التي حصلو عليها بأي كيفية كانت ـ بعد الانتهاء من الحرث، وهو ما كان يصادف في الغالب نهاية الخريف وبداية الشتاء. أو لو أردنا أن نكون أكثر تحديدا لقلنا أن موسم الزرع كان يبدأ في الجبال خلال شهر أكتوبر، بينما كان يؤخره أهل فاس في بعض الأعوام إلى أبريل، أو لآخره كسكان ماسة[7]. وقد كان من بين طقوس البذر عند العامة:

---

(1) أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص178.

(2) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص266 ـ 267 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص56 ـ 57.

(3) الوزاني: المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، تحقيق: عمر بن عباد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1998م، ج6، ص494.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص248.

(5) **بدليل استفتاء أحدهم عن الحكم فيمن استلف طعاما ثم عجز عن رد ذلك الطعام على المستلف منه. (أنظر:** الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص261**).**

(6) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص29.

(7) **لم يخرج العامة بذلك عن الطبيعي، فوفقا لقول بعضهم: «أول وقت الزراعة شهر أكتوبر، وهو نحو أول فصل الخريف، وآخره مُضي بعض فصل الربيع».**
=

تحري الأيام الدفيئة[1]، وخلط الحبوب **قبل زرعها** ببرادة قرون الماشية وعظامها وروثها وأشياء أخرى رأوا أنها تخصبها وتزيد في ريعها، وتدفع الآفات وتبعد الطيور: «وتطرد عنها الهوام الذي لقطها»[2]، والدعاء لها **أثناء زرعها** بأدعية، قيل ـ عن تجربة ـ أنها: «أمان لذلك الزرع من جميع الأفات والدود وغير ذلك»[3].

أما عن صفة البذر: فقد كان العامة يزرعون الشعير والأزر وكذلك العدس والذرة وغيرهما، بواسطة نثرهم في الأرض. بينما كانوا يثقبون للفول ـ كمثال ـ في الأحواض بوتد صغير في غلظ الإبهام، ثقبا بعمق إصبعين، ويضعون في كل ثقب منه حبة فول واحدة، ثم يردون عليها التراب بطرف الوتد[4]. والبذور المنثورة كذلك كانت العامة تغطيها بعد نثرها بفرشة غير سميكة من التراب ـ لئلا

=

وفصل الربيع يأتي كل عام فيما بين 19 و 21 من شهر مارس. (ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص63 ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص44 ؛ الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص79، 114 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص91.

(1) **فالحنطة كمثال إذا زرعت: «يوم الدفء مع الصحو، يكون حبها عند الحصاد كثيرا».** (أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص14 ـ 15 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص28، 76 ؛ مجهول: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، تحقيق: محمد عيسى صالحية ـ إحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث ـ قسم التراث العربي، الكويت، 1984م، ص125).

(2) **أنظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص80 ـ 81، 125 ـ 126 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص12 وما بعدها ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص411 ـ 414 ـ ابن قسطوس: كتاب الزرع، ص84.

(3) **أنظر:** البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج1، ص409 ـ الونشريسي: المعيار المعرب، ج11، ص173.

(4) **أنظر:** ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص66، 105، 126، 140، 148. **وانظر بخصوص طريقة أهل سجلماسة في زراعة الحبوب:** البكري: المسالك والممالك، ج2، ص336 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص226.

تفسد أو يلقطها الطير - إما بالحرث، وإما بأيدي الناس (أي بالفؤوس)، وهي الطريقة التي اعتبرها ابن وحشية أصلح للحنطة والشعير، وأجود: «من تغطية البقر في حالة الحرث»[1].

وبحسب ابن العوام فقد كان أول إجراء يتخذه الفلاحون: «إذا طلع من الحب المزروع أول طالع»، هو نقش التربة، أي نبشها وتحريكها من حوله، لتغطية عروق الحب التي ربما كشفتها المياه[2]. وقلع الحشيش من الأرض، وتنقية الزرع مما ينبت فيه من الحلفة والديس والنجم وسائر العشب والشوك، وخاصة عندما يقترب الوقت الذي يُسَنْبِل فيه؟ لئلا تنشغل الأرض بتغذية غيره من النبات عنه، ولما في قلعه من منفعة عظيمة للزرع، حيث كانت: «تنقيته تُسمِّن سُنبله، ويمتلئ حبا»[3]. يقول ابن الخطيب، أما «إذا اشتغل عنه [الفلاحون] لضعف أو مرض أو قلة ذات يد، أُلفى غالبا على الأرض، مهلكا للفلح، مبيدا للمال»[4]. كذلك كان الزرع يحتاج إذا نَبَتَ إلى السقي، وإذا كَبر لحفظه من الدواب، وإذا أسبل وأثمر لدفع الطير عنه،لأنه: «إذا تسلط على الفدان الكبير، يُفني حَبه في ساعة من ساعات النهار أو أقل من ذلك»[5].

الأشجار كذلك كانت لها أعمالا خاصة بها ومهاما ألزمت العامة بالإكثار من التردد والتَطَوُّف عليها. من بينها عمل الأحواض حولها، وسقيها، وكنسها

(1) **أنظر:** ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص418 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية،ج4، ص88، 140 ـ يوسف النكادي: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب، ص249.

(2) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص76 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص418 ـ 419.

(3) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص52، 92 ـ الفرسطائي، القسمة وأصول الأرضين، ص270.

(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج2، ص218.

(5) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص148.

(تزبيلها / تسميدها)، وحرثها، وتقليب الأرض لها[1]، وتنقية أصولها من الحشيش صغاره وكباره لئلا يذهب بطيب الأرض ويزاحمها في الغذاء[2]. وتقويم المعوجة منها بالدعائم والحبال حتى تستقيم وتشتد[3]، وتخليصها من **الأغصان** اليابسة بوسطها، ونزع الملتفة على بعضها، وقطع المعوجة جدا والمفرطة الطول والضعيفة، لترجع مادتها إلى الأقوى من فروع تلك الشجرة[4]، وتنقيتها من الحطب والليف وما أشبههما، وقطع الجرائد والأشجار الميتة وحرقها بالنار[5]. ونزع الفروع التي تنبت في ساقها واللقوح التي تنشأ حواليها وفي أصولها، وقطع ما باشر وجه الأرض من عروقها، لِعَوْقِهَا للحرث والحفر اللذين بهما صلاح الأشجار وبقاؤها[6]، إلى آخر ذلك من الأعمال التي تضمنتها كتب الفلاحة وأشارت لها.

فإذا طاب الزرع، يقول المعداني: «احتاج إلى الحصاد»[7]، أي: قطعه بالمنجل[8]. وقد كانت تلك المهمة وما استتبعها من نقل الزرع إلى الأندر ودِرَاسه وتزريته من أصعب مهام الموسم الفلاحي على العامة؟ لما فيها - على حد تعبيرالمعداني - من مَشاق وكُلف عظيمة[9]. حيث كان يصادف انطلاق موسم

---

(1) الفرسطائي: القسمة وأصول الأرضين، ص270 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص559.

(2) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص219، 243.

(3) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص559 - ج3، ص252.

(4) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص189، 193.

(5) الفرسطائي: القسمة وأصول الأرضين، ص269 - 270.

(6) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، 559 - ج3، ص190، 192 - 193.

(7) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص148.

(8) ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص151 ؛ أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ص505.

(9) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص148.

الحصاد ـ وفقا لأمثال العامة ـ شهر ماي شديد الحرارة[1]، كما كان من المستحيل أن تفي بمهمة الحصاد وما استتبعها من أعمال قُدرة الواحد، لذلك كما يقول ابن خلدون: كان: «لابد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه، ليحصل القوت له ولهم»[2]، ما اضطر بعض العامة لترك حصاد حقولهم؛ لافتقارهم إلى ما ينفقونه عليها، من حيث أجور الأكرة وطعام الحصادين[3]، الذين قد يصل عددهم لأربعين شابا[4]، ويستمر عملهم: «العشرة أيام والخمسة عشر، في حصاده ودراسه وتذريته»[5].

لكن البعض الآخر من أصحاب الزرع الفقراء الغارمين، لجأوا ـ خشية مما قد يتعرض له المحصول في حالة تأخر حصاده من الضرر، أو الفناء نتيجة تسلط الطير أو الجراد عليه، أو التبدد نتيجة تناثر حبه من فرط الحرارة وشدة القيظ ـ للاستئجار على: «حصاد الزرع أو جمع الزيتون بجزء منه، أو بجزء مما يُجمع منه كل يوم»[6].

---

(1) يدل على ذلك قول العامة: «في ميُّو أحصد زرعك لو يكون فليّو»، وحصاد سكان ماسة الواقعة في إقليم حاحا بالمغرب الأقصى في شهر ماي (مايو) من كل عام. لذلك أجمع الفقهاء على جواز جمع المُلاك لزروعهم وإن أدى ذلك إلى فطرهم. (البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج1، ص532 ؛ الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص114 ؛ مختار المومني: الفلاحة في أمثالنا العامية، ص69 ؛ يوسف النكادي: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب، ص248).

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص54.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص103، 364.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص134.

(5) مالك بن أنس: المدونة الكبرى برواية الإمام سحنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994م، ج3، ص198.

(6) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص148 ؛ الفرسطائي: القسمة وأصول الأرضين، ص271 ؛ المكناسي: مجالس القضاة والحكام والتنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام، تحقيق: نعيم عبد العزيز سالم، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، 2002م، ج2، ص545 ؛ ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، =

وعمد غيرهم للاستعانة بفلاحين آخرين ليحصدوا معهم بدون أجر، مقابل أن يساعدوهم بدورهم في حصاد حقولهم[1]. وقرر بقيتهم الاعتماد على أنفسهم[2]، وعلى زوجاتهم اللائي ساعدنهم في عملهم خلال كل مراحل الموسم الفلاحي[3]، بداية من حرث الأرض[4]، وصولا لحصد الزرع، وإعداد الطعام للحصادين، ولقط السنبل من وراءهم[5]، وقلع الكتان، وقطف العنب والتين[6]، وغير ذلك.

وبعد الانتهاء من حصاد الزرع ـ وأحيانا في نهاية كل يوم ـ كان الحصادين يقومون بجمع إغْمار(حِزَمْ) القمح أو الشعير في أكوام[7]، تمهيدا لنقل الفلاحين ـ أُجراء أو مزارعين أو خماسين ـ لها إلى الأندر الذي سيتم دِرَاسها فيه. لكن قبل

=

ص425 ؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص336 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص374ـ375.

(1) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص149 ـ 150.

(2) **كأبو محمد الرجراجي الأسود الذي كان لا يأكل إلا من الزرع الذي قام بحرثه وحصده ودرسه بيده، وأبو محمد مع الله الذي كان له بنضير من حومة بلاد تادلا، حائط يخدمه بنفسه.** (ابن الزيات: التشوف، ص113، 134).

(3) **أنظر:** مليكة حميدي: المرأة المغربية في عهد المرابطين، ص151 ؛ يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2000م، ص735.

(4) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص331.

(5) البيذق: أخبار المهدي، ص15 ؛ ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ج2، ص1116 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص134ـ135 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص194ـ195.

(6) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص141 ؛ سعاد اليحيان: المرأة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص177.

(7) **إغْمار، جمع غُمْر. والغُمر هو: الحزمة من القش بقدر ما يُحمل تحت الإبط.** (دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج7، ص433).

الانتقال إلى هناك، يجدر بنا لفت النظر لتفضيل الكثير من أصحاب الزرع لاستخدام الخماسين عن الأجراء، لحرصهم على المحصول ـ بحكم كونهم شركاء فيه ـ عن الأجراء الذين لم يكن يهمهم إلا أجرة يومهم، ولا يبالون بما تساقط من السنبل منهم أثناء حصادهم أو عند رفع الإغمار، بخلاف الخماسين الذين كان الواحد منهم: «إذا سقطت منه السنبلة الواحدة رفعها، لأن له فيها الخمس»[1]. ناهيك عما كانت تتسبب فيه لامبالاتهم في تغريم الملاك أُجرة لَقَّاط، ليقوم بجمع ما خلفوه ورائهم من السنبل[2].

وبعد نقل السنبل إلى الأنادر، كان يأتي الدور على مرحلة أخرى لا تقل صعوبة عن سابقاتها، ألا وهي الدِّرَاس، آخر مراحل العملية الزراعية التي استمرت لسنة كاملة[3]. وهي تعني الدِّيَاس والوطأ بالأقدام، يقول ابن منظور: درسوا الحنطة دِراساً، أي داسوها[4]، لاستخراج الحب من غلاف السنبل[5]. ويسمى موضع جمع الزرع لدِرَاسِه بالأندر[6]. وقد وصفه أبي الخير بأنه: الموضع المرتفع، البعيد عن الشجر، القليل الحجر، العلك التربة، المكشوف لمهب الريح

---

(1) ابن رحال: رفع الالتباس في شركة الخماس، ص149 ـ 150 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص197، 199 ـ 202.

(2) أنظر: الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص265 ـ 266.

(3) مالَ النكادي ـ إعتمادا على حجم الأعمال الزراعية التي كانت تطلب من المزارعين قضاء عدة ساعات يوميا لإنجازها ـ إلى الاعتقاد بأن الفلاحين كانوا يقضون معظم أيام السنة فى الاستغلاليات التى يستثمرونها. (أنظر: يوسف النكادي: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب، ص261 ـ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص203).

(4) دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج4، ص326 ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص79.

(5) ابن خلدون: العبر، ج1، ص54.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص357 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص158 ـ ابن سيده: المخصص، ج3، ص182.

من حيث هبت[1]. أما لماذا بُعد الأندر عن الشجر، فلأنه كما يقول أبي الخير إذا قارب الشجر: «مال الخدمة للجلوس في ظل الشجر حين الهاجرة وشدة الحر، فيتعطل الدرس.. فمتى لم يجدوا الظل الذي يقيهم حر الشمس لم يكن لهم راحة إلا الخدمة»[2].

وقد كان دياس السنابل المجموعة في الأندر غالبا من مهام البقر، لكن هناك أيضا من استخدموا الحمير لضيق كسبهم عن العوامل[3]. حيث دل ما ورد بنوازل الفترة عن استعارة بعضهم للأبقار والثيران أواستئجارهم لها بجزء من الزرع، على افتقار قطاع عريض من العامة لملكية وسائل الانتاج الأساسية، التي كانت حكرا على فئات بعينها[4].

وبعد الانتهاء من دِراس الزرع، كانت تتم تذريتة وتصفيته ـ ولاسيما وقت السحر أو عند مغيب الشمس ـ لاستخلاص الحب منه وتخليصه من التبن وغيره. يقول أبي الخير: «فإن الرياح تهب في هذه الأوقات وينكسر الحر». وَصِفَةُ ذلك: أن يقف المُذري أمام الدَّرْسَة (كومة السنبل التي داستها الدواب بأقدامها لأيام) وفي يده مِذراة خشبية ذات أطراف كالشوكة، فيرفع بها السنبل المدروس والمحمل بالحب في الهواء مرارا وتكرارا، حتى يُطِّير الهواء قطع التبن،

---

(1) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص98.

(2) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص98.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص357 ؛ المعيار، ج5، ص158 ؛ موسى هواري: تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ق1 ـ 7هـ / 7 ـ 13م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2009م، ص157 ـ 158.

(4) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص408 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص353 ـ ج9، ص108، 110 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص86، 110 ـ 111 ؛ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص64.

ويسقط الحب ـ قمحا كان أو شعيرا ـ غير بعيد منه. فإذا تجمعت أمام المُذري كومة من الحب، جمعها مباشرة بمكانس صنعت خصيصا لهذا الغرض جمعا جيدا، لئلا تضربها الرياح إذا تُركت هكذا منتشرة، فتقشفها وتسخنها قشفا وإسخانا يضران بالحبوب.

يقول ابن وحشية: «وينبغي أن تُنقل [الحبوب] إلى الموضع الذي تُجمع فيه، وتدخر في البيادر قبل طلوع الشمس ما أمكن. فإن ذلك أبقى للبرودة، فيحفظها ذلك البرد المستكن فيها من الفساد فيبطئ فسادها، فيكون أطول لبقائها». أما التبن فقد كان العامة يجمعونه من النوادر ـ بعد رفع الحب ـ ويخزنونه، ليستخدموه كعلف للمواشي في الشتاء أو في الأوقات التي ينعدم فيها الكلأ، أو ليدفعوه للأجراء مقابل درس السنبل، أو ليبادلوه بالزبل اللازم لتسميد المحصول الجديد[1].

***الإنتاج الرعوي:**

ارتبط النشاط الرعوي بالإنتاج الزراعي بقوة، بحكم إسهامه في توفير القوى الحيوانية اللازمة لإنجاز الأعمال الزراعية المختلفة، وَمثَّل واحداً من الأنشطة التي تعاطاها العامة رجالا ونساء وصبيانا بكثرة. حيث لم يكن الرعي زمنئذ حكرا على الرجال، بل كان من عادة نساء البوادي حديثا وقديما، والعرف الجاري بينهم مقام الشرط اللازم، خدمة المرأة:«في بيتها مع زوجها الخدمة الظاهرة والباطنة.. وسقي وربط البهائم وتسريحها»[2]، كما كان النساء ببني منصور (أحد جبال الريف) يذهبن بحسب ابن الوزان: «خلف قطعان ماعزهم

(1) **أنظر:** ابن وحشية: الفلاحة النبطية، ج1، ص425 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص16 ـ 17 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص25 ؛ ج8، ص139، 175 ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج14، ص283 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص209ـ210.

(2) الوزاني: المعيار الجديد، ج6، ص509 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج11، ص193.

ليرعينها»[1]. كذلك كان يُوكل للأطفال مهام رعاية الماشية رغم صغر سنهم[2]، وإذا كانت مشاركتهم تلك بأجر، فقد كان هناك: «من له بقر وغنم وأولاد يطلبون بالغنم المذكور المواضع الخصبة» وما أكثرها، وهو شيء يمكن الاستدلال عليه من كتابات الجغرافيين عن المغرب الأقصى الذي لم تخلو أية منطقة فيه بحسبها من مراعي، وإن اختلفت في اتساعها وخصبها وملائمتها لأنواع الحيوانات[3].

ينقسم الرعاة ـ وفقا لطريقة رعيهم وتحركاتهم بقطعانهم ـ إلى مستقرين ورحل. أما الرحل وهم سكان البادية، فكانت عادتهم رعاية ماشيتهم بأنفسهم، بدليل غياب أية اشارة تدل على استئجارهم لرعاة أو حراس لها. على عكس المستقرين الذين كانوا في الغالب ملاك أراضي أو مزارعين، حيث كانت عادتهم إما استئجار من يتولى رعي مواشيهم وتسريحها، وإما رعيها بأنفسهم أو بمساعدة زوجاتهم، ولاسيما في حال الملكيات الصغيرة[4]. لكن ذلك لا يمنع من أن أحدهم استخدم راعيا خاصا لخدمة دابة واحدة[5].

أما عن أوضاعهم فقد عانى الرعاة سواء رعوا دابة، أو اثنين، أو مائة، أو

---

(1) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص330.

(2) الملوي: تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، تحت رقم: 7/ 308، ورقة 4 ؛ الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص325 ـ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص483 ـ 484 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص181.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج7، ص70 ؛ موسى هواري: تربية الحيوانات في بلاد المغرب، ص119 وما بعدها.

(4) موسى هواري: تربية الحيوانات في بلاد المغرب، ص105 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص198، 201 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص180.

(5) الوزاني: المعيار الجديد، ج8، ص166.

ثلاثمائة، من وضع لا يحسدون عليه[1]. حيث اشترط أرباب الدواب فيمن يستعملونهم لرعي شياههم وأبقارهم عدة شروط جسمانية وخلقية تظن معها أنها شروط أحدهم في زوج ابنته لا راعي دابته. من بينها اشتراطهم طول القامة والشدة فيمن يرعى الأبقار، وقصر القامة والخفة فيمن يرعى الشياه. والكرم والسخاء والجُود وجهارة الصوت وطلاقة اللسان والشجاعة والصبر على الحر والبرد والسهر، فيهما سويا[2].

وتجلى كذلك سوء وضعهم في اضطرارهم لترك قراهم والابتعاد عن بلادهم طلبا للمراعى لمواشي الناس التي استؤجروا عليها[3]، وفي اشتراط أرباب الغنم عليهم ألا يرعو معها غيرها[4]، وفي إلزامهم بالرعي في مواضع بعينها[5]، وبتزبيل الأرض في فصل الربيع[6]، وبرعي ما تواضعته الأغنام التي استؤجروا لرعايتها بلا أجرة: «حتى تبلغ من السباب والكبر ما تجب له الأجرة عليها»[7]. وتجلى سوء وضعهم أيضا في أجورهم. حيث اقتصر أجر أحدهم على رغيفين في اليوم، وقبض آخر نصف أجره فقط: «عند انقضاء نصف العام»، وتأخر قبض ثالث لنهاية العام، وحرم رابع - لكونه مولى - من قبض أجرته من الأساس،

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج4، ص88 ؛ الوزاني: المعيار الجديد، ج8، ص166 ؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص481، 484 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص180.

(2) الطغنري: زهرة البستان، ص104 - 105 - ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج3، ص251 ؛ ابن قسطوس: كتاب الزرع، ص71.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص216 - ج6، ص462.

(4) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص481 ؛ الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص322.

(5) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص483.

(6) الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص322.

(7) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص482، 486.

ودفعت لسيده[1]. ناهيك عما تعرضوا له من مشاكل كضياع الماشية أو اختلاطها بغيرها[2].

التعدين والحرف الصناعية

الصِّنَاعَةُ هي: حِرفةُ الصَّانِع، **وَعَملهُ**: الصَّنْعَةُ[3]. **والصُّنَّاع** (جمع صانع): من يصنعون بأيديهم، ويعملون بأبدانهم وأدواتهم[4]، بينما **الصَّنْعَةُ**: «ما يكون من عمل الصانع، كالخزانة والصندوق من عمل النجار»[5].

وقد ميز بعضهم بين الصناعة أو **الصنعة وبين الحرفة**، فقالوا: «إن مفهوم الحرفة أعم وأشمل من مفهوم الصناعة، حيث يدخل في نطاق الحرفة كل عمل يقوم به الإنسان»[6]. ولا غروا ففي الصحاح: «يَحرِفُ لعياله: أي يكسب من هَهُنا وَهَهُنا"[7]، وفي لسان العرب: «الحِرْفةُ إسمٌ مِنَ الاحْتِرَافِ.. والاحْتِرافُ: الاكتِسَابُ أياً كَانَ»[8]. أي أن **الحرفة**: «عبارة عن كل وجه ينقلب الإنسان فيه

---

(1) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص479، 481 ؛ الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص321.

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص180.

(3) الجوهري: الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية، مراجعة: محمد محمد تامر، دارالحديث، القاهرة، 2009م، ص658.

(4) ابن سيده: المخصص، ج3، ص436 ؛ رسائل إخوان الصفا، ج1، ص285.

(5) ظاهر خير الله الشويري: الحرف وتوابعها، مجلة المقتطف، القاهرة، مج29ـ1، يناير 1904م، ص58.

(6) جهاد غالب مصطفى الزغول: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردينة، الأردن، 1994م، ص14.

(7) الجوهري: الصحاح، ص240 ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص43.

(8) ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص43ـ44.

ويتصرف للكسب، حتى تشمل التجارة والزراعة ووكالات الدعاوي وتعليم العلوم و..»[1]. بينما **الصناعة** عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، فيغير به في ذات المصنوع أو صفته[2]. بمعنى أن عمله هو تحويل المواد الأولية إلى مواد أخرى أكثر فائدة منها. ومعلوم ما يتطلبه هذا من استغلال لثروات البلاد الطبيعية المتمثلة في المعادن والحاصلات وما إلى ذلك، لتسخيره في خدمة الصناعة. كاستغلال القطن والكتان في صناعة النسيج، والخشب في صناعة السفن وأعمال النجارة، والمعادن في السكة والصياغة والحدادة، إلى آخر ذلك من الصناعات التحويلية التي يمكن أن نطلق عليها اسم "**الحرف الصناعية**"[3].

وقد كشفت النصوص عن اضطلاع **عدة فئات** بممارسة هذا النشاط الاقتصادي، إما في إطار الأصناف الحرفية[4]، أو في إطار عقود السلم[5]، أو

---

(1) جهاد غالب: الحرف والصناعات في الأندلس، 14 ؛ ظاهر خير الله الشويري: الحرف وتوابعها، ص58.

(2) **أنظر:** ظاهر خيرالله الشويري: الحرف وتوابعها، ص59.

(3) جهاد غالب: الحرف والصناعات في الأندلس، ص14.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج4، ص93 - 94 ؛ مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، تحقيق: محمد فتحة، دار أبي رقراق، المغرب، 2004م، ص49 - 50.

- **يمكن القول بأن العمل الصناعي قد انتظم في إطار الأصناف الحرفية منذ عهد الأدارسة. ذلك أن إدريس الثاني هو من أنزل كل قبيلة في الموضع الذي تقرب من الحرفة التي تناسبها. ثم أمر ألا تحترف قبيلة بما تحترف به الأخرى، ورتب الأسواق بأن جعل كل سوق خاصا بنوع لا يباع فيه غيره أو يصنع فيه سواه. قبل أن يجعل على كل حرفة أو سوق أمينا. (أنظر:** مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، ص49 - 50 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص119**).**

(5) **السلم: «إسم لعقد يوجب الملك في الثمن عاجلا، وفي المثمن آجلا».** (محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص292. **ولأمثلة عليه أنظر:** المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص307 وما بعدها).

المعاملة[1]، أو القراض[2]، أو الإجارة التي من الواضح أنها كانت جائزة في جميع الحرف والصناعات، شريطة تحديد الثمن ووصف العمل[3].

يأتي على رأس تلك الفئات بحسب تصنيف ابن يوسف الحكيم لأفراد الحرفة الواحدة: **المُعَلِّمون**[4]. وهؤلاء كانوا يمتلكون ـ فضلا عن رأس المال والمهارة الحرفية ـ أدوات العمل من حيث الآلات[5]، والحوانيت والطرز والمحلات[6]، والعَمَّالون والمتعلمون الذين يساعدونهم ويشتغلون تحت إشرافهم. لذلك قلما قاموا بالخدمة، كما عاشوا في وضعية ميسورة بسبب المداخيل المحترمة التي كانوا يتحصلون عليها[7].

---

(1) **المعاملة: «التعاقد على العمل ـ بشروطه ـ لقاء بعض الخارج منه».** (محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص545. **ولأمثلة عليها أنظر:** المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص498 ـ 499).

(2) **القراض: «أن يعطي الرجل الرجل المال، على أن يتجر به على جزء معلوم، يأخذه العامل من ربح المال».** (محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص449 ـ 450. **ولأمثلة عليه أنظر:** المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص600 وما بعدها).

(3) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص121 ؛ الونشريسي: المعيار، ج5، ص223. **ولأمثلة عليها أنظر:** المراكشي: وثائق المرابطين، ص477 وما بعدها.

(4) **ينقسم أفراد الحرفة الواحدة عند ابن يوسف إلى: معلمون وعمَّالون ومتعلمون. وعند السقطي إلى: معلمون وعملة ومتعلمون.** (السقطي: في آداب الحسبة، ص26 ؛ ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117).

(5) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص477 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص120.

(6) السملالي: الإعلام، ج1، ص266 ؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص477، 509 ـ ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصناع، ص78.

(7) **أنظر:** ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117 ؛ محمد ناصح: مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري المغربي خلال القرن 6هـ/ 2م، مشاركة ضمن أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، كلية الآداب =

يليهم الصُّناع أو العمال أو العَمَّالُون أو العملة أو كيفما سمو[1]. **وهم حرفيون لم يكن معظمهم يملك إلا قوة عمله، لذلك كانوا يعملون لدى الصُّناع الكبار والمُعَلِّمِين**[2]. **ومنهم من كان يعمل لحسابه في حانوت مشتركة أو في منزله لعجزه عن الانفراد باستئجار حانوت أو حتى مشاركة أحد أبناء صنعته فيه**[3].

ويُسمى هذا الصانع ـ الذي يعمل لحسابه في حانوته أو منزله ـ بالصانع المُشْتَرَك أو المُنْتَصِب[4]. **والمنتصب هو: «من نصب نفسه لجميع الناس،**

=

والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1989م، ص82 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص214.

(1) محمود هدية: اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2019م، ص77 ؛ المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص477 ؛ ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص30.

(2) **وهذا ما أخرهم للمرتبة الثانية بعد المعلمين الذين امتازوا عنهم بامتلاك وسائل الإنتاج، رغم مساواتهم للمعلمين في الكفاءة والدراية بأسرار الصنعة وتقاليد أهلها. (أنظر:** أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، ص44**).**

(3) **أنظر:** كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص190 ؛ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص77 ؛ بصديق عبد الكريم: البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع 6ـ9 هـ، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، 2018م، ص127 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص173 ؛ عبد العزيز الدوري: نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع1، حزيران 1959م، ص153.

(4) **الصانع المشترك عند ابن رشد: «الذي قد نصب نفسه للناس». وعند ابن رحال: «الذي قبض لغرض نفسه، وجلس لجميع الناس، ونصب نفسه للصنعة في مكانه الذي عرف به». والصانع المنتصب عنده أيضا هو: «من أقام نفسه لعمل الصنعة التي استعمل فيها سواء [كان] بسوقها أو بداره».** (ابن رشد: المقدمات الممهدات، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص245 ؛ ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصناع، ص75، 78ـ80**)**.

ومن تلك الصنعة معاشه، سواء كان يصنع بداره أو بحانوته، وكل من أتاه بثوب خاطه أو صبغه»[1]. وهو بخلاف **الصانع غير المنتصب** الذي لم يُقم نفسه للصنعة ولا منها معاشه[2]، وإنما: «شأنه أن يصبغ أو يخيط لنفسه فقط، فيؤاجره بعض الناس على خياطة ثوب أو صبغه»[3]. ويبدوا أنه ـ أي الصانع غير المنتصب ـ هو هو **الصانع الخاص**[4]، الذي عرّفه عياض (ت544هـ) بقوله: «الصانع الخاص: الذي لم ينصب نفسه لذلك»[5]، وابن رشد (ت520هـ/ 1126م) بقوله: «الصانع الخاص: الذي لم ينصب نفسه للعمل للناس»[6]. وهو ـ أي الصانع الخاص ـ غير **الأجير الخاص**، الذي: «يستعمله الرجل في بيته من غير أن يشاركه فيه غيره، أو يكون لجماعة دون غيرهم»[7].

وقد تراءى لأحد الباحثين: «أن غالبية الصناع الذين يزاولون العمل في بيوت الناس، كانوا أجراء للصناع، أو عبيد صناع»، **وأكمل قائلا:** «وهو ما يفسر لنا الحكمة في عدم تضمين العلماء، صناع البيوت. ذلك لأنهم ـ في جلهم ـ

---

(1) التسولي: البهجة في شرح التحفة، ج2، ص465.

(2) ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصناع، ص79.

(3) التسولي: البهجة في شرح التحفة، ج2، ص465.

(4) **الصانع الخاص عند بوتشيش هو: من يمتلك آلة الصنعة أو يقوم بتأجيرها لشخص آخر، بينما هو عند عز الدين موسى: من يستأجره صاحب الآلة ومحل الصنعة ليشتغل تحت إشرافه.** (إبراهيم القادي بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، ع3، أغسطس 2014م، ص15 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص214).

(5) القاضي عياض: التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تحقيق: محمد الوثيق ـ عبد المنعم الحميتي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2011م، ج3، ص1524.

(6) ابن رشد: المقدمات الممهدات، ج2، ص245.

(7) القاضي عياض: التنبيهات المستنبطة، ج3، ص1524 ؛ ابن رحال: كشف القناع عن تضمين الصناع، ص80 ـ 81.

أُجراء، كان يبعثهم معلموهم إلى البيوت مع أرباب المنازل الذين يبدون أحيانا من وجهاء القوم»[1].

أيا ما كان، فقد تلى المُعَلِّمُون والعَمَّالُون في التراتبية - من حيث وضعهم داخل الحرفة - فئة ثالثة، هي:

المتعلمون أو المبتدئون[2]. حيث ضمت المشاغل التي كان يملكها المعلمون، صبيانا صغارا ليساعدوهم وليكتسبوا منهم الحرفة، - أو بمعنى آخر - صناع تحت التمرين غير مأجورين في غالب الأحيان. لكنهم وبمداومة العمل وطول التجربة كانوا يكتسبون المهارة والحرفية اللازمة لإفساح المجال لهم للارتقاء داخل الصنف الحرفي[3]. وقد كانوا - عَمَّالون ومتعلمون - يؤجرون أنفسهم، أو يؤجرهم أوليائهم لأرباب العمل، بواسطة عقود تسجل فيها نوعية العمل ومدته والأجر المتفق عليه، ليحفظ كل طرف منهم حقه[4].

ولا تفوتنا الإشارة **للصناع المتجولين** الذين كانوا يتجولون بأدوات عملهم بين الأحياء السكنية: «لتعديل الحوائج مثل المغزل وغيره»[5]، ولإصلاح أمتعة

---

(1) أحمادو تال ديالو: تنظيم الصناعة من خلال مدونة سحنون ونوادر ابن أبي زيد، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2003م، ص31 ؛ القاضي عياض: التنبيهات المستنبطة، ج3، ص1524.

(2) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص35 ؛ عبد العزيز الدوري: نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، ص153.

(3) **أنظر:** أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، ص43 ؛ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص74 - 75.

(4) محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص75. **وانظر عينة لتلك العقود عند:** المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص477، 509، 513 ؛ الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج1، ص320، 327 ؛ مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج3، ص440.

(5) الونشريسي، المعيار المعرب، ج5، ص197.

الناس فورا - إن أمكن - أو جمعها وإصلاحها في حوانيتهم أو منازلهم قبل إعادتها لهم. لكنهم كانوا في الغالب غير حاذقين[1].

ولا بأس كذلك من لفت النظر إلى شيء يمكن استشفافه مما سطرناه آنفا. ألا وهو اقتصار **محلات الصناعة** في الفترة محل الدراسة، على صنفين: البيت، والحانوت. **فالبيت** إما كانت تزاول فيه المهن أصلا[2]. وإما كان يستدعى إليه الصناع، سيما لو كان المطلوب بسيط لا يتطلب إنجازه نقل أدوات كثيرة أو ثقيلة، كنحو خياطة خرق ثوب، أو خرق كتاب أو قطعه.. إلى آخر ذلك مما لا يستلزم أكثر من إبرة وخيط ملائمين.

أما **الحانوت**، فهو بناية موجودة عموما في السوق - سواء كان الخرازين[3]، أو الشقاقين[4]، أو الحدادين، أو الغزالين أو غير ذلك[5] - لتعاطي نشاط **صناعي** أو تجاري[6].

---

(1) أنظر: أحمادو تال ديالو: تنظيم الصناعة، ص31 ؛ بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط، ص127 ؛ بوتشيش: الإسلام السري، ص218 ؛ بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب، ص15.

(2) الأمثلة كثيرة، ولكن حسبنا مكناسة التي كان أكثر أطفالها: «حاكة يصنعون أشغالهم في بيوتهم». (مجهول: الاستبصار، ص188. **وانظر:** الونشريسي: المعيار، ج5، ص199).

(3) ابن القطان: نظم الجمان، ص268.

(4) القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام، ص194.

(5): السملالي: الإعلام، ج1، ص251، 256 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص475.

(6) أحمادو تال ديالو: تنظيم الصناعة، ص31-32.

- للاستزادة حول موضوع الحوانيت الصناعية، أنظر: لكديم الصوصي: مراكش بين التأسيس والتمدين، ص73-74 ؛ كريم عاتي الخزاعي: أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010م، ص72-76 ؛ كريم عاتي لعيبي - حارث علي عبد الله: أنواع الحرف في بلاد =

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الصناع لم يكونوا فقط **رجالا**، بل: «كان بينهم عدد كبير من **النساء**، جل صناعتهم النسيج والغزل»[1]. حيث عرفت تلك الصناعة إنتشارا كبيرا في أوساط النساء على وجه الخصوص، ولاسيما بمراكش التي ارتبط عمل نسائها ـ وفق ما نملكه من نصوص ضئيلة ـ بغزل الصوف وبيعه[2]. لكن لم تكن كلهن مجبرات على العمل كبنات المعتمد اللائي كن يغزلن للناس بالأجرة لينفقن على أنفسهن وعليه، لأن يوسف لم يُجر عليه ما يقوم به أو يكفي أولاده[3]. بل هناك من كانت تشترط على زوجها عند عقد نكاها: «أن لا يمنعها من صنعتها»[4]، رغم توفر من يرعاها ويقوم بنفقتها. ما يعني أن حالة هذا الزوج الذي منع زوجته من تعاطي حرفتها، رغم قبوله بشرطها ـ ألا يمنعها من صنعتها ـ عند عقد نكاحها، حالة خاصة. وشاهِدنا على ذلك لا مجرد فرد، بل مجتمع **السوس وأغمات** الذين عمدوا لتكليف: «نسائهم وصبيانهم التحرف والتكسب»[5].

=

المغرب من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي المتوفي عام 941هـ، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، ع22، آب [أغسطس] 2015م، ص413.

(1) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص215 ؛ كريم عاتي الخزاعي: أسواق بلاد المغرب، ص129.

(2) بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب، ص13 ؛ إبراهيم القادري بوتشيش: العوام في مراكش خلال عصري المرابطين والموحدين، ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م، ص129 ؛ كرراز فوزية: دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري، دارالأديب، وهران، الجزائر، 2006م، ص122. **وانظر:** كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص 130 ـ 131 ؛ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص98ـ102.

(3) النويري: نهاية الأرب، ج24، ص150 ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص473.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص278.

(5) البكري: المغرب، ص163 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص350.

وعشرات نساء العامة اللائي تواترت إشارات المصادر لتحرفهن غزل الصوف[1]، وارتيادهن لأسواقه[2]، ولصنعهم الأكسية[3]، وعملهم العباءات لأزواجهن[4]، ومساعدتهن لهم في صناعاتهم، هن وبناتهن[5].

ويرجع الفضل في مشاركتهم تلك **للتطور الحضاري** والعمراني الذي شهده المغرب لأول عهد المرابطين وما ترتب عليه ـ من حيث خلق حاجات استهلاكية جديدة تطلبت الاهتمام بالصناعة ـ من فتح المجال أمام المرأة للمشاركة في الكثير من الحرف والصناعات، ثم **للتحول الحزين** الذي شهدته الدولة لاحقا، وما ترتب عليه من حثهن على العمل وتعلم حرفة تقيلهم وتسترهم[6].

وهو ذات التحول الذي لفتت إحدى الباحثات النظر لدوره في: «اتساع نطاق تشغيل الصغار في القطاع الحرفي بعقود استئجار»[7]. لكن أطفال العامة في الواقع لم يكونوا في حاجة لِتَحُّول ما لدفعهم نحو التَّحَرُّفِ، لاسيما وأن ما

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص117 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص266.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص500.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص146.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص106.

(5) **حسبنا ابن الحطيئة الناسخ، الذي علّم زوجته وابنته الخط: «فكانتا تكتبان مثل خطه سواء.. فلا يفرق بين خطهم إلا الحاذق»**. (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص80 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص216 ؛ محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1991م، ص24).

(6) **عبرت العامة عن ذلك بقولها: «الصنعة إذا ما غنت تستور»**. (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص69 [حاشية المثل293] ؛ سعاد اليحيان: المرأة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص180 ـ 181).

(7) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص121.

أَجَدَّته الحرب من تضييق كانوا يعيشونه بالفعل[1]. وحسبنا أطفال مكناسة الذين كان أكثرهم: «حاكة يصنعون أشغالهم في بيوتهم»[2]، وأهل السوس الذين كانوا يكلفون: «صبيانهم التحرف والتكسب»[3]، وكتب الوثائق التي اشتملت على عشرات من نماذج عقود تأجير آباء لأبنائهم الصغار، وأمهات لمحضونيهم، وأوصياء لأيتامهم[4].

ما يعني أن الصناعة لم تكن حكرا على الرجال، بل ومارستها النساء، وكذلك الصبيان الذين كانوا يتعلمونها على يد مستأجري خدماتهم[5]، أو أبائهم[6]، لاسيما مع غلبة الوراثة في الصنائع[7]، وَدَفْعُ أمثال العامة في اتجاه التمسك بصنعة الآباء[8]، ولو كانت حقيرة[9].

---

(1) لعل الباحثة كانت تقصد عين ما قلناه، بدليل إشارتها تحديدا "لاتساع نطاق استخدامهم"، وليس الاضطرار لاستخدامهم.

(2) مجهول: الاستبصار، ص188.

(3) البكري: المغرب، ص163.

(4) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص509، 512-513.

(5) رأى المراكشي أن لا بأس من مؤاجرة الرجل: «وليه الصغير.. ويشترط مع ذلك على المستأجر أن يعلمه صناعة بعينها يبصره فيها». (وثائق المرابطين والموحدين، ص512).

(6) السملالي: الإعلام، ج1، ص266؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص80.

(7) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص216؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص173.

(8) قالت العامة: صَنعة بُوك، لاَ يغْلِبوكْ. (عبد القادر الخلادي: أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية، ص124).

(9) قالت العامة: صَنْعَةْ وِلْدَكْ، وَلَوْ كَانْ حَشَّاشْ. (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص359 [مثل 1582]).

مكانة الصنائع في نفوس العامة[1]: كشفت إشارات المصادر أن الصناعة لم تكن عندهم رزيلة ودنية[2]، ومنتنة[3]، وقذرة[4]، مثلما كانت عند من وَصفوا مُمتهنيها بالجهال الذين لم يوفقهم الله للعلم[5]، ومن هَووا بهم لأسفل مرتبة في السلم الاجتماعي[6]. بل كانت في نظرهم: «أشرف شيء قد يتعلمه الإنسان، بعد علمه بمسائل دينه ومحابل شريعته»[7]، بدليل أمثالهم الداعية لعدم الحط من شأن أي صانع أو تحقير صنعته[8]، بل ودعوته للتمسك بها حتى ولو كانت بالفعل كذلك[9]. لاعتقادهم أن غبار العمل - حتى ولو كان باطلا - أخير من زعفران العطلة[10]. أما سهام احتقارهم فقد وفروها لمن عاش: «كلا على غيره ولو كان أخا أو قريبا»[11].

---

(1) **أنظر:** بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب، ص11 - 12 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص170.

(2) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج4، ص200 ؛ ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، ص83.

(3) الوزاني: المعيار الجديد، ج1، ص58.

(4) ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص90.

(5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص220.

(6) **الإشارة هنا لأبي الفضل الدمشقي، الذي يقول: «إذا مُيز الناس دخل [الصناع] في أدون طبقاتهم».** (أبي الفضل الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1999م، ص57).

(7) الإشبيلي: التيسير في صناعة التسفير، ص40 - 41.

(8) الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص248.

(9) **قالت العامة: صَنْعَةْ وِلْدَكْ، وَلَوْ كَانْ حَشَّاشْ.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص359 [مثل 1582]).

(10) **عبرت العامة عن ذلك بقولها: غُبَار العَمَل، أَخْيَر من زَعْفَرَان العُطْلة. وقولها: إِخْدِم بَاطِل وَلا تَجْلِسْ عَاطِلْ.** (الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص393 [مثل 1719] - ج1، ص266 ؛ ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص282).

(11) الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص266. **وانظر:** المقري: نفح الطيب، ج1، ص220.

كذلك كشفت كتابات الطبقة المثقفة - وإن لم تكن كلها[1] - عن نظرتها الإيجابية نحو الصنائع وأهلها. فهذا أحدهم يوصي بالصناع خيرا، لكونهم بحسبه: «مادة الناس ينتفعون بصناعتهم وبما يجلبون إليهم من منافعهم»[2]، وهاك آخر يُزَكِّي: «تعليم الآباء للبنين الصناعات [وَيَعُدّه] من الحزم والنظر»[3]، مبررا ذلك بأن: «المال قد يذهب بآفات الزمان وجوائحه، فمن ذهب ماله وهو يحسن عملا نجا إليه، ومن لم يحسن عملا صار منقطعا به»[4]. وذاك ثالث ينوه بأهمية الصنائع والحرف **قائلاً:**

لا تحسبوا المجد في طرس ولا قلم   المجد في صوفة أو مبضع دام[5]

لكن تلك الإشادات لم تمنع أصحابها من **الإقرار** - رغما عما بذله المرابطون من مجهود في توفير المناخ الملائم للصناع والحرفيين ولاسيما في المرحلة الأولى من حكمهم[6] - بصعوبة أوضاع الصناع معاشيا، لضعف واردهم عن

---

(1) عن تفسير تلك النظرة السلبية، أنظر: أبي الفضل الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص57- 58 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج1، ص468 ؛ أحمادو تال ديالو: تنظيم الصناعة، ص27- 28 ؛ سعد غراب، كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية - مثال نوازل البرزلي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون، جامعة منوبة، تونس، ع16، 1978م، ص90 - 91.

(2) ابن حيون: دعائم الإسلام، ج1، ص365.

(3) المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص510.

(4) يشبه قوله ذلك قول العامة: «يمشي مال الجدين، وتبقى صنعة اليدين»، وقول الدمشقي: «الصناعة في الكف، أمان من الفقر». (المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، ص510 ؛ عبد القادر الخلادي: أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية، ص124 ؛ أبي الفضل الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص57).

(5) ينسب هذا البيت لأبي بكر البكي (ت560هـ/ 1164م)، أحد شعراء الحقبة المرابطية. (عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج3، ص580).

(6) أنظر: بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب، ص12 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص172.

=

القيام سوى بضروريات معيشتهم في الظروف الاعتيادية. ومن **التحذير** من المستقبل العسير الذي ينتظرهم في شيبتهم؛ لاعتصاب معظم الصنائع ـ على حد تعبير الحريري ـ بشبيبة الحياة[1].

ولا غرو فقد **عانى** الصناع المنتمين لطبقة العامة من ضيق الحال والقدرة عليهم في أرزاقهم[2]، **وعاشوا**: «تحت رحمة أرباب المهن المالكين لوسائل الإنتاج من أرحاء ومعادن ومعاصر»[3]. **وقبضوا** أجورا لا تغني ولا تسمن من جوع[4]،

=

ـ أما في الطور الثاني من عمر الدولة، أو ما سماه ابن خلدون "طور تحصيل ثمرات الملك"، فقد انغمست الدولة في اجترار ثمرات مغازيها حتى أفنتها، ثم عمدت ـ للتعويض عنها ـ لابتداع ضرائب جديدة لتبتز بها الصناع الذين شكلوا أحد منافذ ملء خزائنها الفارغة؛ لتستطيع مواصلة عيش حياتها المترفة، ولتستمر في الإنفاق على حملاتها التي صارت في الداخل والخارج دفاعية. مما ضاعف من بؤس الصناع، وفاقم من محنتهم. (أنظر لتفاصيل أكثر: بوتشيش: أثر الحروب في المجال الضرائبي. ص79 ـ 92 ؛ بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب، ص14، 16 ـ 19 ؛ بوتشيش: إسهامات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينة مكناس، ص56**)**.

(1) هذا ما يمكن استشفافه من قول الدمشقي: «الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد منه، ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمة»، ومن قول الحريري: «وأما حرف أولي الصناعات، فغير فاضلة عن الأقوات، ولا نافقة في جميع الأوقات. ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة». (أبي الفضل الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، ص57 ؛ بديع الدين الهمذاني: مقامات الحريري، تحقيق: عزت زينهم، دار الغد الجديد، القاهرة، 2016م، ص362 [المقامة الساسانية ـ 49]. **وانظر**: عبد العزيز الدوري: نشوء الأصناف والحرف في الإسلام، ص154 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص217**)**.

(2) السقطي: في آداب الحسبة، ص25.

(3) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص172.

(4) حيث تواترت الإشارت عمن: «استأجر حدادا بنصف درهم»، ومن كان: «كان يعمل المراوح من العزف ويتقوت من ثمنها على قلته»، ومن كان يعمل خياطا:
=

ما اضطرهم للغش والمماطلة في إنجاز ما التزموا للناس بصناعته[1]، **وأحوجهم** للجمع بين مهنتين وأكثر[2]، **وأرغمهم** على الاشتراك مع غيرهم من أبناء مهنتهم في حانوت واحد[3]، أو ممارسة حرفهم في بيوتهم[4].

أنواع الحرف والصنائع التي باشرها العامة: يبدو أنه لا سبيل لحصر كل الحرف والصنائع التي باشرها العامة بالمغرب في الفترة موضوع الدراسة؛ لكثرة تلك الصنائع وتشعبها، لاسيما مع ما اشتمل عليه المغرب من أيدي عاملة مدربة على الصناعات المتعددة، ومن استقبلهم من خيرة صناع الأندلس، وما توفر عليه من خيرات زراعية وحيوانية، وثروات معدنية محلية كانت أو مجلوبة من المناطق المجاورة لأغراض التصنيع. صحيح كانت أغلب تلك الصنائع بسيطة، لكن ذلك لا يمنع من أنها كانت مع ذلك متماشية مع ظروف العصر الذي وجدت فيه وقادرة على سد حاجات المواطنين وتلبية احتياجاتهم[5].

=

«ثم سار يوما إلى والدته وأخبرها بضيق حاله». (ابن الزيات: التشوف، ص197 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص176 ؛ ابن قنفد: أنس الفقير، ص101).

(1) السقطي: في آداب الحسبة، ص62. **ولعينات من ضروب غشهم وتحيلهم، أنظر:** الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص54، 58 ـ 59 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص263 وما بعدها.

(2) التميمي: المستفاد، ق2، ص136، 138 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص274 ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص136 ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص276.

(3) الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج2، ص346.

(4) مجهول: الاستبصار، ص188 ؛ علي بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص117.

(5) **أنظر:** ابن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص320 ؛ خلدون محمد خير: مدينة مراكش دراسة سياسية وحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، العراق، 1999م، ص74 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص209، 211 ؛ كريم عاتي الخزاعي: أسواق بلاد المغرب، ص126.

المهم أن الباحث سيكتفي وفقا لما سبق بإبراز أهم تلك الصنائع وأشهرها، وسيسلك في عرضها التصنيف القائم على تقسيم الصنائع بحسب خاماتها وموادها الأولية، إلى: «صناعات نسيجية.. وصناعات فخارية وخزفية، وصناعات خشبية، وصناعات معدنية، وصناعات غذائية، وصناعات تجميلية وغيرها..»[1]، مستفيدا في ذلك من محاولات المفكرين المسلمين لتصنيف الصنائع وتبيان أنواعها[2].

الصناعات المعدنية:

مثلت المعادن عصب الصناعة بالمغرب وحجر الأساس في العديد من الحرف التي أدلى فيها العامة بدلوهم، والتي سيؤخر الباحث الحديث عنها لما بعد التعرض لأهم عناصر ثروة المغرب المعدنية والمنجمية والمحجرية. وسنبدأ بالحديد الذي اشتملت عليه عدة مواقع بالمغرب[3]. **كمعدن عوام**، المقابل لباب الحديد بسور عدوة القرويين الغربي[4]، **وتِمْسَامان** بالقرب من الساحل المتوسطي بمنطقة الريف، على بعد 20 ميلا من نكور[5]، **وإبسَنْتار** الواقع:

---

(1) شريف محمد عوض: الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة، مجلة الفنون الشعبية الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع89، يونيو 2011م، ص11.

(2) **للاستزادة حول هذا الموضوع، أنظر:** جهاد غالب: الحرف والصناعات في الأندلس، ص15ـ18.

(3) **أنظر:** إبراهيم القادري بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط ـ توزيعها الجغرافي وطرق استغلالها والصراع السياسي حولها من خلال المتون النصية المكتوبة، مشاركة ضمن أعمال الندوة العلمية الخامسة: الموارد الطبيعية ببلاد المغرب في العصرين القديم والوسيط ـ الاستغلال والتصرف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، نوفمبر، 2010م، ص188ـ190.

(4) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص203 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص42 ؛ عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، ع4ـ5، 1981م، ص470.

(5) المراكشي: المعجب، ص447 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص275.

«فيما بين سلا ومراكش قريبا من ساحل البحر الأعظم يوم أو أكثر قليلا»[1]. وربما **بأغمات** أيضا، فقد أشار الإدريسي لتصديرهم: «آلات الحديد المصنوع» إلى بلاد السودان[2].

أما **السوس** فقد اشتمل بحسب المراكشي- على معدنان للنحاس[3]، أحدهما على ما يبدوا بقاعدة بلاد السوس المعروفة بإيجلي، بدليل ما كان يُتجهز به لبلاد السودان من النحاس المعمول بها[4]. كذلك إشتملت **داي** (بني ملال الحالية) على نحاس خالص: «لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغاربها»[5]، **وتحمامين** (تازلفت حاليا)[6]، **وتُنودادن**

---

(1) المراكشي: المعجب، ص448 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص258 ؛ حمدي عبد المنعم: مدينة سلا في العصر الإسلامي، ص62.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص232.

(3) المراكشي: المعجب، ص448.

(4) **تقع مدينة أيجلي ـ قاعدة بلاد السوس ـ على وادي سوس، وعلى بعد ستة مراحل (241.92كم) من تامدلت الواقعة على نهر درعة. (أنظر:** البكري: المسالك والممالك، ج2، ص348 ـ 350 ؛ مجهول: الاستبصار، ص212 ـ 213 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص330).

(5) **تقع أسفل جبل خارج من جبل درن (الأطلس الكبير)، وعلى بعد أربعة أيام من أغمات، ومسافة مرحلة (40.320كم) من تادلة.** (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص241 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص231 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص248 ؛ بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب، ص190 ـ 191).

(6) **يبعد تيحمامين عن سجلماسة ـ بحسب وصف البكري للطريق من سجلماسة لأغمات ـ يومان، ويبعد عن وادي درعة أيضا يومان. وهو يعتبر من أهم وأكبر مناجم النحاس بالمغرب، بشهادة آلاف أطنان التراب المستخرجة من باطنه، وعشرات الأمتار (114م) التي غيصت في أعماقه. بيد أن عز الدين موسى رجح دون دليل ـ خلا تأخر عصر البكري ـ أن يكون معدنها قد استهلك قبل القرن السادس الهجري بأمد بعيد. (أنظر:** البكري: المسالك والممالك، ج2، ص338 ؛ =

(أم جران حاليا)[1]، بالإضافة إلى عدة مواقع: «بجبال كتامة التي كانت خزانا لمعدن النحاس»[2].

منطقة السوس الأقصى كانت أيضا أهم منطقة للتزود بالفضة خلال العصر الوسيط، حيث كانت مجالا لتركز مناجم هذا المعدن[3]، ولاسيما بتامدلت (العدانة حاليا)[4]، وتازرارت الواقعة على الطريق الواصلة بين

=

الموساوي العجلاوي: التجارة الصحراوية: تجارة النحاس بين المغرب والسودان 3 ـ 7هـ، مجلة المناهل، المغرب، ع49، ديسمبر1995م، ص83 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص248).

(1) **تقع حسب وصف البكري للطريق من درعة لسجلماسة: على بعد ثلاث مراحل (120.96كم) من تيومتين (قاعدة بلاد درعة).** (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص341 ؛ الموساوي العجلاوي: التجارة الصحراوية، ص79).

ـ أضاف القبلي في معرض حديثه عن الصناعات المعدنية بالمغرب أماكن أخرى، ونسبها ـ دون توضيح في عهد أي دولة تمت الاستفادة منها ـ للعصرالوسيط. يقول: «يأتي النحاس في مقدمة المعادن التي استخدمت بالمغرب نظرا لتوفر المادة الأولية بمناجم الجنوب المغربي بالأطلس الصغير،وصاغرو، وأوكنات، والمعيدر، وتافيلالت..». (محمد القبلي: تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المغرب، 2011م، ص236. **وانظر كذلك:** الموساوي العجلاوي: التجارة الصحراوية، ص82 ـ 84).

(2) بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب، ص191 ؛ البكري: المغرب، ص83.

(3) محمد العمراني (2019)، المعادن آلية لخلق الثروة بالمغرب الوسيط، متاح على موقع: مركز الدراسات والأبحاث في العلوم الاجتماعية ـ CERSS، رابط الموقع: https:/ / cerss.org .

(4) **تبعد تامدلت عن وادي درعة ثلاثة مراحل (120.96كم). وتقع شرقي لمطة، وقبلي مدينة إيجلي، على بعد ستة مراحل (241.92كم) منها. وغرب درعة، الواقعة إلى الشرق منها على مسيرة ستة أيام. وقد خربت لاحقا لكن ما زالت آثارها ماثلة على بعد حوالي 13كم جنوب شرق مدينة أقا، بإقليم طاطا. (أنظر:** البكري: المسالك والممالك، ج2، ص350 ـ الحميري: الروض المعطار، ص128 ؛ الحموي:

=

درعة وبلاد السودان، والتي استمر عطاؤها من أيام المقدسي (ت380هـ/ 990م)، لعصر البكري (487هـ/ 1094م) الذي أشار لمعدنها بقوله: «وفيها معدن قديم غزير المادة»[1]. لكن الأمر لم يقتصر على السوس وحده، بل اضطلعت بتزويد المغرب بالفضة مناجم أخرى، كمنجم **جبل عوام**، أضخم منجم للفضة ببلاد المغرب وأشهره دون منازع، وحصن **وَرْكَنّاس: «بالقرب من مكناسة الزيتون، على ثلاث مراحل [120.96كم] منها»[2]**. وذلك المعدن القريب من **قلعة ابن تاولة** بجبال فازاز (الأطلس المتوسط)[3]، وأخوه - **معدن رقيد** - الواقع بجنوبي جبل درن[4].

أما عن الذهب فهو وإن لم يكن ثروة طبيعية اكتنزها المغرب خلال العصر الوسيط، فقد كان على الأقل ثروة متحكم في مسالك تجارتها، بفضل استغلال مناجم الملح التي تم توظيفها كقطب استراتيجي يضمن تزويد المغرب باستمرار

=

معجم البلدان، ج2، ص7 ؛ الموساوي العجلاوي: التجارة الصحراوية، ص79 ؛ بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب، ص187).

(1) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص231 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص347 ؛ بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، ص187.

(2) المراكشي: المعجب، ص448 ؛ الزهري: كتاب الجغرافيا، ص115 ؛ ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص85 [بلفظ عرام] ؛ بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، ص187 - 188.

(3) **سُميت قلعة ابن تاولة - المعروفة أيضا بقلعة مهدي وبقلعة فازاز - بهذا الإسم نسبة للمهدي ابن توالى الجيفشي. وهي تقع بجنوب مكناسة على بعد نحو 150كم منها، كما وصف الزهري موقعها بقوله: «وعلى هذا النهر[وادي أم الربيع] بمقربة منه، مدينة بينه وبين فاس، وهي قلعة ابن تاولة».** (الزهري: كتاب الجغرافيا، ص115 ؛ ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص141 ؛ مجهول: الاستبصار، ص187 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص245 - 246).

(4) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص141 - محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص62.

بذهب السودان[1]. لكن ذلك لا يعني خلو المغرب البتة من ذلك المعدن النفيس، فهناك إشارة - وإن كانت قديمة - تدل على وفرته **بتامدلت**. حيث يقول اليعقوبي (ت284هـ/ 897م): «وحولها [أي تامدلت] معادن ذهب وفضة يوجد كالنبات، ويقال إن الرياح تسفيه»[2]. وهناك إشارة أخرى تدل على وجوده **بتازة**، حيث يقول البكري في معرض حديثه عن حملة إدريس الأول على تازى (174هـ/ 790م): «وهو موضع [أي تازة] من أعمال بني العافية، يوجد في جبل منه الذهب وهو **أعتق الذهب وأجوده**»[3]. فالإشارتين تؤكدان أن استغلال الذهب بالمغرب قد بدأ منذ فترة مبكرة، ثم استمر لما بعدها بفترة طويلة. وإلاَّ فمن أين للبكري مقارنة ذهب تازة - في القرن الخامس الهجري - بغيره، وعلى أي أساس قدر جودته.

لكن يبدوا أن ما عطل الاستفادة من تلك المعادن/ المناجم، بل وربما أبطلها وأنسى ذكرها، كون جلب الذهب من بلاد السودان أيسر مؤنة من استخراجه بالمغرب، خاصة وأن استخراجه لم يكن ليصح: «إلا من صاحب مال كثير له آلاف، يقعد على باب الغار ويكري الصناع والفعلة»[4]. وحسبنا سجلماسة مثالا، فما الذي كان يدفع أهلها لمعاناة استخراجه، وهو ببلدهم أمكن من غيرها[5]، لدرجة تبايعه بينهم: «عددا بلا وزن، والكراث يتبايعونه وزنا لا عددا»[6]. وقس على ذلك فاس وأغمات ومراكش. بل والاندلس[1]

(1) محمد العمراني: المعادن آلية لخلق الثروة .

(2) اليعقوبي: البلدان،تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص198.

(3) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص302 ؛ البكري: المغرب، ص118.

(4) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص200 ـ الوتشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص181.

(5) مجهول: الاستبصار، ص202.

(6) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص337.

ـ لم تُشر أيا من المصادر التي تيسر للباحث الاطلاع عليها، لاستخراج الذهب =

وكيفما كان الأمر، فالمصادر تذخر بذكر عدد آخر من المعادن والأحجار. مثل الزئبق[2]، وتوتيا (زنك) السوس الأقصى[3]، ورصاص فاس[4]، وملح أوليل وتانتال، وملح فاس[5]، وكذانها [حجر إسفنجي هش][6]، وصدف واديها: «الحسن الذي يقوم مقام الجوهر»[7]، وياقوت جبل هزرجة (بإقليم هكسورة) المتناهي في الجودة وحُسن اللون[8]، ومرجان سبتة[9]، ورخام سلا وطنجة، وفاس الأزرق والأحمر والأخضر[10]، وحجر إيجليز[11]، وحجارة وادي درعة (تامطغست بالبربرية) التي كانت تحك باليد حتى تلين: «فتصنع منها الأمرة

=

من سلجماسة في الفترة مدار البحث، على الرغم من إشارة المقدسي (ت380هـ/ 990م) السالفة، لتوفر رستاقها على معادن الذهب والفضة. (المقدسي: أحسن التقاسيم، ص231. **وانظر:** بوتشيش: الثروات المنجمية ببلاد المغرب، ص185ـ186).

(1) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص245ـ246.

(2) الادريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص69.

(3) رجّح العجلاوي أن يكون منجم الزنك المشار إليه، هو منجم تمزكدوين الموجود على بعد 22.5كم، شمال غرب تامدلت. (المراكشي: المعجب، ص448 ؛ الموساوي العجلاوي: التجارة الصحراوية، ص92/ حا20).

(4) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص70.

(5) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص358 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص35 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص35.

(6) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص54، 61 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج4، ص66.

(7) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص35.

(8) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص338.

(9) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص529 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص303.

(10) كينيث بروان: موجز تاريخ سلا، ترجمة: محمد جيدة ـ أناس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، 2000م، ص30 ؛ مجهول: الاستبصار، ص138 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص396 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص70.

(11) الحميري: الروض المعطار، ص540 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص233.

والقيود للدواب»[1]، وجير مراكش ومكناسة، وجير فاس[2]، وجبصها وصلصالها ورملها الأصفر الطيب[3]، إلى آخر ذلك.

وبالعودة للحديث عن الصناعات القائمة على المعادن، نشير لإسهام **الحدادين** في صنع مختلف الآلات والأدوات المستخدمة في الصناعات والحرف الأخرى. فمثلا في القطاع الزراعي دخل الحديد في صناعة جل الأدوات المستخدمة في فلاحة الأرض ومعالجة محاصيلها[4]، كالمجارف والمناجل[5]، والفؤوس والقطاطيع وسكك المحاريث[6]. وفي صناعة صفائح سنابك الخيل وغيرها من الدواب، والمسامير-كبيرة الرأس-التي كانت تثبت بها[7].

ويُفهم من التحديد (كبيرة الرأس) أن المسامير كانت على أشكال عدة، وأوزان مختلفة، ولإستخدامات شتى[8]. فهناك المسامير المُقَزْدَرة (المجلفنة بالقصدير) التي كانت تستخدم-على ما يبدوا-في تسمير أضلاع الخزائن الخشبية المصفحة بصفائح الحديد، أو لتثبيت الصفائح نفسها[9]، ومسامير التقريط،

---

(1) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص368 ؛ مجهول: الاستبصار، ص207.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص63 ؛ المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال، ص82 ؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص60.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص54 ـ 55 ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص44.

(4) **أنظر:** كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص124.

(5) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص345 ؛ البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج1، ص614.

(6) مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، ص53.

(7) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص36 ؛ الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج1، ص245.

(8) **عن أوزان بعض المسامير المستخدمة في صناعة القطع البحرية، أنظر:** السقطي: في آداب الحسبة، ص65، 71ـ72.

(9) **أنظر:** ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص36، 59 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج8، ص265.

والتقريط الكبير التي كانت تستخدم في صناعة القطع البحرية[1]، بالإضافة للمسامير المستخدمة في البناء، وتسمير المنابر[2]، والسلالم[3]، ونحو ذلك.

أيضا استخدم **الحدادون** الحديد في صنع الأبواب، والمفاتيح، والأبلاج، وأطراف المقابض. وصنع صفائح الخزائن وأقفالها، وصفائح الأكواب وآذانها، وأرطال الباعة، وصنوج موازين البلد[4]. ووقع عليهم عبء صناعة الأسلحة[5]، من خناجر وأطاس (خنجر كالمنجل) وفئوس وسيوف وسكاكين وسراف (سكين كبير) ودروع وتروس وبيضات (خوذ) وكلاليب وسنان مزاريق وقنا (الحراب والرماح) وأنصال سهام، وصناديق نشاب[6]. وفي صنع قوالب

---

(1) السقطي: في آداب الحسبة، ص72 ؛ أحمادو تال ديالو: النقل ووسائله بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب الفقه المالكية، رسالة دكتوراة غير منشورة، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2006م، ص278.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص50، 57.

(3) **أنظر:** ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص36.

(4) **أنظر:** البكري، المسالك والممالك، ج2، ص332 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص68 ؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص36، 40، 59 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص107 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص224.

(5) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج1، 420 ؛ مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، ص53.

(6) **أنظر:** ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص59 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص 56، 61 ؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص353 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص228 ؛ السلفي: معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1993م، ص34 [تر73] ؛ ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ـ القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي ـ محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص243 ـ 244، 259 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص567 ـ 568 ؛ البادسي: المقصد الشريف، ص59 ؛ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، ص162ـ 167 ؛ عادل عواد الطائي: تسليح جيش المرابطين، مجلة Al-
=

سك النقود المعدنية[1]، وصنع المغازل والمناسج، وأدوات الحاكة والخياطين من إبر وأمقاص[2]، وصنع أدوات المطبخ من مقص، ومخطاف، ومهراس، ومفرش حديد، وسفود، وساطور، وسكين مرهفة، وقضيب: «من حديد متخذ لدرس اللحم»[3]. وصنع أواني الطبخ وصحاف الأكل وقصاع الطعام ـ وإن كانت قليلة مقارنة بالفخار والنحاس ـ[4]، كالمقالي، والطواجين ونحوهما، كأواني الخمر[5].

=

Andalus Magreb ـ الأندلس مغرب، جامعة قادس، إسبانيا، ع21، 2014م، ص152 ـ 154 ؛ بوقاعدة البشير: آلات الحصار بالمغرب خلال القرنين 5 ـ 6هـ بين التنوع والفاعلية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر، ع10، جوان [يونيو] 2017م، ص165.

(1) صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1938م، ص14 ؛ مسعود كربوع: النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى التاسع الهجري، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة (1)، الجزائر، 2018م، ص271.

(2) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص59 ـ 60 ؛ مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، ص51 ـ 52.

(3) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص42، 79، 82، 123، 124، 144، 252 ؛ المعز بن باديس: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب في صفة الخط والأقلام والمداد، تحقيق: نجيب مايل الهروي ـ عصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، 1409هـ، ص84.

(4) التميمي: المستفاد، ق2، ص53، 126 ؛ حورية شريد: تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصر العثماني، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر(2)، 2011م، ص153.

(5) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص45، 73 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص59 ـ ج1، ص25.

كذلك استخدم الحدادون الحديد في صنع ما يَحتاج إليه المُسَفِّر(مجلد الكتب): «من الماعون الذي لابد منه»[1]. وفي صنع قيود العبيد وأكبال المساجين وأغلال وأقفاص الأسرى[2]، بدليل ما ورد بمعيار الونشريسي من استفتاء أحدهم عن حكم وضعه لخلخال من حديد في رجل مملوكه. وما ورد بذات المصدر من نقدٍ لأمراء المغرب على: «جعلهم السلاسل والأغلال في أعناق الجناة في المَحال، وحالة سوقهم للنظر في جرائمهم بين يدي الأمراء والفقهاء»[3]. وكخاتمة نشير إلى إن سعة مشاركة الحدادين المنتمين لطبقة العامة، لم تنعكس على أوضاعهم ومداخيلهم رفاهة وسعة، وأنىّ لهم ذلك وقد كانت أجرة أحدهم (نصف درهم)، أقل من ثمن حزمة حطب (درهم) يجمعها الرجل من الجبل في سويعة[4].

أما **النحاس** فقد كان يستخدم في صنع الساعات المائية التي كانت تستعمل ببلاد المغرب في العصر الوسيط كأداة لقياس زمن السقي، والتي حملت أسماء عدة كالقلد، وتناست، وتطاست (أو الطاسة)، وأقسري (القصرية أو أزوكلا)، وسطل (أو السطلة)[5].

---

(1) للاستزادة حول موضوع الآلات الحديدية المستخدمة في صناعة التسفير، أنظر: الإشبيلي: التيسير في صناعة التسفير، ص10 ـ 12 ؛ المعز بن باديس: عمدة الكتاب، ص95ـ98 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج85.

(2) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص155 [تر40]، ص197 [تر68] ؛ البيذق: أخبار المهدي، ص79 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص307.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص146 ـ ج2، ص507.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص123 [تر19] ـ ص197 [تر68].

(5) أنظر: حسن حافظي علوي: دراسات صحراوية ـ الماء والإبل والتجارة، دار أبي رقراق، المغرب، 2014م، ص83ـ85.

واستخدمه النحَّاسون، والصفارون والصواينيين والطناجريين[1]، في صنع أدوات الطبخ وآنية الطعام من برمة، وقدر، وقدح، ومنقاش، ومهراس، ومقلاة، وملة، وطنجير، وطَيْجَن[2]. وفي صنع المواعين، وآنية الخمر، وقدوره[3].

كذلك استخدم النحاس في صنع بعض قطع الحلي التي كانت تتزين بها نساء العامة وأطفالهم[4]. وفي سك العملة[5]، حيث أضيف ـ بقدر معلوم ـ إلى الدنانير الذهبية، لزيادة صلابتها[6]. وصنعت منه ـ فضلا عن صنج الموازين المستخدمة بدار السكة لتعيير العملة بها ـ قطع الصرف الثلاث المضروبة من **البرونز** والمتبقية من عهد علي بن يوسف[7].

---

(1) **الصفارون: صُناع الصفر، والصفر نوع من النحاس تصنع منه الأوعية والقدور. الصواينيين: صُناع الصواني وما إليها من أدوات النحاس. الطناجريين: محترفي صِناعة قدور النحاس وما إليها من الطناجير.** (حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج2، ص705 ـ ج3، ص1275 ـ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص118[حرفة122]، ص119 [حرفة136]).

(2) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص39، 63، 74، 76، 80، 85 ـ المعز بن باديس: عمدة الكتاب، ص90، 102.

(3) **الونشريسي**: المعيار المعرب، ج1، ص25 ـ ج6، ص275، 418 / ج9، ص131.

(4) مجهول: حلي المرأة وزينتها في المغرب الإسلامي القرن 4 ـ 6هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر (2)، 2012م، ص64.

(5) عبد النبي بن محمد: مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، 1979م، ص39 ؛ الوتشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص165.

(6) **حيث أظهر التحليل الكيميائي لبعض الدنانير المرابطية بلوغ نسبة الذهب بها 92.2٪ فقط. وقد عرفت تلك العلمية بالتنحيس.** (حسن حافظي علوي: جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة المناهل، المغرب، ع56، شتنبر (سبتمبر) 1997م، ص269 ـ 270، 383/ حا48 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج1، ص389).

(7) **إعتمادا على حقيقة أن: البرونز يتكون أساسا من معدن النحاس، الممزوج بنسبة 10: 20٪ فقط من معدن القصدير. (أنظر:** حسن حافظي علوي: جوانب من =

كما استُخدم **بسجلماسه** في صنع الأساور والحُلق وخواتم النحاس التي كانت تصدر لبلاد السودان، لتفضيلهم لها على الحلي المصنوعة من الذهب؛ لاعتقادهم - على ما يبدوا - في قدرتها على علاج الآلام وإبعاد الأخطار الخارجية(1). **وبسبتة** في صنع الشمعدانات والمحابر والجِفان (قصاع الطعام) التي كانت تبدوا للناظر وكأنها مصنوعة من الفضة(2). **وبفاس** في صنع المخروطات(3)، وزخرفة أبواب المساجد، كالقرويين الذي استدل **بالباس** من تغشية **النقاشين** لبعض أبوابه: «بصفائح النحاس الأصفر، بالعمل المحكم والشكل المتقن»، على انتشار الفنون المعدنية بالمغرب(4).

الذهب والفضة أسهما كذلك بدورهما في صنع ما لا يعدوه الحصر من المنتجات، كالنقود التي كانت تعتمد على معدني الذهب والفضة المستخرجين محليا أو المجلوبين من السودان بواسطة تجار القوافل. إذ كان أغلب تبر **بلاد ونقارة** من نصيب أهل المغرب الأقصى، الذين كانوا يشترون أكثره: «ويخرجوه إلى

=

تاريخ المرابطين من خلال النقود، ص366 ؛ ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص124 ؛ مارتن ليفي: النحاس والبرونز في بلاد ما بين النهرين، مجلة النفط والتنمية، بغداد، ع 7 ـ 8، نيسان مايس [أبريل مايو] 1981م، ص133).

(1) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص12 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص20 ؛ جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، ص146، 180.

(2) بشهادة الحسن الوزان، الذي وصف عمالها بالـ: «مهرة في المصنوعات النحاسية». (وصف إفريقيا، ج1، ص317).

(3) بشهادة العمري الذي زكى يدهم: «الطولى في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس». (مسالك الأبصار، ج4، ص92).

(4) الجزنائي: جنى زهر الآس، ص68 ؛ روض القرطاس: ص61 ـ 62 ؛ ليوبولدو توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: سيد غازي، دارالمعارف، مصر، ط1، 1971م، ص60 ؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج3، ص1289.

دور السك في بلادهم فيضربوه دنانير»[1]. حيث أظهر الصاغة بالمغرب الأقصى براعة في صنع العملة، بداية من معالجة التبر وتخليصه من الشوائب، وضبط المقادير المعلومة من المعادن التي يتم خلطها به قبل سكها وضربها، وصولا لنقشها وسكها[2]. وهو ما يمكن الاستدلال عليه من إضافتهم لكلمات، وزيادتهم لأسطر بأكملها على أحد صفحتي العملة - دنانير كانت أو دراهم - دون الحاجة للزيادة في قُطر القطع النقدية، ما يعني أنه كان وراء ذلك مجهود تقني وفني على درجة عالية من التطور[3].

على أية حال كان من بين المضطلعين بسك العملة بدور الضرب المتعددة بالمغرب[4]، عدة حرفيين من بينهم: الفَتَّاح: المسؤول عن وضع الرسم الذي ستسك عليه العملة. والناظر، والسكاك، والطباع، والمداد وغيرهم[5].

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص24-25.

(2) حسن حافظي علوي: جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، ص370. **وانظر:** صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، ص439.

- للاستزادة حول طريقة تنقية أهل المغرب للذهب والفضة وطريقة سبكهما، أنظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص69 ؛ ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص91 - 97، 129 - 131 ؛ الحميري: الروض المعطار: ص243 ؛ صابر عبد المنعم: النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2012م، ص278-279.

(3) حسن حافظي علوي: جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، ص365. **وانظر:** صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، ص440.

(4) أنظر: عبد النبي بن محمد: مسكوكات المرابطين والموحدين، ص58 - 63 ؛ صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، ص439، 453 - 454، 487 ؛ جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، ص139 - 143، 171 ؛ مسعود كربوع: النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي، ص280 - 290، 293، 295 ؛ حسن حافظي علوي: جوانب من تاريخ المرابطين، ص366-367.

(5) أنظر: ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص115، 133-136.

=

ولا يفوتنا ونحن في معرض الحديث عن العاملين بدور السكة للإشارة لتأكيد صاحب الدوحة على اضطلاع اليهود بالعمل بدور السكة. صحيح انتمت روايته للعصر المريني، لكنه اجتمع لعز الدين موسى من القرائن ما دعاه للقول بأن إشارة ابن يوسف: «ما هي إلا إمتداد لتطور بدأ قبل قرون». ولا يفوتنا كذلك التأكيد على اضطلاع الدكاكين(الصاغة) اليهود بصنع المشغولات الذهبية والفضية المحلاة بالزخارف والمطعمة بالأحجار الكريمة، طيلة العصر الوسيط[1].

=

ـ للاستزادة حول المضطلعين بمهمة سك العملة، والآلات التي استخدموها بعملهم، **أنظر:** الموساوي العجلاوي: مصطلحات السكة والصياغة وتطور الدلالة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع46، ديسمبر 1998م، ص131 ـ 132، 134 ؛ د. عاطف منصور محمد رمضان: طوائف الحرفيين في الآثار والفنون الإسلامية، ضمن: موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 2004م، ج7، ص227 ـ 230 ؛ مسعود كربوع: النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي، ص272 ـ 273، 295 ـ 301 ؛ صابر عبد المنعم: النظم والمعاملات المالية في المغرب، ص276 ـ 277.

(1) ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص121 ـ 122 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص110 ؛ عبد الرازق العسري ـ فائزة البوكيلي: التراث اللامادي للجنوب المغربي بين التنوع والغنى قراءة في إسهامات التعددية الإثنية المجال والتراب والمجتمع بالمغرب، ضمن كتاب: المجال، التراب والمجتمع بالمغرب: تحولات، ديناميات ورهانات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2019م، ص233 ؛ كريم عاتي الخزاعي: أسواق بلاد المغرب، ص129 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص112، 118. **وانظر:** بوعزيز كريمة: دور اليهود في النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى سقوط الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2018م، ص72 ؛ فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي، ص230.

** الصناعات النسيجية:

كان لصناعة النسيج بالمغرب في الفترة محل الدراسة شأن كبير بين غيرها من الحرف[1]، نتيجة لما كان المغرب يتوفر عليه - بفضل المعطيات التضاريسية والمناخية المساعدة - من ثروات نسيجية، نباتية (قطن - كتان) وحيوانية (صوف - شعر - وبر). حيث كان لوفرتها هي والمواد الصباغية أطيب الأثر على تطور هذه الصناعة وازدهارها وتنوع أصناف سلعها وتعدد مراكز انتاجها. ناهيك عن أثرها في دفع معظم سكان المغرب في اتجاه تعاطي الأنشطة المرتبطة بالنسيج، ولا سيما الصوفي؛ لتعدد المراحل التي كان يمر بها الخام - بأنواعه - وكثرة الأعمال التي كان يتطلبها حتى يصير شيئا[2].

وحسبنا إشارات المصادر لِكَم العاملين بمراحل تجهيز الكتان، التي كان بعضها يحتاج من بضعة أيام لعدة أشهر. حيث كان الكتان يُنقع - بعد قلعه - من إبريل حتى يونيو، ثم يُدرس بعد إخراجه وتجفيفه بواسطة **السحاجين**، الذين كانوا يقومون بضربه بمرزبات الكتان - بصفة معلومة - حتى ينفتح خيطه ويلين. ثم يُنفض، ثم يُرَدَّج، أي يمشط ويسرح حتى يصير أليافا جاهزة للغزل، بواسطة **الأجراء** المدربين على استخدام الأمشاط المعدة لذلك[3].

---

(1) **ليس فقط على المستوى الاقتصادي، بل وكذلك المعنوي. بدليل عد إخوان الصفا لها - بحكم الحاجة الضروية إليها - من بين الصنائع الشريفة. وما نقله البرزلي عن الغزالي، من حيث تفضيله لـ: «الحياكة وكل ما يلم بالملبوسات والبناء، لأن هذه ضرورية».** (رسائل إخوان الصفا، ج1، ص287 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج4، ص200 - 201).

(2) **أنظر:** عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب الوسيط - الانتاج و المبادلات، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، عدد خاص، 1985م، ص49 - 51، 58. **ولدور المعطيات الطبيعية في دفع صناعة النسيج، أنظر:** فاطمة بلهواري: النشاط الرعوي في بلاد المغرب، مجلة كان، ع8، يونيو 2010م، ص29 - 30 ؛ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص44 وما بعدها.

(3) **أنظر:** الطغنري: زهرة البستان، ص450 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص142 ؛ =

وهؤلاء الأجراء غير **القطانين** الذين كانوا يقومون بحلج القطن وندفه بالأجرة، بواسطة طرقه بالمِنْدَفة، أي الخشبة التي كان **النداف (الحلاج - القطان)** يضرب بها القطن على وتر قوس الندافة، أو قسيّ القطانين كما سماها ابن جبير، ليرققه ويُزيل تلبده ويُطَيِّر منه القشرة السوداء والحب المكسر ويُصيره صالحا للغزل[1].

وحسبنا أيضا وصف ذات المصادر لتجهيز **الصوافين** للصوف، بواسطة دقه بالقضيب ونفضه لإزالة ما علق به والتصق فيه من دمنة ووَذَح (بعر وبول وحسك)، ثم غسله، ثم تسريحه بمماشط من لوحين متقابلين بهما ما يشبه المسامير، لفك عُقَده وإزالة تلبده وتجهيزه للمرحلة التالية[2]، أي **الغزل** الذي كان في الغالب من اختصاص فقيرات النساء. اللائي كن **يغزلن** للناس **بالأجرة**[3]، أو يغزلن لخاصة أنفسهن ما **اشترينه** من صوف وقطن وكتان[4]، أو ما تَحَصَّل لهن

=

الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص291 ؛ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص124 - 126 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج5، ص121.

(1) **أنظر:** ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان - صديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص225 ؛ الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م، ص69 ؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص100 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص224 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج8، ص408 - ج10، ص190 ؛ د. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج2، ص897.

(2) **أنظر:** محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص124 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص103 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج1، ص319 ؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج2، ص709.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج3، ص307.

(4) **أنظر:** القاضي عياض: ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م، ج5، ص121 ؛ الونشريسي:

=

من **أضحياتهن** أو **ماشيتهن**، أو من جاراتهن بطريق **السلف**[1]، باستخدام **المِغْزل**. وهو قضيب دقيق الطرفين مصنوع من الحديد أو النحاس أو الخشب كانت النساء تصنع بواسطته خيوطا مبرومة ومنتظمة من أي نسيج كان، قبل أن يكببنه في شكل كور[2]، بغرض **بيعها** بأسواق الغزالين أو الكتانين أو القطانين[3]، للتعيُّش بريعها وقضاء حوائج أسرهن[4]، أو لاستخدامها في **نسج وحياكة** شورتهن، أو كسوة إخوتهن[5]، أو صنع العباءات الصوفية والأثواب الكتانية لأزواجهن[6].

وهناك ـ غير من سلفت لهن الإشارة ـ من كانت **تغزل** الخيام من الشعر والصوف **وتنسجها** بيدها[7]، ومن كانت **تنسج** الثياب للناس بالأجرة[8]، ومن

=

المعيار المعرب، ج4، ص128 ؛ الوزاني: المعيار الجديد، ج8، ص28 ؛ مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، ص51، 52.

(1) ابن الزيات: التشوف، ص106، 146 ـ الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص35.

(2) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص55 ؛ ابن رشد: مسائل أبي الوليد بن رشد، ج2، ص888. **وأنظر وصف هدية لطريقة غزل الصوف مفصلة**: محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص130.

(3) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص475 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص256 ؛ عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، ص471 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص128.

(4) أنظر: السملالي: الإعلام، ج1، ص266 ـ ابن الزيات: التشوف، ص117، 274.

(5) الحياكة هي: «غزل النسيج قماشا، والحائك هو الذي ينسج». (حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج1، ص417 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص622).

(6) ابن الزيات: التشوف، ص106 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج4، ص195.

(7) الوزاني: المعيار الجديد، ج6، ص541 ـ 542.

(8) الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص482 ؛ الوزاني: المعيار الجديد، ج8، ص156 ؛

كانت تتقوت هي وزوجها من فضل بيع ما كانت **تنسجه** من شقق الكتان[1]، بسوق الشقاقين[2]، لكن ذلك لا يعني سيطرة النساء على تلك المهنة (النسج / الحياكة)، بل شاركهم فيها الرجال. **بدليل** ما ورد بنوازل المعيار عن: «كراء الحاكة للنِيْر [الخيوطُ مع القَصَب وهي ملفوفةٌ عليه] الذي ينسجون به»[3]، وعن الرجل الذي أتى: «إلى الحائك فوجد عنده ثوبا قد نُسج جله»[4]. ويذكرنا ذلك بملاحظة برنشفيك عن تَمَيُّز النسيج النسائي بإفريقية الحفصية بالطابع العائلي، وانتظام الرجالي على قواعد مهنية وتجارية[5].

علي أية حال لم يكن العاملون بتجهيز الصوف والقطن والكتان، من **كتانين، وسحاجين، وقطانين، وحلاجين، وندافين.** ولا كان **الغزالين**، أو **الحاكة والنساجين** هم كل العاملين بمجال النسيج. فقد كان هناك **الخياطين** الذين عملوا في دُورهم وحوانيتهم ـ بمساعدة أبنائهم ـ في تفصيل ما نسجه الحاكة من شقق[6]. **والقصارين** الذين اضطلعوا بقصر خيوط الغزل، والملابس، وشِقق الثياب، بعد خروجها من المناسج[7]، بواسطة بلها وغسلها

---

(1) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج5، ص121ـ122 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج4، ص128.

(2) القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام، ص194 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص165.

(3) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص295. **وانظر:** لسان العرب، ج5، ص246.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص257 ـ ج6، ص275.

(5) روبار برنشفيك: إفريقية في العهد الحفصي 13 ـ 15م، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص222.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص138 ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص271 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص303 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص266.

(7) **هذا ما يستفاد من المقاصر الغزلية التي كانت بسبتة. وحُكم المدونة فيمن قبض ثوبا ليقصره، فأخطأ ودفعه لغير صاحبه، فقطعه قميصا وخاطه. وكتب الحسبة التي ألزمت القصارين بالامتناع عن لبس ثياب الناس أو تمكين أحد**
=

المرة إثر المرة حتى تبيض، أو بضربها على الحجارة، أو باستعمال الكبريت، أو الجير، أو روث الحيوانات إلى آخر ذلك من المبيضات التي منع الفقهاء من استخدامها ؟ لتسببها في تقصير عمر الثياب وتقطعها سريعا[1]. و**الكمادين** الذين يقومون بتكميد الثياب ـ بعد قصرها ـ بالنشاء أو الصمغ، لصقلها وتقويتها[2]. و**الرفَّائين** الذين يقومون بروفو الثياب المخرقة، وإصلاح الأنسجة المخرمة بطريقة يصعب على غير أهل الصنعة معرفتها، وعلاج ما أتلفه القصارين والدقاقين من الثياب بسبب عصرها بالمفتل بقوة أو ضربها بالمرازب وعلى الحجارة بشدة. لهذا ـ على مايبدوا ـ اشترط عليهم المحتسبون ألا يرفوا لقصار ثوبا مخروقا إلا في حضرة صاحبه وبموافقته[3].

=

صناعهم من لبسها. (أنظر: السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، د.ن، الرباط، المغرب، ط2، 1983م، ص50 ؛ مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج3، ص401 ـ 402 ؛ ابن الإخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، ص221 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص63 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج4، ص17 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص123 ؛ عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، ص472**)**.

(1) **أنظر:** ابن الحاج: المدخل، ج4، ص16 ـ 17 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص54. **ولتفاصيل أكثر حول عملية القِصارة، أنظر:** محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص89ـ91.

(2) ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تحقيق: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، ج2، ص243 ؛ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، ج3، ص265 ؛ الزنشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص504 ؛ دوزي: **تكملة المعاجم العربية**، ج9، ص138. **ولتفاصيل أكثر حول عملية الكمادة، أنظر:** محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص92ـ93.

(3) **أنظر:** دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج5، ص169 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج4، ص16 ؛ ابن الإخوة: **معالم القربة في أحكام الحسبة**، ص221 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص63 ؛ الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص67 ؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص49 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص222.

كذلك توصل أحد المتخصصين ـ من خلال دراسته للأمثال المغربية ـ لأسماء عدد آخر من الحرف المتصلة بالنسيج، والتي كان وما زال بعضها موردا لرزق عدد كبير من الفئات الاجتماعية. **كالبرغاز** الذي كان يشتري الثياب المستعملة ويقوم بإصالحها وبيعها من جديد. **والحرار** الذي كان يقوم ببيع خيوط الحرير بسوق الحرارين، وينسج الثياب الحريرية. **والرشَّامة** التي كانت تتولى رشم الثياب ـ قبل تطريزها ـ بطوابع خشبية عليها أشكال وزخارف مغموسة في سائل النيلة. **والشرابي** أي صانع الشربية وهي نوع من أغطية الرأس كانت تُنسج للنساء من خيوط الحرير. **والمجادلي** محترف ضفر المجاديل أي الضفائر المفتولة من الصوف أو الحرير[1]. **والقنانبي** محترف صناعة خيوط القنب المستخدمة في صنع الحبال، والتي كانت تَنسج منها النساء ثيابا قوية جدا بعيدة البلى[2]. **والوبار** أي المشتغل بأوبار الإبل والماعز المستخدمة في صنع وتبطين الخيام، وصنع الأكسية المُتَّخَذَة لفرش الأسرة والملاحف[3]. **والصَبَّاغ** الذي ارتبطت مهنته بصناعة النسيج ارتباطا وثيقا، لكونها الضلع الثالث بها وخاتمة مراحلها، وأكثرها تكلفة كذلك. ولا غروا فقد كانت مواد الصباغة وأجور الصباغين تُكلف أكثر من ربع تكلفة إنتاج المنسوجات الحريرية، و10٪ من قيمة غيرها من الأصناف[4].

وتكثر الشواهد الدالة على استخدام الصباغين لكافة مواد الصباغة [5]،

---

(1) عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص103، 108، 113، 116، 126.

(2) ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص204 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص124.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص31 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج3، ص1321 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص129 ـ 130.

(4) يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية، ص491 ـ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص51، 94، 151.

(5) **أنظر:** يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية، ص492 ـ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص231 ؛ محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص51 ـ 54.

وإن كان أغلبها قد صيغ بلسان المنع ولهجة اللوم؟ حيث نهاهم المحتسبون[1]، ولامهم الفقهاء على استخدامهم البدائل واستعمالهم المقلدات في عملية الصباغة: «لعل أن يتوفر عليهم تفاوت ما بين ثمن الصبغين»[2]. وهي ملاحظة لاشك تكشف هي وإشارات ذات المصادر لضروب خداع القصارين والحاكة والخياطين والرفايين وغيرهم[3]، عمَّا كان يعانيه العاملين بقطاع النسيج من فاقة أنطقت لسان بعضهم بالشكوى[4].

**** الحرف الغذائية:**

ـ طحن الغلال وصنع الخبز: كان طحن الغلال ـ بحكم كونها عماد غذاء العامه والخاصة وأصل معاش الناس وسر حياتهم ـ من الحرف الغذائية الرئيسية بالمغرب. لذا كانت الأرحاء من الكثرة بحيث لا يتصور أن هناك مدينة أو قرية تخلوا من واحدة. وكانت التي تدار بالبهائم أكثر استخداما وأوسع انتشارا من المائية، التي لم تُعرف قبل القرن السادس إلا بشمال المغرب، مع أن طحينها كان أجود من المطحون بأرحاء البهائم. وحسبنا أرحاء مراكش المائية فقد كانت من عمل عبد المؤمن بن علي[5].

---

(1) **أنظر:** ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص50 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص63 ؛ ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص224 ؛ الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص72.

(2) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص12. **وانظر:** محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص93 .

(3) ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص218 ـ 226 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص103 ـ 105 ؛ الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص65 ـ 71 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص62 ـ 64.

(4) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص101.

(5) **أنظر:** الزهري: كتاب الجغرافيا، ص115 ـ 116 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج5، ص209 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص132 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص237 ؛ يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية، ص492.

وقد دلت إشارات المصادر على اضطلاع العامة بالعمل بتلك الحرفة بداية من عمل **أحجار الأرحاء اليدوية**، التي لم يكن يخلو منها في الغالب أي بيت[1]، وصولا لمن اتخذوا من الطحن بها حرفة يتكسبون منها، كهذا الذي كان يطحن للناس في بيوتهم بالأجرة، وتلك التي أعطتها امرأة زرعا لتطحنه[2]. كما استُدل من مشاهدة جارية في بيت أبي زكرياء تخدمه وتطحن له[3]، على عمل الإماء بطحن الحبوب لمسترقيهم[4]. **لكن** بما أنه: «ليس كل الناس يقدر على شراء جارية أو عبد يطحنان له»[5]، فقد قام أحدهم بطحن **معيشته** بيده، وأقدم غيره على طحن ما يأكله زائريه بنفسه[6]. **ولكن** - للمرة الثانية - بما أنه: «ليس كل الناس يقدر على عمل الطاحون في بيته»[7]. فقد كان بعضهم يحمل طعامه للرحى بنفسه[8]، أو يرسله **مع صبي صاحب الطاحون**، الذي كان يأخذ القمح من البيوت ويأتي به للطحن، ثم يرده إليها دقيقا، بعد طحن **الرحوي** له[9].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص319 [تر161] ؛ الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص98 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص141.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج4، ص417 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص84 [تر23].

(3) ابن الزيات: التشوف، ص137.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص219، 224.

(5) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص155.

(6) ابن الزيات: التشوف، ص137، 382.

(7) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص155 ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص51.

(8) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص322، 329 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص25.

(9) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص164، 172، 180 ؛ فاطمة بوزاد: جوانب اقتصادية واجتماعية من تاريخ الرحى المائية والرحويين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة يحيى فارس، المدية، الجزائر، مج1، ع1، جوان [يونيو]2020م، ص119.

بعض النساء ولاسيما الريفيات - زيادة على عدد من الرجال - كانت تعجن ذلك الطحين، أو ما طَحنَّه برحى اليد من قَمح أو شَعير أو أرز أو ذُرة أو باقلّى (فول) أو عَدس أو فول أو حُمص أو دُخْن أو جاوَرْس (إيلان بالمغربية) أو مَاش أو جُلبان[1]، أو غيره، وتخبزه بالمنزل على الطَّابِق أو في الفُرن أو الطاجن أو التنور أو الموقد أو المَلَّة أو القِدْر[2]. **وبعضهم الآخر** - بالإضافة لعدد من الرجال - كن يحملن عجينهن بأنفسهن إلى الفرن حيث كان يُقطَّع أرغفة وَيُخبز، أو يجلسن على الأبواب في انتظار **المُتجالات** (عجائز النساء) **والصبية** الذين كانوا يدورون على البيوت لأخذ العجين ورد الخبز من **أفران الخبز البيتوتي**[3]، التي كان يُخبز بها خبز البيوت نقدا أو مشاهرة أو مقابل جزء من العجين[4]. وبحسب ابن الأخوة فقد كان أكثر الناس يفعل ذلك لتعففهم عن أكل الخبز السوقي: «لأجل ما يتحرزون عليه في البيوت ويباشرونه بأنفسهم»[5].

---

(1) أنظر: ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج4، ص141 - 142، 164 - 165 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص29 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص126 [تر45] ؛ يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية، ص493، 717.

(2) أنظر: ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج5، ص211 ؛ ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص36 - 38 ؛ حورية شريد: تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته، ص162 - 163 ؛ دايفيد وينز: فنون الطبخ في الأندلس، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، ج2، ص1023 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس،، ص142 ؛ نور حكيمة: جرد بعض أفران الخبز بمدينة تلمسان، مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015م، ص20.

(3) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص201، 241 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج4، ص169، 172 ؛ ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص155 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص322 ؛ مليكة حميدي: المرأة المغربية في عهد المرابطين، ص150.

(4) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص171 ؛ يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية، ص494.

(5) ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص153.

وغير **فراني الخبز البيتوتي**، انشغل خبازون آخرون **بعمل الخبز للسوق**، وبصنع **المعجنات** من قُرَص وخلافه[1]، من الحبوب التي كانوا يطحنونها لصالحهم، أو الدقيق الذي يشترونه من **الدقاقين والحناطين** (تجار الدقيق)[2]، وذلك بمساعدة عدد من العملة: **كالعجانين والرفّادين، والوقّافين** المسؤولين عن طبخ الخبز وتعديل نار الفرن[3]، زيادة على من استخدموهم **لغربلة** الدقيق **وتقريص** العجين[4]. ناهيك عن **الغلام** المسئول عن تعليم: «أخباز الناس لئلا تختلط عليه [أي الفران] أطباق العجين فلا تُعرف»[5]، والآخر الذي تولى طرد الذباب عنها[6]، وكلهم بلا شك من المنتمين لطبقة العامة.

---

(1) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص169، 172 ؛ ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص155 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص126.

(2) هذا ما يستفاد من قول السقطي ـ في معرض حديثه عن عَمَلةُ الخبزـ: «ونذكر في ذلك مثالا جرت به العادة بينهم.. وهو أن يأخذوا قنطارا من سوم ما يبيعه الدقاق». وتنبيه ابن الحاج على الخباز متى اشترى دقيقا رديئا: «أن يخبر المشتري منه بذلك». وما ورد بالمعيار من حيث التنبيه على صاحب الفرن: «أن لا يطحن القمح الذي يعمل منه الخبز حتى يغربله وينقيه من الحجارة والعشب». (السقطي: في آداب الحسبة، ص27 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج4، ص172 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص411).

(3) أنظر: السقطي: في آداب الحسبة، ص28 ؛ ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص154 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص120 [حرفة139].

(4) أنظر: السقطي: في آداب الحسبة، ص29 ؛ ابن الحاج: المدخل، ج4، ص173.

(5) ورد ما سطرناه أعلاه ـ نصا ومعنى ـ بنسخة معالم القربة التي صححها: روبن ليوي، والمنشورة بدار الفنون، كامبردج، 1937م، ص92. وكذلك بنسخة الكتاب المخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود، تحت رقم: 5023، ورقة62. وسقطت من نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب (1976م)، ص155، التي اعتمد عليها الباحث طوال إعداده للدراسة.

(6) ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص154.

ـ **صناعة الزيوت**: لم تشر المصادر ـ رغم تنوع المحاصيل الزيتية بالمغرب في القرن السادس ـ إلا لعصر الزيت من نوعين فقط: الزيتون والأرجان. أما السمسم ـ وكان يقال لزيته الشَّيْرَج ـ فقد كان قليلا لا يعتصر[1]. أما **الزيتون** فقد استَخدم العامة لاستخلاص الزيت من حبه، ثلاثة طرق: العصر والطحن والغلي[2]. بينما استخلصوه من **الهرجان** بواسطة الطحن فقط، لكن بعد مروره بعدة مراحل لا يدع وصفها مجالا للشك في أن العامة من قاموا بها. وقد كادو لكثرته ـ ولاسيما بدرن والسوس وأغمات وحاحة ورجراجة ـ يستغنون به عن جميع الزيوت. ولا غروا فقد كانوا يسرجون منه قناديلهم، ويأتدمون به، ويقلون بواسطته الإسفنج في الأسواق، ويمشطون به شعور نسائهم، ويتداوون به[3]، هو وزيت الزيتون[4]، الذي لم تخرج استخداماته عن كل ما سلف[5]. اللهم استخدامه في صنع الصابون، الذي كان لإقبال المغاربة على استعماله دوره في رواج صناعته، ولا سيما بفاس ومراكش[6].

---

(1) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص93 ؛ العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص97 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص175.

(2) **أنظر**: كريمة عبد الرؤوف: عامة مدينة فاس، ص140 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، ص239 ؛ ابن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص321.

(3) **يقول الزهري: «فإذا طابت [ثمار شجر الهرجان] سقطت في الأرض. فتجمع وتأكلها البهائم، فترمي بأنويتها في معالفها. فتجمع تلك الأنوية وتكسر..».** (**أنظر**: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص349 ـ 350 ـ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص230 ـ 231 ؛ الزهري: كتاب الجغرافيا، ص118 ؛ ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م، ج4، ص387 ـ 388).

(4) ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج2، ص483 ـ 486.

(5) السملالي: الإعلام، ج1، ص266 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج2، ص79 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص67.

(6) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص62 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص235 ؛ ابن =

أما عن بوادي المغرب وقراه، فقد زخرت هي الأخرى بعدد آخر من **الصناعات الغذائية** ذات العلاقة بالنشاط الرعوي والفلاحي، **كصناعة الجبن**. حيث صنع العامة من اللبن بأصنافه: بقري وجاموسي وغنمي وعنزي، أنواعا عدة من الجبن: كالرطب الطري الذي يؤكل ليومه، والعتيق اليابس، والمتوسط بين ذلك[(1)]. هذا فضلا عن: عمل الرائب، والعقيد، واستخراج الزبد[(2)]، وصُنع السمن بأنواعه الثلاثة: البقري ـ وهو أطيبه ـ والجاموسي، والغنمي[(3)]. وكان السمن فوق كونه مُكَوِّناً من بين مكونات بعض الأكلات الشعبية ـ كالكسكسو بالبيسار الذي كان يُستكثر فيه من السمن، شأن غيره من الأكلات[(4)] ـ إداماً للعامة من سكان المغرب وأضيافهم[(5)].

وتزخر كتب الحسبة بفيض من الإشارات الدالة على ما كانت تعج به أسواق المغرب من صُناع الأطعمة الجاهزة، **كالطباخين**[(6)]، **والشوائين**[(7)].

=

أبي زرع: روض القرطاس، ص48 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص140 ـ 141؛ المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال، ص87.

(1) الطغنري: زهرة البستان، ص125 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص101 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج6، ص188. **وانظر:** ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص215ـ216، 220.

(2) **أنظر:** ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص218 ـ 219 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص92.

(3) ابن الحاج: المدخل، ج4، ص95 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص105.

(4) **كعصيدة الشعير بالسمن، وثردة الفول بالسمن. (أنظر:** ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص89 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص103، 251**)**.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص117 [تر17] ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص105.

(6) ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص96 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص35 ؛ ابن الإخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص173.

(7) السقطي: في آداب الحسبة، ص40.

وعَملة **البلاجة** من الأكباد، أو لحم الضأن، أو بما تعلق بقصبة رئتها حاشا الطيحال[1]. **وعملة المِرْكاس** (المقانق/ السجق) من المصران المحشو بالشحم واللحم الطري[2]، وهرائس الشحم التي أكد المحتسبون على ضرورة تفقد اللحم الذي يضعه **الهَرَّاسون (أو الهريسيِّ)** فيها، لئلا يكون قليلا أو غير مُرضي[3]. هذا فضلا عن عملة الإسفنج (**السفاجين**)[4]، وهرائس القمح (**الهراسين**) التي أوصى المحتسبون بوجوب العودة لبيعها بالسمن والعسل[5]، وعملة **الكعك والمسمنات**[6]، وعملة المجبنات المقلوة (**القلائين**) التي احتاج صانعوها لمساعدة **قطَّاع، وعجَّان** معهم[7]، إلى آخر ذلك من أصناف الأطعمة والحلوى التي عاناها الطباخون بالأسواق.

وقد كانت هذه الحوانيت الرخيصة بمدينة مثل فاس، مقصدا للأشخاص

---

(1) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص127 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص39 .

(2) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص45 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص31، 36 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج5، ص208 ـ ج10، ص47.

(3) ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص102 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص31، 37 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص577.

(4) **السَفَّاج: إسم حرفة، مشتق من الإسم إسفنج. وهو صانع الفطائر والقطائف والزلابية وبائعها. وكان الإسفنج يصنع من دقيق الدرمك وتحشى لُقمهُ بالجبن، أو بالجوز واللوز والفستق والصنوبر، وتقلى بالزيت وتؤكل.** (السقطي: في آداب الحسبة، ص36، 38 ؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص45 ؛ مجهول: الطبيخ في المغرب والأندلس، ص88 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج6، ص82 ـ 83 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص115 [حرفة97]).

(5) السقطي: في آداب الحسبة، ص31، 38 ؛ ابن عبد الرؤوف: آداب الحسبة والمحتسب، ص101 ؛ ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص94 ؛ ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص55.

(6) السقطي: في آداب الحسبة، ص39.

(7) السقطي: في آداب الحسبة، ص31، 36.

الذين لا أُسر لهم، أو المسافرون المارون بالبلدة ومن إليهم، زيادة على أهل المدينة الذين كانوا يبتاعون المطبوخات والحلويات والمعجنات من تلك الحوانيت المتراصة ـ خاصة ـ عند مداخل المدينة[1].

** الصناعات الخشبية:

اعتبر ابن خلدون **النجارة** من الصناعات الضرورية للعمران، لما للخشب بحسبه من المنافع التي لا حصر لها: «مما هو معروف لكل أحد»[2]. وهو شيء يمكن الاستدلال عليه من كم الأغراض المدنية والعسكرية المتخذة منه، وأعداد الصناع والحرفيين الذين ارتبطت صناعاتهم به[3]، لاسيما مع ما يشتمل عليه المغرب من: «ضروب الشجر وشعاري الأَرز والبلوط والطخش والبقس وما أشبهه من مكارم الخشب وأنواعه»[4]. كالعرعر، والصنوبر، والثامجاثت[5]، والنشم الأسود الذي كان: «يُعمل منه القسي والآلة والعدة، ويصرف في الأعمال

---

(1) روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ص130 ؛ عبد اللطيف الخلابي: الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بفاس خلال العصرين المريني والوطاسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011م، ص205.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص514.

(3) كالنجارين ـ الرقايقي منهم والشغايلي ـ والخشابين والعوادين والخراطين والبلاجين والقبابين واللزازين والنشارين الذين احترفوا قطع الأشجار ونشر الاخشاب لتحويلها إلى ألواح صالحة للنجارة. (أنظر: التميمي: المستفاد، ق2، ص91 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص104، 111، 121، 123، 126، 128 ؛ عبد القادر زمامة: فاس وصناعاتها التقليدية، ص474**)**.

(4) السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ص56 ؛ محمد الشريف: سبتة الإسلامية ـ دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عصر الموحدين والمرينيين، منشورات جمعية تطاون ـ أسمير، المغرب، ط2، 2006م، ص49.

(5) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص273، 331، 341 ؛ البكري، المغرب، ص90، 147، 156.

الكثيرة»[1]، كصنع آلات الري وأدوات الفلاحة، كالمحاريث، ومقابض الفؤوس والمجارف والمساحي والمناقش والمناجل[2]. وصنع السواقي، والسواني، والنواعير، والدواليب، والخطارات[3]. وصنع خلايا النحل[4]، وعرائش العجلات، ودواليب الطواحين، وآلات حلج الصوف والكتان[5]، ومغازل الألياف النسيجية[6]، إلى آخر ذلك من آلات الزراعة ومعدات الصناعة التي اضطلع **العوادون** بصنعها[7].

كذلك استخدمت الأخشاب بقطاع البناء وتجهيز المنازل. حيث صنعت منها ألواح **الطابية** (اللوح / تلوحت)، أي القالب الذي كان يستخدمه **اللواح** أو **الطواب** في بناء الأسوار وحيطان المنازل من التراب المخلوط بالجير والماء، وفي صنع **المركز** أو **المدوس** الذي كان يُدَكُّ به ذلك الخليط[8].

---

(1) ابن غازي: الروض الهتون، ص62 ؛ أبي الخير الإشبيلي: عمدة الطبيب، ج1، ص392.

(2) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص118، 122، 134 ؛ ابن العوام: الفلاحة الأندلسية، ج1، ص509 ؛ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، ص75 ـ 76 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص136.

(3) **أنظر:** ابن الزيات: التشوف، ص187، 176 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص121، 401، 407 ؛ أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص62 ؛ محمد بن عميرة: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الموحدين، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005م، ص224ـ 234،236 ؛ يحيى أبو المعاطي: الملكيات الزراعية، ص503 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص136.

(4) أبي الخير: كتاب في الفلاحة، ص73.

(5) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص244.

(6) محمود هدية: اقتصاد النسيج، ص130.

(7) **العواد: النجار المختص بصنع أدوات العود من عربات ومحاريث ومذاري ومغارف وغيرها. ويعرف سوقهم بـ العوادون. (أنظر:** عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص121 [حرفة149] ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج7، ص348 ؛ عبد اللطيف الخلابي: الحرف والصنائع وأدوارها، ص187 ـ 188**)**.

(8) ابن خلدون: العبر، ج1، ص512 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص126. **وأنظر بخصوص صنعها وطريقة البناء بها:** إسماعين بن نعمان: =

واستخدمه **النجار الشغايلي**[1]، في عمل الأسقف، وصنع شبابيك وأبواب المنازل[2]، والحصون[3].

والبلاج في صنع المغاليق لتلك الأبواب[4]. **واللزاز** في عمل اللزازات الخشبية التي كانت تقوم مقام المسامير الطويلة في: «ضم أجزاء المصنوعات الخشبية من أبواب وشبابيك وقناطير خشبية»[5].

كما نُجرت منه **العنزة** (ألواح بسيطة أو محراب صغير) المتخذة ـ من خشب الأرز ـ لتحديد القبلة للمصلين بصحن القرويين في زمن الصيف[6]،

=

حرفة البناء ببلاد المغرب الأوسط ـ تقنية الطابية أنموذجا، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، الجزائر، ع4، جوان (يونيو) 2013م، ص465 ـ 473.

(1) **النجار الشغايلي: هو محترف وضع قناطر البناء، والسقوف والأبواب الكبرى.** (عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص128).

(2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص44 ؛ ابن ابي زرع: روض القرطاس، ص43، 204.

(3) **الإشارة هنا لـ باب حصن تاسغيموت. وقد كان يشرف من موقعه بجنوب شرقي مراكش على وادي أغمات لحماية عاصمة المرابطين، لكن الموحدين أحرقوه وحملوا صفائح الحديد منه وركبوها في تينملل على باب الفخارين. (أنظر:** أخبار المهدي، ص45، 91 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص224 ؛ عثمان عثمان إسماعيل: عمارة المرابطين الحربية في نطاق فلسفتهم الجهادية، مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة 23/ 2، ع220، ص77).

(4) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص59 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص104[حرفة13] ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج1، ص417.

(5) عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص126 [حرفة188].

(6) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص65 ؛ صلاح أحمد البهنسي: عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، كلية الآداب، مقررات التعليم المفتوح ـ جامعة عين شمس، د.ت، ص201.

وصنعت منه كذلك **أبواب** المسجد ذاته، **والقباب** المنصوبة على ظهرها[1]، بالإضافة **لمنبره** المنجور من النارنج والعناب والعاج والصندل وأصناف الخشب العظيم[2].

ليس هذا فقط، بل وصنع **الخراطون** منه ـ بلوطا كان أو بطما أو زيتونا أو دردارا أو بقسا أو عنابا ـ عددا من أواني الخشب المخروطة وصحاف العود المستخدمة في إعداد وتقديم الطعام[3]. كالمهارس والمغارف والملاعق، والأعواد التي يقطع عليها اللحم، والألواح التي يمد عليها الخبز والكعك، والمخفية التي تقدم عليها المجبنة، والآلة التي يصنع بها المركاس [4]. إلى آخر ذلك من المخروطات التي اشتهرت بصنعها عدة مدن مغربية، وخاصة فاس التي كان لأهلها: «اليد الطولى في صنع المخروطات من الخشب»[5].

---

(1) **الإشارة هنا لباب الفخارين، الذي صار يعرف على أيام ابن أبي زرع بالشماعين.** (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص60 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص67).

(2) **أنظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص62 ؛ محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت، ص159 ؛ عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الهلال العربية للطبع والنشر، الرباط، المغرب، 1993م، ج2، ص186 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص234.

(3) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص341 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص100 ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص270 [تر635] ؛ مجهول: الطبيخ في المغرب والأندلس، ص84 ؛ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس، ص111 [حرفة57].

(4) مجهول: الطبيخ في المغرب والأندلس، ص84 ؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص36 ؛ ابن رزين: فضالة الخوان، ص85، 61.

(5) العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص92 ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص157.

ولا ننسى استخدم العامة للأخشاب في صنع الآلات والمعدات الحربية [1]، وبناء المراكب والقوارب والحراريق والسفن التجارية والعسكرية، التي اشتهرت بصنعها عدة مدن مغربية داخلية وساحلية[2]، كبادس[3]، وفاس[4]، وقصر مصمودة وسبتة وطنجة اللائي غلب على انتاجهم - بحسب عز الدين موسى - الطابع التجاري، لكونها يسافر بها إلى الأندلس[5]. على خلاف ما ذهبت إليه إحدى الدراسات المتخصصة من أن **نوع الحمولة فقط** كان هو وسيلة التمييز بين سفينة وأخرى حتى أواخر العصر الوسيط، لا شكلها أو حجمها أو وجهتها[6].

---

(1) أنظر: بوقاعدة البشير: آلات الحصار بالمغرب، ص162 وما بعدها ؛ د. عادل عواد الطائي: تسليح جيش المرابطين، ص141 وما بعدها ؛ د. فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، ص169 وما بعدها ؛ هشام المتوكل: أثر الحرف التقليدية في تطور إنتاج الأسلحة بالمغرب، مجلة القبس - جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، مج3/ 1، جوان 2019م، ص262 وما بعدها.

(2) محمد القبلي: تاريخ المغرب - تحيين وتركيب، ص238.

(3) أنظر: عمر أشهبار: بادس حاضرة بلاد الريف بالمغرب، مجلة دراسات تاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العراق، ع19، كانون الأول [ديسمبر] 2015م، ص12 ؛ حسن فيكيكي: بادس حاضرة الريف الغربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب، ع18، 2016م، ص362 ؛ مجهول: باديس المجاهدة، مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة16/ 10، ع162، صفر 1395هـ - مارس 1975م، ص100 ؛ أحمد حمود حاتم المخلافي: المدن والحصون في الشمال الغربي المغربي من الأدارسة إلى ظهور المرابطين، رسالة دكتوراة غيرمنشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، جامعة ابن طفيل، الجزائر، 2009م، ص196.

(4) الجزنائي: جنى زهر الآس، ص37 ؛ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص136 ؛ فاطمة عبد القادر رضوان: أسواق مدينة فاس في عصرالمرابطين، ص146.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص529 ؛ الإدريسي: صفة المغرب، ص168 ؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص232 ؛ محمد الشريف: سبتة الإسلامية، ص48.

(6) أحمادو تال ديالو: النقل ووسائله بالغرب الإسلامي، ص300.

**** الصناعات الزجاجية:**

مثلت صناعة الزجاج مورد رزق للعديد من **الزَجَّاجِين** العاملين بأفران الزجاج(1)، ولاسيما **بمدينة فاس** التي اشتهرت بصناعة الزجاج الملون خاصة. بدليل تلك القطع الـ: «متقنة من أنواع الزجاج وألوانه» التي تم تركيبها على أحسن ما أريد في الشمسيات التي بجوانب قبة جامع القرويين(2). كذلك كانت **أغمات** - نتيجة توفرها على المادة الأولية - من المدن المشتهرة بصناعة الزجاج. حيث برع زجاجوها في صنع: «صنوف النظم من الزجاج» الذي كان يتم تصديره لبلاد السودان(3). تماما كسجلماسة التي كان تجارها يسافرون بدورهم لغانة بخرز الزجاج الأزرق(4).

بيد أن صنوف النظم وخرز الزجاج اللذين كانا يُتحلى في السودان بهم(5)، لم يكونا كل ما أنتجته معامل الزجاج بالمغرب، بدليل ما عثر عليه بحفريات جاو وتمبكتو وكومبي وأودغشت من أواني زجاجية وكؤس ومزهريات ومصابيح زيتية: «صنفت ضمن قائمة البضائع الكمالية التي جلبها السودان من الشمال»(6). وما ورد بمصادر الفترة عن الأوعية والأطباق والأواني المتخذة من الزجاج(7).

---

(1) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص440 ؛ المعز بن باديس: عمدة الكتاب، ص35.

(2) الجزنائي: جنى زهر الآس، ص68 ؛ عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية، ج2، ص132. **وانظر:** ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص48 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص406 ؛ حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص357.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص46 ؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص219 ؛ حازم محمد جيران الفهداوي: مدينة أغمات - دراسة تاريخية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العراق، ع2، ديسمبر 2014م، ص92.

(4) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص12.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص20 ؛ الحميري: الروض المعطار، ص64.

(6) جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، ص180.

(7) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص79، 252، 261.

** **الصناعات الخزفية والفخارية:**

كانت من أوسع الحرف انتشارا ومنتجاتها من أكثر السلع استخداما، سواء أكانت أدوات منزلية أو منتجات معمارية (آجُر وقرميد). فمن حيث الانتشار دلت المخلفات الآثارية أن **سلا** كانت مركزا هاما لصناعة الخزف[1]، هي **ومراكش**[2]، وأيضا **سجلماسة** التي أثبتت نتائج الحفريات الأركيولوجية أن أكثر من 60% من الأواني الفخارية التي نقلت لأودغست (فيما بين القرنين 9م: 12م) كانت مصنوعة بها[3]. وكذلك **فاس** التي طبقت شهرة فخارها الأفاق، ووصلت منتجاتها ـ بحسب أحد الأبحاث الأركيولوجية ـ حتىGAO (شمال شرق مالي) ببلاد السودان[4].

أما عن سعة استخدامه فآلاف قطع الآجُر والقرميد التي صنعها **اللواجريون والقرميديون** لاستغلالها بعمائر المرابطين الدينية والمدنية شاهدة على ذلك[5]، وأواني الفخار على اختلاف أشكالها وأنواعها واستخداماتها خير

---

(1) كينيث بروان: موجز تاريخ سلا، ص38/ حا35 ؛ محمد بن علي الدكالي: الإتحاف الوجيز ـ تاريخ العدوتين، تحقيق: مصطفى بوشعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، المغرب، ط2، 1995م، ص46.

(2) المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال، ص87.

(3) حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها، ص392 ؛ العربي الرباطي: سجلماسة مركز القوافل التجارية، المجلة العربية للثقافة، تونس، مج24، ع47، سبتمبر 2005م، ص104 ؛ محمد القبلي: تاريخ المغرب ـ تحيين وتركيب، ص238.

(4) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص137.

(5) **استخدم الطوب المحروق (الآجر) بمراكش في بناء مسجد الطوب. وفَرَّش صخر بن مسعود البناي وَبَنَى بالأربعة وأربعين ألف آجرة التي صنعها اللواجريون (صناع الآجر أو اللاجور كما تنطقها العامة) له على نفقته، صحن جامع القرويين بفاس، وغطى سقفه بالـ 467.300 قرمودة التي صنعها القرميديون له من الطين المنضوج بالنار، للاستفادة من مميزاته المتمثلة في الحماية من =**

دليل. حيث صُنعت منه جِرار وخوابي الزيت (الجرة العظيمة ومفردها خابية)[1]، وقلال السمن والخل، التي كان يسمى صانعها **بالقَلاَّل**[2]، وتجهيزات المطبخ وأواني الطعام من وعاء، وإناء، وقدر، وطاجن، ومقلاة، وملة، ومَحْبَس، ومُخفية، ومثرد، وغضارة[3]، وهو إسم لإناء فخاري أو خزفي مصنوع من الصلصال، كان يسمى صانعه غضَّار[4]. ولعل كثرة تلك الأسماء من بين ما دفع دايفيد وينز للقول بأن أكثر أنواع قدور الطبخ شيوعا بالمغرب: «قدور الفخار»[5].

=

الأمطار، والتخفيف من وطاة الحر، ناهيك عن المنظر الجمالي الذي كانت يضفيه لونه الأخضرالقاتم. كما اعتمدت قنطرة تانسيفت التي يبلغ طولها أربعمائة متر على 21 قوسا مبنية بالآجر والجير. (أنظر: روض القرطاس، ص62 - 63 [حاشية 46]، 66- ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص315 ؛ عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية، ج2، ص143، 161 ؛ جديد عبد الرحيم: نماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين الحمادية والزيانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع11، 2017م، ص148).

(1) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص270 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص48 - ج6، ص185.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص260 ؛ البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج3، ص225 ؛ الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص185 [حاشية المثل 813].

(3) ابن رزين التجيبي: فضالة الخوان، ص43، 45، 49، 59، 83، 85، 132، 217، 218، 219.

(4) دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج7، ص412 - 413.

(5) دايفيد وينز: فنون الطبخ في الأندلس، ص1024.

النشاط التجاري:

عُرِّفَت **التجارة** بأنها: «تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء. إما بانتظار حوالة الأسوق [من الرخص إلى الغلاء]، أو نقلها إلى بلد هي فيه أنفق وأغلى، أو بيعها بالغلاء على الآجال»[(1)]. وقد تجلت أهميتها - داخلية كانت أو خارجية - في دفع عجلة الاقتصاد. وهو الدور الذي لم يكن ليتأتي لها الاضطلاع به لولا امتداد رقعة الدولة الذي تحقق على يد المرابطين، وما ترتب عليه من فتح منافذ متعددة وطرقا مختلفة لتسويق المنتوجات الزراعية والصناعية. ولولا الأمن والاستقرار اللذين عَمَّا المغرب الأقصى بعد تمكنهم من السيطرة على كل أجزائه. ولولا اهتمامهم الذي أولوه للتجارة، وعملهم على تنشيطها، بإسقاط الضرائب غير الشرعية، وتمهيد الطرق وبناء القناطر وتشييد الفنادق والحمامات، وما إلى ذلك من المشاريع العمرانية التي استهدفت تسهيل الحركة التجارية وتوفير سبل الاقامة ووسائل الراحة للتجار.

ولولا التطور الحاصل في القطاعين الزراعي والصناعي، والذي كان من أهم دلائله: زيادة الانتاج الفلاحي وانخفاض أسعاره وتصدير الفائض منه، وكثرة وتنوع الانتاج الصناعي وتطوره، نتيجة كثرة الطلب على المواد الاستهلاكية، واتساع مجالات البناء العمراني ولواحقه. حيث خلق هذا التطور رواجا كبيرا للسلع المصنعة والمواد الأولية القابلة للتصنيع وخاصة المعدنية والفلاحية، واتسعت على أساسه مجالات التسويق والمبادلات، وكثرت الأسواق المتخصصة داخل المدن لتداول تلك المنتجات المصنعة[(2)]. صحيح تولى بعض

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص495.

(2) أنظر: ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص50 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص137، 167 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص266 - 267 ؛ محمد ناصح: بعض عوامل التطور التجاري في المغرب خلال القرن 6هـ/ 12م، مجلة أمل، مج2، ع6، 1995م، ص5 وما بعدها ؛ فتحية محمد الوداني: الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في عصر =

الفلاحين والحرفيين بيع منتوجاتهم بأنفسهم، لكن أعمالهم تبقى محدودة مقارنة مع أعمال التجار(1).

أما **التُجَّار** فَعُرِّفُو بأنهم: «كل العاملين في الحقل التجاري، والذين يسهرون على عملية التبادل التجاري، بما فيها البيع والشراء ونقل السلع والإشراف على عملية التصدير والاستيراد». وصنفو وفقا لوضعهم الاجتماعي ونوعية النشاط التجاري وقيمة الاستثمارات الموظفة به، لثلاثة أصناف(2): **كبار التجار**، الذين كانوا ينتقلون بسلعهم بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك الكبرى، ويوظفون مقادير من الأموال تجاوز الأربعة آلاف دينار، ويجهزون ما بين السبعين والثمانين والمائة جمل موقرة(3). ثم **صغار التجار والباعة المتجولون**، الذين انحصرت تحركاتهم في البوادي القريبة والمدن المجاروة، ووافق مستوى عيشهم عيش بقية سكان المدن ذوي الحرف البسيطة. ثم الصنف الثالث المتمثل في **الدلالين والصاحة والسماسرة** وغيرهم من وسطاء العملية التجارية(4).

=

المرابطين، مجلة البحوث الأكاديمية،الأكاديمية الليبية، مصراتة، ليبيا، ع5، يناير 2016م، ص212-213، 215.

(1) عبد اللطيف الخلابي: الحرف والصنائع وأدوارها، ص349-350.

(2) محمد بن ساعو: التجار المغاربة في العصور الوسطى من خلال المصادر الفقهية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع2، 2014م، ص23 ؛ التجارة والتجار في الغرب الإسلامي، ص172. **وانظر:** عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص278.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص232 ؛ محمد ناصح: مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية، ص75-76. **وانظر:** محمد بن ساعو: التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 7-10هـ / 13-15م، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2014م، ص172-174 ؛ عزالدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص279-280.

(4) محمد بن ساعو: التجار المغاربة في العصور الوسطى، ص23 ؛ محمد بن ساعو: التجارة والتجار في المغرب الإسلامي، ص175 - 177 ؛ المحجوب قدار: جوانب من إسهام التجارة
=

وبخلاف الفئة الأولى، تشكلت الفئتان الأخيرتان من المنتمين لطبقة العامة. وقد كانت لهم - أعني العامة - في التجارة وجهتي نظر كشفتها أمثالهم. أما **الأولى** فقد كانت مرة تُرغِّب في العمل بالتجارة حتى ولو لم يكن فيها ربح. ومرة تؤكد ما للتجارة من فضل يضمن لصحابه مغالبة الفاقة والفقر، ومدافعة نوائب الدهر[1]. بينما دعت **الثانية** لترك التجارة وغلق حوانيتها، وذمتها بسبب ما كانت تُكسبه لصاحبها من أخلاق بعيدة عن المروءة، كانت السبب في تحامي (حذر وتجنب) الأشراف وأهل الرئاسة الاحتراف بها[2].

على أية حال باشر صغار التجار (الباعة) نشاطهم داخل حوانيتهم التي اكتروها بإحدى القيساريات أو الأسواق[3]، سواء الثياب أو القراقين، أو الخرازين[4]، أو الشقاقين[5]،

=

الخارجية في بروز النخبة التجارية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط ق6-8هـ، مجلة عصور الجديدة، مج9/ 1، مايو 2019م، ص105.

(1) قالت العامة: «لِسْ تبيع البيض كما تشريه؟ قال يعجبني جريه»، وقالت: «الحانوت هي إن لم تغدِّ تعَشِّ»؛ وقالت: «صاحب دُكان ما يحتاج بُستان». (الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص245 - ج2، ص282 [مثل1221] - ص69 [مثل293] - ص364 [مثل1602]؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص174).

(2) قالت العامة: «تِدْ تَرْبَحَ لا تَفْتَح» أي لا تفتح دكانا؛ وقالت: «تَرْكُ التَجْرْ تَجْر»؛ وقالت: «الفِلاحة مُتعة، وَالصِّناعَة منعة، وَالتِّجَارة فَجَارة». (ابن خلدون: العبر، ج1، ص496؛ ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص285؛ الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص158 [مثل710 وحاشيته]؛ مختار المومني: الفلاحة في أمثالنا العامية، ص67).

(3) ابن الزيات، ابن الزيات: التشوف، ص393، 447.

(4) ابن القطان: نظم الجمان، ص268.

(5) الشقاقين: هم بائعي الشقة من الثياب، أي القطعة المشقوقة شقا مستطيلا. وقد كان الشقّاق - مع الوضع في الاعتبار أن السوق المشار إليه آنفا كان بسبتة - إسما شائعا لتاجر المنسوجات في قرطبة. (القاضي عياض وولده محمد: مذاهب =

أو الحدادين، أو الغزالين[1]، أو العطارين[2]، أو الحواتين[3]، أو الصيارفة[4]، أو البقر أو غيرها[5]، عن طريق تقديم أعلى سعر لأصحابها في الموضع الذي يجتمع الناس فيه لكراء الربع[6]. بينما أضطر من عجزوا عن كراء حوانيت يمارسون بها تجارتهم[7] ـ ولاسيما في الدور الثاني من عصر المرابطين الذي سائت فيه أحوال التجار نتيجة اتجاه الدولة لفرض الضرائب على كل السلع بل وتحصيلها أكثر من مرة[8] ـ إما لاتخاذ مقرات سكنهم حوانيت[9]، وإما لافتراش الأرض داخل السوق[10]، وإما للتجول ببضائعهم في الطرقات، والتطواف بها على البيوت، ودخول الأزقة، وسلوك المواضع البعيدة[11].

وعادة ما كانت أسعار بضائع هؤلاء الباعة المتجولون ـ التي ربما تقاضوها زرعا ـ أقل من المعروضة بالحوانيت، لذلك فضَّل بعض الأهالي الشراء منهم، وخاصة النساء اللائي كن يخرجن إليهم وهن مكشوفات الوجه، رغم تحذير أمثالهم من شراء

=

الحكام، ص194 ؛ سعيد مغاوري: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف، ج1، ص495 ؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج2، ص627).

(1) السملالي: الإعلام، ج1، ص251، 256 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص475.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص447.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص137؛ ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ج1، ص 336.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص100.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص97.

(6) التميمي: المستفاد، ق2، ص61.

(7) بسبب ارتفاع قيمة كرائه في الغالب. ولا غروا فقد وصلت قيمة كراء حانوت بسوق العطارين إلى ستين دينار. (أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص447**)**.

(8) أنظر: عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص267، 279.

(9) محمد ناصح: مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية، ص80.

(10) التميمي: المستفاد، ق2، ص64 [تر12].

(11) ابن الحاج: المدخل، ج1، ص101 ؛ بوتشيش: الإسلام السري، ص181.

تلك السلع الرخيصة. لكن ذلك الإقبال لا يعني أن مستوى عيشهم كان مختلفا بحال عن مستوى عيش غالبية سكان المدن المشتغلين بحرف بسيطة أخرى[1]. حيث يُفْهَم من قول ابن خلدون: «والربح بالنسبة إلى أصل المال يسير، إلاّ أن المال إذا كان كثيرا عَظُم الربح لأن القليل في الكثير كثير»[2]، أن التجارة لم تكن مربحة للجميع، وإنما لكبار التجار وأصحاب الأموال فقط. وحتى هؤلاء لم يُحَصِّلو تلك الأرباح إلا "بعظم العناء والمشقة"، بل وربما لا يحصلون على شيء من الأساس أو تتلاشى رؤوس أموالهم بالكلية، نتيجة ممطالة الباعة (صغار التجار) في سداد أثمان بضائعهم، أو جحودها ونكرانها - إن لم تقيد بالكتابة والشهادة - من الأساس. اللهم إن كان التاجر جريئا مقداما، ومجادلا شكسا، وبصيرا بالحسبان، وذو جاه عند الحكام، فقد كان من هذا شأنه أقرب إلى النَّصَفَةِ واستخلاص ماله من غرمائه طوعا أو كرها. أما من فقد الجراءة في نفسه والجاه من الحكام، فقد نصحه ابن خلدون بتجنب العمل بالتجارة، لئلا يعرض ماله للضياع والذهاب، ويُصيِّره مأكلة للباعة الشرهون إلى ما في أيدي سواهم[3].

على أية حال كان هناك بالإضافة لكبار وصغار التجار صنف آخر محسوب على العامة، ومسئول عن آداء بعض المهام الملحقة والمكملة لعمل التجار والنشاط التجاري. نذكر منهم: **الوسطاء**، الذين انتشروا في الأسواق للتوسط بين الباعة والمشترين، وهؤلاء كانوا ينقسمون لنوعين: متنفذين في الأسواق، وفقراء[4].

---

(1) **قالت العامة: «اللي عجبه رخصه، في الدار يرمي نصه»، وقالت: «عند رخصه، تخلّي نصه». (أنظر:** الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص197 ؛ عبد القادر الخلادي: أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية، ص127 [مثل56، 57] ؛ محمد بن ساعو: التجارة والتجار في المغرب الإسلامي، ص175 ؛ محمد ناصح: مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية، ص80**)**.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص495.

(3) ابن خلدون: العبر، ج1، ص495 - 496.

(4) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص283 ؛ بان علي محمد البياتي: النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3 - 5هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2004م، ص108.

أما الفقراء فقد كان من بين المنتمين إليهم: **الدلالين** (السماسرة أو النخاسين)[1]، وإن كان أحد الباحثين قد جعلهم من بين المتنفذين، إستنادا لاستحواذهم على نصف ربح السلع التي ينادون عليها لصالح التجار، أو على فرق السعر المتحصل من بيع السلعة بأكثر من سعرها الذي حدده صاحبها[2]. لكن ذلك ـ وإن كان صحيحا ـ لا يمنع من وجود دلالين فقراء، بدليل اضطرار أحد دلالي قيسارية مراكش لاستئجار فرس ليلقى عليه زوجته وأولاده الواصلين إليه من مدينة فاس[3]. أما فقرهم فربما كان سببه قلة شهرتهم التي ترتب عليها استخدامهم في انجاز صفقات هزيلة لا تغني أرباحها ولا تسمن من جوع. وربما كان سببه أن أسعار البضائع التي ينادون عليها كانت: «أقل ثمنا من التي في الحوانيت وأرخص منها»[4].

وغير الدلالين كان هناك **البرَّاح**: الذي ينادي في الأسواق على السلع [5]، **والمتصرفة**: أي العجوز التي كانت تدخل إلى الدور برسم قضاء حوائج النساء: «والبيع والشراء لهن وإحضار ما يحتجن إليه من الأسواق»[6]. **والدلالة**[7]: التي كانت تبيع أسباب النساء من الخرق والأخفاف وغيرها: «وتدخل عليهن بما

---

(1) التسولي: البهجة في شرح التحفة، ج2، ص463 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص202 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص175 ؛ بوتشيش: الإسلام السري، ص181.

(2) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص284 ؛ ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج2، ص832 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص230.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص393.

(4) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص197.

(5) الزجالي، أمثال العوام، ج2، ص132 (حاشية المثل 581).

(6) التيفاشي: نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق: جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ـ قبرص، 1992م، ص77.

(7) الونشريسي: المعيار المعرب، ج5، ص238.

تبيعه لهن أو تبتاعه منهن »[1]. **والحمالون**[2]، الذين كانو يحملون البضائع من مكان لآخر على ظهورهم أو ظهور دوابهم[3]، **ومرافقي القوافل، والمكلفين بحراستها**، الذين كانوا يعدون من أكثر العاملين بقطاع التجارة فقراً[4].

خلاصة القول أن العامة شاركوا بفاعلية في كل الأنشطة الاقتصادية الموجودة بالمغرب في عصر المرابطين. زراعة وصناعة وتجارة. حيث تنوعت الأعمال الفلاحية التي اضطلع العامة بها على سبيل الخدمة لزروعهم وانقسمت لعدة مراحل: أولها تسميد الأرض، ثم حرثها وتقليبها، ثم تسويتها، ثم بذرها أو غرسها، ثم ريها وتنقيتها، وأخيرا حصاد محاصيلها وتخزينها. وكلها أمور كانت تتطلب الكثير من الوقت والمجهود من الفلاحين أصحاب الخبرة، زيادة على حيوانات قوية لتساعدهم على إنجاز الأعمال الزراعية المختلفة. ما استدعى منهم الاستكثار من المواشي والحرص على إيرادها أفضل المراعي، إما بأنفسهم أو بصحبة رعاة مختارين بحرص.

لم تقتصر مشاركة العامة بالصناعة على مرحلة صناعية بعينها، بل تحملوا عبء تصنيع أي منتج كان، بداية من وهو مادة خام، معدنية كانت أو خشبية أو نسيجية أو غير ذلك، مرورا بتجهيزها، انتهاء بوصولها لمرحلة المنتج الجاهز للاستخدام. لكن عمق مشاركتهم هذه لم يغنيهم على ما يبدوا من معاناة الفقر ومكابدة العوز، حيث كانت أجورهم وعوائد إنتاجهم بالكاد تكفيهم وتقوم بلوازم بيوتهم، ربما بسبب الطابع المنزلي الذي كانت تتسم به أغلب تلك الصناعات، والطابع البدائي الغالب على آلاتهم وأدواتهم التي كانت بالكاد قادرة على سد الاحتياجات المحلية لسكان المغرب الأقصى في عصر المرابطين.

---

(1) التيفاشي: نزهة الألباب، ص77.

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص184.

(3) المراكشي: وثائق المرابطين والموحين، ص596.

(4) محمد ناصح: مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية، ص81.

أنهم عملوا بالتجارة داخل حوانيتهم التي اكتروها بإحدى القيساريات أو الأسواق، أو تجولوا ببضائعهم في الطرقات وطافوا بها على البيوت، ومارسوا الوساطة والدلالة، ورافقوا القوافل التجارية وتكفلوا بحراستها.

* * *

الفصل الرابع

الوضع الثقافي للعامة

ـ دور العامة في النشاط الثقافي:

ـ المؤسسات التعليمية:

الكتاتيب

الـرُّبط

المساجد / المدارس

ـ أهم مراكز التعليم والثقافة

مدينة فاس

مدينة مراكش

مدينة سبتة

مدينة سجلماسة

مدينة أغمات

مدينة مكناس

ـ أهم العلوم والعلماء:

علم التفسير

علم القراءات

علم الحديث

علم أصول الفقه

علم الفقه

علم الكلام

علم التصوف

علم اللغة

علم النحو

علم الأدب

دور العامة في النشاط الثقافي

لن يناقش الباحث أقوال من وصموا حياة المرابطين الفكرية بالنضوب والاضمحلال والجمود، ولن يلتفت لمبالغاتهم في وصف ما اعتبروه حجرا للفكر وتقييدا له واضطهادا لأهله، لئلا يحيد عن غرض المبحث الأساسي، ولأنه يرى في الثراء الفكري والزخم المعرفي الذي أنتجته قرائح العامة وغيرهم، نتيجة تأثرهم - غالبا - بالأعراض الجانبية لسياسة عواهل المرابطين العسكرية والدينية وشجاراتهم الفكرية، ردا كافيا.

بالفعل، فالمرابطين - من وجهة نظر الباحث - لم يدعموا الحركة الفكرية بشكل مباشر، بقدر ما تسببت أعراض سياستهم الجانبية في دعمها ودفعها خطوات واسعة إلى الأمام. فمثلا كان **لقيام دولتهم على أساس ديني**[1]، وما ترتب عليه ذلك من اهتمامهم بتوسعة[2]، وبناء المساجد في جل المدن التي فتحوها أو أقاموها. إما على نفقتهم[3]، وإما بإجبار أهل تلك المدن على بنائها[1].

---

(1) **أنظر:** الشيخ عدة: جهود الفقيه عبدالله بن ياسين في تكوين العصبية الدينية المرابطية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع2، 2014، ص42 - 45.

(2) **كالتوسعة في مسجدي القرويين وسبتة. أنظر في توسعة القرويين:** عبد الهادي التازي: جامع القرويين، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط2، 2000م، ج1، ص66 - 67؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص59 - 60؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص67 - 68؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص68 - 69؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص398. **وانظر في توسعة مسجد سبتة:** مجهول: الحلل الموشية، ص72.

(3) **كمسجد الطوب الذي بناه يوسف بن تاشفين في مراكش عند تأسيسها سنة 454هـ (أنظر:** الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص234؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص138؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25؛ حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156**). ومسجد علي بن يوسف - ويطلق عليه أيضا إسم جامع السقاية - الذي بناه علي بن يوسف بمراكش سنة 525هـ، بتكلفة قدرها ستين** =

أثره في اجتذاب الكثير من الفقهاء والمحدثون ورجال الفكر وأرباب الأدب، لعقد حلقاتهم بها. لتواصل المساجد القديمة من خلالهم تأدية دورها في نشر العلم وتفهيمه، ولتخطوا الحديثة بواسطتهم أولى خطوات بث رسالتها الجليلة. **كالقرويين** الذي استمر يقدم خدماته العلمية منذ أيامه الأولى(2)، وحتى عصر المرابطين الذي صار فيه لا مجرد مسجد بل جامعة(3). وكالسقاية، جامع علي بن يوسف، الذي شرع منذ بنائه (525هـ) في مباشرة دوره الثقافي، ومساهمته في تهذيب العلوم وتقديمها إلى جانب القرويين(4).

كذلك كان **الأمن والاستقرار** اللذين تولدا عن إحكام سيطرتهم على

=

وقيل **سبعين ألف دينار.** (البيذق: أحبار المهدي، ص27 ؛ حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156 ؛ ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ص20 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص166 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص396، 397).

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

(2) أنظر: يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص424-426.

(3) أنظر: الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986م، ص187 ؛ يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص428 ؛ على محمود الجندي: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص309 ؛ إيمان بنت دخيل الله العصيمي: العلاقات الثقافية بين المراكز العلمية الأندلسية ومدينة فاس من القرن السادس الهجري حتى سقوط غرناطة، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، ع37/ 2، يوليو 2014م، ص892.

(4) حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156 ؛ عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية خلال العهد المرابطي، حوليات كلية اللغة العربية بمراكش، المغرب، ع3، 1994م، ص139 ؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص75 ؛ ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ص20.

المغرب والأندلس، وإخماد نار العصبيات، وإماتة المذاهب[1]، سببًا في خلق الأريحية اللازمة لتلقي العلم ونقله؛ وفي تشجيع ـ أيا من كان ـ على الانتقال للمغرب الأقصى "دون قيد" على حد تعبير **أوليري**[2]، لنشر العلم أو تلقيه عن أهلها والطارئين عليها[3].

---

(1) **ألمح كثيرمن الباحثين لدور الاستقرار في دفع عجلة الفكر، أمثال:** محمد عبد العزيز الدباغ: جامع الأندلس بفاس مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة6/ 1، ع53، جماد الأول 1382هـ ـ أكتوبر 1962م، ص16 ؛ ريم راشد: موقف العلماء من السلطتين المرابطية والموحدية، ص14ـ 15، 17 ؛ فتحية محمد خير الوداني: أثر الفقهاء والعلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فاس في عصر المرابطين، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات، جامعة عين شمس، ع13، 2012م، ص1015 ؛ سلامة محمد سلمان الهرفي: الأحوال السياسية وأهم مظاهرالتطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1982م، ص357، 377 ؛ د. يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص428 ؛ أحمد عبيدلي: الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين 6 ـ 7 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، 2005م، ص25 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص426 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص443 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص269.

(2) دي لاسي أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982م، ص201.

(3) **الأمر أشهر من أن يُدلَّل عليه، لذلك يكفينا ما ورد بترجمة عالم الحديث محمد بن أحمد بن محمد بن مُطَرِّفِ بن سعد التجيبي الذي: «انتقل قديما من بلده [قلعة أيوب] لنائرة العدو، فاستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة»** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص62 [تر117]). **وما ورد بترجمة محمد بن أحمد البيراني الذي: «خرج من بلده ألبيرة خوفا من العدو، فاستوطن مدينة فاس إلى أن توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة»** (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص258 [تر264]). **وما ورد بترجمة ابن الرماك، الذي: «توفي**

كذلك كان **لإتساع رقعة دولتهم، وامتداد نفوذهم السياسي، وتشعب علاقاتهم الخارجية**، وما ترتب على ذلك من تطور للنواحي الإدارية، وما استلزمه هذا من استخدام عدد كبير من الوزراء والكتاب والإداريين برسم تسيير دفة الحكم؛ دوره في: «إذكاء روح المنافسة بين الكتاب على تلك المناصب، عن طريق التبريز في مناحي العلم - وخاصة الأدب - وتجويد الكتابة، ليرقوا إلى مناصب مرموقة في البلاط المرابطي أو ديوان الإنشاء»[1].

كذلك كان **تقريبهم للفقهاء، وتحكيمهم في نوازلهم، وصدورهم عن رأيهم، وصرف الأمور إليهم**.. إلى آخر ذلك من التعبيرات المستخدمة لوصف مكانتهم[2]؛ سببا في رواج كتب الفقه[3]، وإقبال **العامة** على تعلمه؟ لِيَحْظَوا

=

بسبتة فاراً من الغلاء الواقع ببلده والفتنة سنة 541هـ/ 1146م، وسنهُ نحو الخمسين» (ابن الآبار: التكملة، ج3، ص24 [تر71]). **وما ورد بترجمة ابن غمّاد الذي انتقل إلى سبتة من مالقة أيام الفتنة التي أثارها بها أبو الحكم الحسين بن الحسين بن حسون، فاقرأ القرآن ودرس العربية حتى توفي بها سنة ثلاثين وخمسمائة.** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص236 [تر565]).

(1) **سلامة الهرفي: الأحوال السياسية وأهم مظاهرالتطور الحضاري لدولة المرابطين، ص377 ؛ فتحية محمد خير الوداني: الحياة الثقافية في فاس في عصرالمرابطين، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2012م، ص138.**

(2) المراكشي: المعجب، ص235 - 236 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص82، 85 ؛ تاريخ ابن خلدون: العبر، ج6، ص137.

- تأثرا منهم بمنهج داعيتهم ابن ياسين (ت451هـ)، الذي كانت نزعته إلى علم الفقه أقوى منها إلى أي علم آخر. (أنظر: ريم راشد: موقف العلماء من السلتطين المرابطية والموحدية، ص15، 16 ؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص68 ؛ عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية، ص142**)**.

(3) عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية، ص142 - 143.

وليناالوا بدورهم به الخطط والعمالات، على حد قول عبد العزيز التونسي، الذي ترك تدريس الفقه اعتراضا على تلامذته الذين أخذوا الفقه عنه «ثم عادوا إلى بلادهم فسادوا في أقوامهم بما تعلموه من الفقه، وصاروا قضاة وشهودا وخطباء وغير ذلك من المراتب»(1).

وهذا ليس بدعا من القول، فقد سبق وأجمل **الجراري** عين ما أسلفناه بقوله: «أما بالنسبة للنقطة الثانية [يقصد الخاصة بعوامل نهوض الفكر في عهد المرابطين]، فإنه يجدر التنبيه إلى أن الثقافة عرفت نهوضا يرجع إلى الأسباب الآتية: **1**ـ قوة الدولة وما نتج عن هذه القوة من أمن واستقرار **2**ـ الوحدة مع الأندلس **3**ـإنشاء مراكز علمية جديدة كجامع ابن يوسف في مراكش وتوسيع المراكز القديمة كالقرويين ومدرسة سبتة... **4**ـ شغف المرابطين بالثقافة وعنايتهم بها وتقريبهم لأعلامها»(2).

لكنه لمَّا كان دور المرابطين مقتصرا ـ في الغالب ـ على إنتاج الأسباب، فمن باشر إذا نشر العلم، وإثراء الفكر، وإزخام المعرفة...؟ في الحقيقة يرى الباحث أن **العامة** الذين قاموا في المكاتب، وجلسوا في المساجد، وبذلوا غاية وسعهم في سبيل نشر العلم وبث فوائده وتسهيل أسباب تحصيله، هُم من قاموا بذلك. حيث دلت النصوص ـ على خلاف ما هو شائع في مصادر الفترة محل الدراسة، من حيث التأكيد على قِصر فهم العامة وجهلهم وضعف عقلهم ـ(3)،

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص93 [تر6] ؛ السلفي: معجم السفر، ص450 [تر1539] ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص474 [تر805]

(2) عباس الجراري: قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين، ضمن كتاب: المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، أبريل1993، ص99 ؛ **وانظر:** حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص424 وما بعدها.

(3) ابن حبوس: كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، ص27 ؛ ابن حيون: المجالس والمسايرات، ص59 ؛ النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص37.

أن فريقا من عوام المغرب حرصوا على إيراد أبنائهم المكاتب[1]، وعلى استئجار المؤدبين لهم، ليعلموهم القراءة والكتابة، حتى وإن كانوا فقراء[2]، أو "مَدايين مفلسين[3]. وعلى متابعتهم عن طريق الاتصال بمؤدبيهم والاستفسار عن سلوكهم، وإيصائهم بتأديبهم واستعمال الشدة معهم إذا أَخَلُّوا بالأدب أو قصروا في الحفظ[4]، لمّا رأوا أن: «ضرب المعلم للصبي كالماء للزرع»[5].

ودلت النصوص كذلك على تمرد أبناء هؤلاء الذين اضطرتهم أوضاعهم المالية المتدنية للحد من طموحات أبنائهم العلمية، ورفضهم الرضوخ لاختيارات آبائهم المتعلقة بتعلم حرفة تعينهم على المساهمة في سداد نفقات الأسرة. كأبي العباس السبتي الذي دفعه حب ما كان يسمعه في مجلس أبي عبد الله الفخار من كلام، لتحدى شدة **أمه** وإصرارها على احترافه البِزَازَة[6]. حيث قال: «كانت أمي تحملني إلى البزازين، فأفر منهم إلى مجلس أبي عبد الله الفخار، فتضربني»[7].

---

(1) كأبي بكر الذي كان أبوه يوسف بن عبد الله يحمله حملا ـ بينما هو غلام ـ إلى المكتب رغم بكاءه وإبايته. (ابن الزيات: التشوف، ص137 [تر26]).

(2) الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص239.

ـ وهذا ما يستفاد من طلبة أبو عبد الله التاودي الفقراء، الذين كان يَردُّ عليهم ما يأخذه من أولاد الأغنياء من أجر. (ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص272 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص219 [تر185] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص272، [تر120]).

3) الوزاني: المعيار الجديد، ج6، ص164.

(4) الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص233. **وانظر:** بوتشيش: المغرب، ص65، 93.

(5) الزجالي: أمثال العوام، ج1، ص233.

ـ وقالوا أيضا: «ولد بلا لقم، بحال خبز بلا رشم» (ابن عاصم: حدائق الأزاهر، ص299).

(6) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص459 ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص225 ؛ السملالي: الإعلام، ج1، ص242.

(7) ابن الزيات: التشوف، ص459.

وتكشف بقية قصته عن دور العامة، لا في مجرد نشر العلم، بل وكفالة أبناء بني طبقتهم وتبنيهم علميا، سيما لو كانوا على شاكلة أبي العباس السبتي في تشوفه للعلم وتطلعه للمعرفة. حيث قال لأمه: «أتركيه وأنا أدفع لك قدر أجرته، وأدفع عنك للمعلم الذي يُقرئه أجرته»[1]، ثم أَقْعَدَه بين يديه -بعدما أَتمَّ حفظ القرآن- لِيُقرأه كُتب الأحكام[2].

وتكشف كتب التراجم أن ما فعله أبي عبد الله الفخار لم يكن مجرد **حالة**، بل **إتجاه**. حيث عمد غيره بحسبها لتحفيظ كتاب الله وتعليم دينه، ديانة واحتسابا. **كابن يسول** الذي أقرأ القرآن: «محتسبا لله دون أجرة عليه»[3]، **وابن ويحلان** الذي درَّس الفقه: «ثلاثين سنة محتسبا مع شدة فقره وحاجته»[4]، **وأبو عبد الله التاودي** الذي كان يعلم أولاد الفقراء ويغسل ثيابهم ويخيطها دون أن: «يأخذ على ذلك أجرا»[5]، **وأبي الفضل بن النحوي** الذي: «كان لا يقبل من أحد شيئا»[6]؛ **وأبو عمرو السلالجي** الذي: «انتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى»[7]؛ **وأبو عبد الله ابن الرمامة** الذي: «أقبل على نشر العلم، والجلوس للإقراء والإسماع، محتملا مشقة التدريس، رغبة في بث العلم وتحريضا وإعانة لملتمسيه»[8]، **وأحمد بن لب السلاوي** الذي كان يُقرء الناس النحو ويأخذ الأجرة ممن شارطه على ذلك فيعطيها للفقراء ممن يحضر عنده من طلبته[9]، **وابن الصقر الأنصاري**

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص459.

(2) التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص70 ؛ المقري: نفح الطيب، ج7، ص268.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص294 [تر139].

(4) ابن الزيات: التشوف، ص147 [تر34].

(5) ابن الزيات: التشوف، ص272 [تر120].

(6) ابن الزيات: التشوف، ص100 [تر9].

(7) ابن الزيات: التشوف، ص200 [تر69].

(8) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص219 [تر124].

(9) التميمي: المستفاد، ق2، ص144 [تر58].

الخزرجي نزيل مراكش، الذي رفض عرض أحد سراة لمتونة عليه قائلا: «والله لو أعطيتني ملء الدنيا على أن أخرج عن طريقي وأفارق ديدني من خدمة أهل العلم ومداخلة الفقهاء والانخراط في سلكهم، ما رضيت»[(1)]. وحتى إذا كان بعض من ذكرناهم آنفا باشرالتدريس بعهد الموحدين، فشبابهم قضوه بعصر المرابطين، وأدبهم وقيمهم ومُثلهم استقوها واعتنقوها من وعن وعلى يد علماء منتمين لعصرالمرابطين.

صحيح تقاضى بعض المؤدبين والمدرسين أجرا نظيرجلوسهم أو انتصابهم لتدريس ما لديهم من المعارف، بل ولم يتسامحوا مع أحد في القراءة عليهم إلا مقابل جُعْل يستأدونه منه[(2)]، لكن هناك أيضا من: «كان يُعلِّم الصبيان، فيأخذ الأجرة من أولاد الأغنياء، ويردها على أولاد الفقراء»[(3)]، ومن كان يُقرِء الناس

---

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص408 [تر292].

ـ لا عجب من موقف ابن الصقر الرافض لمفارقة ديدنه من حيث خدمة أهل العلم والانخراط في سلكهم. فقد كان وازع أمثاله للتمسك بإقراء القرآن وتدريس العلم، ليس فقط الفوز برضا الله. بل لأن تركه ـ حتى ولو للسياحة والانقطاع للعبادة ـ كان من الأشياء المخوفة والمشئمة في المتصور العامي. وحسبنا ما رآه هذا المؤدب في نومه بعدما عزم على تطليق زوجته والانقطاع إلى طاعة ربه وعبادته. فقد رأى وكأن أسودين كأعظم ما يكونان قد حملاه بينهما كالجنازة وهمَّا برميه من مكان مرتفع كأنه منار، قائلين فيما بينهما: هذا الذي لم يهد روحه في هذا الموضع الذي أُقيم فيه، لولا أبي يعزي الذي تدخل وكفهم عنه، وأمره بالبقاء في مكانه حتى يكون خروجه بالإذن. فمع ما في تلك الكرامة اليعزية من كلام، فإنها بلا شك تعكس ما كان يعتمل بعقول وأنفس مؤدبي الكتاتيب من خواطر وهواجس، في حال قرروا التخلي عن مهمتهم. (أنظر: الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص113ـ114**).**

(2) **أنظر:** ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص270 [تر635] ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص239.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص272 [تر120] ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص272، 274 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص219 [تر185].

النحو: «ويقبل الإجارة على ذلك ممن أعطاه من غير مسألة، فإذا أخذ ذلك ممن يدفعه له أعطاه للفقراء»[1]؛ ومن تصدق: «بجميع ما اكتسب في وقت التعليم خوفا من أن لا يكون وفيَّ بما عليه من الحقوق»[2].

ناهيك عن أن أجرة أمثال هؤلاء المؤدبين والمدرسين المنتمين **لطبقة العامة** أو المتعاملين معها، كانت رمزية لا اشتطاط فيها؟! وإلا كانت انعكست على ملابس بعضهم الخلقة التي كانت بالكاد تسترهم[3]، هذا أولا. أما ثانيا فلأنهم لم يجلسوا من أجلها بقدر ما جلسوا لتعليم كتاب الله، بدليل قول أحد المؤدبين: «إني وإن كنت آخذ منهم الأجرة، لم أجلس من أجلها، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله»[4]؛ مما اضطر بعضهم ـ كسبا للعيش ـ للعمل بمهن أخرى إلى جانب التعليم والتدريس، كقيام أحدهم ببيع العشب إلى جانب تعليمه للقرآن وإقراءه للنحو[5]، وقيام آخر ببيع حُصر الصلاة التي كان يصنعها بنفسه إلى جانب إقراءه للقرآن[6]، وقيام ثالث ببيع القرق بسبتة[7]، إلى جانب تصدره لإقراء العربية والقراءات وإسماعهما[8]، إلى آخر ذلك من الأمثلة الدالة على

---

(1): التميمي: المستفاد، ق2، ص144 [تر58].

(2) ابن الزيات: التشوف، ص187 [تر62].

(3) التميمي: المستفاد، ق2، ص138.

(4) ابن العريف: مفتاح السعادة، ص115، 117. **وانظر:** المقري، نفح الطيب، ج1، ص220 ـ 221.

(5) الإشارة هنا لإبراهيم بن إبراهيم العشاب، وقد توفي سنة 583هـ، ولكنه سمع من ابن أخت غانم المتوفي سنة 525هـ وعمره نحو مائة سنة. (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص90 [تر13] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص136 [تر408]). **وانظر ترجمة ابن اخت غانم في:** الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص438 [تر164]).

(6) ابن الزيات: التشوف، ص294 [تر139].

(7) القرق: صندل (نوع من مداس القدمين) قاعدته الداخلية (نعله) من خشب الفلين. (رينهارت دوزي، المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب، مج10 / 3، ص179ـ180).

(8) ابن الآبار: التكملة، ج3، ص52 [تر127] ؛ ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص155 [تر363].

تحرف بعض المعلمين لحرف تكفيهم وتعفي طلبتهم من أن يكون رزقهم إحدى قضاياهم[1].

لماذا؟ لأن رعاية رواد العلم ومريديه ـ **رعاية صُنع لا اصطناع** ـ لم تكن حتى ذلك الوقت من عُمر المغرب الأقصى من أولويات الدولة ولا بين اهتمامات عواهلها. فلم يعرف المغرب المدارس الرسمية[2]، أي: «التي ترعاها الدولة، على

---

(1) **إلا أن يكون هذا من باب صدق التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، الذي كان يَكـره: «الإجارة على تعليم الفقه، والنحو والفرائض ونحو ذلك..».** (الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص العقود، ج2، ص333 ؛ مالك بن أنس: المدونة الكبرى، ج3، ص430).

(2) **لا يعتقد الباحث في صحة توليدات البعض ولا استنتاجاتهم التفاؤلية المتعلقة ببناء المدارس، سيما وأغلب نصوص الحقبة محل الدراسة تدل على أن التعليم ظل بمختلف مدن المغرب مسجديا. كالنصوص النوازلية التي تحاشت ـ رغم ما اشتملت عليه من أبواب مفصلة عن الأحباس ـ «ذكر مدرسة الصابرين أو جامعة علي بن يوسف، عكس العصور اللاحقة، وخاصة العصر المريني». اللهم تلك الإضافة التي زادها الكتاني (ت1345هـ/ 1926م) والسملالي من بعده (ت1378هـ/ 1658م) لترجمة عبد الرحمن الهزميري (ت706هـ/ 1306م)، والتي ملخصها أن مسجد الصابرين ـ الذي دفن الرجل بإزاءه ـ والمشهور الآن بروضة أبي مدين، كان يُعرف في القديم بمدرسة الصابرين والمرابطين اللمتونية، نسبة ليوسف بن تاشفين اللمتوني الذي بناها. بيد أن تلك الإضافة لم تصدر عن أي ممن سبقاهم في الترجمة للهزميري، كما أنهما ـ أي الكتاني والسملالي ـ لم يزيدا عن قول: «وقد رأيت مقيدا ما نصه»، دون أن يوضحا في أي كتاب قُيِّد ما رأياه.** (بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص62 ـ 63 ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص184 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش: معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عصر المرابطين، مجلة دعوة الحق، المغرب، س27/ 6، ع259، صفر 1407هـ ـ أكتوبر 1986م، ص92 ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج2، ص63 ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص96). **وانظر ترجمة الهزميري عند:** (ابن قنفذ: أنس الفقير، ص66 ـ 70؛
=

غرار المدارس النظامية في الشرق الإسلامي أو في مصر خلال الحقبة نفسها»[1]، ولا كان الطالب بالمغرب على: «شاكلة نظيره في المشرق الإسلامي الذي كان يحصل على جراية من الدولة»[2]. وحتى المرة الوحيدة ـ على حد علم الباحث ـ التي أشير فيها لدعم المرابطين لِطُلاَّب عِلم، كانوا طلاب المصامدة[3]، الذين ما انفكوا يُدارونهم ويصطنعوهم، ويوصوا ولاة عهودهم بعدم تهييجهم[4]. وما أشبه ذلك بما حدث بأغمات، فقد بعث علي بن يوسف عندما زارها إلى اثنين من أفاضل علمائها وأكثرهم زهدا ألف دينار لكل واحد منهما[5]، لكن ليس دعما لهم أو برا بمريدهم أو وصلا لطلبتهم، وإنما مهادنة واحتواء لهم، بعدما عجزت قدرة السلطة عن الاستمرار في أسلوب مواجهتهم: «لما يتطلبه ذلك من طاقات كبيرة لهزم نفوذهم الروحي»[6].

فبخلاف ما أشار إليه الباحث ـ حسبما انتهى إليه علمه ـ لم تُصرف

=

ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971م، ج3، ص78 [تر997] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص410 [تر426] ؛ التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م، ج1، ص260 [تر238] ؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ج1، ص288 [تر720]).

(1) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص63.

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص184.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص126.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص82ـ83.

(5) **الإشارة هنا لأبو محمد عبد الله المليجي، وعبد الجليل بن ويحلان.** (ابن الزيات: التشوف، ص145 [تر33]).

(6) بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص154.

"الأجور" للعلماء والفقهاء كما تصحفت اللفظة عند أحد الباحثين[1]، بل صرفت إليهم **"الأمور"**، حسب نفس مصدره[2]. ولا أجريت على الطلبة الأرزاق، ولا صرفت لهم الجرايات[3]، بل كانت مصاريف الدراسة شأنهم، وتنقلاتهم وإقامتهم على حسابهم[4].

اللهم ما كان من أبناء الطبقة الوسطى الذين دعموا العلم وساندو طلابه بما أوصوا به لهم، وأوقفوه وحبسوه عليهم من أموال وكتب وضيعات. حيث ورد في نوازل الفترة بعض التفاصيل عَمَّن: «أوصى في مرضه الذي توفى منه بجنان معين لطالب»[5]، ومن حبس كتبه على: «طلبة العلم الذين بالعدوة»[6]، ومن أوصى قبل وفاته بوقف سبعين مثقالا مرابطية من تركته، لتنفق على طلبة سبتة وأهل العلم بها[7]. وهو شيء لم يخرج من الدولة ولا التفتت إليه[8].

---

(1) حسين عيساني: دور الأوقاف الإسلامية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي في الحضارة الإسلامية عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر (1) بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2012م، ص68.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص82.

(3) ابن خلدون: العبر، ج1، ص551.

(4) **استنتاجا من الطلبة الذين رآهم القاضي عياض بمرسية وهم يهمون بالعودة منها إلى بلادهم بعد أن نفدت نفقاتهم. فالأكيد أن نفقاتهم التي نفدت هي نفقات تنقلهم وإقامتهم، لا أجرة الشيخ الذي لم يقدر لهم مقابلته من الأساس. (أنظر:** ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص294 [تر279] ؛ بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص184**)**.

(5) كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس، ص196.

(6) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص190 [تر1225] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص551 [تر161].

(7) القاضي عياض وولده: مذاهب الحكام، ص184-185 ؛ الونشريسي: المعيار المعرب، ج9، ص251.

(8) **ليس هذا رأي الباحث وحده، فقد أكد أحد الباحثين المتخصصين أنه لم يجد من خلال استقراءه لما تيسر له من كتب التاريخ المغربي، ما: «ينص على أن الأوقاف كانت موردا لمركز تعليمي، ولاسيما في مطلع دولة المرابطين».** =

بيد أن **حرمان العامة** مما حظى به **أبناء الخاصة**[1]، لم يمنع **بعض العامة** من الوصول إلى مراتب متقدمة في أغلب العلوم المعروفة وقتئذ. ويُلاَحَظُ أن الباحث تلاشى استخدام تعبير **"جل العامة"** أو **"كثير من العامة"**؛ لأن من وصلوا منهم لتلك المرتبة واستمروا يحسبون على طبقة العامة كانوا ـ بحسب ما تيسر للباحث من معلومات ـ قليلون؟ لأن قِلَّة مَنْ هُمْ أَهْلٌ لتولي العمالات والخطط ـ من بين المنتمين لكافة الطبقات ـ جعلت الدولة لا تقع على كفء إلا وأسندت إليه ـ ولو بالجبر ـ إحدى الوظائف الرسمية، التي كانت كفيلة بالارتقاء به في سلم التطور الطبقي[2]. ومن ثم كان إيجاد الباحث لعالم ما زال

=

وحتى أوقاف جامع القرويين التي سُحبت من أيدي النظار والوكلاء في عهد علي بن يوسف، للإنفاق منها على توسعة المسجد، لم تشر المصادر أيه إشارة للإنفاق منها على طالب ما أو معلم، ما يشي بأنها كانت وظلت مخصصة للإنفاق على المعمار لا العُـمَّار. (السعيد بوركبة: دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغريية، 1996م، ج1، ص58 ـ 59 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص67 وما بعدها).

(1) **من حيث الآباء الحريصين على توجيه أبنائهم، وعلى تهيئتهم لتولي الوظائف العليا التي كانوا يشغلونها. والذين لهم من العلم ما يُمَكِّنُهُم من تدريس أبنائهم بأنفسهم، ومن المال ما يعينهم على استدعاء المعلمين لهم لتعليمهم داخل منازلهم، ومن الوقت ما يلزم لمراقبتم ومتابعة تقدمهم، ومن الوعي ما يكفي لإدارك أهمية تشجيعهم ومكافأتهم في حالة تفوقهم.** (أنظر: بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 57 ـ 66).

(2) **كما حدث مع ابن وشون الهذلي الذي حُبس مكبلا في بيته لإثنائه عن رفض تولي: «قضاء مدينة فاس من عدوة الأندلس». ومع أبي عبد الله التميمي الذي سجن لرفضه تولي قضاء مدينة فاس سنة 503هـ.** (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص419 [تر436] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص28. **وانظر:** عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص78).

مستمرا في الانتماء لتلك الطبقة أمر غير هين. صحيح لم تخلوا ترجمة عالم مغربي أو وافد من ذكر أسماء عشرات من سمعوا منه أو أخذوا عنه، ولكن هامشية أغلبهم جعلت أسمائهم هي كل ما يمكن معرفته عنهم، والوقوف عليه بشأنهم. مما كان يعود بالباحث للمربع الأول.

لكن ليس على الدوام، فكتب التراجم والطبقات لم تخلوا البتة من الإشارة لعلماء ظلوا يحسبون على طبقة العامة، سواء من المغاربة، أو الأندلسيين الذين صاروا مغاربة بحكم هجرتهم واستقرارهم ووفاتهم بالمغرب[1]، ولاسيما ممن لم يسعدهم طالعهم بتولي إحدى الوظائف المخزنية، حيث ظل أمثالهم: «يعانون من مدخول هذيل جعلهم في عداد العامة»[2].

أما عن العلوم التي نبه بها العامة: «الذين كانوا يومئذ يَعتبرون كل من يَبحث في غير علوم الدين، مارقا من الدين»[3]، فهي جل ما كان يعرف وقتئذ من علوم. بل وشملت عنايتهم حتى العلوم التي تخلت عنها الدولة، ككتاب الله

---

(1) **أشار ابن حزم لهذه القاعدة التاريخية ـ المبنية على إجماع المؤرخين واتفاقهم ـ في رسالته: فضل الأندلس. حيث قال: «وجميع المؤرخين من أئمتنا السالفين والسابقين، دون محاشاة أحد، بل قد تيقنا إجماعهم على ذلك، متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكناها إلى أن مات». ويبدوا أن القاضي عياض قد وافقه في رأيه وسار في كتابه المدارك على قاعدته، بدليل عده لأبي عمران الفاسي في أهل إفريقية، وحشره لترجمة عبد العزيز السوسي التونسي الأصل بين تراجم علماء المغرب الأقصى، لمجرد استقراره بالسوس منه.** (المقري: نفح الطيب، ج3، ص164 ؛ مبارك لمين: أعلام المذهب المالكي المغاربة من خلال ترتيب المدارك للقاضي عياض، مجلة المذهب المالكي، المغرب، ع3، 2007م، ص117).

(2) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب، ص181.

(3) عبد الكريم التواتي: الأبعاد الثقافية لعهد الموحدين ـ هدف التقليد في الأدب المغربي، مجلة دعوة الحق، ع232، س24/ 6، صفر 1404هـ/ نوفمبر 1983م، ص75.

وحديث رسوله "ص"، الذي أكد المراكشي أنه: «لم يكن أحد من **مشاهير** أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء»[1].

ولا غرو فشهادته إلى جانب تراجم عشرات المشتغلين بهما[2]، لا معنى لها إلا أنهم قَاموا بهذين العلمين. وحسبنا إشارات المصادر لمن أقرأ القرآن[3]، ومن كان مقرئا فاضلا[4]، ماهرا ضابطا متقنا[5]. ومن كان إماما في صناعة الإقراء[6]، ورأسا في القراءات السبع[7].

---

(1) المراكشي: المعجب، ص236.

(2) **أنظر:** خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006م، ج1، ص72.

(3) **الإشارة هنا لعلي بن محمد بن أحمد الجذامي، ولعلي بن أحمد الكناني المعروف بابن حنين.** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص236 ؛ ابن الآبار: التكملة، ج3، ص210 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص480).

(4) **الإشارة هنا لعبد الرحمن خلف الأصبحي، الذي توفي بفاس سنة 529هـ.** (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص391).

(5) **الإشارة هنا لابن فرقاشش.** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص575 ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص337 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص275).

(6) **الإشارة هنا لمحمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي المعروف بالفلنقي.** (ابن الآبار: التكملة، ج2، ص20 ـ 21 ؛ الزركلي: الأعلام، ج7، ص24 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص263).

(7) **الإشارة هنا لأحمد بن الحطيئة اللخمي الفاسي. (أنظر:** القفطي: انباه الرواه على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م، ج1، ص74 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ج12، ص166 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص116).

ومن كان شيخا فاضلا عالي الرواية[1]، ومقرئا مجودا[2]، من كبار المقرئين وأئمة القراء المجودين[3]، ومن كان من أهل العلم بالتفسير[4]. ومن وصف باعتنائه بالحديث وروايته ومعرفته بصحيحه وسقيمه[5].

ولو جاز لنا **الاستدلال بالضد**، لدلل الباحث على دور العامة في النشاط الثقافي بقوله: أنه ما من علم اتهم المغاربة بإهماله، إلا وكان **العامة**، أو **الناس** - على حد تعبير أحد المتخصصين - هم الملام الأول على ذلك لا الدولة[6]. وحسبنا عبد الوهاب بن منصور الذي يقول في معرض لوم بني وطنه على إهمالهم للتاريخ: «وهذا الإهمال - سواء قبل المرابطين أو بعدهم - له مظهران.. وثانيهما: قلة العناية والاهتمام بالقليل الذي دُوِّنَ منه، فلم يتنافس **الناس** في انتساخه ودراسته ونقده، ولم يخصصوا له كراسي رتيبة للتدريس كما خصصوها للعلوم

(1) **الإشارة هنا الإشارة لأبو عبد الله الأشقر.** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص310).

(2) **الإشارة هنا لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الانصاري الخزرجي، نزيل مراكش.** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص405، 407).

(3) **الإشارة هنا لأحمد بن محمد بن بن خلوص المرادي الفاسي، المعروف بابن الدراج.** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص542 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص117).

(4) **الإشارة هنا لابن حرزهم، ولابن فرتون السلمي الفاسي، وليحيى بن بقي. (أنظر تراجمهم في:** التميمي: المستفاد، ق2، ص16 ؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص196 ؛ محمد بن رزق بن طرهوني: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1426هـ، ص148 ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص328).

(5) **ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص409 [تر424].**

(6) **ألمح لذلك خلال تصديره لكتاب:** المقري: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1983م، ص [و].

الأخرى»[1]. ولم يفتأت بن منصور على مواطنيه، فشكواه مجرد صدى لشكوى ابن عبد الملك (ت703هـ) صاحب الذيل والتكملة التي نقلها عنه صاحب مفاخر البربر: «وكان بفاس من الأعلام والأجلة أعيان الأنام، ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام، إذ هي قاعدة المغرب، ودار العلم والأدب، ولكن **أهلها** أهملوا ذكر محاسن علمائهم، وأغفلوا تخليد مفاخر فقائهم»[2].

ولم يتوقف الأمر عند حد التاريخ. فكل علم قصرت هِمة **العامة** عن طلبه أُهمل وترك. وحسبنا الطب، فرغم ما أولاه عواهل المرابطين له من اهتمام[3]، وما ناله المبرزين فيه لديهم من حظوة[4]، لم يتجاوز عدد المشتغلين

---

(1) **وردت شكوى ابن منصور هذه، بالصفحات التي صدَّر بها كتاب ـ** المقري: روضة الآس العاطرة الأنفاس، ص [و].

(2) مجهول: مفاخر البربر، ص172.

ـ لم يتوقف الأمر عند حد من ذكرناهم، بل تشكى غيرهم في مقدمات كتبهم ومتونها من تقصير "الأهل والناس" ولا مبالاتهم إزاء تاريخهم. (أنظر: التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص28ـ29 ؛ المقري: أزهار الرياض، ج1، ص18 ؛ الحسن اليوسي: المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق: محمد حجي ـ أحمد الشرقاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006م، ص174 ؛ أحمد شوقي بنين: تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة: مصطفى طوبي، الخزانة الحسينية، المغرب، د.ط، 2003م، ص37ـ38 ؛ الكتاني: سلوة الانفاس، ج1، ص 4ـ5 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج1، ص125**)**.

(3) **يتجلى ذلك فيما قام به علي بن يوسف بن تاشفين من الأمر بجمع مجربات أبي العلاء بن زهر ونُسَخه بعد موته. يقول ابن أبي أصيبعة: «فَجُمعت بمراكش، وبسائر بلاد العدوة والأندلس، وانتسخت في جمادي الآخرة سنة ست وعشرين وخمسمائة».** (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519).

(4) **كبنو زهر الذين: «نالوا المراتب العلية، وتقدموا عند الملوك، ونفذت أوامرهم».** (المقري: نفح الطيب، ج2، ص247).

ــ وقد وَصَفَ ابن دحية، الطبيب أبو العلاء بن زهر (ت525هـ) بقوله: «وزير ذلك =

به: «رؤوس الأصابع» على حد تعبير التواتي[1]. ربما لتنائي رغبة العامة وقصور همتهم دون مكابدة تعلمه[2]. أو لافتقادهم نية احتساب درسه[1]، التي اقترنت

=

الدهر وعظيمه، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه» (ابن دحية: المطرب، ص203 ؛ المقري: نفح الطيب، ج2، ص245)، **ووصف ابن أبي أصيبعة مكانته بقوله: «وحظي في أيامهم [أي المرابطين]، ونال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل»** (أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص517)، **وكتب فيه الفتح بن خاقان إلى علي بن يوسف قائلا: «وهذا ابن زهر الذي أجررته رسنا، وأوضحت له إلى الاستطالة سننا.. ولما علم أنك لا تنكر عليه نُكرا، ولا تغير له متى ما مكر في عباد الله مكرا، جرى في ميدان الأذية ملء عنانه»** (المقري: نفح الطيب، ج2، ص245)، **وهي كلمات تصف ـ رغم كونها في معرض الذم والشكاية ـ علو منزلته عنده وسمو مكانته لديه. ووصَفَ صاحب الذيل والتكملة، ابنه أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بقوله: «كان وجيه بلده، جليل القدر في أهله نبيه السلف، حظيا عند الأمرا ء والملوك»** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص13[تر13] ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص354)، **ووصفه ابن أبي أصيبعة كذلك بقوله: «خدم الملثمين، ونال من جهتهم من النعم والأموال شيئا كثيرا»** (ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519).

(1) عبد الكريم التواتي: الأوضاع الثقافية والأدبية في عهد المرابطين، مجلة دعوة الحق، المغرب، س21/ 7، ع209، محرم ـ صفر1401هـ ـ نوفمبر1980م، ص67.

(2) وإلا فما معنى أن يكون أبي مروان عبد الملك بن زهر (ت557هـ) بين ظَهْرَانَ ◌يْهِم بمراكش، ثم يكون أبي الحكم ابن غَلَنْدُه (ت581هـ) هو من يحضر من أشبيلية (535هـ)، ليقرأ عليه كتابه "الاقتصاد في إصلاح الأجساد" ويأخذه عنه أثناء سجنه بها. (أنظر: ابن الآبار: التكملة، ج3، ص81 [تر194] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص14 [تر31] ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص351 [تر1228]، ص355 [تر1230]. **وانظر:** عبد الكريم شباب: علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام خلال القرون 5 ـ 8هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015م، ص435).

لديهم بتعليم الدين وتعلمه[2]. أو لشعورهم - **شعورا انعكس أثره على أحلام بعضهم ورؤاهم** - بأن تعلمه، وترك قراءة القرآن وكتابة الحديث، ذنبا وجناية منهم على دينهم[3].

=

(1) عرَّف ابن منظور الاحتساب بقوله: «الاحتِسابُ فِي الأَعمال الصالحاتِ وَعِنْدَ المكْرُوهاتِ: هُوَ البِدارُ إِلَى طَلَبِ الأَجْرِ وتَحْصِيله بِالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ، أَو بِاسْتِعْمَالِ أَنواعِ البِرِّ والقِيامِ بِهَا عَلَى الوَجْهِ المَرْسُوم فِيهَا، طلَباً لِلثَّوَابِ المَرْجُوِّ مِنْهَا». (ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص315).

(2) حيث باشر كثير ممن جلسوا لتحفيظ كتاب الله وتعليم دينه، ذلك على سبيل الديانة والاحتساب، كابن يسول الذي أقرأ القرآن: «محتسبا لله دون أجرة عليه»، وابن ويحلان الذي درَّس الفقه: «ثلاثين سنة محتسبا مع شدة فقره وحاجته»، وأبو عمرو السلالجي الذي: «انتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى»، وغيرهم. (ابن الزيات: التشوف، ص294 [تر139]، ص147 [تر34]، ص200 [تر69]).

(3) أنظر: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص536 [ترجمة محمد بن علي بن محمد بن عياش - 1265].

- يظن الباحث أن ابن عياش (ت546هـ/ 1151م) الذي قصده بإشارته أعلاه، كانت تتنازعه رغبتان، قراءة الطب وقراءة القرآن والحديث. وأنه رغم توجهه للطب ظلت رغبته الأخرى تنازعه وتقض مضجعه، لأنه ربما اعتقد في قرارة نفسه بأن توجهه للطب على حساب القرآن والحديث، انشغالا منه بدنياه على حساب دينه، ومن هنا جاء إحساسه بالذنب الذي رشح إلى أحلامه. و" توقف محتوى الحلم على الحياة المستيقظة" ليس رأي الباحث، وإنما سيجموند فرويد في كتابه الموسوم بـ تفسير الأحلام. حيث ذهب الأخير إلى أن أقطع رأي في مسألة علاقة الحلم بحياة اليقظة، ما ذهب إليه (ي.ج.إ.ماس)، في قوله: «وتؤيد الخبرة ما نذهب إليه من أننا نحلم في معظم الأحايين بالأمور التي تتجه إليها معظم انفعالاتنا. ومن هنا نرى أن انفعالاتنا لابد أن يكون لها تأثيرها في إحداث أحلامنا». (سيجموند فرويد: تفسير الأحلام، ترجمة: مصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ص48).

وَيُرَدُّ على من أرجع قلة تراجمهم، لضياع مصادر هاته الفترة من تاريخ المغرب[1]، بأن ما ضاع لم يحرمنا من كنوز من العلم كما يتخيل البعض[2]. وإنما يرجع في الواقع لحقيقة أنه لم يكن يترجم إلا لمن بز من الأطباء وظهر واشتهر[3]، لا لـ: «عوامهم، ومن يُعد منهم في أعداد القوابل» على حد تعبير الغبريني[4].

---

(1) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص72.

(2) أنظر: محمد زنيبر: سبتة ـ مدينة رائدة في تاريخ الثقافة المغربية، مجلة المناهل، ع22، يناير1982م، ص203.

(3) شفعينا في ذلك قول ابن جلجل: «واقتصرنا على ذكر المشهورين الظاهرين الخادمين، وأضربنا عن ذكر من كان في زمانهم، ممن لم يوازيهم، ولا حل محلهم». ولم تسري تلك القاعدة على الأطباء فقط، فقد انتهى ابن حمادي من خلال دراسته لفقهاء العصر المرابطي، إلى أن: «كتب التراجم والطبقات لم تترجم في الواقع إلا للذين طالت أعمارهم، فدرسوا وألفوا الكتب وعلت أسانيدهم، واستحقوا بالتالي مكانا ضمن هذه الكتب». وهي نفس النتيجة التي استخلصها أعراب من تراجم النيف وأربعين عَلَم سبتي، الذين أضافهم ابن حمادة لمختصره على ترتيب المدارك، والتي لخصها بقوله: «والظاهرة التي تطبع الفئتين معا [شيوخ ابن حمادة ومن في طبقتهم ـ شيوخ شيوخه ومن إليهم] أنهم في أغلبهم الصفوة المختارة من رجالات العلم». (ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1985م، ص116 ؛ عمر بن حمادي: الفقهاء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 1982م، ص216 ؛ سعيد أعراب: جوانب من الحياة الفكرية بسبتة في عهد البرغواطيين والمرابطين من خلال مختصر المدارك لابن حمادة، مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، ع3، 1989م، ص229).

(4) الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1979م، ص76.

كأطباء **مراكش** الذين وصفهم أبو مروان عبد الملك بن زهر بـ "المتطببين"(1)، وأطباء **فاس** الذين أُشير إليهم ـ بصيغة المجهول ـ جُملة، إشارات تقطر ظنا واتهاما لكفاءتهم ونجاعة أدويتهم(2)، وأطباء **سلا** الذين قال فيهم العامة ـ وإن كنا لا ندري تحديدا لأي عصر ينتمي المثل ـ: طبيب سلاوي، ما يجرح ما يداوي(3).

و ما سلف لا يعني جهل العامة بالطب ـ وبغيره من العلوم العقلية ـ مطلقا. فقد كان الطب من بين المعارف التي أدلى فيها العامة بدلوهم. حقا لم يكن كطب ابن باجة وابن زهر وغيرهما، ولكنه أيضا لم يكن كله قائما على الخرافة، ومرتبط بالجن، ومتعلق بالأضرحة والأولياء (4). بل كان للعامة طبهم الشعبي المستفاد بالتجربة، والمكتسب بالخبرة، والمتوارث عن مشائخ الحي وعجائز النسوان، اللائي كن يُجدن من معرفة الأدوية ما لا يعرفه الطبيب(5). وكان لهم أطبتهم المتمثلين

---

(1) يقال: تطبَّب الشَّخصُ، أي مارس الطبّ وهو لا يعرفه، كقولهم: حلاَّقٌ مُتطبِّب.
(أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1382 ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص554 ؛ أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشال خوري، دار الفكر، دمشق، 1983م، ص388).

(2) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص323 [تر162]، ص269 [تر117] ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص121 ؛ ابن قنفذ: أنس الفقير، ص31 ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص190 ـ 191.

(3) الزجالي: أمثال العوام، ج2، ص8 [حاشية المثل رقم: 20] ؛ مأمون المريني: اليهود في الأمثال المغربية، مجلة فكر ونقد، المغرب، ع35، يناير 2001م، ص70.

(4) أنظر: جمال بامي: المعرفة النباتية والطبية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي، مجلة الإحياء، المغرب، ع39 ـ 40، ديسيمبر2013م، ص141.

(5) هذا ما يمكن استنتاجه من قول ابن زهر: «وعوام الناس وعجائز النسوان قاتلهم الله، يجيدون من معرفة الأدوية ما لا يعرفه الطبيب، فإن معرفة الطبيب لما يضر من حيث أنه طبيب، وإنما ذلك بالعَرَض لا لطلب منه لذلك»، ومن قول ابن خلدون: «وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه، وربّما =

في العشابين[1]، والعطارين، والشرائبيين [الشرابيين][2]، والقوابل[3]،

=

يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج». (أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص168 ؛ ابن خلدون: العبر، ج1، ص651).

(1) **عشَّاب: «عالم نباتي، أعشابي وهو بائع الأعشاب الطبية، عالم نباتي، عقاقيري».** (دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج7، ص212 ؛ أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1500).

(2) **عَرَّف عِمارة العطار بأنه: بائع غرائب العقاقير والأعشاب. وأضاف دوزي عليهما: العطور والشموع. أما الشرابي، أو الشرائبي فقد وصفه دوزي بقوله: «شرائبي: صيدلاني، عقاقيري»، بينما عرفه عمارة بقوله: «الشرابيين، والمفرد الشرابي: هم صناع وباعة الأشربة، أي الأدوية السائلة». وقد نبه ابن عبدون من تسورهما للطب وتركيبهما للدواء بغير علم، وحذر من شراء الشراب والمعجون منهما. لأنهما: «حُرصاء على أخذ الثمن بلا عِلم، فيفسدون الفتوى ويقتلون الأَعِلاَّء، لأنهم يُركِّبون أدوية مجهولة مخالفة للعمل». لكن يبدوا من إشارات المصادر لتزاحم الناس على حوانيت العطارين أن تحذيرات ابن عبدون لم تلقى آذانا صاغية، وخاصة مع ارتفاع أثمان العلاجات الطبية والصيدلية، ومغالاة الأطباء في أجورهم، وارتباط خدماتهم وخبرتهم بمصالح علية القوم.** (ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص47 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص168، 447 ؛ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص309، 382 ؛ جمال بامي: المعرفة النباتية والطبية بالمغرب، ص143، 147 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج 6، ص828 ـ ج7، ص231).

(3) **القابلة أو المولدة هي: المرأة التي تساعد الحامل عند الولادة، وتتقبل الولد وتتلقاه عند ولادته من بطن أمه. وكانت تقوم بمهمة طبيب النساء والتوليد من حيث القيام برعاية الأم طوال أشهر الحمل وأثناء الولادة، ثم بمهمة طبيب الأطفال بعد الولادة. وقد رآها ابن خلدون أبصر من الطبيب الماهر بخصوص: «ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه، إلى حين الفصال».** (ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص469 ـ ج11، ص544 ؛ أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص1770 ؛ ابن خلدون: العبر، ج1، ص519 ؛ د. نجلاء سامي النبراوي:

=

والحجامين والفصادين[1]، إلى آخر ذلك ممن تصدروا لبذل نصائحم وتقديم خدماتهم، فيما يتعلق بالحفاظ على الأرواح ورعايتها ودفع الألم والمرض وخطر الموت عنها. مصداق ذلك قول الدكتور محمود إسماعيل: «كشف الطب الشعبي عن إبداعات للعوام تَجاوز الكثير منها طور الخرافة، ومال إلى التجريب واكتساب الخبرات في علاج الأمراض والتداوي، مازال الكثير منها صالحا للتداول حتى عصرنا هذا»[2].

كذلك كان الفلك من بين العلوم التي كشفت مصادر الفترة عن إلمام بعض العامة بشيء منها. والباحث لا يعني بالفلك التنجيم الذي ارتبط ببعض الأشكال الغيبية كالعرافة والتنبؤ بالمستقبل، والذي كان يلاقي معارضة من

=

القابلة في المغرب والأندلس - الدور الطبي والقضائي والاجتماعي 6 - 9هـ، مجلة كلية الآداب بقنا، ع24، 2008م، ص148).

(1) **الفصَّاد: هو من يقوم بفصد الدم الفاسد، بشق العرق [الوريد] لاستخراجه منه، إما لرداءته وإما للخوف من المرض بسبب كثرة الدم فيه. أما الحَجَّام هو: «مَن احترف الحِجَامة وهي.. مَص الدم مِن الجرح، أو القيح مِن القرحة، بالفم أو بآلة كالكأس ونحوه». وقد أشار عارف إلى أنها: «علميا نوع من الجراحة التي تحجم موضع الداء.. فتخفف من وطأة الدم وهيجانه مما يريح القلب والكبد والكلى والرئتين والمخ وكل خلايا الجسم»، لكن الشيزري (ت590هـ/ 1194م) أكد قبل شروعه في الحديث عن صفات الحَجَّام ومنافع الحجامة أنها تظل مع ذلك أقل خطرا من الفصادة.** (ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص46 ؛ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص164، 432 ؛ دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج8، ص78 ؛ محمد رواس قلعة جي: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 2010م، ص153، 315 ؛ أبو الفداء محمد عصمت: أسرار العلاج بالحجامة والفصد، دار الفضيلة، القاهرة، 2003م، ص35 ؛ الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص95-96).

(2) محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2004م، ص192.

طرف الفقهاء بسبب اختلاطه بعلم الغيب الإلهي[1]. وإنما قَصد علم الفلك والنجوم الذي يمكن به معرفة طلوع الفجر، ولاسيما الصادق الذي عليه التعويل في الشرعيات. فقد كان أمره خفي لا يعرفه كل أحد، ومن ثم كان بحاجة لمن يوضحه ويظهره للعيان. لذلك جعل المنجمون له نجوما أسموها منازل القمر وعدتها ثمانية وعشرين منزلة[2]، ليُعرف بها: «وقت السَحر وانتقال الفجر في المنازل، ويستدل بها على القبلة. ناهيك عما يترتب على معرفة ذلك من أحكام الصلاة والصيام»[3].

ومن بين الإشارات المصدرية الدالة على إلمام بعض العامة بشيء من ذلك، قول **أبو علي الهزرجي**:«قال لي فلان: أتريد أن أعرفك بالمنازل لتعرف بها أجزاء الليل. فقلت له: أنت تعرف مني أني لا أعرف، فأي وقت أردت أن أوقظك فيه أيقظتك»[4].

كذلك تتوفر بعض المصادر على عدد من الإشارات الدالة على كون الكيمياء من بين العلوم التي أدلى فيها العامة بدلوهم. وحسبنا **"ابن نائلي"** الذي نقل ابن أبي أصيبعة خبرجلوس **موفق الدين البغدادي** (ت629هـ) إليه ببغداد، بعدما دخلها في زي التصوف ومسوح الدين وهيئة السياحة زاعما أنه من أولاد المتلثمة الذين خروجوا من المغرب لما استولى عليه عبد المؤمن. يقول موفق الدين: «فلما استقر ببغداد اجتمع إليه جماعة من الأكابر والأعيان..

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش: علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين 6 ـ 7هـ، ضمن أعمال الندوة التكريمية: متنوعات حليمة فرحات، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2005م، ص97، 100.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، ج2، ص340 (بتصرف).

(3) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م)، ج4، ص32 (بتصرف).

(4) ابن الزيات: التشوف، ص304 [تر148].

وكنت واحدا ممن حضره فأقرأني مقدمة حساب.. ولكنه أمعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها، وأتى على كتب جابر بأسرها، وكتب ابن وحشية»[1]. وورد في ترجمة أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي، أنه بعث برجل إلى أحد أصحابه ببلد رجراجة (بقبلة مراكش)، مع خديم له. فطلب منه الخديم المرور بشخص من أهل هذه البلاد لزيارته، يقول الرجل: «فذهبت معه إليه، فتحدث معه ساعة، ثم قال لي: عند هذا الرجل دراهم صنعها، فما ترى في حملها إلى مراكش لنصرفها ونقتسمها أثلاثا لكل واحد ثلثها فإنه يعرف الكيمياء»[2]. ونقل ابن عذارى في أخبار سنة 509هـ/ 1115م خبر وصول رجلين أو ثلاثة إلى المهدية، مدعين:

«أنهم من طلبة المصامدة، عارفين بصناعة الكيمياء»، وبعيدا عما اكتُشِف بعد[3]، فادعائهم ـ الذي كان لابد أن يكون واقعيا ليتيسر قبوله ـ لا شك يعني اشتهار المصامدة بتلك الصنعة.

أخيرا كان من بين العوامل التي فرضت **للعامة** دورا في الثقافة، أنهم كانوا أملك لتطبيق رؤيتهم الثقافية من الدولة وفقهائها. بل وكانت رؤيتهم تلك أرعى لدى الدولة من رؤية الدولة لديهم. فمثلا لم يمنع تربص الفقهاء بالمتصوفة[4]،

---

(1) أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص685 ؛ العمري: مسالك الأبصار، ج9، ص85 [تر24].

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص236 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص243 [تر96].

(3) **اكتُشِف أنهم بعض إخوة تميم بن المعز الذين قرروا الانتقام بعد قيامه بنفيهم.** (**أنظر:** ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص305).

(4) **ينتمي المتصوفة ـ خلا بعض من تولوا المناصب وأوكلت إليهم المهام ـ لطبقة العامة. (لأمثلة على هؤلاء أنظر:** عز الدين جسوس: السلطة السياسية والمتصوفة خلال حكم المرابطين، مشاركة ضمن أعمال اليوم الدراسي: رباطات وزوايا في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، جامعة شعيب الدكالي، المغرب، مارس 2004م، ص177، 178). **ولا غروا فقد كان معظمهم من الحرفيين والمزارعين** =

واستعدائهم الدولة عليهم[1]، من تدريسهم للتصوف[2]، ولا من التأليف

=

والمدرسين البسطاء، وغيرهم ممن ينتمون لأصول فقيرة. (أنظر: بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص133 ـ 134 ؛ جمال علال البختي: الحضور الصّوفي في الأندلس و المغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ص52**)**.

(1) ذهب بوتشيش إلى أن مبعث موقفهم العدائي ـ والذي ظهر واضحا في سعيهم بهم وتأليبهم السلطة عليهم بالإيعاز إليها بخطورة ما يطرحونه في كراماتهم من مواقف مناهضة لها ـ ليس فقط العوامل المذهبية التي كانت تظهر كأساس في الصراع بينهم. لأن تلك العوامل لم تكن: «سوى غطاء للصراع الاجتماعي بين فئة ثرية وأخرى تدعوا إلى الزهد والتقشف». وذهب بنسباع إلى أن صلتهم بالتشيع ـ التي أصبحت بحسبه حقيقة تاريخية لا غبار عليها ـ كانت مبعث عدائيتهم لهم. واستدل على صحة طرحه بقيامهم بتوظيف بعض عناصرالفكر الشيعي الباطني، من قبيل الإمامة، والعلم اللدني، والعصمة أو الحفظ، والكرامة، والتَّقِيَّة وغير ذلك، في أيديولوجيتهم التي استهدفوا بها معارضة الدولة سياسيا. يقول بنسباع: «إذاً كان لابد أن يدخل المتصوفة في علاقة مع الفقهاء، الذين قاموا برد فعل ضد بقايا الفكر الإسماعيلي الباطني في المغرب، وحاولوا أن يخرجوه من الباب بإقامة الدولة المرابطية، فإذا به يحاول العودة مرة أخرى إلى الغرب الإسلامي من النافذة، متسترا في عباءة التصوف». (بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص150 ـ 155 ؛ مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع ما بين عصري المرابطين والموحدين، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي بتطوان، المغرب، 1999م، ص97 ـ 106. **وانظر:** ابن خلدون: العبر، ج1، ص619 ـ 621 ؛ جمال علال البختي: الحضور الصّوفي، ص53**)**.

(2) كأبو عبد الله الدقاق الذي كان يقول: «أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين علم التصوف» (ابن قنفذ: أنس الفقير، ص27 . **وانظر ترجمته عند:** ابن الزيات: التشوف، ص156 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص259 ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص266 **). وأبو مدين الذي لم يكن يتكلم ـ بحسب أحد جُلاسه ـ**

=

فيه[1]، وانتساخ كتبه[2]، والاعتكاف على قراءته[3]. ولا منع العامة من التحلق حولهم، للانتهال من معينهم في التصوف وغيره[4]. وعلى النقيض حاربت الدولة الفلاسفة والمتكلمين المصطبغة أفكارهم وكتاباتهم بالفلسفة

=

إلا في: «الفقه أو في التصوف» (التميمي: المستفاد، ق2، ص116. وانظر ترجمته عند: ابن الزيات: التشوف، ص319 [تر162]؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج2، ص119 [تر245]). **وأبي الحسن السلاوي الذي أقـرَّ أبو مدين بأخذه التصوف عنه، قائلا: «وأخذت طريقة التصوف عن أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي»** (ابن الزيات: التشوف، ص322 [تر162] ؛ الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص278). **وابن ويحلان الذي كان يقول لخاصة أصحابه إذا انصرف عنه حملة الفقه: «تعالوا نأخذ في نور العلم، فيأخذ معهم في علوم الآخرة وأسرار التصوف»** (ابن الزيات: التشوف، ص147 [تر34]). **ومحمد ابن يبقى الذي قرأ عليه أحدهم باب الفتوة من رسالة القشيري في التصوف** (التميمي: المستفاد، ق2، ص60 [تر9]).

(1) كمحمد بن خلف اللخمي، فهو وإن لم يكن مغربيا، إلا أنه ألف أثناء سجنه بمراكش "مجموعاً في التصوف" فرغ منه في آخر رمضان 529هـ/ 1134م (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص198 [تر498]). **وأبو مدين الذي أكد صاحب الروض العطر أَنَّ له: «في طريق القوم تآليف وتقييدات»** (ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص66). **وأبو الحسن بن غالب، الذي أكد المراكشي أن: «له في طريقة التصوف مصنفات لا نظير لها، منها: كتاب اليقين»** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص176 [تر415]).

(2) كابن إسماعيل الهواري، وأبي الفضل بن النحوي الذي: «انتسخ الإحياء [أحد كتب التصوف] في ثلاثين جزءا، فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا». (ابن الزيات: التشوف، ص96 [تر9] ـ ص270 [تر118] ـ ص214).

(3) ابن الزيات: التشوف، ص169 [تر51]؛ ابن قنفد: أنس الفقير، ص13.

(4): ابن الزيات: التشوف، ص147 [تر34] ـ ص228 [تر81] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص175 [تر415].

اليونانية[1]، بل وربما قتلتهم، لمجرد التقرب إلى العامة الذين كانوا ينافرون هذه العلوم، ويعادون من ظهرت عليه وينسبوه إلى الزندقة[2].

قصاري القول، أن المرابطين ـ من وجهة نظر الباحث ـ اقتصر دورهم في الغالب على توفير الأسباب وتهيأة الأجواء المناسبة لمباشرة أبناء مختلف الطبقات للعلم تدريسا وتمدرسا، بينما يعود للشعب ـ بما فيهم العامة ـ جزءا لا بأس به من فضل نشر العلم وإثراء الفكر، وإزخام المعرفة. وهو الدور الذي تأتى لهم بفضل إصرار بعضهم على تعليم أبنائهم رغم ضيق ذات يدهم، وإصرار البعض الآخر على التعلم حتى ولو كان في ذلك تحديا لرغبة آبائهم.

لكن تحديهم لم يكن ليثمر لولا هؤلاء العلماء والمشايخ الذين احتسبوا أجر تعليم هؤلاء المتشوقين للعلم والمتطلعين للمعرفة. كما لم تقتصر عناية العامة على علم بعينه بل نبهوا فهي جل ما كان يعرف وقتئذ من علوم، بل وشملت عنايتهم حتى العلوم التي تخلت عنها الدولة كالقرآن والحديث... إلى آخر ذلك من العلوم التي سيفرد لها الباحث مبحثا منفصلا.

---

(1) **تعددت إشارات ابن خلدون في مقدمته لاختلاط الفلسفة بعلم الكلام والتباس مسائلهما ببعضهما: «بحيث لا يتميز أحد الفنين من الآخر».** (العبر، ج1، ص591، 653. **ولتفاصيل أكثر عن العلاقة بين الفلسفة وعلم الكلام، أنظر:** زبيدة الطيب: علاقة الفلسفة بعلم الكلام، مجلة المعيار، الجزائر، م21، ع41، يونيو 2016م، ص282 وما بعدها).

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص221 ؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ـ محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1969م، ج6، ص116 ؛ المراكشي: المعجب، ص236 ـ 237).

المؤسسات التعليمية:

تعددت المؤسسات التعليمة بالمغرب الأقصى على أيام المرابطين. فقد كانت هناك الكتاتيب التي كان الصبية يتعلمون بها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون كتاب الله، كما كانت هناك الربط، وكذلك المساجد التي تعتبر من أقدم المؤسسات التعليمية لدى المسلمين، وعلى رأس معاهد التعليم والثقافة بالمغرب الأقصى، وهاك تفصيل ذلك.

**** الكتا تيب:**

الكُتَّاب والمكتب والمسيد والمحضرة والحضار[1]، كلها أسماء لمؤسسة

---

(1) **الكُتَّاب والمَكْتَب إسمان لمؤسسة علمية واحدة. بدليل قول الفيروز آبادي: «والمَكْتَبُ كَمَقْعدٍ: موضع التعليم، ويقول الجوهري: الكُتَّاب والمَكْتَبُ واحِدٌ»، وقول ابن منظور: «والمَكْتَبُ: موضع الكُتَّابِ. والمَكْتَبُ والكُتَّابُ: موضع تعليم الكتاب». كما ذكر الأساتذة حميتو وزمامة ودندش وأعراب وبوغزالة وكوكة في دراساتهم ما يدل على أن المسيد والمحضرة أو الحضار مرادفين للكتاب والمكتب، وساقوا على ذلك من الشواهد والأدلة ما لا يسع المقام لذكره. (أنظر:** الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م، ص128 ـ 129 ؛ ابن منظور: لسان العرب، ص699 ؛ عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006م، ج1، ص420 ـ 428 ؛ عبد القادر زمامة: كلمات من المغرب الأقصى، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج47/ 4، 1972م، ص943 ؛ عصمت عبد اللطيف دندش: معاهد العلم والتعليم بالأندلس، ص92 ؛ سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص10 ؛ محمد رشيد بوغزالة: الكتاتيب والرباطات والزوايا منارات تعليم القرآن والعربية في بلاد المغرب الاوسط، بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، السعودية، 2015م، مج3، ص ص 289ـ 292 ؛ فاتن كوكة: التصنيف اللغوي والأدبي في عصري المرابطين والموحدين، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م، ص67).

علمية واحدة، تتلخص مهمتها في تعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم[1]، تماما كما هو الحال الآن في المعاهد الابتدائية[2]. ورغم أنها كانت معروفة قبل مجيء الإسلام[3]، فنحن لا ندري تحديدا متى ظهرت أول مؤسسة أطلق عليها هذا الاسم. أما الأكيد فهو أنها عرفت كمؤسسة تعليمية بالمدينة منذ عهد النبي "ص"، ولاسيما بعد معركة بدر الكبرى (2هـ)[4]، وأنها استمرت في عهد خلفاءه، ثم في عهد الأمويين، والعباسيين من بعدهم[5].

ومما يؤسف له أنه ليست لدينا معلومات عن تلك المكاتب بالمغرب، لكن من: «المؤكد أنها كانت تشبه جميع الكتاتيب في العالم الإسلامي، بحيث لا تعدوا

---

(1) محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب ـ أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م، ص39 ؛ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص112.

(2) أشار غير باحث أن الكُتاب يشبه ما نسميه الآن بالمدارس الابتدائية، أنظر: سنوسي بدرة: طرائق التعليم في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب آداب المعلمين للإمام محمد بن سحنون، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي ـ سعيدة، الجزائر، 2018م، ص49 ؛ محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، ص39 ؛ أ. جي. بريل: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للابداع الفكري، الإمارات، 1998م، ج3، ص654.

(3) أنظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص663 ؛ محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات، 2001م، ص132 ؛ محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014م، ص56ـ57.

(4) عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص412.

(5) أنظر: سنوسي بدرة: طرائق التعليم في بلاد المغرب الإسلامي، ص49ـ50 ؛ مفتاح يونس الرباصي: المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول، منشورات جامعة 6 أكتوبر، ليبيا، 2010م، ص59 .

أن تكون حانوتا أو حجرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، أو غرفة في المنزل مؤثثة ببعض الحصر»[1].

ولم يكن هناك سنا معينا لدخول الصبيان للمكتب[2]، بل كان الأمر متروكا لتقدير آبائهم، الذين كانوا يدفعون بهم إليه متى لمسوا فيهم الإدراك والتمييز، بدليل قول ابن العربي (ت543هـ): «وللقوم في التعليم سيرة بديعة، وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب»، وغالبا ما كان ذلك وهم بين الرابعة والسابعة[3]. ولعل هذا ما جعل بعض الفقهاء والمحتسبين والتربويين ينهون عن تعليمهم في المسجد[4]، لأنهم كما يقول ابن عبدون: «لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم»[5]. كذلك كان للبيئة الاجتماعية، والمستوى المادي للأسرة، ومدى ثقافة الأب، تدخلا في موعد دخول الصبيان للكتاب[6].

---

(1) محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، ص39 ؛ محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم، ص133.

(2) **أنظر:** بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص64.

(3) ابن العربي: أحكام القرآن، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، ج4، ص349. **وانظر:** محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم، ص134 ؛ فتحية محمد خير الوداني: مناهج التعليم و طرقه في فاس في عصر المرابطين، مجلة فكر وإبداع، مصر، ج71، أكتوبر 2012م، ص399 ؛ سناء خدا كرم عزيز: المناهج التعليمية في بلاد المغرب العربي، مجلة الأستاذ، كلية التربية (ابن رشد) -جامعة بغداد، ع216/ 2، 2016م، ص284 ؛ سعيد أعراب: القراء والقراءات بالمغرب، ص11.

(4) **أنظر:** محمد بن سحنون: آداب المعلمين، تحقيق: محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ط2، 1972م، ص114 ؛ القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، ص145 ؛ المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، تحقيق: أحمد جلولي-رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص52.

(5) ابن عبدون: آداب الحسبة والمحتسب، ص24.

(6) سناء خدا كرم: المناهج التعليمية في بلاد المغرب العربي، ص284 ؛ بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص66.

وقد اختلفت مذاهب أهل الأمصار - بحسب ابن خلدون - في طرق تعليم الولدان. أما عن أهل المغرب، فقد كانت طريقتهم هم ومن تبعهم من قرى البربر: «الاقتصار على تعليم القرآن فقط. وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه»[1]. وأضاف ابن سحنون مواد أخرى رأى أنه من النافع للصبي تعلمها، لكن مع التأكيد على أن المعلم غير ملزم بتعليمها له، إلا أن يُشترط ذلك عليه، أو يتطوع هو بتعليمها، وهي: «الحساب.. وكذلك الشعر، والغريب، واللغة، والعربية، والخط، وجميع النحو»[2]. ومما جرت به العادة كذلك: «تعليمهم أسماء الشهور العربية والعجمية. وتلقينهم القنوت والتشهد.. كما أن شأن أهل البادية تلقينهم الشهادتين والأسماء الحسنى»[3].

أما أيام الدوام: «فهي خمسة أيام: السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء وصبيحة الخميس»[4]، إلى ما قبل صلاة العصر تحديدا[5]، ويأذن: «لهم في يوم الجمعة. وذلك سنة المعلمين منذ كانوا، لم يُعَبْ ذلك عليهم»[6]. ويبدأ دوامهم من بعد صلاة الصبح إلى الضحى، حيث كانوا يعودون إلى بيوتهم لتناول الطعام، ثم يرجعون للدرس مرة أخرى من بعد الظهر إلى صلاة العصر،

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص740.

(2) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص102.

(3) ابن عبدون: رسالة في الحسبة، ص25 ؛ المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان، ص47.

(4) المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان، ص50.

(5) ابن الزيات: التشوف، ص290 [تر132].

(6) ابن سحنون: آداب المعلمين، ص104 ؛ القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، ص135.

وَيُسَرِّحُهُمْ في بقية النهار[1]. بخلاف أهل البادية الذين اعتادوا: «إقرائهم السور ليلا»[2]، ربما لانشغالهم نهارا في معاونة آبائهم في فلح الأرض أو رعي الماشية، كما برر أستاذي الدكتور عبد الرحمن بشير.

وكان الطفل ينتهي من مرحلة الكُتَّاب بعد عدد من السنوات يصعب تحديدها، لاختلاف استعدادات الأطفال وفروقهم الفردية، لكنها كانت تستمر في الغالب إلى أن يُتم حفظه للقرآن. لذلك كان بعضهم يستمر في وروده حتى العاشرة من عمره، بل وربما بقي بعضهم حتى الثانية عشر أو الرابعة عشر. حينها كان يعقد له امتحانا (ختمة) يمنح على إثرها ـ في حالة النجاح ـ إجازة الكُتَّاب، لتنتهي بذلك دراسته فيه[3].

ومن بين أشهر مؤدبي الكتاتيب بالمغرب الأقصى، أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي المعروف بأيوب السارية (ت561هـ)، وكان في ابتداء أمره يعلم الصبيان بقرية يلسكاون من دكالة[4]. وأبو عبد الله محمد بن يعلي الشهير بالتاودي (ت580هـ)، الذي كان يعلم الصبيان بفاس، فيأخذ الأجرة من أولاد الأغنياء ويردها على أولاد الفقراء، ويغسل ثيابهم ويخيطها لهم عنده في المكتب[5]، وغيرهما[6].

---

(1) سناء خدا كرم: المناهج التعليمية في بلاد المغرب العربي، ص284 ؛ المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان، ص51.

(2) المغراوي: جامع جوامع الاختصار والتبيان، ص51.

(3) بشير رمضان التليسي: الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م، ص368 ؛ محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم، ص134.

(4) الصومعي: المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي، ص75 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص187 [تر62].

(5) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص271 ـ 272 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص219 [تر185] ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص137، 140 [تر55].

(6) **أنظر:** ابن الزيات: التشوف، ص184[تر60]، ص181 [تر57]، ص290 [تر132] ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص58 [تر9]، ص158 [تر67].

**** الـربـط:**

عَرَّفَ البُرْزُلِي الرِّبَاط بوصفه مؤسسة بأنه: موضع الحرس في الأوقات التي يتوقع فيها العدو[1]؛ وعَرَّفَهُ ابن منظور بوصفه فِعْل بأنه: هو الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وارتباط الخيل وإعدادها[2]. أما المُرابط فقد عَرَّفهُ الطبري بأنه: كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أرادهم من أعدائهم بسوء، ويحمي عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر[3]. وقد طابقت تعريفاتهم تلك ما ورد بكتاب الله عز وجل، حيث لم تخرج الكلمة في المرات الخمس التي وردت بهن فيه، عن معاني التقوية وشد الأزر وإقامة الجهاد[4].

كانت مهمة الرُبط في الوهلة الأولى من ظهورها عسكرية صرفة، ولا غروا فقد كانت سواحل إفريقية والمغرب الأوسط معرضة دائما: «للغارات البحرية المفاجئة من القسطنطينية أو صقلية وجنوبي إيطاليا وسردانية. فاعتبرها المسلمون لذلك ثغرا يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله وقربة إليه. فأنشئت لذلك الرباطات والمحارس بسواحل إفريقية لحراسة المسلمين.. مثل رباط المنستيروسوسة وصفاقس وبونة وشرشال ومرسى مغيلة وادرار.. إلخ»[5].

---

(1) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج2، ص30.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص302.

(3) الطبري: تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، مصر، 2006م، ج6، ص337.

(4) في سورة آل عمران، آية 200؛ وسورة الأنفال، آية 11، 60؛ وسورة الكهف، آية 14؛ وسورة القصص، آية 10. أنظر: نور الهدى الكتاني: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م، ص35.

(5) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1965م، ج1، ص403، 404 [بتصرف]. **وانظر:** أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص290-293 ؛ بسمة سعيد ـ يا سمينة زويتن: التصوف بالمغرب الإسلامي في عصري المرابطين و الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماستر، معهد العلوم الإنسانية، جامعة أكلي =

ولم يكن المغرب الأقصى هو الآخر بمنأى عن خطر الغارات البحرية[1]، ولا الفتن الداخلية؛ لذا سار تأسيس الربط به في اتجاهين لا واحد: «خط ساحلي على المتوسط أو الأطلسي، وخط داخلي»[2]. بيد أن تلك الرُبط الساحلية، وكذا الداخلية والصحراوية التي أسست به لحماية عقائد وأنفس سكان ثغوره البرية من هجمات القبائل السودانية وزندقة بعض القبائل المغربية، لم تكن مجرد حصونا دفاعية أو هجومية، بل كانت مراكز بث ونبراس إشعاع شديد للعلوم العربية والثقافة الإسلامية[3]. بالفعل، فقد كانت: «إلى جانب مهمتها الحربية مكانا للعبادة ومعهداً تُدَرَّس به شتى العلوم ولاسيما العلوم الدينية»[4]، ما جعل عصر المرابطين واحداً من: «أزهى الفترات التاريخية في الثقافة والعلم، رغم ما عرف عن حكامه من بساطة في العيش والثقافة»[5].

=

محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2015م، ص51 ؛ محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، **1987م**، ص145.

(1) **كخروج المجوس (النورمان الفايكنج) في مرسى أصيلة (بينها وبين طنجة مرحلة وهي أول مدن العدوة من جهة الغرب) مرتين.** (أنظر: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص294-295).

(2) محمد المنوني: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس، مجلة المناهل، المغرب، سنة3، ع6، يوليو 1976م، ص242.

(3) **أنظر:** محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي، ص273 [بتصرف] ؛ بشير رمضان التليسي: الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي، ص419 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص130.

(4) محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي، ص267 ؛ الحسين أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصرالوسيط 1 - 9 هـ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية - مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، المغرب، 2004م، ص152.

(5) محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي، ص277.

ولعله من أهم الربط التي نحت هذا المنحي الجهادي والتعليمي رباط شاكر[1]. فقد كان فوق دوره كمركزا للجهاد والمجاهدين ومحرسا جنوبيا في وجه برغواطة تامسنا المرتدين. ملتقى للعلم والعلماء والمتصوفين إلى القرن السابع الهجري وما بعده[2]، ومنبره مرتقى لجهابذة الفصحاء والبلغاء، ورحابه مكانا

---

(1) محله اليوم بقرية تسمى سيدي شيكر بجانب المسجد العتيق المعروف بالرباط (ابن الزيات: التشوف، ص51/ حا34)، **على الضفة اليُمنىَ / الشمالية لوادي تانسفيت عند قبيلة عبدة، في ملتقى هذا النهر بأحد روافده المسمى واد الجمال، ويعرف في الاستعمال الدارج باسم أولاد سيدي شيكر. وكانت هذه الناحية معدودة من دكالة الكبرى، أما اليوم فهي محسوبة على منطقة أحمر بحوز آسفي.** (أحمد الوارث: رباط شاكر ـ مؤسسة دينية عتيقة في المغرب الأقصى، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع78، حزيران ـ يونيو 2012م، ص95). **ويقال أن بانيه هو شاكر صاحب عقبة بن نافع الفهري، وابن يعلي بن واطل أحد رجال رجراجة السبعة المقول بصحبتهم لرسول الله (ص)، في الوقت نفسه. لكنه تعرض لاحقا للتخريب والإهمال، إلى أن أحياه من جديد يعلي بن مصلين الرجراجي حوالي القرن 4هـ/ 10م، تخليدا لذكرى شاكر وتمسكا بمذهبه.** (ابن الزيات: التشوف، ص51 ؛ أحمد الوارث: رباط شاكر، ص96ـ97).

(2) معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، المغرب، 2001م، ج13، ص4254 ؛ محمد المنوني: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس، ص243.

ـ برغواطة: اختلف المؤرخون حول أصل البورغواطيين وإسمهم ومعناه وأول من تنبأ فيهم اختلافـا كبيرا. فمن قائل أنهم قبائل كثيرة ليس لهم أب وأم واحدة وإنما هم أخلاط من قبائل شتى من البربر(ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص130). **ومن قائل أنهم قوما جهالا من زناتة** (مجهول: الاستبصار، ص197)، **ومن قائل أنهم بطن من بطون مصمودة** (ابن خلدون: العبر، ج6، ص275، 280 ـ 281)، **ومن قائل أنه ليس لإسمهم أي دلالة سلالية وإنما هو إسم نحلة دينية أطلقت على القبائل التي اتبعتها** (ابن منصور: قبائل المغرب، ص322). **وقيل أن صالح بن طريف نشأ بحصن برباط من عمل شذونة لذلك سُمي كل من تبعه برباطي قبل أن تعربه العرب إلى برغواطي** (الناصري: الاستقصا، ج2، ص15 ؛ مجهول: الاستبصار، ص197 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص130)، **وقيل بل برباطي أو برغواطي أطلق على من اتبع** =

لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المقاصد والأغراض[1]. رباط تِيطُّنْفْطّر

=

يونس بن إلياس بن صالح بن طريف لأن أصله من شذونة من جهة وادي برباط (ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص225). **وقيل أن طريف كان على ديانة الإسلام إلى أن هلك فقدم البربر عليهم إبنه صالحا فتنبأ فيهم** (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص318 ـ 319) **وقيل لا بل كان طريف أول من تنبأ وشرَّع لهم الشرائع** (ابن خلدون: العبر، ج6، ص276). **وقد كان من بين مظاهر ضلالهم الإقرار بنبوة صالح بن طريف ومن تولى الأمر بعده من ولده، والإيمان بأن كتابه الذي ألفه لهم وحي من الله، وصيام رجب وإفطار رمضان، والصلاة بلا أذان ولا إقامة.. إلخ.** (ابن عذاى: البيان المغرب، ج1، ص226 ؛ البكري: المسالك والمملك، ج2، ص322 ـ 323 ؛ محمد الطالبي ـ إبراهيم العبيدي: البرغواطيون في المغرب، تانسيفت، المغرب، 1999م، ص50 وما بعدها). **أما منهجهم في الدعوة إلى نحلتهم فقد كان بكل اختصار ـ سفك الدماء ـ ولا غرو فقد أوصى صالح بن طريف ابنه إلياس أن يقتل كل من خالفه في مذهبه** (ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص224)، **وأخلى يونس بن إلياس بن صالح 387 مدينة واستلحم 7770 من أهلها المخالفين له بالسيف في موضع يقال له تاملوكاف. وأقام أبي غفير يحمد بن معاد القتل بأهل تيغمسن مدة ثمانية أيام حتى شرقت دورهم وسككهم بدمائهم** (البكري: المسالك والممالك، ج2، ص320 ؛ ابن خلدون: العبر، ج6، ص277). **وكان هذا سببا كافيا لامتداد حدودها جنوبا إلى المحيط الأطلسي، حتى شملت تامسنا ودكالة وعبدة وغيرها من الأراضي الحوزية جنوبي آسفي ونواحي مراكش** (محمد الطالبي ـ إبراهيم العبيدي: البرغواطيون في المغرب، ص47). **لذا كان من الطبيعي أن يعمل المسلمون للخلاص منها بإحاطتها بالرباطات من جميع نواحيها، فرابطو في شمالها بسلا والرباط** (ابن حوقل: صورة الأرض، ص82)، **وفي جنوبها بماسة وفوز** (البكري: المغرب، ص86، 161)، **زيادة على رباط شاكر الذي كان يقع هو الآخر في جنوبها بالقرب من مراكش** (ابن الزيات: التشوف، ص51 ؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص295).

(1) **أنظر:** محمد السعيدي الرجراجي: رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري، مؤسسة آفاق، مراكش، المغرب، 2010م، ص43 ؛ محمد السعيدي الرجراجي: رجراجة وتاريخ المغرب، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، المغرب، 2004م، ص76 .

أيضا كان فوق دوره في: «تطهير المنطقة الجنوبية لتماسنا من الانحرافات التي لحقت بعقيدة صنهاجة أزمور بفعل تأثير النحلة البرغواطية»[1]، مركزاً لـ: «قراءة العلم والقرآن العظيم والتفقه في الدين.. وتدريس الموطأ والمدونة»[2].

وكيما كان الأمر فقد كانت الرُبط كالمدارس الثانوية، والتعليم بها شرح لأصول التعليم بالكُتَّاب، وبرامجها دون برامج الجوامع وفوق برامج الكُتَّاب، ومنهجها قائم على حفظ القرآن وتفسيره تفسيرا ظاهريا أي مقيدا بخصوص اللفظ لا بمطلق المعنى، وتعليم العقائد، وتدريس الفقه السهل الخال من التشعب ومن الحيل الشرعية والصور الخيالية النادرة، وتلقين الشعر الوعظي المسمى بالرقائق، زيادة على تعليم كل ما تمس إليه الحاجة من العلوم الآلية التي لابد منها[3].

---

(1) محمد المازوني: رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية، مشاركة ضمن أعمال اليوم الدراسي: الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي ـ وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1996م، ص29.

ـ **رباط تِيطُّنْفْطّر: يقع على ساحل المحيط الأطلنطي ببلاد دكالة، على بعد إحدى عشر ميلا جنوب مدينة الجديدة، على الطريق المؤدي إلى الوليدية. وقد كان لإسماعيل بن سعيد جد الأمغاريين الفضل في وضع أول لبنة في تيط قبل بداية القرن الخامس الهجري، ثم استكمل ابنه أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل الأمر بعده، قبل أن يضطر ـ بسبب الحرب بين زناتة وبرغواطة ـ لمبارحة تيط والانتقال عنها إلى أيير، حيث انشغل بتدريس العلم للطلبة. لكنه عاد ثانية بعد ظهور المرابطين بيسير، فأحيا الموضع وحفر الآبار وبنى الدور واختط المساجد واستأنف تمهيد المنقطة حتى صارت بالفعل قرية. ثم وفي عهد مشيخة ابنه أبي عبد الله محمد بن أمغار لرباط تيط أصبح الرباط من أكبر المراكز العلمية والصوفية في المغرب كله.** (أحمد الوارث: رباط تيط في دكالة ـ تاريخ وعمارة، مشاركة ضمن أعمال اليوم الدراسي: رباطات وزوايا في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب، مارس 2004م، ص38 ـ 42، 54).

(2) أحمد الوارث: رباط تيط في دكالة، ص54.

(3) عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، معهد الدراسات العربية العالية ـ جامعة الدول العربية، القاهرة، =

**** المساجد / المدارس:**

تعتبر المساجد من أوائل الأبنية العامة التي أقيمت في الإسلام، ومن أقدم المؤسسات التعليمية لدى المسلمين، وعلى رأس معاهد التعليم والثقافة بالمغرب[1]، ولاسيما في عهد المرابطين. حيث كان لقيام دولتهم على أساس دعوة ابن ياسين الدينية دوره في اهتمامهم ببناء المساجد وتعميرها، ليستمر من خلالها بث رسالته الدينية، ولتتحقق بواسطتها رؤيته في نشر الثقافة الإسلامية[2]. وحسبنا انتساب أول نص يشير لقيام الدراسة بالقرويين، لعصر المرابطين[3].

=

د.ط، 1958م، ص45 ـ 46 ؛ محمد الطوكي: دور الرحلة و مساهمة عباد و نساك رباط أكلو في قيام دولة المرابطين ونشر الثقافة الإسلامية في الجنوب المغربي، مجلة جامعة ابن يوسف، المغرب، ع8 ـ 9، 2010م، ص398 ؛ محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي، ص274 .

(1) **أنظر:** محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، ص48 ؛ سنوسي بدرة: طرائق التعليم في بلاد المغرب الإسلامي، ص55.

(2) **مصداق ذلك حماسة يوسف بن تاشفين التي بلغت به حد الاحترام والتشمر والعمل بيده مع الخدمة في بناء مسجد الطوب (454هـ)، وإجبار أهل فاس على بناء المساجد في أحوازها وأزقتها وتوعد أي زقاق لا يوجد فيه مسجد بمعاقبه أهله. وإنفاق ابنه ستين ألف دينار (وقيل سبعين) علىَ بناء مسجده في مراكش والمنار الذي عليه524هـ (وقيل 525هـ)، وأَمره بتوسعة مسجد القرويين، وقيامه بصنع منبر له (538هـ) كلفه ثلاثة آلاف دينار وثمانمائة دينار وسبعة أعشار دينار فضة.** (الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص234 ؛ ابن المؤقت: السعادة الأبدية، ص20 ؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص166 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص55، 67 ـ 68 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص59 ـ 60، 62، 138، 141 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص56، 68 ـ 69؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25 ؛ حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156 ؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص397).

(3) **يعني الباحث إشارة صاحب الذيل والتكملة، وجذوة الاقتباس، لقعود محمد بن أحمد المعروف بالبغدادي بغربي جامع القرويين لتدريس الفقه بعد عودته**
=

وجزم أحد الباحثين ـ اعتمادا على ذات النص ـ بالبداية: «الجامعية للقرويين بعد استقرار الأمر على عهد الدولة المرابطية»[1].

لكن الأمر لم يتوقف عند حد القرويين، بل شاركته مساجد أخرى في تأدية الدور: «الذي تقوم به المدارس والجامعات اليوم، من تكوين العلماء وتثقيفهم وتخريجهم في مختلف فروع المعرفة»[2]، كجامع / جامعة ابن يوسف[3]، الذي عَرف ـ هو الآخر ـ أولى حلقاته الدراسية في عهد المرابطين[4]. حيث كان بمراكش

=

من المشرق (515هـ). (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص492، 493 [تر1151]؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص262 [تر269]).

(1) د. يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص428 ـ 429. **وانظر:** جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص274؛ محمد المنوني: مدخل إلى تاريخ القرويين الفكري، ضمن كتاب: جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف، منشورات وزارة التربية الوطنية ـ إدارة الشؤون الثقافية، المغرب، د.ط، 1960م، ص182 ـ 183؛ محمد عز الدين: جامع ابن يوسف بمراكش ـ التاريخ والإشعاع، مجلة المجلس، المجلس الأعلى بالمملكة المغربية، المغرب، س1، ع2 ـ 3، مارس ـ ربيع الأول، 2008م، ص68؛ حوري ياسين حسين: المسجد ورسالته في الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م، ص122.

(2) يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص474.

(3) **أنظر:** مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية للغرب الإسلامي وجامعاتها القديمة، مجلة جامعة ابن يوسف بمراكش، المغرب، ع1، 2002م، ص189؛ لكديم الصوصي مولاي إبراهيم: مراكش موطن المسجد الجامعة ـ ابن يوسف، مجلة جامعة ابن يوسف بمراكش، المغرب، ع2، 2003م، ص250؛ عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق ـ بيروت، ط2، 1981م، ص450.

(4) إبراهيم الهلالي: ازدهار الحركة الثقافية بمراكش عبر جامعة ابن يوسف في عهد الموحدين والسعديين، مجلة جامعة ابن يوسف، المغرب، ع5، 2006م، ص244.

كالقرويين بفاس[1]، وقُدِّر له مثله: «أن يلعب دورا طلائعيا في نشر الثقافة العلمية.. وحفظ الشرائع الإسلامية بنشر مبادئها السامية في المغرب»[2]. وجامع سبتة الذي ذَكر القاضي عياض أنه حضر حلقات ابن شبونة في الفقه به[3]، في تاريخ لا شك سابق على سنة 515هـ التي أشير لعقد الحلقات بالقرويين فيها[4].

وكان الناشئة يتجهون لتلك الجوامع / الجامعات، لتلقي ما يُلقى بها من تفسير وحديث وتعاليم شرعية ودراسات عربية وتاريخ إسلامي وغيره، بعد إتمامهم لحفظ لكتاب الله[5]. وكانت الحلقة هي الأسلوب المتبع للتدريس بها[6]،

---

(1) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص75.

(2) ابن عثمان المراكشي: الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، ص99، 100 **(نقلا عن:** عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسفية في تأسيس ثقافة مغربية خلال العهد المرابطي، حوليات كلية اللغة العربية بمراكش، المغرب، ع3، 1994م، ص138). **ويقول عنه عبد الله كنون: «وإن ننس، لا ننس جامع ابن يوسف.. فمنذ بناه علي بن يوسف لم يزل المركز الثاني للدراسات العلمية والأدبية بالمغرب»** (عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص75).

(3) القاضي عياض: الغنية، ص155 [تر57].

(4) سافر عياض للأندلس سنة 507هـ وهو في نحو الثلاثين من عمره، وعاد سنة 515هـ في نفس السنة التي تولى فيها قضاء مدينة سبتة. ولا شك أنه لم يعد سنة 515هـ ليحضر حلقات الشيوخ ويطلب على أيديهم العلم. (أنظر: عبد القادر الصحراوي، القاضي عياض (1)، مجلة دعوة الحق س10، ع8، ربيع الأول 1387هـ، ص104**)**.

(5) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ج10، ص331. **وانظر: مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية، ص192، 193 ؛ فتحية الوداني: مناهج التعليم وطرقه في فاس، ص402-407.**

(6) سنوسي بدرة: طرائق التعليم في بلاد المغرب الإسلامي، ص56 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص102.

=

حيث كان الأستاذ / الشيخ يجلس على بساط أو حصير وهو متكئ على أحد أعمدة المسجد ووجهه إلى القبلة، والطلبة من حوله في شكل حلقة ـ تختلف سعتها باختلاف عددهم ـ ليُلقى عليهم الدروس في مجال تخصصه، وبالطريقة التي يرى أنها الأفضل لنقل معلوماته وخبراته إليهم.

ولم يكن المسجد حكرا على شيخ بعينه، بل كان يشتمل على عدة حلقات للدرس في وقت واحد، وكان الطالب حرا في اختيار الأستاذ الذي تميل إليه نفسه، والمادة التي يرغب في دراستها، والوقت الذي يناسبه؛ لأن حلقاتها كانت تستمر طوال اليوم من صلاة الفجر وحتى صلاة العشاء دون توقف أو مماطلة[1].

لكن ذلك لا يمنع من أن فترتي الغداة والعشي وبين العشائين كانتا من أكثر الأوقات مناسبة للدرس ـ بالنسبة للعلماء أقصد ـ لكي يتسنى لهم ممارسة العمل أثناء النهار، دون أن يعني ذلك خلو بقية اليوم من الدروس[2]. حيث كانت

=

ـ هذا ما نستشفه من وصف أبو مدين (ت588هـ) لبدايته العلمية بجامع القرويين بفاس، حيث قال: «فقيل لي إن أردت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس. فتوجهت إليها ولزمت جامعها وتعلمت الوضوء والصلاة. وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين». (ابن الزيات: التشوف، ص320 [تر162]). **كما أن قوله حلق يدل على اشتماله على عدة حلقات للدرس في وقت واحد.**

(1) انظر: مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية، ص192 ؛ سنوسي بدرة: طرائق التعليم في بلاد المغرب الإسلامي، ص56 ـ 57 ؛ خلدون محمد خير: مدينة مراكش دراسة سياسية وحضارية، ص97 ؛ فتحية الوداني: مناهج التعليم وطرقه في فاس، ص405، 409 ـ 410 ؛ حوري حسين: المسجد ورسالته في الإسلام، ص123 ؛ ريم راشد، موقف العلماء من السلتطين المرابطية والموحدية، ص64 ـ 67 ؛ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص115.

(2) أنظر: ريم راشد: موقف العلماء من السلتطين المرابطية والموحدية، ص65 ـ 66.

الحلقات ترتبط في الغالب بما يناسب وقت الشيخ لا طلابه، وحسبنا ما حكاه القاضي عياض عن أبي علي الصدفي (ت514هـ/ 1120م). فقد اضطر الناس لملازمة سماع جامع الترمذي عليه بجامع سبتة ـ عند مروره بها عائدا من المشرق صدر سنة 490هـ/ 1097م ـ ليلا ونهارا، يقول القاضي عياض: «حتى كمل في مدة يسيرة لفرط استعجاله»[(1)]. ولا تفوتنا الإشارة كذلك إلى أن تلك الدروس لم تكن حكرا على فئة بعينها، بل: «كانت حلقات كبار العلماء والمدرسين، وحلقات الدرس والتحصيل، مفتوحة أمام الأميين والتجار والصناع والحرفيين والعمال والعلماء سواء بسواء»[(2)].

أهم مراكز التعليم والثقافة:

مثَّل الاستقرار ـ وما استلزمه من بسط السيطرة وإحكام القبضة ـ كلمة السر في كل تطور عاشه المغرب الأقصى على يد المرابطين، ولاسيما في المجال الثقافي والفكري الذي تأثلت في عهدهم جذوره وترعرعت على أيامهم فروعه، حتى صارت وارفة الظلال تعطي أطايب الثمر. ولا غروا فالاستقرار بالمغرب هو من جعل فاس وأخواتها معتصم علماء القيروان، الذين كان لابد لهم من مكان يلتجئون إليه ليتابعوا من خلاله أداء رسالتهم ومواصلة نشاطهم، بعدما دك الهلاليون صرح مدينتهم التي ظلت تغذي الحياة الثقافية في العالم الإسلامي طيلة أربعة قرون. وانعدام الاستقرار بالأندلس ـ ولو جزئيا ـ نتيجة الفتن المستعرة بين ملوك الطوائف، ثم المعارك الطاحنة بين المرابطين والإفرنج، هو ما دفع علماء الأندلس القلقين على سلامتهم للهجرة إلى مدن المغرب الأقصى بأنفسهم والفرار إليها بعلمهم، لينعموا فيها بالاستقرار والطمأنينة من ذلك

(1) ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص54 [تر39].

(2) مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية، ص191؛ د. يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص475 .

الفساد والاضطراب، وليسهموا في تدعيم أركان الدولة الفتية الناشئة[1]، التي أصبحت حضرة عواهلها بفضلهم ـ زيادة على من استُدْعوا[2]ـ أشبه بحضرة بني العباس في صدر دولتهم[3].

حيث لم يذهب صون المرابطون لتراث القيروان وحماية علمائه، ولا ضاع بسط ظل رعايتهم لعلماء الأندلس على المغرب سدى. بل أثمر ثورة ثقافية أسهمت: «في تفوق مدارس المغرب الأقصى وبروزها في ميدان الحضارة وتألق نجمها في عالم الثقافة»[4]، وفي إنعاش حركة التدريس والتأليف وتقدمهما: «تقدما مدهشا، رفع المغاربة إلى مصاف رجال الفكر في العالم الإسلامي، وأبان عن ذكائهم وتفننهم في سائر الفنون والمعارف من فلسفة وطب وعلوم لسانية ودينية»[5]، وما إلى ذلك من معارف لا يليق بها ولا برجالها مجرد الإشارة العابرة، لكن قبل الحديث عنهم سيتحدث الباحث عن أبرز المراكز العلمية بالمغرب وأكثرها جذبا، تلك المراكز التي كانت تجيش مساجدها بطلاب العلم، وتعج مجالسها بمناقشات الفقهاء ومناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء إلى آخر ذلك مما حفلت به الحياة الفكرية بالبلاد. **ويأتي على رأس تلك المراكز ذات الجذب:**

---

(1) أنظر: الزهري: كتاب الجغرافيا، ص112 ؛ المراكشي: المعجب، ص441، 443 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص294 ؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص424 ـ 426 ؛ الحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص174؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية، ص443، 445 ـ 446 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص269 ـ 270.

(2) المراكشي: المعجب، ص237.

(3) المراكشي: المعجب، ص227.

(4) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص425.

(5) الحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص176.

**** مدينة فاس:**

قُدِّر لمدينة لفاس أن تكون داراً للعلم ومدينة للعلماء منذ كانت[1]، بفضل كثرة عبادها وذهادها وفقهائها وعلمائها ومتصوفيها[2]، وبفضل ما اشتملت عليه من علم قرطبة والقيروان وما استقبلته من علمائهما على مدار تاريخها. حيث لجأ إليها ربضية قرطبة إثر فشل ثورتهم (202هـ/ 817م) ضد الحكم بن هشام (ت206هـ)، وهي

بعد مازالت تخطوا أولى خطواتها، وكان أكثرهم: «من أهل العلم والخير»[3]، فصيروها مدينة[4]. ونزل بها من علماء القيروان وفضلائه[5]، من نَشَرَ فيهم العلم والأدب[6]. ورحل إليها من علماء قرطبة وفضلائها من صيرها: «حاضرة للمغرب.. وموضع العلم منه»[7].

لكن ما غرقت به المدينة من اضطرابات سياسية ونزاعات عسكرية استمرت قرابة القرن ونصف، عطل ركب نهضتها وحال بين أهلها والاستفادة من تلك العلوم ومن اشتملوا عليها، لولا ظهور المرابطين الذي حال دون استمرار

---

(1) **يقول الجزنائي: «لم تزل مدينة فاس من حين أسست، دار فقه وعلم وصلاح ودين».** (الجزنائي: جنى زهر الآس، ص40).

(2) التميمي: المستفاد، ق1، ص14.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص47.

ـ **أنظر تفاصيل تلك الثورة وما جرى فيها عند:** ابن الآبار:الحلة السيراء، ج1، ص43 وما بعدها ؛ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص75ـ77 ؛ابن خلدون: العبر، ج4، ص161ـ162 .

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص77.

(5) **بعدما خرب الهلاليون صرح مدينتهم سنة 449هـ/ 1057م.** (المراكشي: المعجب، ص443 ؛ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص294).

(6) الزهري: كتاب الجغرافيا، ص112.

(7) **بعدما اضطرب أمرها، باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر.** (المراكشي: المعجب، ص443).

ذلك أطول. حيث كان لسيطرتهم على المدينة وتوحيدهم لها تحت ظل حكومة مركزية واحدة، دوره في خلق الاستقرار وبث الأريحية، وما إلى ذلك من الأسباب التي لابد منها لمتلقي العلم ومُلقيه[1]. كما كان لصدق رعايتهم بمن نزولوا بكنفهم من علماء الغرب الإسلامي، وقيامهم بإسناد المناصب الرفيعة إليهم، سببا في استقطاب مئات غيرهم، لاشك فيما كان لهم من أثر بالغ في الارتقاء بالمدينة إلى مصاف حواضر العالم الإسلامي[2].

غير أنه لم يكن لذلك أن يكون، لولا أنه رافقه اهتمام بالغ بالمساجد ـ مدارس هذا العصر ـ حيث أصدر يوسف أوامره بمجرد دخولها: «ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها»[3]، وأدخل ابنه التوسعة على القائمة منها، **كجامع القرويين** الذي زاد فيه عدة بلاطات ونقشه ورَقَشَه (زخرفه وزينه) وأمر بعمل منبر جديد له[4]؛ مما كان له أثره في اجتذاب الكثير من الفقهاء والمحدثين ورجال الفكر وأرباب الأدب لعقد حلقاتهم به، ليواصلوا وليواصل المسجد من خلالهم تأدية دوره في نشر العلم وبث معارفه. وحسبنا انتساب أول نص يشير لقيام الدراسة الجامعية بمسجدٍ، إليه[5].

---

(1) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141 ؛ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص269 ؛ جميلة راجاح: إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي، ص53.

(2) ولاسيما أهل الفقه الذين يقول المراكشي عنهم: «وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم»، وقوله ثانيا: «ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده، إلا من عَلم عِلم الفروع». (المراكشي: المعجب، ص235ـ236).

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141.

(4) أنظر: عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج1، ص66 ـ 67 ؛ ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص59ـ60 ؛ الجزنائي: جنى زهر الآس، ص67ـ68.

(5) الإشارة هنا لمحمد بن أحمد المعروف بالبغدادي (ت546هـ/ 1151م)، الذي ذكر صاحبا الذيل والتكملة، وجذوة الاقتباس، أنه قعد بغربي جامع القرويين =

لكن ذلك لم يكن حكرا على القرويين الذي: «شكل واسطة عقد الحركة الفكرية بالمغرب»[1]. بل شاركته مساجد أخرى في تأدية الدور الذي تقوم به المدارس والجامعات اليوم، من تكوين العلماء وتثقيفهم وتخريجهم في مختلف فروع المعرفة [2]، كمسجد **الأندلس** الذي لم تحرمه يد القدر من مسحة علمية، رغم فقده المكانة التي كان يمتاز بها قبل المرابطين[3]، ومسجد **ابن حنين** الذي بناه علي بن أحمد الكناني المعروف بابن حنين (ت569هـ/ 1173م) عام قدومه فاس: «وتصدر لإقراء القرآن والتدريس فيه ستا وستين سنة إلى أن توفي»[4]، ومسجد **زقاق الماء** الذي كان يُدرِّس به أبو بكر بن عثمان بن مالك، شيخ ابن حرزهم (ت559هـ/ 1163م)[5]، ومسجد **الحوارء** الذي تصدر محمد بن محمد

=

لتدريس الفقه به، بعد عودته من المشرق (515هـ). (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص492 ـ 493 [تر1151] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص262 [تر269]. **وانظر:** يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ص428ـ429).

(1) كريمة بنسعاد: الاجتهاد العلمي لصوفية المغرب أصالة وامتداد، مجلة قوت القلوب، المغرب، ع1، يونيو 2012م، ص72.

(2) يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص474.

(3) **أنظر تفاصيل ذلك عند:** محمد عبد العزيز الدباغ: جامع الأندلس بفاس، ص14 ـ 16 ؛ عبد الله كنون الحسني: التعاشيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2015م، ص87ـ88.

ـ أشار الجزنائي لقيام جملة من العلماء بتدريس العلم بهذا الجامع، كعبد الله بن وشون (ت529هـ/ 1134م)، وأبو الفضل بن النحوي (ت513هـ/ 1119م). (الجزنائي: جنى زهر الآس، ص94، 96 ـ 97 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص419 [تر436] ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج3، ص380 [تر1395] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص95 وما بعدها [تر9]).

(4) الكتاني: سلوة الأنفاس، ج1، ص398 [تر355] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص127[تر310].

(5) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص105[تر26].

بن عبد الله بن معاذ اللخمي المعروف بالفلنقي للإقراء به إلى أن توفي (ت553هـ/ 1158م)[1]، ومسجد **طريانة** الذي دَرَّس به ابن تومرت (ت524هـ/ 1130هـ) مدة، قبل أن يرتحل إلى مراكش لعلمه أنه لا يظهر أمره إلا منها[2]، ومسجد **حارة لواتة**[3]، ومسجد **عين عَلُّون** الذي كان يؤم فيه محمد بن يبقى ويعلم الصبيان إلى أن توفي وقد نيف على السبعين من عمره[4]، ومسجد **الرَّواحَةِ** الذي كان يؤم به ابن هِراوة ويعلم القرآن ويجتمع إليه فيه أهل الفضل[5]، ومسجد **فاس** الذي أقرأ به الدروقي وأمَّ فيه الناس مدة، قبل أن يُيَمِّم وجهه شطر مصر التي توفي بها سنة 530هـ/ [6].

ولم يكن المسجد هو كل المؤسسات العلمية بالمدينة، بل كان هناك عشرات **الكتاتيب** التي كان الصبية يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم كما في المعاهد الابتدائية الآن. كَكُتَّاب أبي عبد الله التاودي[7]، ومحمد بن يبقى[8]، وأبو عبد الله القصري[9]، وغيرهم. كذلك تجلت

---

(1) ابن الآبار: التكملة، ج2، ص21 [تر53] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص264 [تر271].

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص173.

(3) ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص11 [تر15].

(4) التميمي: المستفاد، ق2، ص58 [تر9].

(5) لم يُشر التميمي لتاريخ ولادة ابن هرواة أو وفاته، لكنه ذكر عَرَضا أنه دفن مع رفيقه الأعز محمد بن يبقى الذي اقتحم الموحدون فاس وهو يصلي بمسجد عين علون منها (540هـ/ 1145م). ما يعني أن ابن هرواة ومسجده ينتسبان للعصر المرابطي. (التميمي: المستفاد، ق2، ص58-59 [تر9] - ص62، 64 [تر11]).

(6) السلفي: معجم السفر، ص449 [تر763].

(7) ابن الزيات: التشوف، ص272 [تر120] ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص137 [تر55].

(8) التميمي: المستفاد، ق2، ص58 [تر9].

(9) التميمي: المستفاد، ق2، ص158 [تر67] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص331 [ضمن ترجمة فاطمة الاندلسية - 167].

النهضة العلمية بالمدينة في **المكتبات** العديدة التي كانت تشتمل عليها. سواء منها المكتبات العامة، أو الخاصة التي دأب أصحابها على فتح أبوابها لطلبة العلم، كمحمد بن أحمد البيراني التجيبي (ت بعد 540هـ/ 1146م)[(1)]، ومحمد بن الغرديس التغلبي (ت بعد 543هـ/ 1148م)[(2)]، وعيسى بن الملجوم الأزدي[(3)]، وغيرهما. وتجلت كذلك في **حوانيت الوراقين** التي يمكن اعتبارها من بين المؤسسات العلمية، كونها كانت تنتج الكتب وتنشر أحد وسائط المعرفة[(4)]. إلى آخر ذلك من المؤسسات العلمية التي أثمرت: «خلق كثير من العلماء»[(5)]، في كافة التخصصات، سواء منها الدينية كالفقه: «والحديث والتفسير والأصلين [الدين والفقه] مما لم ينقطع تدريسه بالجامعة [القرويين] في أي عصر»[(6)]، أو اللغوية والأدبية التي: «ظلت الكلية [القرويين] رافعة رايتها منذ انبثاق فجر النهضة العلمية في المغرب على يد المرابطين»[(7)]، أو الفلسفية التي كانت تشمل الرياضيات والطبيعات بحسب معناها القديم[(8)].

---

(1) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص258 [تر264] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص61 [تر117].

(2) عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج1، ص124 ؛ ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص54.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص833 [تر170] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص501 [تر570].

(4) **وجود حوانيت الوراقين بفاس شيء يمكن استشفافه من شراء البكري تلميذ ابن الرمامة بفاس (567هـ) كتاب الإرشاد لأبي المعالي، لينظر فيه بعدما وقر في نفسه أنه أخذ عن ابن الرمامة من علم الحديث ما يكفيه. (أنظر:** ابن الزيات: التشوف، ص178-179 [تر55]**)**.

(5) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1980م، ج2، ص407.

(6) عبد الله كنون: التعاشيب، ص89.

(7) عبد الله كنون: التعاشيب، ص91.

(8) جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، ص270 ؛ عبد الله كنون: التعاشيب، ص93.

**** مدينة مراكش:**

كانت مراكش هي الأخرى واحدة من المراكز العلمية بالمغرب الأقصى، لنفس الأسباب السابقة. فقد انقطع لمؤسس المدينة ـ التي اتسمت المعطيات التاريخية المتعلقة بتاريخ تأسيسها بالتذبذب[1] ـ من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته، حضرة بني العباس في صدر دولتهم.

ولما لا، وقد: «اجتمع له ولابنه من فرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار»[2]. وخاصة من الأندلس التي اسْتُدْعِيَ منها أفاحل علمائها وأدبائها وصناعها وفنانيها، لتلبية طموحات ابن تاشفين المنبهر بحضارة الأندلس وتقدمها العلمي والعمراني[3]، وَشَدَّ منها ـ ومن غيرها ـ من لم يُستدعوا عصا الترحال لمراكش: «لينعموا بالحياة قريبا من الأمراء، فينالوا رفدهم وعطائهم»[4].

لذلك لم يمض على تأسيسها قرابة نصف قرن حتى عظمت عمارتها، وعمتها نهضة علمية وفكرية جعلت منها المركز الثقافي الثاني بعد فاس[5]، وأصارتها توصف بمدينة: «العلم والخير والصلاح»[6]؛ بفضل من لجأوا

---

(1) **أنظر:** لكديم الصوصي: مراكش موطن المسجد الجامعة، ص232ـ233.

(2) المراكشي: المعجب، ص227.

(3) **لم يقتصر يوسف وابنه علي على استدعاء أعيان كتاب جزيرة الأندلس فقط، بل واستدعوا منها المحاسبين، والمهندسين، والصناع وجُملا من أهل المعرفة بالبناء.** (المراكشي: المعجب، ص237 ؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج2، ص314؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص233، 235 ؛ الإدريسي: وصف افريقيا الشمالية والصحراوية، ص44ـ45).

(4) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص432.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص540 ؛ د. يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج2، ص434 (بتصرف).

(6) السملالي: الإعلام، ج1، ص280.

لمساجدها ـ التي لعبت دور المدارس الحالية والجامعات ـ من علماء وفقهاء، وما أداره هؤلاء بها من سجالات وعقدوه من مناظرات[1]، ولاسيما **بمسجد الطوب** الذي بناه يوسف بن تاشفين قرب قصره (قصر الحجر)[2]، وأولاه رعايته حتى صار قبلة أهل العلم كما عَبَّر أحد الباحثين[3]. ولم لا وقد: «اجتمع فيه ـ كما يقول المؤرخون ـ من العلماء والفقهاء والعارفين والمتفقهين من مختلف العلوم والآداب والفنون.. ما جعله مقصد العلم ومركزه العالمي»[4].

كذا أسهم **مسجد ابن يوسف**: «صانع شهرة المدينة الحمراء»[5]، الذي بناه علي (514هـ) [6]، ليستوعب ما فاض على الجامعة الأولى، التي ضاقت رحباتها بالرواد والعلماء الوافدين على مراكش من جميع جهات المغرب والأندلس هو الآخر في تهذيب العلوم وتقديمها[7]، إلى جانب القرويين الذي لم

---

(1) المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال، ص88.

(2) **مسجد الطوب، أو مسجد صومعة الطوب ـ كما سماه البيذق ـ هو المسجد الذي بناه يوسف بن تاشفين في مراكش عند تأسيسها سنة 454هـ/ 1062م، وشمر واحتزم للعمل فيه بيده مع الخدمة تواضعا منها وتورعا.** (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص138 ؛ البيذق: أخبار المهدي، ص27 ؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص234 ؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص25 ؛ حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156).

(3) محمد عز الدين: جامع ابن يوسف بمراكش، ص64.

(4) مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية، ص189.

(5) لكديم الصوصي: مراكش موطن المسجد الجامعة، ص251.

(6) بشرى تاكفراست: مسجد ابن يوسف ـ تاريخ ومجد، مجلة جامعة ابن يوسف بمراكش، المغرب، ع1، 2012م، ص217.

(7) **كان مسجد علي بن يوسف ـ ويطلق عليه أيضا إسم جامع السقاية ـ أكبر مسجد بناه المرابطون على الإطلاق، مقارنه بمسجد تلمسان، وكذلك جامع القرويين حتى بعد توسعتهم له.** (حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش، ص156، 159 ؛ مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية، ص189 ؛ محمد عز الدين: جامع ابن يوسف بمراكش، ص64).

يكن التوقف لطلب العلم بجامع ابن يوسف يقل أهمية عن التوقف به. حيث: «كان بمراكش مثل القرويين بفاس.. ومنذ بناه علي بن يوسف لم يزل يحتل المركز الثاني للدراسات العلمية والأدبية بالمغرب»[1]. وقد لخص أحد الباحثين وصف نشاط المسجد العلمي بقوله: «بدأ مسجد ابن يوسف نشاطه مكانا للعبادة ومجلسا للفقهاء وناديا لاستقبال الوفود وعقد الاجتماعات واتخاذ القرارات وقاعة المناظرات والمناقشات، وجامعة للدراسة والبحث»[2].

وبخلاف هذين المسجدين، زيادة على **جامع عرفة** الذي لجأ إليه ابن تومرت بعد مقابلته الصاخبة مع فقهاء المرابطين، لا يكاد الباحث يقع على خبر مسجد آخر، بسبب تخريب الموحدين لها بحجة تطهير المدينة[3]. بيد أن تخريبهم المتعمد لم يحرمنا من بعض الإشارات عن مؤسسات علمية أخرى، باشرت بمراكش تفتيح الأذهان وإنارة العقول. كالكتاتيب القرآنية التي انتشرت بالمدينة لتعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة وتحفظيهم القرآن الكريم، ككتاب **أبو حدوا قاسم الإيلاني**[4]، وكتاب **محمد بن الأمان الجزولي**[5].

---

(1) عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية، ص139 ؛ لكديم الصوصي: مراكش موطن المسجد الجامعة، ص251 ؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص75.

(2) بشرى تاكفراست: مسجد ابن يوسف ـ تاريخ ومجد، ص219 وما بعدها. **وانظر:** عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية، ص139 وما بعدها ؛ الرحالي الفاروقي: ابن يوسف والكتبيين، مجلة دعوة الحق، المغرب، س6/ 1، ع53، جماد الأول 1382هـ ـ أكتوبر 1962م، ص6 ؛ محمد عز الدين: جامع ابن يوسف بمراكش، ص64 وما بعدها ؛ فاتن كوكة: التصنيف اللغوي والأدبي، ص31.

(3) البيذق: أخبار المهدي، ص66.

(4) ابن الزيات: التشوف، ص181 [تر57].

(5) ابن الزيات: التشوف، ص290 [تر132].

كما كان لهذا المناخ الفكري وما تمخض عنه من حركة تأليفية، ضف لذلك ما كان يتمتع به سكان مراكش ـ خلفاء ووجهاء وخواص ـ من إقبال على الكتب وحب لها وبحثا عنها؛ سببا في تشييد المكتبات التي أمكن بفضلها الحفاظ على كثير من المصادر الفقهية والعلمية والفلسفية. **كخزائن لمتونة**، التي أشار ابن خلدون لانتقال مصحف عثمان من خزائن قرطبة إليها[1]. والذي رجح بنين أن ابن تاشفين هو من أسسها، قبل أن تبلغ أوجها في عهد ابنه علي، الذي أثبتت المصادر أنه كان يأتي بالكتب لإغنائها من جميع الجهات، ويطلب من الكتّاب والعلماء تأليف الكتب وانتساخ المؤلفات برسمها[2]. كما اشتملت المدينة على عدة خزانات خاصة، **كخزانة ابن الصقر الأنصاري الخزرجي** (ت569هـ/ 1173م)، الذي يمكننا بالرجوع لترجمته استنتاج كثرة ما كانت تشتمل عليه المدينة من حوانيت الوراقين ودلالي الكتب[3].

وقد كان لتلك الخزانات ـ خاصة وملوكية ـ طابع العمومية، بمعنى أنه: «بالإضافة إلى خزانات المساجد المفتوحة في وجه عامة الناس، كانت الخزانات الملكية والمكتبات الخاصة تُفتح للعلماء والكتاب والأصدقاء والخواص باستثناء غير المعروفين.. ومما يدل على عمومية الخزانات في تلك الفترة ظاهرة وقف الكتب عليها ليقرأها من شاء من الناس رجاء ثواب الله ومرضاته»[4]. وقد

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج7، ص110 ـ 111.

(2) أحمد شوق بنين: الكتب والمكتبات في مراكش على عهدي المرابطن والموحدين، ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م، ص139 ـ 141 ؛ فاتن كوكة: التصنيف اللغوي والأدبي، ص71 ؛ عبد الهادي التازي: جامع القرويين، ج1، ص124 ؛ أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519.

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص410 [تر292] ؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في أعيان المذهب، ج1، ص213 [تر93].

(4) أحمد شوق بنين: الكتب والمكتبات في مراكش، ص142 ـ 143.

أثمرت كل تلك المؤسسات العلمية زخما فكريا وثراء معرفيا وصفه أبي العباس السبتي وهو يستأذن من أستاذه أبي عبد الله الفخار في الانتقال من سبتة لمراكش التي وصلها والموحدين محاصرين لها (541هـ/ 1146م)، بقوله: «إني عزمت على المسيرة إلى مراكش أطلب العلم فيها، فإنها مدينة العلم والخير والصلاح..»[1].

** مدينة سبتة:

عَرفت سبتة منذ عهد مبكر من حياة المغرب العلمية والعقلية، حضارة إسلامية متصلة الحلقات وثقافة عربية مزدهرة في جميع الحقب والحالات، بفضل اتصالها بالأندلس الإسلامي والظهير العربي الأمامي. وحسب المتتبع ما نشط بمنازلها وازدهر بنواديها ـ منذ أوائل القرن الثالث الهجري ـ من مختلف أضراب الثقافة وشتى ألوان المعرفة[2]، وما صارت إليه في القرن الرابع الهجري: «قرن اتصال سبتة بالاندلس اتصالا غير منقطع»[3]. فقد كانت: «طافحة بالعلم والعلماء»[4]. لكن ليس لنفس مستوى عصر المرابطين؟ لأن ما مرت به بدورها من حقب سياسية مضطربة، حال بينها وبين: «سكانها والطارئون عليها، من التفرغ لإحداث الازدهار الفكري والعلمي الذي عرفته سبتة في القرن الخامس الهجري وما بعده، أي منذ قيام دولة المرابطين»[5]. يقول ابن تاويت:

---

(1) السملالي: الإعلام، ج1، ص280 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص459.

(2) محمد بن تاويت: سبتة المسلمة ـ منارا للعلم والأدب ومهدا للفضل و الصلاح، مجلة المناهل، المغرب، ع22، يناير 1982م، ص82 ؛ حسن الوراكلي: شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة من خلال برنامج أبي القاسم التجيبي، مجلة المناهل، ع22، يناير 1982م، ص564 ؛ سعيد أعراب: جوانب من الحياة الفكرية بسبتة، ص228.

(3) محمد بن تاويت: سبتة المسلمة، ص85.

(4) محمد بن تاويت: سبتة المسلمة، ص86.

(5) محمد العربي الخطابي: سبتة رجالها ومكانتها وصلاتها العلمية بمختلف الحواضر الإسلامية، مجلة المناهل، المغرب، ع22، يناير 1982م، ص22.

=

«أما الحركة العلمية ورجالها بسبتة لهذا العهد، فنستطيع أن نقول في ثقة واطمئنان أنه لم تكن بالمغرب لهذا العهد مدينة تضاهي سبتة في نشاطها العلمي والقرائي وكثرة الرجال القارين والوافدين عليها..»[1].

والحق عنده، فقد تفوقت سبتة ـ التي تمثلت على نحو فريد من النضج العقلي والوعي بالذات كل ما تلقفته من أيدي الوافدون عليها من المشرق والنازلين بها من الأندلس والواصلين إليها من فاس وغيرها والعائدين من أبنائها من أي منهم، من تيارات ومذاهب عقلية وعلمية وأدبية كانت تتدفق بها مجالات الدرس والبحث والتأليف والتصنيف ببغداد ومكة والقاهرة وغيرها[2]ـ حتى على العاصمة مراكش، التي لم تكن قد أخذت طابعها الشخصي بعد[3]. وعلى فاس التي احتلت المرتبة الثانية بعدها ـ بفارق كبير ـ في عدد أعلام المذهب المالكي المنتمين إليها[4].

=

ـ لتفاصيل أكثر عن تلك الاضطرابات التي مرت بها سبتة منذ الفتح وحتى عصر المرابطين، مع التركيز على أثر ذلك على الناحية العلمية سلبا وإيجابا، أنظر: محمد بن تاويت: سبتة المسلمة، ص 82 ـ 107 ؛ محمد بن تاويت: تاريخ سبتة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1982م، ص17 ـ 63.

(1) محمد بن تاويت: سبتة المسلمة، ص57.

(2) حسن الوراكلي: شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة، ص566.

ـ يكفي للدلالة على هذا التفوق أن نشير إلى ما تحقق بها لهذا العهد من اكتفاء ذاتي في الأطر التعليمية وسواها. وأن نعرف أنه رغم ما قدمته للمرابطين من قضاة كُفاة عملوا في عدة جهات من المغرب، لم يتولى قضائها واحدا من غير أبنائها. (سعيد أعراب: جوانب من الحياة الفكرية بسبتة، ص236، 240).

(3) سعيد أعراب: جوانب من الحياة الفكرية بسبتة، ص242.

(4) توصل مبارك لمين من خلال دراسته لمدارك عياض مستخدما "المنهج الكمي"، أولا: هيمنة سبتة على 68% من أعلام المذهب المالكي بالمغرب الأقصى، أي معظمهم. ثانيا: زيادة عدد أعلام المذهب المالكي خلال القرن الخامس =

أما عن مقومات تلك النهضة وسر هذه الصدارة، **غير** موقع سبتة الفريد والمتميز الذي جعل منها نقطة تواصل وملتقى لمختلف تيارات الرحلة العلمية العابرة من المشرق وإليها أو من الأندلس وإليها[1]، **وغير** أبنائها الذين لم تعجزهم البراري ولا البحار عن شد الرِّحال لكل مكان عُقدت فيه حلقة عِلم أو بَزغ فيه نَجم عالم أو خُط فيه كتاب[2]، وغير تبني الدولة للفقه ورعايتها للفقهاء[3]. فهو ما توفرت عليه سبتة من **المساجد**، كمسجد زقاق الخشابين[4]، والمحلة[5]، التبَّانين[6]،

=

والنصف الأول من القرن السادس الهجريين. ثالثا: انتماء معظم السبتيين المشكلين لنسبة الـ 68% إلى القرن الخامس ومطلع السادس الهجريين، أي إلى الطبقات التاسعة والحادية عشر والثانية عشر. رابعا: احتلال فاس المركز الثاني بعد سبتة بفارق كبير، حيث لم تتجاوز نسبة الأعلام المنتمين إليها 12.12%. (**أنظر:** مبارك لمين: أعلام المذهب المالكي المغاربة، ص119 ـ 122).

(1) مبارك لمين: أعلام المذهب المالكي المغاربة، ص122. **وانظر:** حسن الوراكلي، شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة، ص564 ـ 565 ؛ عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ج1، ص125 ـ 126.

(2) محمد العربي الخطابي: سبتة رجالها ومكانتها، ص80.

(3) المراكشي: المعجب، ص235 .

(4) **أقرأ به ابن الخراز أحد تلامذة عياض (ت: بعد579هـ) نحوا من ستين سنة.** (ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص155 ـ 156 [تر363]).

(5) **نزله طارق بن زياد عند الفتح الأول، ودُفن به محمد بن عبد الله الأموي (ت517هـ/ 1123م) أحد شيوخ عياض.** (السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ص21 ؛ القاضي عياض: الغنية، ص58 [تر5]).

(6) **أحد مساجد الجمع بسبتة، ومدفن ابن سبع العجميسي (ت: نحو520هـ/ 1126م) أحد علماء سبتة المرابطية في القرآن والحديث.** (السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ص22 ؛ سعيد أعراب: أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه ـ أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي (1)، مجلة دعوة الحق، المغرب، س20/ 8، ع200، رمضان 1399هـ ـ أغسطس 1979م، ص18 ؛ سعيد أعراب: أقدم عالم مغربي وصلنا =

وسبتة[1]، وزقاق الخير[2]. **ومن الكتاتيب والمحاضر**[3]، **ومن المكتبات**[4]، **وخزائن الكتب** المحبسة[5].

**** مدينة أغمات:**

لم تكن أغمات - كما عبر كنون - إحدى القرى المهجورة في بلاد الصحراء، أو الجزر المنقطعة في ظلمات المحيط. بل كانت عاصمة للدولة وقاعدة للحكم ومنطلقا للفتح، من لدن ظهور المرابطين وحتى بناء مدينة مراكش التي صارت كل ذلك. بيد أن ذلك لا يمنع من أنه بقي لأغمات شيء لم يتحول عنها بتحول المرابطين لمراكش، ألا وهو: مكانتها العلمية التي سبق واكتسبتها قبلَئِذ، ثم ظلت محافظة عليها طوال عهدهم[6].

=

تراثه - أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي (3)، مجلة دعوة الحق، س20/ 10، ع202، محرم 1400هـ - ديسمبر 1979م، ص42).

(1) **كان يُحلِّق به عبد الله بن أحمد بن خلوف المعروف بابن شبونة (ت537هـ/ 1142م)، أحد شيوخ عياض.** (القاضي عياض: الغنية، ص155 [تر57]).

(2) **مسجد زقاق الخير، أو مسجد سعيد بن خلف الزناجي بزقاق الخير، هو المسجد الذي كان يلازمه سعيد بن خلف الله المعروف بالزناجي، ويُفتي ويَقرأ ويُؤخذ عنه فيه.** (القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص85).

(3) **أنظر:** عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص126 - 132.

(4) **كخزانة محمد بن عيسى التميمي (505هـ)، وخزانة محمد بن عبد الله الأموي (ت517هـ).** (السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ص29 ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص243 [تر1327] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص85 [تر5]).

(5) **ككتب محمد بن عيسى بن فرج التجيبي (485هـ/ 1092م) التي حبّسها على طلبة العلم الذين بالعدوة. حيث ذهب حميتو إلى القول بأنه: «لاشك أنه يريد بهم طلبة سبتة، لأنها يومئذ هي الأوفر حظا في المكانة العلمية، والأقرب إلى البلاد الأندلسية».**

(ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص190 [تر1225] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص551 [تر161] ؛ عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص126).

(6) عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص63 ؛ عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ص148.

حيث كانت أغمات من بين المدن التي لجأ إليها ربضية قرطبة[1]، إثر فشل ثورتهم سنة 202هـ/ 817م، ضد الحكم بن هشام (ت206هـ/ 821م)[2]، وكان أكثرهم كما أسلفنا من أهل العلم والخير[3]، ومن ثم لا شك فيما استفاده أهلها منهم **من تقاليد علمية**، لعل من بينها الرحلة في طلب العلم. بدليل طلبتها الذين ارتحلوا - في تاريخ لاحق - إلى المشرق، للسماع من ابن العسال (ت349هـ/ 960م)[4].

كما كانت من بين المدن التي لجأ إليها علماء القيروان، بعدما خرَّب الهلاليون صرح مدينتهم[5]. ومن ثم لا شك مرة أخرة فيما أقبسه هؤلاء للمدينة وما أقتبسه أهلها منهم. ولعل اختيار ابن الزيات افريقي ليُصدر به تراجم تشوفه - ناهيك عما اشتمل عليه كتابه وكتب غيره من تراجم الأفارقة المستقرين بأغمات - يؤكد هذا الدور[6].

---

(1) **أنظر:** البكري، المسالك والممالك، ج2، ص340 ؛ البكري: المغرب، ص155.

(2) **أنظر تفاصيل الثورة وما جرى فيها عند:** ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1، ص43 وما بعدها ؛ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص75-77 ؛ابن خلدون: العبر، ج4، ص161-162.

(3) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص47.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص11 [تر2] ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2، ص31 [تر313].

(5) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1، ص294 ؛ محمد المنوني: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس، مجلة المناهل، ع6، يوليو 1976م، ص247.

(6) **كانت أول ترجمة في التشوف من نصيب ابن سعدون، القيرواني الأصل الذي طوَّف بالمشرق حينا، قبل أن يستقر أخيرا بأغمات حيث توفي 485هـ/ 1092م. وقد كان الأول وليس الوحيد حيث اشتمل التشوف على تراجم أفارقة غيره كعبد العزيز التونسي، الذي درَّس الفقه بأغمات وتوفي بها (486هـ/ 1093م). والسفاقسيين الثلاثة أبو الطيب ومحرز ومحمد، الذين نزلوا بأغمات: «فأُخذ عنهم ونفع الله بهم». وأبي بكر المرادي الحضرمي أول من أدخل علوم الاعتقاد إلى المغرب الأقصى، والذي نزل بأغمات وريكة قبل أن يحمله أبو بكر بن عمر معه إلى الصحراء. وغير التشوف هناك في الغنية: سعيد بن أحمد السفاقسي**

ولا ننسى كذلك دور **الاستقرار** الذي أهداه المرابطون للمغرب، في تصفية أذهان سكان أغمات لاستيعاب وهضم ما احتمله معهم النازلين بهم من الأندلس[1]، والطارئون عليهم من القيروان، والمنتقلين إليهم من بعض مدن المغرب[2]، والعائدين إليهم من الأندلس والمشرق[3]، من معارف وتقاليد علمية وثقافية وتربوية. وفي بروز علماء أغماتيين كانت لهم إسهاماتهم العلمية والمعرفية ودورهم في تطوير الحركة الثقافية والفكرية بالمدينة. للحد الذي أصبحت توصف معه ـ دون أدنى مبالغة ـ بمدينة المتصوفة، ومدينة العلم والعلماء[4].

=

(ت501هـ/ 1107م) الذي: «سكن أغمات، وكان من المحققين بالفقه والكلام». وهناك في التكملة: الحسن بن عبد الأعلى السفاقسي، الفقيه الأصولي المتكلم، المتوفي بأغمات سنة 505هـ/ 1111م. (ابن الزيات: التشوف، ص83 [تر1]، ص92 [تر6]، ص161 [تر45]، ص106 [تر11] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص210 [تر90] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص217 [تر718]).

(1) **كمحمد بن أغلب بن أبي الدوس المُرسِيُّ الأصل (ت511هـ/ 1117م)، يقول المراكشي: «كان محدثا واسع الرواية ذا حظ وافر من الفقه.. تجول كثيرا يُعلم ويقرئ.. واستقر بأخرة بأغمات وريكة»، وعبد الله بن علي بن أحمد الشاطبي الأصل، يقول ابن الآبار: «وُلي قضاء أغمات بالمغرب وحدث بها وأخذ عنه جماعة.. وتوفي بأغمات وهو يتولى قضائها سنة 532هـ/ 1137م».** (ابن عبد الملك: الذيل، ج4، ص146 ـ 147 [تر337] ـ ابن الآبار: التكملة، ج2، ص255 [تر739]).

(2) **كابن شبونة السبتي الأصل، الذي: «انتقل إلى أغمات فكان رأسا بها مقدما في التدريس بها والفتيا».** (القاضي عياض: الغنية، ص155 [تر57]).

(3) **كموسى بن عبد الله الأغماتي الذي ارتحل سنة516هـ لبلاد العراق وخراسان وبخارى للتفقه والسماع . ويعقوب بن حماد الأغماتي الذي رحل إلى مرسية للسماع بها.** (السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج7، ص309 [تر1008] ؛ ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص321 [تر314]).

(4) عصمت عبد اللطيف دندنش: أضواء جديدة على المربطين، ص16.

ولم لا توصف بذلك وقد كانت مقصدا لطلبة فاس وغيرها من مدن المغرب، بل وطلبة الأندلس ذاته للأخذ عن علمائها[1]. إلى آخر ذلك من الشواهد والمعطيات الدالة على كونها كانت مركزا علميا هاما.

** مدينة مكناس:

لم تتميز مكناس بكونها مدينة المغرب الفلاحية فقط[2]، بل وبكونها مركزا علميا وحاضرة ثقافية كذلك. حقا لم يُخطئ **العرائشي** حين وصف المصادر التاريخية التي يمكن أن تعتبر مرجعا لهذا المحور بالقليلة جدا[3]، فقد لمس الباحث هذا أيضا. لكن ما تبقى من نتف وشذرات وبعض إشارات كان كافيا مع ذلك للدلالة على ما سبق ووصفها الباحث به.

فقد كانت مكناس ـ كسابقاتها ـ من بين المدن التي لجأ إليها ربضية

---

(1) **كعيسى بن فتح الشاطبي السُّكنى الذي: «مال لدراسة الفقه فانتقل إلى أغمات». وابن الصيقل الأنصاري، الشاطبي الأصل الذي كان يتردد على أغمات ليسمع بها صحيح مسلم على خلف بن عمر الباجي. وأبو محمد أبو الأمان الهكسوري الذي: «دَرَسَ الفقه على عبد العزيز التونسي بأغمات». وابن الملجوم الفاسي الأصل الذي سمع ببلده وبأغمات من أبي محمد اللخمي. وعيسى بن دافال المكناسي الذي: «لقي بأغمات سنة 530هـ أبا محمد اللخمي فسمع منه». وأبو جبل الفاسي الذي عزم على النهوض إلى أغمات ليتفرغ بها للعبادة، بعدما: «سمع أن الصالحين بأغمات وريكة».** (ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص419 [تر927] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص251 [تر253] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص102 [تر10] ـ ص152 [تر37] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج4، ص16 [تر46] ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج5، ص585 [تر534]).

(2) بوتشيش: إسهامات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينة مكناس، ص35.

(3) محمد العرائشي: الثقافة بمدينة مكناس في حاضرها وماضيها، مشاركة ضمن أعمال ندوة: الحاضرة الإسماعيلية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، مكناس، المغرب، ص1988م، ص307.

قرطبة[1]. كما كان لهذا التقليد المرابطي الخاص ببناء المساجد بالأحواز والأزقة والشوارع[2]، أثره في وفرة المساجد الصغرى بها، ولاسيما بتاجرارت التي هي مدينة مكناسة المرابطية. حيث اشتملت على عدة مساجد كجامع **الخطبة القديمة** المعروف بجامع النجارين كما هو إسم الحي الذي يوجد فيه، وجامع **أجناوة** بحومة جناوة، وجامع **براكة**، و**الحشاشين** وغيرهم[3]. أما تاورا

ـ إحدى مدائن مكناسة ـ فقد كان **مسجدها الجامع** بالقسم المعروف ببني يونس منها، والمسمى أيضا بتاورا الفوقية[4]. وسُمي مسجد السوق القديم ـ

---

(1) ذكر ابن غازي في معرض حديثه عن بني زياد ـ إحدى حوائر مكناسة ـ أنه كان بها قرية تسمى بقرية الأندلس: «سكنها على قديم الزمان قوم أندلسيون وتناسلوا بها». ويفهم من حديث البكري عن طرهم من أغيغي لوليلي ـ التي أشار لبقاء بقية يسيرة منهم بها ـ أنهم استوطنوا بعض أحوازها. واستنتج المنوني ـ من خلال قراءاته الطوبوغرافية، ومقارناته المصدرية، وانطلاقا من حقيقة ما اعتاده الأندلسيين من حيث استعمال أسماء مواطنهم بالأندلس في تسمية الأماكن بمهجرهم الجديد ـ وجود خمسة أسماء أندلسية صارت أعلاما على مواضع بمدائن مكناسة (لاسيما بورزيغة وتاورة)، وهي: زنيقة بني مروان، الفار، غدير الشريشي، الشلوكي، المترب. (ابن غازي: الروض الهتون، ص56 ؛ البكري: المغرب، ص155 ؛ محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص48 ـ 50 ؛ بوتشيش: إسهامات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينة مكناس، ص109).

(2) الإشارة هنا لما أقدم عليه يوسف بن تاشفين، من حيث إلزامه لأهل فاس بمجرد دخولها: «ببناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها». (ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص141).

(3) ابن غازي: الروض الهتون، ص78، 81 ؛ محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط، مجلة الدارة ـ السعودية، مجلد13، ع3، نوفمبر سنة 1987م، ص165 ـ 167.

(4) أكد المنوني ـ من خلال استقراءه للمصادر ـ أن عدد مدائن مكناسة القديمة وقراها بلغ 14 مركزا، من بينها تاورا المشار إليها أعلاه. (محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص43، 53 ؛ ابن غازي: الروض الهتون، ص58).

إحدى مدائن مكناسة - والذي كان لا يزال قائما هو وصومعته عندما كان ابن غازي (ت919هـ/ 1513م) يخط مؤلفه [1]، **بمسجد أبي تميم**[2]. وتميم هذا هو تلميذ أبي يعزى (ت572هـ/ 1177م)[3]، الذي: «انتهت إليه تربية الصادقين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها»[4]، كتميم هذا[5]، وكأبو عصفور الأجذم[6]، وغيرهما.

لكن هذا لا يعني تلخص وعي أبنائها العلمي وانحصار اهتمامهم الفكري في التصوف وحده. فقد **كشفت** تراجم أعلامها أنها كانت مثل أخواتها، يُدرس بها - بواسطة أبنائها والوافدين عليها - جل العلوم. كما **كشف** إقبال طلبتها على حضور حلقة ابن تومرت - التي حَلَّقها بمسجد أبي تميم - لأخذ العلم عنه ومذاكرته فيما عندهم من الفهم: «فبين لهم ما جهلوه وذكر لهم ما لم يذكروه»[7]، عن مستوى طلبة المدينة العلمي. صحيح لم يوضح البيذق ما عندهم، ولا كنه ما أضافه ابن تومرت لمعلوماتهم. لكن ما قضاه بالمشرق من وقت، ومن أخذ عنهم به، يجعلنا نرجح أن ما كان وما أضيف لا يتعلق بحكم الجهر بالبسملة عند قراءة الفاتحة.

---

(1) ابن غازي: الروض الهتون، ص60 ؛ محمد المنوني: مدائن مكناسة القديمة، ص45.

(2) البيذق: أخبار المهدي، ص25.

(3) ابن غازي: الروض الهتون، ص125. **وانظر ترجمة أبي يعزى عند:** ابن الزيات: التشوف، ص213 [تر77] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص563 [تر657].

(4) الشعراني: الطبقات الكبرى، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح - توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ج1، ص243 [تر257].

(5) ابن الزيات: التشوف، ص269 [تر119] ؛ ابن قنفد: أنس الفقير، ص31.

(6) **يقول ابن الزيات: «تلميذ أبي يعزى. أصله من مكناسة. نزل حارة الجذماء خارج حضرة مراكش وبها مات عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة. وكان عبدا فاضلا».** (ابن الزيات: التشوف، ص268 [تر115]).

(7) البيذق: أخبار المهدي، ص25 (بتصرف).

وتجب الإشارة إلى أنه لم يكن من دأب طلبة مكناسة على الدوام تحري مرور العائدين من المشرق بمدينتهم. فقد تواترت إشارات المصادر لمن ارتحل من أبنائها للمشرق[1]، ومن دخلوا الأندلس، ومن جالو في المغرب لينهلوا من معين علماء فاس وشيوخ أغمات وضيوف سبتة[2]، قبل أن يعودوا أدراجهم لنشر ما تعلموه وبث ما وعوه في بني مدينتهم، لا سميا مع ما كانت تتمتع به من كثرة المساجد التي كانت على رأس معاهد التعليم زمنئذ. وليسهموا بمشاركة النازحين للمدينة والمارين بها والمستقرين فيها في الارتقاء بها إلى مصاف حواضر المغرب العلمية[3]، ويبدوا أن هذا ما كان.

---

(1) **كعلي بن عبد الله بن حمود المكناسي الأصل، الذي حج سنة 512هـ وأخذ عن أبي بكر الطرطوشي (ت520هـ) سنن أبي داوود وصحيح مسلم، وعن غيره. وكأبي العباس الزرهوني الذي قدم الإسكندرية حاجا فأقام بها مدة يَقرأ الحديث وينسخ لنفسه الكتب.** (الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص526 [تر80] ؛ السلفي: معجم السفر، ص39 [تر47]).

(2) **كمحمد بن حماد بن محمد بن زغبوش المكناسي، الذي وصفه ابن غازي بقوله: «كان محمد هذا فقيها خيرا، قرأ بقرطبة وبغيرها، وصحب جلة من أهل زمانه». وكمحمد بن عبد الله بن مصالة الفزاري، الذي سمع الموطأ والصحيحين بأشبيلية على ابن العربي، والشفا وغيره على عياض بسبتة. وكعبد الله بن محمد بن حماد بن زغبوش المكناسي، الذي كان يقرأ بفاس وقت ما كان الموحدون محاصرين لها. وكعيسى بن عمران بن دافال، الذي ترجم له ابن الآبار بقوله: «من أهل مكناسة تازة.. ولقي بأغمات في رجب سنة ثلاثين وخمس مائة أبا محمد اللخمي فسمع منه».** (ابن غازي: الروض الهتون، ص65 ـ 66، 80 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج3، ص666 [تر181] ؛ لين عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص202 [تر109] ؛ ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص11 [تر15] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج4، ص17 [تر47]).

(3) **كعبيد الله بن عمر بن هشام الحضرمي، الأشبيلي الأصل (توفي بعد:550هـ) الذي ترجم له ابن الآبار بقوله: «قصد المغرب وتصدر للإقراء والتعليم بالعربية، فأُخذ عنه بمراكش ومكناسة». وكإبراهيم بن صواف الحجري،** =

**** سجلماسة:**

عرفت سجلماسة فوق ما امتازت به من أهمية تجارية(1)، إشعاعا علميا ونهضة ثقافية جعلت منها أحد المراكز الثقافية الهامة في بلاد المغرب. ليس فقط في عصر المرابطين، بل ومن قبله. حيث كانت سجلماسة وهي أقدم عمرانا من فاس ومسجدها الأعظم أقدم من جامعها بنيانا(2): «أول بلد بالمغرب دُرِّسَ بها العلم»(3)،

=

الشاطبي الأصل (ت نحو: 506هـ)، الذي ترجم له ابن القاضي بقوله: «وتجول في البلاد معلما بها.. وتوفي بمكناسة الزيتون وهو ابن إحدى وثمانين سنة». وكأبو القاسم بن الأبرش الشنتريني الأصل (ت532هـ)، فقد ورد في ترجمة إبراهيم بن قرقول ـ وقد كان رحالا في طلب العلم ـ أنه لقي أبا القاسم بن الأبرش بمكناسة وأخذ عنه. وكعبد الله بن عيسى بن محمد التادلي الأصل الذي شُور بفاس أيام لمتونة، قبل أن يتوفي ـ قبيل الستمائة ـ بمكناسة التي سبق واستوطنها. (ابن الآبار: التكملة، ج2، ص311 [تر901]؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص88 [تر11] ـ ص89 [تر12]؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1979م، ج1، ص557 [تر1171]؛ التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص214 [تر230]).

(1) **أنظر بخصوص ذلك:** العربي الرباطي: سجلماسة مركز القوافل التجارية، ص94 وما بعدها؛ محمد بركات البيلي: مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي في العصر الإسلامي، مجلة المؤرخ المصري، ع3، يناير1989م، ص76 وما بعدها.

(2) محمد أمراني علوي: الإجازات وطرق التدريس بالمساجد السجلماسية بجنوب المغرب، مجلة المجلس، المغرب، ع 8ـ9، يناير 2010م، ص104.

(3) إدريس الفضيلي: الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة: أحمد العلوي ـ مصطفى بن أحمد العلوي، وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1999م، ج1، ص96؛ أبو هريرة عبد الله محمود: مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد إمامة بني واسول الصفرية 140 ـ 366هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، 1994م، ص143.

ولا غروا فقد: «عمرت قبل حلول الأدارسة الحسنيين بهذا القطر بقريب من أربعين سنة، وذلك عام أربعين ومائة.. ومنذ ذلك الوقت لم تزل عامرة آهلة بالعلماء والصلحاء والأخيار»[1].

وليس في وسع الباحث الرجوع بقلمه لهذا التاريخ، فليس هذا نطاق بحثه. لكن بإمكانه سوق الأدلة على استمرار هذا الإشعاع لعصر المرابطين وطواله. فمثلا من بين الأدلة على وجود نهضة علمية بها قبيل انضوائها تحت لوائهم، واشتمالها على علماء مدركين لمسئوليتهم، ما ذكره ابن أبي زرع - مستخدما صيغة الجمع - عن فقهائها الذين كتبوا (447هـ/ 1055م) إلى عبد الله بن ياسين (ت451هـ/ 1059م)، ليشكو إليه ما لحق بأهل العلم والدين وسائر المسلمين، على يد أميرهم مسعود بن وانودين، ويدعونه لتخليصهم مما هم فيه من الذل والصغار[2]. أما على أيامهم، فحلق الدرس ومساجد العلم[3]، وتراجم أبنائها[4]، وإقراء المارين بها وإسماع المستقرين فيها، ومن جذبه إقرائهم واستقطبه إسماعهم[5]، لخير دليل على ما عرفته سجلماسة

---

(1) إدريس الفضيلي: الدرر البهية، ص96. **وانظر بخصوص تأسيسها:** حسن حافظي علوي: سجلماسة وإقليمها، ص91 وما بعدها.

(2) ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص127؛ الناصري: الاستقصا، ج2، ص12.

(3) كمسجدها الجامع، وكمسجد ابن عبد الله الذي نزل به أبو الفضل بن النحوي لما قدم سجلماسة ليُدَرِّس به أصول الدين وأصول الفقه. (ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص13؛ ابن الزيات: التشوف، ص98 [تر9]).

(4) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص153 [تر39] - ص155 [تر40] - ص156 [تر41].

(5) كأبو عمرو عثمان بن علي التلمساني الأصل. الذي ترجم له ابن الزيات بقوله: «نزل سجلماسة وتوفي بها [542هـ]، وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل». وكسالم بن سلامة السوسي [سوس المغرب] الذي دخل الأندلس وسمع بفاس من ابن الرمامة (487هـ - 567هـ) قبل أن يسكن سجلماسة ويتوفى بها سنة 589هـ وقد نيف عمره على المائة. وكمروان بن سمجون اللواتي (ت491هـ)
=

لهذا العصر من نهضة علمية ارتقت بها إلى مصاف المراكز الثقافية الهامة بالمغرب.

أهم العلوم التي شارك بها العامة:

قسم ابن خلدون العلوم ـ التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما ـ إلى صنفين. أطلق على أولهما **العلوم العقلية**: وتسمى علوم الفلسفة والحكمة. وهي العلوم الّتي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشريّة إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها[1]. وسمى الثاني **العلوم النقلية**: وهي العلوم التي تستند إلى الخبر عن

=

الطنجي الأصل الذي ترجم له ابن عبد الملك بقوله: «شرَّق وسمع بمصر.. وأخذ عن أبي علي بن أمدقيو [أمدكيو] بسجلماسة». وكابن ورد التميمي أحد أبناء المرية (ت540هـ) الذي: «رحل إلى سجلماسة، وناظر عند ابن العواد». وكابن الصيقل الشاطبي الأصل (ت بعد 500هـ) الذي: «دخل سجلماسة فسمع بها من بكار بن الغرديس»، وغيرهم. (ابن الزيات: التشوف، ص140 [تر28] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج4، ص124 [تر360] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص276 [تر159] ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص170 ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص251 [تر253]).

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص549، 629.

ـ تشتمل العلوم العقلية على أربعة أصول: 1: علم المنطق، وتعد الخطابة والشعر بعض فروعه. 2: العلم الطبيعي، وتعد الفلاحة والطب والكيمياء بعض فروعه. 3: العلم الإلهي، وهو ينظر في الأمور العامة للجسمانيات والروحانيات، وفي مبادئ الموجودات ومراتبها، وأحوال النفس بعد مفارقة الأجسام. 4: العلوم العددية، ويشتمل على أربعة فروع: أ: الأرتماطيقي [علم العدد]، ومن فروعه الحساب، والجبر والمقابلة، والمعاملات، والفرائض. ب: الهندسة، ومن فروعه الأشكال الكروية، والمخروطات، والمساحة، والمناظرة. ج: الموسيقى. د: الهيئة: ومن فروعه الأزياج. (أنظر: ابن خلدون: العبر، ج1، ص629 ـ 695**).**

الواضع الشّرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول. يقول ابن خلدون: «وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيّات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله (ص)، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئوها للإفادة»[1]. وأصناف هذه العلوم بحسبه كثيرة، من بينها: التفسير، والقراءات، والحديث، وأصول الفقه، والفقه، والكلام، والتصوف، والفرائض [المواريث]. لكنها لاغنى لها مع ذلك لعلوم اللسان. يقول ابن خلدون: «والنظر في القرآن والحديث لابد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها. وهي أصناف، فمنها علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الآداب»[2].

وفيما يلي عرض لأهم العلوم العقلية والنقلية، ولمن أدلى فيها من العامة بدلوهم، أثناء الفترة محل الدراسة. بيد أن الباحث سيستبق الأحداث قليلا، ليشير إلى ما لاحظه ـ من خلال استقراءه لتراجم علماء الفترة ـ من حيث استحواذ العلوم النقلية وعلوم اللسان على أغلب جهود العامة، إن لم تكن كلها[3]. وهي ذات الملاحظة التي سجلها أحد المتخصصين بقوله: «فإذا ما انتقلنا إلى الدراسات والعلوم التي كان يتعلمها أبناء الشعب، لوجدنا تنوعا في المناهج الدراسية.. وإن كانت جميعها تتخذ العلوم الدينية من تفسير وحديث أساسا ومنهاجا فيما يدرسه الفرد»[4].

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص549 ـ 550.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص550، 571، 611.

(3) يبدوا حكمنا بعيد عن المجازفة إذا ما قارناه بما ذهب إليه التواتي، الذي قَدَّر أن: «العناية بالفقه وعلم التشريع من تفسير وسنة وأصول، من أهم ما يميز مثقف ذلك العصر [عامِّهِ وخاصِّهِ] ويجعله محط أنظار مؤرخي الطبقات». (عبد الكريم التواتي: الأبعاد الثقافية لعهد الموحدين ـ هدف التقليد في الأدب المغربي، مجلة دعوة الحق، ع232، س24/ 6، صفر 1404هـ / نوفمبر 1983م، ص75).

(4) حسن علي حسن،: الحضارة الإسلامية، ص500.

أما السبب فربما هو اقتران نية احتساب دراسة العلم لديهم، بعلوم الدين. أو لشعورهم ـ شعورا انعكس أثره على أحلام بعضهم ورؤاهم ـ بأن تعلم العلوم العقلية، وترك قراءة القرآن وكتابة الحديث، ذنبا وجناية منهم على دينهم[1]. هذا عن سبب الإقبال على دراسة العلوم النقلية. أما سبب العزوف عن دراسة علوم الأوائل أو العلوم العقلية التي كانت تسمى بعلوم الفلسفة والحكمة، وغيابها الكامل ـ على حد تعبير لَمين ـ في بنية التخصصات العلمية لعلماء المغرب؛ فقد كان بحسبه نتيجة: «العلاقة الوثيقة بين الفلسفة وتلك العلوم»[2]. حيث ترتب على بث العلماء والفقهاء لرأيهم في الفلسفة وتشبيبهم بمتعاطيها، للإحجام عنها ولخلق جو عام من الرفض والاتهام لمتعاطيها. يقول ابن سعيد: «ولم يكن يُتظاهر بها خوف العامة. فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أَطلقت عليه العامة إسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه»[3].

---

(1) أنظر: ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص536 [ترجمة محمد بن علي بن محمد بن عياش ـ 1265].

(2) مبارك لمين: أعلام المذهب المالكي المغاربة، ص133.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص221. **وانظر:** السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج6، ص116 ؛ المراكشي: المعجب، ص236 ـ 237.

ـ لكنه لابد من الإشارة إلى أن ذلك التضييق لم يمنع بعض الخاصة من دراستها سرا، كابن وهيب ـ وزير علي بن يوسف ـ فقد كان: «لا يُظهر إلا ما ينْفُقُ في ذلك الزمان»، رغم تحققه بكثير من أجزاء الفلسفة. ولاشك أن ابن وهيب هو أحد الخاصة الذين عناهم شرحبيلي بقوله: «عِلْم الكلام والمذهب الأشعري قد عُرفا بالمغرب والأندلس وإفريقية، ولكن على نطاق الخاصة من أهل العلم». (المراكشي: المعجب، ص252 ؛ عبد الله كنون: النبوغ المغربي، ج1، ص72 ؛ محمد بن حسن شرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م، ص104).

لكن الأمر لم يتوقف عند حد تلك العلوم، فقد وصلت عدوى الرفض لبعض العلوم المحمولة على الشرع، كالأصول والكلام والتصوف. لتلبس منتحليها بالفلسفة، واستخدامهم لقواعدها في استنتاج أدلتهم، والرد على خصومهم من المبتدعة والمنحرفين عن مذاهب السلف وأهل السنة، على حد تعبير ابن خلدون[1]. بيد أن التوافق كان فقط في الحال، أما المآل فالعامة كان لهم بخصوصه رأي مختلف عن رأي فقهاء الدولة الخائفين على البلاد من البدع، وعواهلها الحريصين على توحيد المذاهب والقلوب في وجه الخطر المسيحي[2]. بدليل تراجم عشرات العامة ـ والخاصة ـ ممن بلغوا في التضلع بتلك العلوم مبلغا يلوي لهم الأعناق.

ـ أما **ثانية الإشارات** فهي بخصوص ما شفَّت عنه تراجم علماء الفترة بشأن التخصص. حيث دلت أنه لم يكن معروفا زمنئذ بمعناه الدقيق. حيث كان بإمكان العالم عصرئذ أن يكون محدثا رغم وفور حظه من الفقه وتقدمه في علوم اللسان، وأن يكون فقيها فوق معرفته بعلم الهندسة والحساب والفرائض، وأن يكون من أهل التبحر في التوحيد وإماما في النحو وفي الأصول كذلك، إلى آخر ذلك من الأمثلة.

---

(1) للإستفاضة حول هذا الموضوع أنظر: ابن خلدون: العبر، ج1، ص573، 580، 611 ؛ إبراهيم هلال: الفلسفة والدين في التصوف الإسلامي، دار العرب ودار نور، سوريا، 2009م ؛ لشقر محمد: علاقة التصوف بالفلسفة في الثقافة العربية، ضمن كتاب: التصوف وخطابات المثقف، إتحاد كتاب المغرب ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2014م ؛ زبيدة الطيب: علاقة الفلسفة بعلم الكلام، مجلة المعيار، الجزائر، مج21، ع41، يونيو 2016م ؛ د. علي جمعة: علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1996م.

(2) **أنظر:** نشوى أنور الرشيدي: العوامل المؤثرة في الفكر التاريخي لدى مؤرخي عصر المرابطين،ة مجلة فكر وإبداع، مصر، ج80، نوفمبر 2013م، ص429 ـ 430.

ـ أما ثالثة الإشارات فهي للتأكيد على أن عدم الترجمة لعلماء مشاركين بعلوم عقلية، لا يعني جهل مغاربة الفترة محل الدراسة بها. وإنما لأن كل من تأتي للباحث الاطلاع على تراجمهم كانوا من المنتمين للطبقتين الوسطى والخاصة. لكن هذا لا يعني جهل العامة مطلقا بكل ما ينسب للعقل من علوم ـ فقد سبق وعَرَّجنا على مشاركتهم بالطب والفلك والكيمياء ـ لكن جل مشاركاتهم تلك، كانت إما شفوية غير معتمدة على أسسس ولا قواعد علمية، وإما مستفادة من نصوص إما كراماتية وإما مطلقة غير محددة المعنى أو معينة الأماكن والأشخاص.

أولاً: العلوم النقلية أو الشرعية:

ـ علم التفسير: عَرَّفَه حاجي خليفة بقوله: «علم التفسير هو علم يُبحث فيه عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية. ومباديه: العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة. والغرض منه: معرفة معاني النظم. وفائدته: حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة. وموضوعه: كلام الكلام سبحانه وتعالى الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة. وغايته: التوصل إلى فهم معاني القرآن واستنباط حِكمه، ليفاز به إلى السعادة الدنيوية والأخروية»[1]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

ـ علم القراءات: تعثر تعريف القراءات تعريفا يسلم من الانتقادات، بسبب التداخل بينها كعلم له اصطلاحاته وحدوده وبين القراءات ذاتها، ونتيجة

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج1، ص427. **وانظر:** ساجقلي زاده: ترتيب العلوم، تحقيق: محمد بن إسماعيل السيد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1998م، ص163 ؛ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت، لبنان،1990م، ج2، ص284ـ285.

لاشتمالها على بعض العلوم كالتجويد والرسم، وعلى أبواب ومباحث من علوم القرآن واللغة وغيرها. لكن هذا لا يمنع من وجود تعريف جامع لتعريفات كل من عَرَّفوه، وقاطعا مانعا من دخول غيره فيه، ألا وهو تعريف القسطلاني[1]، الذي قال فيه: «علم القراءات هو علم يُعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والإتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، من حيث السماع. أو يقال: علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب، والحذف والإثبات، والفصل والوصل، من حيث النقل. أو يقال: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، مَعْزُوًّا لناقله»[2]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

ـ **علم الحديث**: هو: «علم يعرف به أقول النبي (ص) وأفعاله وأحواله، فاندرج فيه معرفة موضوعه.. وهو ينقسم إلى **العلم برواية الحديث**: وهو علم يُبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول (ص)، من حيث أحوال رواتها ضبطا وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك، وقد اشتهر بأصول الحديث. وإلى **العلم بدراية الحديث**: وهو علم باحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منها، مبنيا على قواعد العربية وضوابط الشريعة، ومطابقا لأحوال النبي (ص). وموضوعه: أحاديث الرسول (ص) من حيث دلالتها على المعنى المفهوم أو المراد. **وغايته**: التحلي بالآداب النبوية والتخلي عما يكرهه وينهاه. **ومباديه**: العلوم العربية كلها، ومعرفة القصص

(1) **أنظر**: محمد بن عمر بن سالم بن بازمول: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ج1، ص79 ـ 83.

(2) القسطلاني: لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامي، القاهرة، 1972م، ج1، ص170.

والأخبار المتعلقة بالنبي (ص) ومعرفة الأصلين، والفقه وغيرذلك»[1]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

- **علم أصول الفقه:** هو: «علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية. **وموضوعه:** الأدلة الشرعية الكلية، من حيث كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية. **ومباديه:** مأخوذة من العربية وبعض العلوم الشرعية كأصول الكلام والتفسير والحديث وبعض من العلوم العقلية. **والغرض منه:** تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة، أي الكتاب والسنة والإجماع والقياس. **وفائدته:** استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة»[2]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

- **علم الفقه:** هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة. وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة. وهو ينقسم إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس وهؤلاء هم أهل العراق، وكان أبو حنيفة إمامهم ومقدّم جماعتهم الّذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه. وطريقة أهل الحديث وهؤلاء هم أهل الحجاز، وكان إمامهم مالك بن أنس والشافعي من بعده. وقد وقف التقليد عند حد هؤلاء الثلاثة زيادة على ابن حنبل، وأكثر مقلدوه بالشام والعراق من بغداد ونواحيها. أما أبو حنيفة فقد قلده أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء

---

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص635. **وانظر:** التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، لبنان، 1996م، ج1، ص627 ؛ ساجقلي زاده: ترتيب العلوم، ص167.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص110. **وانظر:** ابن خلدون: العبر، ج1، ص573 وما بعدها ؛ ساجقلي زاده: ترتيب العلوم، ص155 ؛ التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص37 ـ 39 ؛ عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص1996م، ص13ـ16.

النهر وبلاد العجم وقليلين بالمغرب. أما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها. أما أهل الأندلس والمغرب فقد اختصوا بمذهب مالك. يقول ابن خلدون: «ولم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما كانت رحلتهم غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم»[1]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

ـ علم الكلام (أصول الدين ـ العقيدة ـ التوحيد): هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة[2]. وموضوعه عند المتقدمين ذات الله وصفاته، وقيل بل الموجود من حيث هو موجود. أما عند المتأخرين فموضوعه المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا[3]. وهو ينقسم لقسمين: **قسم مبادئ:** وهي مباحث النظر ومباحث الأمور العامة، من الجواهر والأعراض والإدراكات والعناصر والأفلاكات. **وقسم مقاصد:** وهي مباحث الإلهيات والنبوات والمعاد، مع إيراد الأدلة العقلية والنقلية ومجادلة الفرق المخالفة[4]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

ـ علم التصوف: الظاهر من كلام العلماء أنه بعض علم الأخلاق، لكنه عُرِّف على كُلٍ بأنه: «علم يبين فيه أكمل مراتب الأخلاق الفاضلة، كأكمل مراتب التوحيد

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص563 ـ 568. **وانظر:** حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص170 ؛ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ج2، ص173 ؛ محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم، ص81 وما بعدها.

(2) ابن خلدون: العبر، ج1، ص580.

(3) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1503 ـ طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ج2، ص132.

(4) ساجقلي زاده: ترتيب العلوم، ص149.

والتوكل والرضا بالقضاء وغيرهما..»[1]. وقيل بل هو: «تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدعاوي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة، وإتّباع رسوله (ص) في الشريعة»[2]. أما ابن خلدون فقال عنه أنه: «من العلوم الشرعية الحادثة في الملة... وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال جاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة»[3].

ثانياً: العلوم اللسانية:

هي أربعة أصناف أو أركان: اللغة، النحو، البيان، الأدب. ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، لأن النظر في القرآن والحديث ـ على حد تعبير ابن خلدون ـ متوقف عليها[4]. حيث تؤدي: «دورا هاما في إبراز المعنى واستخلاص دلالات التركيب. كما تزود الفقيه أو عالم الشريعة بأدوات لسانية تمكنه من استنباط الأحكام الشرعية، والقواعد الفقهية»[5].

---

(1) ساجقلي زاده: ترتيب العلوم، ص169.

(2) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص456ـ457.

(3) ابن خلدون: العبر، ج1، ص611.

(4) ابن خلدون: العبر، ج1، ص550، 753.

(5) محمد الغريسي: تكامل الحقول المعرفية ـ العلوم اللغوية والعلوم الشرعية نموذجا، جريدة المحجة، المغرب، ع394،

1 فبراير 2013م، ص15. **وللاستفاضة حول هذا الموضوع أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج1، ص753 ؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص55 ؛ عبد الله ناجي: التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية وعلوم اللغة، مجلة البيان، إنجلترا، ع359، أبريل 2017م، ص74 ـ 78 ؛ عبد الرحمن يجيوي: التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية واللغوية، مجلة التفاهم، عُمَانْ، ع63، شتاء 2019م ـ 1440هـ، ص305 ومابعدها.

ـ **علم اللغة:** غاية علم اللغة استعمال الألفاظ في موضعها والاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني الوضعية، والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب[1]. حيث عمد كثير من أئمة اللسان ـ بعدما غيَّرت مخالطة العرب للعجم، ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب ـ للتشمير عن ساعد الجد في حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين، خشية دروسها وما سينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث. سيما بعدما تعدى إفسادها إلى موضوعات الألفاظ، حتى اسْتُعْمِل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم[2]. وقد نال هذا العلم عناية خاصة من الدارسين بالمغرب منذ وقت مبكر، باعتباره العلم الموصل إلى معرفة أسرار اللغة العربية ومعانيها[3]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

ـ **علم النحو:** هو: «علم يُبحث فيه عن أحوال الكلمة والكلام من حيث الإعراب والبناء»[4]، ويُعرف به: «كيفية التركيب العربي صحة وسقاما، وكيفية ما يتعلق بالألفاظ، من حيث وقوعها فيه أو عدم وقوعها فيه»[5]. ويقول ابن خلدون بعد حديثه عن فساد ملكة العرب اللغوية وفشو اللحن في كلامهم، بما أَلقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين: «وخشي أهل العلوم أن تفسد تلك الملكة رأسا، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة وقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام.. وقيدوها بالكتاب وجعلوها

---

(1) **أنظر:** حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2، ص1556.

(2) **أنظر:** ابن خلدون: العبر، ج1، ص754، 756.

(3) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية، ص502.

(4) الأحمد نكري: دستور العلماء ـ المعروف بجامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م، ج1، ص273.

(5) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص23.

صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو»[1]. وللعامة المشاركين به في عصر المرابطين، أنظر الملحق (3).

ـ علم البيـان (البلاغة): البيان هو: «الكشف والإيضاح.. وهوعلم يُعرف به إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة.. باستعمال التشبيه والمجاز والكناية، بعد رعاية مطابقة الحال. وفائدته: الاطلاع على أسرار كلام العرب نثرا ونظما، ومعرفة إعجاز القرآن الكريم.. ومباحثه: التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والتعريض»[2].

ـ علم الأدب: أكد ابن خلدون أنه لا موضوع لهذا العلم فَيُنْظَر في إثبات عوارضه أو نفيها. وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم. ومن ثم عمد أربابه لكلام العرب فجمعوا منه ما عساه تحصل به الملكة، من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك، مع ذكر بعض من أيام العرب وما وقع من أشعارهم فيها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. **يقول ابن خلدون:** «والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب، وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه»، **ويكمل قائلا:** «ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن، قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف. يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية، من حيث متونها فقط أي القرآن والحديث»[3].

---

(1) ابن خلدون: العبر، ج1، ص754 (بتصرف).

(2) د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعيدي: تنبيه الوسنان على علم البيان، دار الأنبار، بغداد، العراق، 1994م، ص4 ـ 5. **وانظر:** ابن خلدون: العبر، ج1، ص759 وما بعدها ؛ السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص162.

(3) أنظر: ابن خلدون: العبر، ج1، ص763.

نستخلص مما سبق أن المرابطين لم يدعموا الحركة الفكرية بقدر ما تسببت نتائج سياستهم في دعمها ودفعها خطوات للأمام. حيث كان للأمن والاستقرار واتساع رقعة دولتهم وامتداد نفوذهم وتشعب علاقاتهم الخارجية وتقريبهم للفقهاء وتحكيمهم في نوازلهم سببا في حرص الكثيرين على تعليم أبنائهم وتثقيف أنفسهم، ليحظوا ولينالوا بما اكتسبوه العمالات والخطط.

لم يكن العامة كلهم جهلاء كما حاول البعض تصويرهم. بل كان فيهم علماء اجتهدوا في تثقيف أنفسهم وتعليم بني طبقتهم مجانا أو مقابل أجر لا يغني ولا يسمن من جوع. ولم ينحصر اهتمامهم على علم بعينه، بل شملت عنايتهم حتى العلوم التي تخلت عنها الدولة ككتاب الله وحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كما كانت لهم مساهمتهم ببعض العلوم العقلية كالطب والكيمياء والفلك.

تنوعت المؤسسات التعليمية بالمغرب في عصر المرابطين. فكان هناك الكتاتيب التي كان الصبية يتعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظون كتاب الله. والربط التي كانت إلى جانب مهمتها العسكرية مكانا للعبادة ومعهدا لتدريس شتى العلوم، ولاسيما الدينية. والمساجد التي كان الناشئة يتجهون إليها - بعد إتمامهم لحفظ كتاب الله - لتلقي العلوم الشرعية من تفسير وحديث وتعاليم شرعية ودراسات عربية.

تعددت المراكز العلمية بالمغرب في عصر المرابطين بفض الأمن والاستقرار اللذين نتجا عن إحكام سيطرتهم على المغرب والأندلس، وما ترتب عليه من حيث خلق الأريحية اللازمة لتلقي العلم ونقله، وتشجيع أيا من كان على الانتقال إلى المغرب لنشر العالم وتلقيه عن أهلها والطارئين عليها. وقد كان من بين تلك المراكز فاس ومراكش وأغمات، وسجلماسة التي عرفت - بالإضافة لأهميتها التجارية - إشعاعا علميا ونهضة ثقافية جعلت منها أحد المراكز الثقافية في بلاد المغرب.

* * *

الخاتمة

من خلال دراساتنا لموضوع العامة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين، توصلنا لعدد من النتائج، من أهمها:

رصدت الدراسة المعايير الرئيسية التي اتُّخذت كأساس للترتيب الطبقي، والعوامل الأخرى المرتبطة بطبيعة المجتمع المرابطي، والتي صارت تسهم إلى جانب الثروة في صياغة الوضع الاجتماعي وتحديد الهوية الطبقية للفرد، وتوصلت لاشتمال طبقة العامة في بنيتها على فئتين لا واحدة: نخبة العامة، وخساس العامة. وكشفت النقاب عن الصورة المتحاملة التي صَورت بها مصادر الفترة الوسيطية العامة بشقيهم. وحصرت مختلف شرائح طبقة العامة: من شاركوا منهم في العملية الإنتاجية، ومن عاشوا عالة على باقي الفئات. ورصدت أوضاع حياتهم الاجتماعية ومستواهم المعيشي من حيث المأكل والمشرب والملبس والمسكن والأعياد والمناسبات الخ.

توصلت الدراسة لرصد أوجه مشاركة العامة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، كالزراعة التي وضحت أهميتها، وعددت مراحلها، وبينت أهم الآلات والأدوات المستخدمة في كل مرحلة منها. وشروط ملاك الأراضي فيمن استخدموهم لخدمة أرضهم، وأرباب الدواب فيمن استعملوهم لرعي شياههم وأبقارهم. وعلاقات الإنتاج السائدة بين الملاك والمنتجين، وأوجه معاناتهم التي تكبدوه على يد ولصالح ملاك الأراضي. وأنواع الصناعات الغذائية ذات العلاقة بالنشاط الرعوي والفلاحي.

كشفت الدراسة عن مكانة الصنائع في نفوس العامة، ورصدت ما ذخر به المغرب من ثروات معدنية ونباتية وحيوانية، وأبرزت دورها في إنعاش الحرف

الصناعية وتعدد الحرف. كذلك سلطت الدراسة الضوء على التجارة من حيث أسباب ازدهارها، وعوامل عرقلة تقدمها التي كانت سياسة الدولة الجبائية من أبرزها. وعلى مرافق التجارة المختلفة، وأصناف التجار ووسطاء العملية التجارية، وعلى المستوى المعيشي للعاملين بهذا القطاع.

أكدت الدراسة أن تقصير الدولة في تهيأة الأسباب التي من شأنها نشر العلم، لم يمنع العامة من الاجتهاد في سبيل تثقيف أنفسهم وتعليم بني طبقتهم. وقدمت ما رأت في الكفاية للدلالة على إسهام العامة الثقافي ودورهم الفكري. كذلك لفتت النظر لأهم العلوم التي نبه بها العامة، وأهم المؤسسات العلمية التي درسوا بها من كتاتيب وربط ومساجد. وعرضت لأهم مراكز التعليم والثقافة، وأهم العلوم التي درسوها، وأبرز العلماء الذين حملوا على أكتافهم عبء تعليم بني طبقتهم احتسابا أو مقابل أجر يسير.

كشفت الدراسة أن قلة الثورات بالمغرب لم تتعلق بتوافر الأسباب الداعية للثورة بقدر ما ارتبطت بالمؤلفات التي أرخت للمغرب في هذه الفترة. لكن ذلك لا يمنع من أن ردود أفعالهم لم تواكب حجم محنتهم، ولم يتأتي عنها أو يترتب عليها أي تغيير جذري في أي من مناحي حياتهم البائسة، وهو ما حاولت الدراسة إبرازه وتوضيح أسبابه.

* * *

الـملاحق

ملحق (1)

الربط في المغرب الأقصى في عصر المرابطين

م	الـــــــــــربط
1	رباطة التونسي بقرية العباد بظاهر تلمسان من جهة الجبل
2	رابطة القــدم بساحل ســلا
3	رباط اييسين بأزمـور
4	رباط أوجدام من بلد ركونة جنوب مراكش، عند قدم جبل الأطلس الكبير، وهي ما يعرف اليوم بقبيلة أحمر
5	رباط حكـم من بلد هكسورة
6	رباط تانوتن طهيرمن دكالة
7	رباط تامنغاطت بقرب ساحل أنفا
8	الرابطة بخارج باب أصليتن من أبواب فاس
9	الرابطة بخارج باب الجيسة من أبواب فاس
10	رابطة قبرعبد الله بن ياسين
11	رابطة جبل المينة الواقع بشرق سبتة
12	مسجد رباط جبل اسبتريل على بعد أربعة أميال من طنجة .
13	رباط مدينة تشومس بجهة أصيلة، المعروف برباط حارة الأحشيش .
14	رباط بئرقرن الجدي
15	رباط سيدي مكدول بن عبد الجليل الرجراجي، بساحل بلاد السوس
16	رابطة تامرنوت قرب البحر بآسفي

17	رباط أكـوز [قوز ـ أجوز] من بلد رجراجة، عند مصب نهر تانسفيت على المحيط
18	رباط وجاج بن زلو اللمطي [دار المرابطين] ببلد نفيس قرب أغمات
19	رابطة أسـا في كليميم أو كَولمين بالجنوب الأدنى للصحراء (كان إسم كليميم الأول نول لمطة ثم تاكاوصت، قبل أن تحمل إسمها الحالي).
20	دار أم القاضـي بساحل سـلا
21	مرسى فوز
22	رباط تاسماطت، ببلاد إيلان، غير بعيد من أيت أورير الحالية
23	رباط اسبرتيـل. يقع بجبل اسبرتيل وهو جبل داخل في البحر ومتصل بالبر، على بعد ثلاثون ميلا من أصيلة، وأربعة أميال من طنجة.

ملحق (1) الربط في المغرب الأقصى في عصر المرابطين

م	الرباط	دليل انتمائه لعصر المرابطين	المصدر
1	رباطة التونسي بقرية العباد بظاهر تلمسان من جهة الجبل	عاصر حاكم تلمسان المرابطي مزدلي بن تلكان	التشوف، ص110، تر13
2	رابطة القدم بساحل سلا	مات المترجم له عام 550هـ	التشوف، ص207 [تر73] /ص175 [تر53].
3	رباط ايبسين بأزمور	مات المترجم عام 601هـ ولكن ذكر أنه خدم أبا شعيب السارية (ت561هـ)، إحدى عشرة سنة.	التشوف، ص414، [تر239].
4	رباط أوجدام من بلد ركونة جنوب مراكش، عند قدم جبل الأطلس الكبير، وهي ما يعرف اليوم بقبيلة أحمر	مات المترجم له عام 570هـ	التشوف، ص227 [تر80].
5	رباط حكم من بلد هكسورة	مات المترجم له عام 540هـ	التشوف، ص152 [تر37].
6	رباط تانوتن طهير من دكالة	مات المترجم له عام 555هـ	التشوف، ص225 [تر79].
7	رباط تامنغاطت بقرب ساحل أنفا	مات المترجم له عام 540هـ	التشوف، ص166 [تر48].
8	الرابطة بخارج باب أصليتن من أبواب فاس	دفن بها أبو جبل المتوفي سنة 503هـ	روض القرطاس، ص170.
9	الرابطة بخارج باب الجيسة من أبواب فاس	المترجم له خدم أبي يعزى المتوفي (572هـ)	المستفاد، ق2، ص168 [تر75].
10	رابطة قبر عبد الله بن ياسين	توفي داعية المرابطين سنة 451هـ	البكري، المغرب، ص168.
11	رابطة جبل المينة الواقع بشرق سبتة	توفي المترجم له عام أربعة، ولكن دون تحديد في أي عشرية من القرن السادس	المستفاد، ق2، ص145 [تر58].
12	مسجد رباط جبل اسبتريل على بعد أربعة أميال من طنجة.	....	البكري، المسالك، ج2، ص296.
13	رباط مدينة تشومس بجهة أصيلة، المعروف برباط حارة الأحشيش .	....	البكري، المسالك، ج2، ص297.
14	رباط بنر قرن الجدي	مات المترجم له سنة591هـ، ولكن ابن الزيات ذكر أنه أدرك أبو الأمان المتوفي سنة 540هـ .	التشوف، ص360 [تر185] / ص152 [تر37].
15	رباط سيدي مكدول بن عبد الجليل الرجراجي، بساحل بلاد السوس	قال عنه صاحب الشموس المنيرة (ص53): "له القدم الراسخ في الشجاعة... وكان موجودا في أيام الدولة اللمتونية"	البكري، المغرب، ص86 – أحمد الوارث، رباط شاكر، ص99.
16	رابطة تامرنوت قرب البحر بآسفي	كان يتعبد به أبو محمد صالح (ت631هـ) قبل بناء رباطه بـ(آسفي) ما يعني أنه ربما يرجع للعهد المرابطي.	التشوف، ص433/ حا359 [تر260].
17	رباط أكوز [قوز ـ أجوز] من بلد رجراجة، عند مصب نهر تانسفيت على البحر المحيط	أشار إليه البكري المتوفي سنة 487هـ في المسالك (ج2، ص339) وابن الزيات في ترجمة أبو إبراهيم الرجراجي المتوفي سنة 595هـ (التشوف، ص355، تر180)	معلمة المغرب، ج13، ص4251 –رباط شاكر والتيار الصوفي، ص39.
18	رباط وجاج بن زلو اللمطي [دار المرابطين] ببلد نفيس قرب أغمات	تخرج منه عبد الله بن ياسين داعية المرابطين (البكري، المغرب، ص165)	الاستقصا، ج2، ص6 ؛ التشوف، ص89 [تر5] .
19	رابطة أسا في كليميم أو كولمين بالجنوب الأدنى للصحراء (كان إسم كليميم	أسسها شيخ صوفي توفي عام 500هـ	عبد العزيز بن عبدالله، البادية المغربية وإشعاعها

	الأول نول لمطة ثم تاكاوصت، قبل أن تحمل إسمها الحالي).		الحضاري، ص59، 63، 64.
20	دار أم القاضـــي بساحل ســـلا	....	التشوف، ص287/ حا741 [تر130].
21	مرسى فوز	....	البكري، المغرب، ص86.
22	رباط تاسماطت، ببلاد إيلان ، غير بعيد من أيت أورير الحالية	....	التشوف، ص164 [تر47] / ص181 [تر57].
23	رباط اسبرتيل. يقع بجبل اسبرتيل وهو جبل داخل في البحر ومتصل بالبر ، على بعد ثلاثون ميلا من أصيلة، وأربعة أميال من طنجة.	....	البكري، المسالك، ج2، ص296.

المراجع:

* السيد أحمد بن الحاج الرجراجي: الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة (المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1935).
* معلمـة المغرب، (د.ط، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، 2001م).
* محمد السعيدي: رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري (مؤسسة آفاق للدراسات والنشر، مراكش، ط1، 2010م).
* عبد العزيز بن عبد الله: البادية المغربية وإشعاعها الحضاري (مجلة المناهل، ع34، يوليو 1986م).
* د. أحمد الوارث: رباط شاكر ـ مؤسسة دينية عتيقة في المغرب الأقصى (مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات، ع78، يونيو 2012م).

ملحق (2)

المساجد في المغرب الأقصى في عصر المرابطين

م	المساجــــــــــــد
1	مسجد الأحســن
2	المسجد العتيق أو القديم، أو الجامع الأعظم برباط تيط، بأزمور حاضرة دكالة
3	جامع أبي عبد الله الكبير المدعو مولاي عبد الله أمغار، بتيـط
4	مسجد أبي مهدي، ببني دغوغ من دكالة
5	جامع وطاس بن يحيا بأغمات وريكة
6	مسجد عــرفة
7	مسجد أغـمـات
8	مسجد تورزجيــن بمراكش
9	مسجد أبو شعيب أيوب، الملقب بالسارية، بأزمـور.
10	جامع مليجـة بقرية مليجة من بلاد رجراجة
11	مسجد آزمــور
12	مسجد عين علون
13	مسجد عبد الجليل بن ويحلان
14	مسجد ابن حنين بفاس
15	مسجد زقاق الماء بعدوة القرويين بفاس
16	مسجد الحــوراء بفاس

17	جامع الشعبة بمدينة سلا
18	مساجد: ابن الغنام - وابن الملجوم - وطريانة
19	مسجد أبي جعفر بفاس
20	جامع ابن عبد الله بسجلماسة
21	مسجد زقاق الخشابين بسبتة
22	مسجد خولان بفاس
23	مسجد تاتوريت، ببلد بني سمائل من دكالة
24	مسجد الرَّواحَة بفاس
25	مساجد: ابن الخنشية، ومقبرة الزقلو [زجلو]، وابن عَلا قومه، ويوسف بن أبي مسلم، والقطانين بمدينة سبتة.
26	جامع الشهباء بمدينة سلا

ملحق (2) المساجد في المغرب الأقصى في عصر المرابطين

م	المساجــــــد	دليل انتمائه لعصر المرابطين	المصدر/ المرجع الذي أشير فيه لإسم المسجد
1	**مسجد الأحسـن**	كان يخلف بن تادكو الهكسوري المعلم بالمسجد، صديقا لأبي عبد الله أمغار الذي استشاره علي بن يوسف، لمّا عزم (522هـ) على بناء سور مراكش. (أحمد الوارث: رباط تيط، ص42).	ابن الزيات: التشوف، ص210 [تر75]
2	**المسجد العتيق أو القديم، أو الجامع الأعظم برباط تيط، بأزمور حاضرة دكالة**	بناه أبي جعفر إسحاق المتوفي بعد ظهور الملثمين بيسير. وإسحاق هو ابن إسماعيل الأمغاري مؤسس رباط تيطنفطر.	أحمد الوارث: رباط تيط، ص40 - 41، 50
3	**جامع أبي عبد الله الكبير المدعو مولاي عبد الله أمغار، بتيط**	كان عبد الله من بين الفقهاء الذين استشارهم علي بن يوسف لمّا عزم على بناء سور مراكش (الشيظمي: آل أمغار، ص177).	أحمد الوارث: رباط تيط، ص50
4	**مسجد أبي مهدي، ببني دغوغ من دكالة**	مات أبي مهدي في حدود الستين وخمسمائة (التشوف، ص261 [تر111]).	ابن الزيات: التشوف، ص263.
5	**جامع وطاس بن يحيا بأغمات وريكة**	أقرأ به ابن تومرت بموضع من ناحية المغرب مما يلي الصحن (البيذق: أخبار المهدي، ص30 ؛ مجهول: الحلل الموشية، ص101).	ابن الزيات: التشوف، ص114 [تر15]
6	**مسجد عـرقة**	خرج إليه ابن تومرت بعدما ناظر الفقهاء وأفحمهم بجامع علي بن يوسف.	البيذق: أخبار المهدي، ص27
7	**مسجد أغـمـات**	كان يصلي به أبو شعيب أيوب الملقب بالسارية (ت561هـ) (ابن الزيات: التشوف، ص188)	السملالي: الإعلام، ج1، ص397 [تر118]
8	**مسجد تورزجيـن بمراكش**	ورد في ترجمة أبو عبد الملك اللمتوني (ت 571هـ/1175م)	ابن الزيات: التشوف، ص238 [تر93]
9	**مسجد أبو شعيب أيوب، الملقب بالسارية، بأزمـور.**	توفي أبي شعيب سنة561هـ/ 1165م.	ابن الزيات: التشوف، ص188 [تر62]
10	**جامع مليجـة بقرية مليجة من بلاد رجراجة**	كان أبو زكرياء المليجي الذي ورد إسم المسجد في ترجمته، أستاذ أبو محمد عبد الخالق (ت571هـ) صاحب أبا عبد الله بن أمغار الكبير، أحد الفقهاء الذين استفتاهم علي في بناء سور مراكش. (ابن الزيات: التشوف، ص222 ؛ الشيظمي، آل أمغار، ص177)	ابن الزيات: التشوف، ص126 [تر20]
11	**مسجد آزمـور**	....	التميمي: المستفاد، ق2، ص144 [تر58]
12	**مسجد عين علون**	عاصر إمامه أبو عبد الله بن يبقى، دخول الموحدين لمدينة فاس سنة 540هـ.	التميمي: المستفاد، ق2، ص59 [تر9]
13	**مسجد عبد الجليل بن ويحلان**	ورد في ترجمة عبد الجليل (ت541هـ) أنه درّس الفقه ثلاثين عاما محتسبا، ومن لا شك في أنه قام بذلك فيه لقربه من بيته.	ابن الزيات: التشوف، ص147 [تر34]
14	**مسجد ابن حنين بفاس**	بناه ابن حنين والتزم الإمامة والإقراء به 66 سنة، قبل أن يتوفى سنة 569هـ (الكتاني: سلوة الأنفاس، ج1، ص398 [تر355])	ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص127 [تر310]
15	**مسجد زقاق الماء بعدوة القرويين بفاس**	درّس به أبو بكر بن عثمان بن مالك، شيخ ابن حرزهم المتوفي سنة 559هـ .	ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص105 [تر26]
17	**جامع الشعبة بمدينة سلا**	بناه يوسف بن تاشفين (ت500هـ)	حمدي حسين: مدينة سلا، ص66 ؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، ص224.

18	**مساجـد: ابن الغنام - وابن الملجوم - وطريانة**	نـزل ابـن تـومرت بثلاثتهم لمـا دخـل فـاس، ودرَّس بطريانـة مـدة قبـل أن يرتحل إلى مراكش.	البيذق: أخبار المهدي، ص23 – ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص173.
19	**مسجد أبي جعفر بفاس**	نسبة لابن جعفر المعروف بابن الرمامة، الذي علَّم به هو ومعاصره ابن حرزهم. وقد غلب ظن عبد القادر زمامة أنه شيد في عصر المرابطين (زمامة، من معاهد العلم التاريخية، ص141، 143).	ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص60، 62.
20	**جامع ابن عبد الله بسجلماسة**	درَّس به أبو الفضل بن النحوي المتوفي سنة 513هـ	ابن الزيات: التشوف، ص98 [تر9]
21	**مسجد زقاق الخشابين بسبتة**	درَّس به ابن الخراز تلميذ عياض نحوا من ستين سنة	ابن الزبير: صلة الصلة (ضمن: كتاب الصلة ومعه كتاب صلة الصلة)، ج3، ص155 [تر363]
22	**مسجد خولان بفاس**	توفي صاحب الترجمة التي أشير فيها لهذا المسجد ـ الذي كان يبيت فيه أحد طلبة العلم ـ عام 503هـ.	ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص560 [تر652]
23	**مسجد تاتوريت، ببلد بني سمائل من دكالة**	وردت الإشارة إليه، بترجمة أبي مهدي المتوفي سنة 560هـ	ابن الزيات: التشوف، ص264 [تر111].
24	**مسجد الزَّواخة بفاس**	كان ابن هرواة ـ رفيق ابن يبقى الأعز ـ يؤم به ويعلم القرآن. وقد عاصر ابن يبقى دخول الموحدين لفاس (540هـ/1145م).	التميمي: المستفاد، ق2، ص58 - 59 [تر9 - محمد بن يبقى] ص62، 64 [تر11 - علي بن هراوة].
25	**مساجد: ابن الخنشية، ومقبرة الزقلو [زجلو]، وابن غلا قومه، ويوسف بن أبي مسلم، والقطانين.. بمدينة سبتة.**	....	القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام، ص193، 194، 205.
26	**جامع الشهباء بمدينة سلا**	بناه في الغالب يوسف بن تاشفين (ت500هـ)	كينيث بروان: موجز تاريخ سلا، ص30 ؛ محمد بن عمر: نبذة تاريخية عن المسجد الأعظم، ص49.
27	**مسجد الحـوراء بفاس**	تصدر الفلنقي للإقراء به إلى أن توفي في المحرم (553هـ)	ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص264 ابن الأبار: التكملة، ج2، ص21 [تر53].

المراجع:

* أحمد الوارث: رباط تيط في دكالة ـ تاريخ وعمارة (مشاركة ضمن أعمال اليوم الدراسي: رباطات وزوايا في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب، مارس، 2004م).
* عبد القادر زمامة، من معاهد العلم التاريخية بالمغرب ـ مسجد ابن جعفر (مجلة البحث العلمي، المغرب، مج24، ع39، 1989م).
* صباح الشيخلي: آل أمـغـار ـ دراسة في تركيب وبناء المجتمع العربي الصنهاجي في مدينة أزمور في القرن 5هـ (مجلة البحث العلمي، المغرب، مج18، ع33، نوفمبر 1982م).
* كينيث بروان: موجز تاريخ سلا (ترجمة: محمد حبيدة ـ أنأس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م).
* محمد بن عمر العلوي: نبذة تاريخية عن المسجد الأعظم بمدينة سلا (مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة1/6، ع53، جماد الأول 1382هـ ـ أكتوبر 1962م).

ملحق (3)

أهم علماء العامة في كافة التخصصات

1: إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي، المعروف بابن الفاسي. كان من: «أهل الفقه والعلم والمعرفة بالوثائق والبصر بالأحكام»(1)، "مقدما في علم الشروط... مشاركا في علم الأصول والأدب(2). قال عنه عياض: «كتب للقضاة بسبتة وشُوُوِرَ في الأحكام، ثم قعد عن ذلك وانقبض عن الناس، واشتغل بنفسه وطلب الانفراد والتقلل والزهد في الدنيا... إلى أن توفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة»(3).

2: إبراهيم بن فرتون السلمي الفاسي (ت538هـ/ 1143م). روى ببلده عن ابن الصيقل وغيره، وسمع صحيح البخاري على ابن الغرديس بسجلماسة، ودخل الأندلس فرواى عن علمائها وسمع عليهم وأجازوه. ووُصِف بشجرة النور بـ: «الفقيه الأصولي المفسر الحافظ العالم المتفنن»(4).

3: إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتي. أصله من سبتة لكنه يعرف بابن الفاسي (ت513هـ/ 1119م). كان: «من أهل العلم والفضل والزهد والتقشف.. مقدما في علم الشروط والأحكام، مشاركا في علم الأصول والأدب»(5).

---

(1) القاضي عياض: الغنية، ص119 [تر44].
(2) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص157 [تر232].
(3) القاضي عياض: ص119 [تر44].
(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص84 [تر3] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص148 [تر458] ؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص196 [تر434].
(5) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص157 [تر232] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص201 [تر91].

4: إيراهيم بن صواف الحجري الشاطبي. تجول في البلاد معلما للعربية واللغة والآداب التي كان من أهل المعرفة بها. وتعلم الطب وقعد للعلاج بطنجة، ثم استقر بفاس مدة، وتوفي أخيرا بمكناسة 506هـ/ 1112م[1].

5: أبو بكر بن عثمان بن مالك. أصله من فاس وكان له مجلس تدريس بمسجد زقاق الماء بعدوة القرويين. وصفه ابن القاضي بـ: «الشيخ الفقيه الصالح»، وشهد له بأنه كان: «عابدا متبتلا زاهدا متواضعا، منقطع القرين في عصره مفردا عن النظير في مصره»[2].

6: أحمد بن عبد الله بن موسى بن مؤمن القيسي، الإشبيلي الأصل. سكن فاس وتوفي بها سنة 571هـ/ 1175م. وصفه المراكشي بأنه: «كان من أهل العفاف والزهد والانقباض، معروفا بالصلاح والخير.. وأنه كان ذا بصر بالطب»[3].

7: أحمد بن محمد بن أحمد بن خلوص المرادي، الفاسي الأصل، المعروف بابن الدراج. وُصِف بكونه: «من كبار المقرئين وأئمة القراء المجودين»؛ لذلك زاعت شهرته ورحل إليه الناس ولاسيما من فاس التي تخرج جل قرائها عليه[4].

8: أحمد بن لب السلاوي. كان: «أستاذا في النحو، يُقرئه للناس ويقبل الإجارة على ذلك ممن أعطاه من غير مسألة»[5].

---

(1) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص88 [تر11].

(2) لم يحدد ابن القاضي تاريخ وفاته، ولكنه كان شيخا وقتما كان علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت559هـ/ 1163م) صبيا. (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص105 [تر26]).

(3) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص140 [تر89]؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص367 [تر240].

(4) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص542 [تر507]؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص117 [تر47].

(5) التميمي: المستفاد، ق2، ص144 [تر58].

9: أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن مسعدة. ولد بغرناطة وتوفي بفاس سنة 537هـ/ 1142م. زَكّى السيوطي براعة أدبه ومهارته في العربية، ووصفه بأنه كان: «كاتبا مجيدا مطبوعا، ذا حظ فائق ونثر ونظم رائق»(1).

10: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحُطَيْئة اللخمي. أصله من فاس، لكنه بعدما حج ودخل الشام طاب له الاستقرار بمصر فبقي بها حتى توفي سنة ستين وخمسمائة. وُصف بأنه كان فوق جمال خطه وحسن ضبطه، عارفا بالأدب ورأسا في القرآت السبع(2).

11: أحمد بن عمران الأنصاري، طليطلي الأصل ولكنه سكن سبتة. قال عنه القاضي: « قرأت عليه إصلاح الغلط [في غريب الحديث] لابن قتيبة [الدينوري، ت276هـ/ 889م] في رده على أبي عبيد، وأحاديث عالية كانت عنده عن الجياني »(3).

12: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن اليافعي المقرئ المعروف بابن المعذور (ت575هـ/ 1179م). كان من جِلّة المُقرِئينَ وأكابر الأساتذة المجوِّدين. روى في بداية تكوينه العلمي بمسقط رأسه (سبتة) عن عياض وعن غيره من علماء سبتة والوافدين عليها كابن الغماد، ثم رحل إلى الأندلس فسمع من علمائه واستجازهم رواياتهم، قبل أن يعود لسبتة التي تصدر للإقراء بها طويلا(4).

13: ابن أفلاطون. ذكر أحدهم إسمه وهو يستعرض كيف شفيت أخته من لمعة البرص التي ظهرت بوجهها، ببركة أبو تميم عبد الواحد الأسود تلميذ أبي يعزي(5).

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص373 [تر733].
(2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص116 [تر45].
(3) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص33 [تر92] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص116 [تر39].
(4) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص112 [تر320] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج1، ص628 [تر682] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج3، ص187 [تر471].
(5) ابن الزيات: التشوف، ص269 [تر117].

14: أبو محمد أبو الأمان أبو يلارزج الهكسوري الأسود (ت540هـ). كان من حفاظ مذهب مالك، ويقال أنه درس الفقه على عبد العزيز التونسي بأغمات[1].

15: حسن بن علي بن وردوش. أكد ابن القاضي أن: «كان من أهل الفقه والفضل والعبادة»، وذكر أنه توفي بفاس في آخر شعبان من عام 509هـ/ 1115م[2].

16: الحسن بن علي بن طريف التاهرتي(501هـ/ 1107م) قال عنه عياض: «شيخ بلدنا في النحو.. دَرَّس عمره النحو ببلدنا وأخذ عنه جماعة من شيوخنا وجماعة من أصحابنا.. دَرَست عليه كثيرا من كتب الأدب والنحو وقرأت عليه كتاب علوم الحديث للحاكم.. وحدثني أيضا بكتاب مشكل الحديث للإمام ابن فورك»[3].

17: الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي السفاقسي. تفقه بسفاقس قبل أن يدخل الأندلس، ودَرَس بالمغرب ببلاد المصامدة منها، واستوطن سبتة مدة، وتوفي أخيرا بأغمات سنة 505هـ/ 1111م. كان بحسب ابن الأبار فقيها أصوليا متكلما عارفا بعلم الهندسة والحساب والفرائض، لكنه امتنع رغم ذلك عن تقلد قضاء الجزيرة، ولم يجب للتدريس ولا تصدر إلى الفتيا[4].

18: خلف بن محمد بن غفول، الشاطبي الأصل. سكن فاس وأُخِذَ عنه وتوفي بها سنة 520هـ/ 1126م[5]. ويُرجح الباحث بحكم صحبة خلف لابن

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص152 [تر37].

(2) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص183 [تر145].

(3) القاضي عياض: الغنية، ص141 [تر50].

(4) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص217 [تر718] ـ القاضي عياض: الغنية، ص140 [تر49].

(5) **لم يُشر ابن القاضي لِكَنْه ما أُخذ عن ابن غفول بفاس من علوم. لكن طول صحبته لابن مفوز أحد "فرسان الحديث" على حد تعبير الذهبي، تجعلنا نقرر أن** =

مفوز: «المشهور بحفظ الحديث وإتقانه والمنسوب لفهمه ومعرفته»[1]، أن يكون ما أُخِذَ عن ابن غفول بفاس هو علم الحديث.

19: سعيد بن خلف الله المعروف بالزناجي. وصفه عياض بقوله: «سبتي من أهل الفضل والعلم والدين. سمع من أهل بلده، وأرى له رحلة وسماعا بالأندلس. كان منقبضاً زاهداً متبتلًا.. وكان مقامه ليله ونهاره بمسجده بزقاق الخير.. يكتب ويفتي ويقرئ ويؤخذ عنه... وكتب بيده كثيراً من الدواوين. قلما رأيت كتاباً مشهوراً في المذهب إلا وقع إليّ بخطه، وسواء ذلك من كتب التفسير»[2].

20: أبو الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد السفاقسي. اجتاز بسبتة وسكن أغمات، ووصفه عياض بقوله: «كان من المحققين بالفقه والكلام، ومن أهل البلاغة والتأليف والنظم والنثر.. وكان من أهل الخير التام والفضل الكامل وسلوك طريق الزهد والورع والتقلل.. لم يتشبث بشيءٍ من أمور الدنيا وخططها إلى أن توفي سنة إحدى وخمسمائة»[3].

21: سليمان بن يحيى بن سراوس الجمحي. من أهل طنجة وبها روى عن نزيلها ودفينها مروان بن سمجون اللواتي (ت491هـ/ 1097م). قال ابن الآبار: «حدث عنه ابن بشكوال بمسند الموطأ للجوهري وقال: قدم علينا من طنجة وأخذ معنا بقرطبة عن شيوخنا، وأجاز لي ما رواه بخطه»، سنة 514هـ/ 1120م[4].

=

علم الحديث هو ما أخذه ابن غفول عن ابن مفوز، وما أُخذ عن ابن غفول بفاس كذلك. (ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص192 [تر151] ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص88 [تر48] ؛ الكتاني: سلوة الأنفاس، ج3، ص329-330 [تر1304]).

(1) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص326 [تر545] (بتصرف).

(2) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص85.

(3) القاضي عياض: الغنية، ص210 [تر90].

(4) ابن الآبار: التكملة، ج4، ص104 [تر293] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص197 [تر86].

22: أبو محمد صالح بن حرزهم. رحل إلى المشرق، وزار بيت المقدس وانقطع بقرية قريبة منه، فقدمه أهلها للصلاة بهم في ذات المسجد الذي سيلتقى فيه لاحقا بالغزالي ويأخذ عنه طريقته. فلما عاد إلى فاس، يقول ابن عيشون: «نشر بها طريقته، وهدى الله به خلقا كثيرا»[1].

23: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن النحوي المعروف بابن الرماك. أصله من إشبيلية ولكنه فر من الفتنة والغلاء الواقعين ببلده إلى سبتة التي توفي بها توفي سنة 541هـ/ 1164م. وصفه ابن الآبار بقوله: «كان عالماً بالعربية إماما في صناعتها مُسلما له بذلك، متصدرا لإقرائها والتعليم بها، قائما على كتاب سيبويه»[2].

24: عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري. ولد ببلنسية واستوطن بأخره مراكش إلى أن توفي بها سنة 523هـ/ 1129م. كان من: «أهل العلم والخير والدين، معتنيا بالحديث وروايته، عارفا بطرقه وصحيحه وسقيمه، ذاكرا للفقه ومسائله، مائلا للتصوف وقراءة كتب الزهد والرقائق.. من مصنفاته: مختصر السير والمغازي من سير ابن إسحاق، وتاريخ أبي جعفر الطبري في سفر متوسط، ومنتخب سير المصطفى لأبي سعد»[3].

25: عبد الوهاب بن المعتمد محمد بن عباد. أصله من إشبيلية ولكنه نُقل بخلع أبيه المعتمد إلى المغرب. أخذ العربية ببلده أثناء إمارة أبيه والآداب وجملة من علم الطب، وقرأ الفقه وسمع الحديث من ابن وهيب في المغرب. أسندت إليه بعض المهام ولكنه تخلى عنها وتخيرا الانتقال إلى تادلا حيث توفي بعد 520هـ/ 1126م[4].

---

(1) **أنظر:** ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص56 - 58 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص94 [تر8] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص358 [تر377].

(2) ابن الآبار: التكملة، ج3، ص23 -24 [تر71].

(3) القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص409 [تر424].

(4) **لم يجد الباحث ما يدل على تكسبه بما لديه من طب أو فقه أو حديث. ولكن أخواته كن يغزلن الصوف ليجدن قوت يومهن، ومن ثم لاشك في امتهانه بدوره** =

26: عبد العزيز التونسي. سكن مالقة وغيرها من بلاد الأندلس قبل أن يستقر أخيرا بأغمات التي درّس الفقه وتوفي بها سنة 486هـ/ 1093م. تُنسب إليه أقدم إشارة لِمُؤلَّف صوفي بالمغرب، أَلاَ وهو كتاب: رعاية حقوق الله، الذي نصح الحارث بن أسد المحاسبي (ت243هـ/ 857م) مريديه بقراءته[1].

27: عبد الحق بن إبراهيم. كان يُقرء الطلبة بجامع وطاس بن يحيا بأغمات وقتما كان ابن تومرت يُقرء به. وأحد من ناظرهم المهدي وأفحمهم فيما يزعمون[2].

28: أبي عبد الله الدقاق السجلماسي. حلاه ابن الزيات بكونه "من كبار مشايخ الصوفية"، وهي الصفة التي ما انفك يدعيها لشخصه ويصف بها نفسه. يقول ابن عيشون: «كان أبو عبد الله الدقاق يتحدى بالولاية ويدعيها لنفسه ويتكلم بذلك»، لكنه أكد مستدركا بأنه: «كان خليقا بها، لأوصافه الجميلة الحسنة». كذلك كان لحوحا في التأكيد على كونه: «أول من أَخذ عنه الشيخ أبو مدين عِلم التصوف»، وهي الدعوى التي استدرك عليها ابن قنفذ أيضا قائلا: «وكان الدقاق إماما في ذلك»[3]، ولم ينكرها ابن الدقاق[4]. لكن

=

ما يسد به رمقه ويقيم أوده. (ابن الآبار: التكملة، ج3، ص106 [تر264] ؛ ابن عببد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص79 ـ 80 [تر178]).

(1) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص474 [تر805] ؛ ابن الزيات: التشوف، ص92 ـ 93 [تر6] ؛ السملالي: الإعلام، ج8، ص398 وما بعدها [تر1249] ؛ عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص248ـ249.

(2) البيذق: أخبار المهدي، ص30.

(3) ابن الزيات: التشوف، ص156 [تر41] ؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس،، ص270 ؛ ابن قنفد: أنس الفقير، ص27.

(4) **أنظر:** ابن الزيات: التشوف، ص322 [تر162].

التصوف لم يكن كل ذخيرته، فقد نقل ابن عيشون عن الثعالبي، وصفه له بـ: «الولي المُحَدِّث، الثقة الصدوق»(1)، ما يوحي بأنه كان بصيرا بعلم الحديث.

29: أبو محمد عبد العزيز التونسي. أصله من تونس لكنه سكن مالقة وغيرها من بلاد الأندلس، قبل أن يستقر أخيرا بأغمات التي دَرَّس الفقه بها حتى توفي سنة 486هـ/ 1093م(2).

30: أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان. دكالي الأصل ولكنه نزل أغمات واستقر بها حتى توفي 541هـ/ 1146م. رحل إلى المشرق وأخذ به عن أحد شيوخ الصوفية، شيخاً عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب رسول الله "ص"، فلما عاد جلس لتدريس الفقه بأغمات محتسبا رغم فقره وحاجته، وكان إذا انصرف عنه حملة الفقه أخذ مع خاصة أصحابه في علوم الآخرة وأسرار التصوف(3).

31: عباد بن سرحان بن مسلم بن سيد الناس. رحل من بلده شاطبة إلى المشرق فحج وسمع بمكة وببغداد، ثم عاد سنة عشرين إلى قرطبة فأقرأ وأسمع وأجاز بها وبالمرية وبغيرهما، قبل أن يحمل عصا الترحال ويلقيها أخيرا بفاس التي بقي بها حتى توفي سنة 543هـ/ 1139م(4)، وقد أخذ عنه بفاس غير واحد من أبنائها كابن فرتون، وابن الملجوم وغيرهما(5).

32: علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني الطليطلي الأصل المعروف بابن

---

(1) ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص267.

(2) ابن الزيات: التشوف، ص92 [تر6]؛ ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص474 [تر805].

(3) ابن الزيات: التشوف، 146ـ147 [تر34].

(4) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص73 [تر973]؛ الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص515 [تر1122].

(5) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص148 [تر458] / ج3، ص64 [تر150] ـ جذوة الاقتباس، ج2، ص386 [تر381].

حنين. سمع ابن حنين وأخذ وقرأ ببلده وبفاس، ورحل إلى المشرق فلقي أبي حامد الغزالي فصحبه وسمع منه ومن غيره، قبل أن ينصرف إلى المغرب ويستوطن فاس التي استمر بإقراء القرآن الكريم بها في المسجد المنسوب إليه حتى وفاته سنة 569هـ/ 1173م[1].

33: علي بن محمد بن أحمد بن الجذامي. مالقي الأصل لكنه انتقل إلى سبتة واستقر بها يقرء القرآن ويُدرِّس العربية حتى وافته منيته سنة ثلاثين وخمسمائة[2].

34: علي بن عبد الله بن حمود، ولد بفاس وأقام بمكناسة لذلك كان يعرف بالمكناسي. رحل إلى المشرق (512هـ) فحج وروى هناك عن الطرطوشي سنن أبي داود، وروى كذلك صحيح البخاري ومسلم، وجامع الترمذي، وموطأ القعنبي عن آخرين غيره قبل أن ينصرف إلى المغرب (518هـ) ويدخل الأندلس بنية الغزو والرباط، لكنه عاد ثانية إلى المشرق وبقي به حتى وافته منيته سنة 573هـ/ 117م[3].

35: علي بن يقظان السبتي. وصفه القفطي بقوله: «طبيب شاعر أديب، أصله من سبتة. ذكره بعض أهل مصر فقال: ورد إلى البلاد المصرية سنة 544هـ/ 1149م، ومضى منها إلى اليمن، وسافر إلى الشرق وزار العراق ودار الآفاق»[4].

36: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم. ولد بفاس وتوفي بها سنة 559هـ/ 1163م، لكن ذكر أنه قدم حضرة مراكش وانتصب له بها مجلس علم[5]،

---

(1) ابن الآبار: التكملة، ج3، ص210 [تر521].

(2) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص236 [تر565].

(3) ابن الآبار: التكملة، ج3، ص244ـ 245 [تر614].

(4) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص183 [تر199].

(5) ابن الزيات: التشوف، ص169 ـ 170 [تر51] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص464ـ 465.

وبفاس أيضا[1]، حيث كان علي فقيها حافظا للفقه زاهدا في الدنيا، سالكا في التصوف سبيل أهل الملامتية[2]، عارفا بالمسائل والتفسير والحديث[3]، والتصوف. أما الكلام على الرعاية وكلام المحاسبي فلم يخلفه مثله في ذلك[4].

37: أبو الحسن علي بن خلف بن غالب فقيه فاس وعالمها وشيخ الصوفية في عهده والملقب بالعارف في عصره[5]. نشأ وتأدب بشلب، وأتم دراسته بقرطبة، ثم انتقل إلى فاس فاتخذها قرار ومسكنا، وبقي بها سنين ينشر العلم ويربي المريدين، قبل أن يستقر أخيرا بقصر كتامة إلى أن وافته منيته سنة 568هـ/ 1172م. وصفه المراكشي بإمام الصوفية وقدوتهم، وأشار لوفور حظه من الأدب وقرض الشعر، ولتمكنه من علوم القرآن، بالإضافة لـ: «محاسن جمة من العلوم والمعارف والآداب، وخصوصا علم الحقائق والرياضات وعلوم المعاملات والمقامات والأحوال السَّنية والآداب السُّنية»[6].

38: أبو موسى عيسى بن سليمان الرفروفي. أصله من بلاد تادلا وبها مات، رحل إلى المشرق وأخذ عن الشاشي (ت507هـ) وعن الطرطوشي (ت520هـ) وغيرهما، فلما عاد تفرغ لتعليم العلم وللعبادة لم يتلبس من الدنيا بشيء. وبحسب صاحب التشوف فقد كان أبو محمد عبد الله بن زيري الزناتي من بين تفقهوا عليه[7].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص173 [تر52] ـ ص197 [تر68] ـ ص199 [تر69] ـ ص322 [تر162].

(2) ابن الزيات: التشوف، ص169 [تر51].

(3) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص464 [تر508].

(4) التميمي: المستفاد، ق2، ص16 [تر1]؛ ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص59.

(5) التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط4، 2003م، ص46.

(6) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص174 ـ 176 [تر415].

(7) ابن الزيات: التشوف، ص108 ـ 109 [تر12] ـ ص192 [تر63] ـ المازوني: مناقب صلحاء الشلف، تحقيق: د. عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2019م، ص255.

39: قاسم بن الحاج محمد بن مبارك الأموي الإشبيلي الأصل المعروف بابن الزقاق. أقرأ طويلا بإشبيلية وفاس وكذلك سلا التي توفي بها سنة 559هـ/ 1163م. وصفه صاحب الذيل والتكملة بأنه: «كان مقرئا مجودا متقدما في صنعة التجويد، متحققا بالنحو ماهرا فيه، أديبا حافظا»(1).

40: ابن نائلي. خرج من المغرب لما استولى عليه عبد المؤمن ويمم وجهه شطر بغداد. فلما استقر بها مقامه اجتمع إليه جماعة من أكابرها، فأقرأهم: «مقدمة حساب، ومقدمة ابن بابشاد في النحو.. لكنه أمعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها، وأتى على كتب جابر بأسرها، وعلى كتب ابن وحشية»(2).

41: مجهول. ورد في ترجمة أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي، أنه بعث بأحدهم إلى رجل من أصحابه ببلد رجراجة [بقبلة مراكش] مع خديم له. فطلب منه الخديم المرور بشخص من أهل هذه البلاد لزيارته، يقول الرجل: «فذهبت معه إليه، فتحدث معه ساعة، ثم قال لي: عند هذا الرجل دراهم صنعها، فما ترى في حملها إلى مراكش لنصرفها ونقتسمها أثلاثا لكل واحد ثلثها فإنه يعرف الكيمياء»(3).

42: محمد بن علي بن أحمد المعروف بابن الصيقل. أصله من شاطبة ولكنه استقر بفاس وتوفي بها بعد سنة خمسمائة. وصفه عياض بكونه من أهل صناعة الحديث، وممن يَفهم هذا العلم، ويُسمع عنه(4).

---

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج3، ص480 ـ 481 [تر1104].

(2) أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص685.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص236 ؛ ابن الزيات: التشوف، ص243 [تر96].

(4) القاضي عياض: الغنية، ص92 ـ 93 [تر29] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص332 [تر1175] ـ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص251 [تر253].

43: محمد بن عبد الله بن مصالة الفزازي، المكناسي الأصل المعروف بابن عبو. دخل الأندلس وسمع الموطأ والصحيحين على ابن العربي (ت543هـ) بإشبيلية، وسمع الشفا وغيره على عياض (ت544هـ). وصفه المراكشي بقوله: «كان شيخًا فاضلا مُعتنيا بتفسير القرآن العظيم مشهورا بمعرفته، درَّس زمانًا طويلًا وعُمِّر كثيرًا»(1).

44: محمد بن أغلب بن أبي الدوس. مرسِي الأصل لكنه سكن فاس مدة وتلمسان أخرى، واستقر بآخرة بأغمات، وتوفي بمراكش سنة 511هـ/ 1117م. وصفه صاحب الذيل والتكملة بأنه كان: «محدثا واسع الرواية، عدلا ثقة ذا حظ وافر من الفقه، متقدما في علوم اللسان لغة ونحوا وأدبا. حسن الخط جيد التقييد»(2).

45: محمد بن أحمد بن نصر النفزي. رندي الأصل ولكنه سكن أغمات وبها توفي سنة 514هـ/ 1120م. كان: «ذا عناية برواية الحديث ولقاء حملته، مع الدين والفضل»(3).

46: محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي المعروف بالفلنقي. أصله من إشبيلية لكنه خرج منها واستوطن مدينة فاس وتصدر للإقراء بمسجد الحوراء منها إلى أن توفي بها سنة 553هـ/ 1158م. حيث كان: «إماما في صناعة الإقراء على الرواية، مشاركا في علم العربية والآداب.. وله تأليف في القراءات سماه بالإيماء إلى مذاهب السبعة القراء»(4).

---

(1) أشار ابن الزبير لأخذ أحدهم عنه سنة 610هـ، لكن أخذه عن ابن العربي وعياض يدفع الشك في انتمائه أو انتماء أحد شطري حياته لعصر المرابطين، لاسيما وابن الزبير يؤكد أنه توفي عن عمر طائل. (ابن الزبير: صلة الصلة، ج3، ص10 ـ 11 [تر15] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص202 [تر109]).

(2) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص147 [تر337].

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، **ج4، ص76 [تر159].**

(4) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ج2، ص213 [تر3420] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج2، ص21 [تر53].

47: محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الأنصاري. ولد بطنجة وتوفي بها سنة 585هـ/ 1189م. قال عنه ابن الآبار: «دخل الأندلس فسمع بقرطبة من أبي الحسن بن مغيث [ت532هـ/ 1137م].. وكان أديبا شاعرا»(1).

48: محمد بن علي بن أحمد محمد الأنصاري، المعروف بابن الصيقل. شاطبي الأصل لكنه استوطن فاس إلى أن توفي بها بعد الخمسمائة بيسير. وُصف بكونه: «راوية للحديث، منسوبا إلى التقدم في معرفته وفهم صناعته»(2).

49: محمد بن أغلب بن أبي الدوس، أصله من مرسية لكنه كان "من المعلمين المتجولين" لذلك سكن المرية وقتا ثم أجاز البحر إلى المغرب فنزل مدينة فاس، واستقر فترة بأغمات، وتوفي أخيرا بمراكش سنة 511هـ/ 1117م. وصف بأنه كان عالما بالعربية والآداب، وبأن له شعر صالح ومُؤَلَّف في شرح الأمثال لأبي عبيد(3).

50: محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي. أصله من القيروان، ولكنه سمع بمصر ومكة، وكتب الحديث بهما وبالقيروان. سمع منه الناس بقرطبة والمرية وبلنسية وبغيرها من البلاد التي طاف بها قبل أن يستقر بأغمات التي توفي بها سنة خمس وثمانون وأربعمائة. حلاه ابن بشكوال بقوله: «كان من أهل العلم بالأصول والفروع»(4). وعلى يديه دخلت المغرب ـ من رحلته إلى المشرق ـ عددا من كتب التصوف، كـ: من صبر ظفر، والمقالات في المقامات، والشيب

---

(1) ابن الآبار: التكملة، ج2، ص160 [تر411] ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص199 [تر103].

(2) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص476 [تر1166] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص331 [تر1175] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص92 [تر29].

(3) ابن الآبار: التكملة، ج1، ص335ـ336 [تر1189].

(4) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص240ـ241 [تر1322].

والشيب، وأخبار الشبلي لأبي بكر المطوعي، وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السُّلمي، والأنوار وبهجة الأسرار في أخبار الصالحين لابن جهضم، وغيرها[1].

51: محمد بن عبد الله المعروف بالموروري. تصدر بسبتة لإقراء القرآن، وقام فيها بعلم القراءات واختلاف القراء. قال عياض: «قرأت عليه القرآن عدة ختمات، وتوفي في حدود خمسمائة»[2].

52: محمد بن أحمد بن محمد بن مطرف بن سعيد التجيبي. أصله من قلعة أيوب، لكنه انتقل عنها لنائرة العدو إلى فاس التي توفي بها بعد الأربعين وخمسمائة. وصفه صاحب الذيل والتكملة بقوله: «كان من أهل العلم بالحديث، وافر الحظ من الفقه، مقيدا ضابطا»[3].

53: محمد بن أحمدَ بن نَصْر النَّفْزِي. عُرف بالرندي لأن أصله منها لكنه توفي بأغمات سنة 514هـ. كان ذا عناية برواية الحديث ولقاءِ حَمَلتِه، وإقراء القرآن وإن كان قد خانه الضبط[4].

54: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المقرئ المعروف بابن فرقاشش. أخذ القراءات ببلده (طليطلة) وبقرطبة، ثم نزل فاس وظل يُقرئ بها حتى توفي

---

(1) أنظر: ابن الزيات: التشوف، ص83 وما بعدها [تر1]؛ ابن خير: فهرسة ابن خير، تحقيق: بشار عواد ـ محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009م، ص367 ـ 369؛ الزركلي: الإعلام، ج4، ص9 ـ 12 [تر476]؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في أعيان المذهب، ج2، ص299 [تر103].

(2) القاضي عياض: الغنية، ص90 [تر25].

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص60 ـ 62 [تر117]؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص258 [تر264].

(4) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج4، ص76 [تر159]؛ ابن الآبار المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص99 [تر86]؛ ابن الآبار: التكملة، ج1، ص338 [تر1199].

(512هـ/ 1118م). وُصِف بكونه مقرئا ماهرا جليلا، وأشير لوضعه لمؤلف صغير في اختلاف القراء السبع[1].

55: محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش المكناسي، كان فقيها خَيِّرا، علامة نقادة دراكة. حافظا لكتاب الله العزيز مجودا لقراءته. قرأ بقرطبة وبغيرها وصحب جلة من أهل زمانه. وقتله والي مكناسة أثناء حصار الموحدين لها عام أربعين وخمس مائة[2].

56: محمد بن يبقى. عمل إماما لمسجد عين علون بمدينة فاس، ومؤدبا للصبيان من شبابه حتى وفاته في السبعين من عمره. وصفه التميمي بقوله: «كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن يبقى يقول الشعر في الزهد والورع والوعظ.. وله رَحِمَه الله تعالى حكم ومواعظ»[3].

57: محمد بن حبوس. ولد بفاس ونشأ بها وتأدب بعلمائها والطارئين عليها حتى تفنن في اللغة والنحو والكلام وصار من جلة فحول شعراء لمتونة المتقدمين عندهم، يقول المراكشي: «حتى نُقلت إليهم عنه حماقات. فهرب إلى الأندلس، ولم يزل بها مستخفيا حتى انتقلت الدولة المرابطية»[4].

---

(1) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص275 [تر283] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص196 [تر72].

(2) ابن غازي: الروض الهتون، ص80 ؛ ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس، ج3، ص666 [تر181].

(3) التميمي: المستفاد، ق2، ص59 ـ 60 [تر9] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج1، ص214 [تر179].

(4) المراكشي: المعجب، ص282 ـ 283 ؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص178 [تر91] ؛ عبد القادر زمامة: من أعلام المغرب العربي ـ ابن حبوس، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع15، ديسمبر 1996م، ص104 وما بعدها.

58: أبو وكيل ميمون ابن تيكرت الوريكي الأسود. كان ممن تتلمذوا على محرز السفاقسي وتفقهوا عليه أثناء نزوله بأغمات، وبأغمات أيضا توفي. حلاه صاحب التشوف بقوله: «كان من العلماء العارفين بمذهب مالك بن أنس»[1].

59: أبو هارون موسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سنان، الأغماتي الأصل. رحل من بلده (516هـ) إلى المشرق وبقي هناك ثلاثة عشرة سنة يتفقه بعلماء العراق وخراسان وبخارى ويقتبس عنهم الحديث والنظر والكلام. وصفه النسفي بقوله: «فاضل فقيه مناظر شاعر بليغ محدث محاضر»[2].

60: أبو يحيى بن بكار بن حبوس اللمائي. كان: «فاضلا عابدا مجتهدا خاشعا متواضعا يُحسن الفقه»[3].

61: يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي، السلوي الأصل (ت563هـ/ 1167م). نشأ ببلده وأخذ القراءات والحديث والآداب عن مشيختها ثم دخل الأندلس واستقر بمرسية. وصفه المراكشي بقوله: «كان من أهل العلم بالتفسير والأصول والمعرفة بالآداب متقدما في طريقة الوعظ والتذكير.. ذا حظ نَزْر من قرض الشعر»[4].

62: أبو خزر يخلف بن خزر الأوربي. أشار ابن الزيات لكونه من أهل فاس، ووصفه بقوله: «كان عبد صالحا حافظا للمسائل». ويستفاد من ترجمته أنه كان له بفاس حلقة لتدريس الفقه[5].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص193 [تر64] ـ ص161 [تر45].

(2) السمعاني: الأنساب، ج1، ص322 ؛ النسفي: القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق: سوف الهادي، مرآة التراث، إيران، 1999م، ص705 [تر1231].

(3) التميمي: المستفاد، ق2، ص146 [تر59].

(4) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج5، ص328 [تر201] ؛ ابن الآبار: التكملة، ج4، ص194 [تر553].

(5) **لم يشر ابن الزيات لسنة وفاته، لكن معاصرته لابن حرزهم (ت 559هـ)، وابن الرمامة (ت567هـ) كما يفهم من ترجمته، لاشك تعني أنه توفي قريبا من هذين التاريخين.** (ابن الزيات: التشوف، ص177 ـ 178 [تر55]).

63: أبو محمد يرزجان بن محمد الجزولي. رحل إلى المشرق وصحب أبا بكر بن العربي (ت543هـ)، ثم عاد إلى المغرب ودخل مراكش. وصفه ابن الزيات بأنه كان عالما عاملا فاضلا، وشهد له بأنه كان بصيرا بمذهب مالك[1].

64: أبو جبل يعلي الفاسي (ت503هـ/ 1109م). كان جزارا بفاس، لكنه قرر التفرغ للعبادة فنهض إلى أغمات بعدما سمع أن الصالحين بأغمات وريكة، فأقام بها مدة ثم اتجه إلى مكة فحج بها وجاور فيها تسعة أعوام، ثم نهض إلى مصر فسمع بها على أبي الفضل الجوهري المتصوف (ت480هـ)، وأخذ عنه "الطريقة على حقيقتها"، قبل أن يعود إلى فاس ويعتكف بمسجدها حتى لقى ربه[2].

65: يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس، الطليطلي الأصل. لقيه عياض بسبته وسمع عنه جماعة من أصحابه وشيوخه، وتوفي بفاس سنة 505هـ/ 1111م. وصفه الضبي بقوله: «كان من أهل العلم، حافظا متفننا، له كلام على معاني من الحديث»[3].

66: يوسف بن فتوح بن محمد بن عبد الله القرشي، المعروف بالعشاب. أصله من المرية ولكنه رحل عنها حاجا قبل تغلب الروم عليها. ومن هناك انصرف إلى المغرب ونزل بفاس، فحدث بها حتى توفي سنة 562هـ، حيث كان له: «حظ من علم التفسير، وحِفْظ الفقه، ومعرفة النبات وأعيان العشب»[4].

---

(1) ابن الزيات: التشوف، ص267 [تر114].

(2) ابن الزيات: التشوف، ص101 ـ 104 [تر10] ؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص560 [تر652] ؛ التميمي: المستفاد، ق2، ص189 ـ 191 [تر86]. **ولترجمة ابن الجوهري انظر:** الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص495 [تر258] ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص453ـ454 [تر325].

(3) الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص662 [تر1149] ؛ القاضي عياض: الغنية، ص227 [تر98].

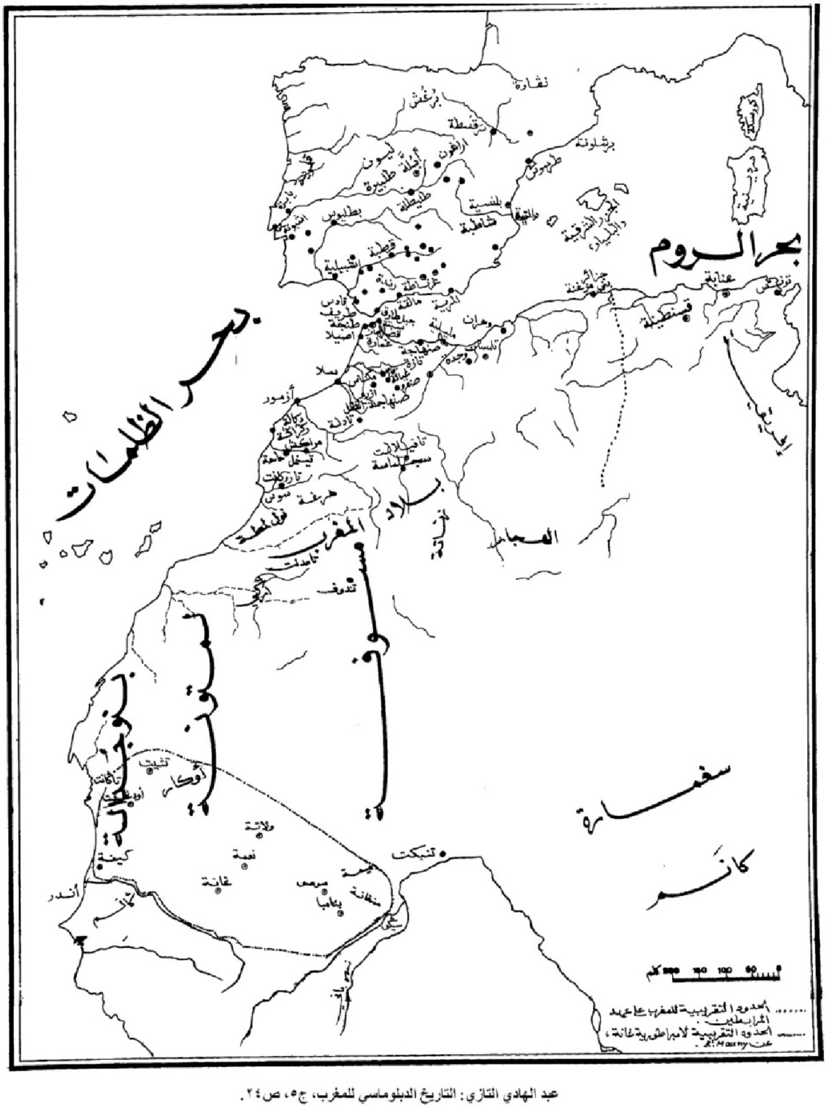
(4) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج2، ص553ـ554 [تر644].

67: **يوسف بن موسى الكلبي الضرير، السرقسطي الأصل. كان إماما في النحو والأصول، ومن أهل التبحر والتقدم في التوحيد والاعتقادات، بل هو آخر أئمة المغرب فيه. انتقل إلى العدوة وسكن مراكش حتى توفي بها فجأة سنة 520هـ/ 1126م. لكن هناك من تمدرس عليه بفاس كعلي بن الحسين اللواتي، وابن الملجوم**[1].

* * *

(1) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص331 [تر1509]؛ ابن الآبار: التكملة، ج3، ص244 [تر313] ـ ج4، ص16 [تر46] ـ الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص663 [تر1452].

خريطة المغرب على عهد المرابطين



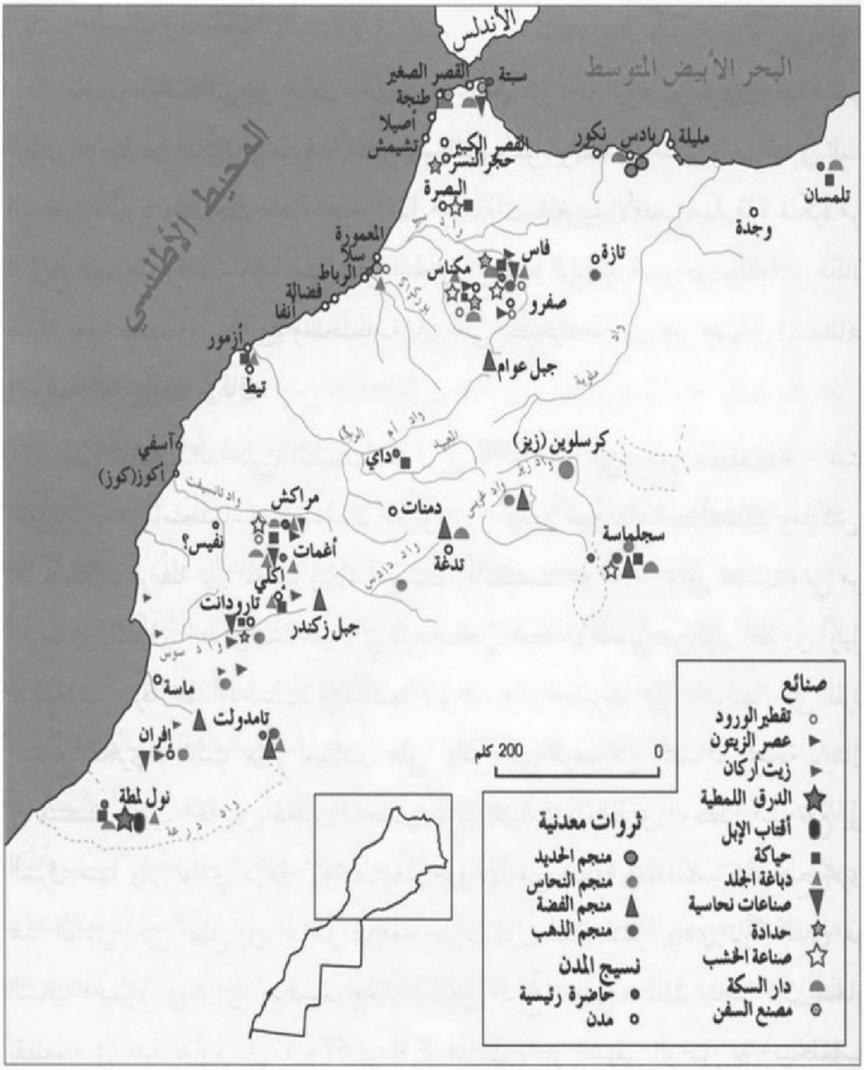
عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج٥، ص٢٤.

مضارب قبائل المغرب الأقصى



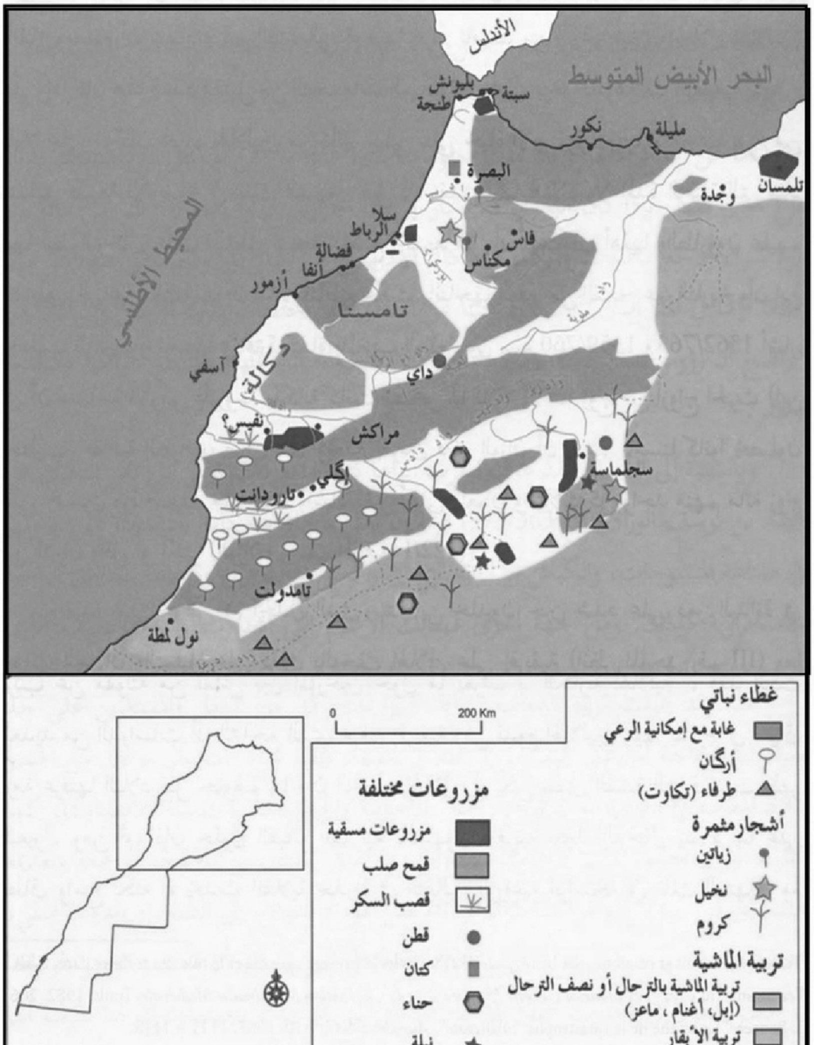
د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٨٥٦

النسيج الحضري والمناجم والصنائع بوسط وشمال المغرب



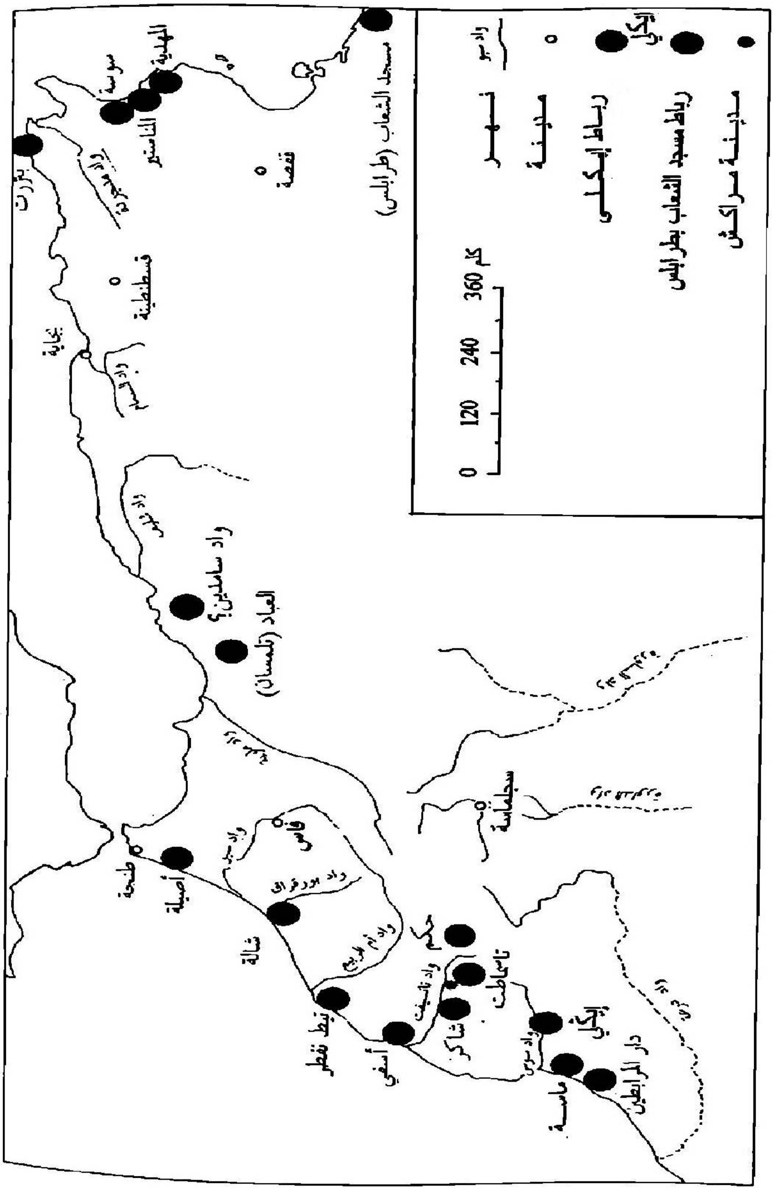
محمد القبلي، تاريخ المغرب ـ تحيين وتركيب، ص٢٣٧

أهم المنتجات الفلاحية فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر للميلاد



محمد القبلي، تاريخ المغرب ـ تحيين وتركيب، ص ٢٣١

أهم الرباطات ببلاد المغرب من القرن 3هـ / 9م إلى القرن 5هـ / 11م



الحسين أسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، ص ٥١

* * *

المصادر والمراجع

المخطوطات:

1ـ **البلوي** (أبو عبد الله محمد بن أخمد اللخمي، ت577هـ/ 1181م):

العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل (مخطوط بالخزانة الحسنية، المغرب، رقم 6148)

2ـ **ابن الحاج** (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي، ت529هـ/ 1134م):

نوازل ابن الحاج (مخطوط بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات بالرباط، رقم: ج55)

3ـ **الملوي** (احمد بن محمد البويعقوبي، عاش في أوائل القرن13هـ/ 18م):

تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة (مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، تحت رقم: 7/ 308)

المصادر العربية:

4ـ **ابن الأبّار** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت658هـ/ 1259م):

إعتاب الكتاب (تحقيق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1961م)

5ـ ـــــ: **التكملة لكتاب الصلة** (تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م)

6ـ **أبو حامد الغرناطي** (محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع القيسي، ت565هـ/ 1169م):

تحفة الألباب ونخبة الاعجاب (تحقيق: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993م)

7ـ **أبو حمو موسى الزيّاني** (ت791هـ/ 1388م):

واسطة السلوك في سياسة الملوك (مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1297هـ)

8ـ **ابن أبي أصيبعة** (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس، ت668هـ/ 1269م):

عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)

9ـ **أبي حيان** (علي بن محمد بن العباس التوحيدي، ت414هـ/ 1023م):

الإمتاع والمؤانسة (مراجعة: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2011م)

10ـ **أبي الخير الإشبيلي** (من أبناء القرن 6هـ/ 12م):

كتاب في الفلاحة (المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، 1357هـ/ 1938م)

11ـ ـــــ: **عمدة الطبيب في معرفة النبات** (تحقيق: محمد العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م)

12ـ **ابن أبي الربيع** (شهاب الدين أحمد بن محمد، ت272هـ/ 885م):

سلوك المالك في تدبير الممالك (تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996م)

13ـ **أبي الفضل** (عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ت544هـ/ 1149م):

الغنية ـ فهرست شيوخ القاضي عياض (تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م)

14ـ ــ: **ترتيب المدارك لمعرفة أعلام مذهب مالك** (تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983م)

15ـــ: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** (تحقيق: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1997م).

16ـــ: **التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة** (تحقيق: محمد الوثيق ـ عبد المنعم الحميتي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2011م)

17ـ **أبي الفضل الدمشقي** (جعفر بن علي، انتهي من وضع كتابه سنة570/ 1174م):

الإشارة إلى محاسن التجارة وغشوش المدلسين فيها (تحقيق: محمود الارناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1999م)

18ـ**أبي القاسم بن حوقل النصيبي** (ت367هـ/ 977م):

صورة الأرض (مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م)، ص99.

19ـ**ابن الأثير** (محمد بن محمد بن عبد الكريمبن عبد الواحد الشيباني، ت630هـ/ 1232م):

الكامل في التاريخ (مراجعة: محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2002م)

20ـ**الأحمد نكري** (عبد النبي بن عبد الرسول، ت القرن12هـ/ 17م):

دستور العلماء ـ المعروف بجامع العلوم في اصطلاحات الفنون (تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م)

21ـ **ابن الأحمر** (إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي، ت807هـ/ 1404م):

بيوتات فاس الكبرى (دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م)

22ـ**اخوان الصفا:**

رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا (مركز النشر ـ مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، 1405هـ/ 1984)

23ـ**ابن الإخوة** (محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت729هـ/ 1329م):

معالم القربة في أحكام الحسبة (تحقيق: محمد محمود شعبان ـ صديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م)

24ـ **الإدريسي** (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي، ت560هـ/ 1164م):

صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مطبعة بريل، مدينة ليدن، هولندا، 1863م)

25ـ ــ: **وصف افريقيا الشمالية والصحراوية** (تصحيح: هنري بيريس، مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية بالجزائر، 1957م)

26ـ ـــ: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م)

27ـ **ابن الأزرق** (أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي، ت896هـ/ 1491م):

بدائع السلك في طبائع الملك (تحقيق: علي سامي النشار، دار السلام للنشر، القاهرة، 2008م)

28ـ **الإشبيلي** (بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمي، ت629هـ/ 1231م):

التيسير في صناعة التسفير (تحقيق: عبد الله كنون، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، أسبانيا، مج 7ـ 8، 1950م/ 1960م).

29ـ **البادسي** (عبد الحق بن إسماعيل، كان حيا سنة 722هـ/ 1322م):

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف (تحقيق: سعيد اعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993م).

30ـ **ابن باديس** (المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد، ت455هـ/ 1063م):

عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب (تحقيق: نجيب مايل الهروي ـ عصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، 1409هـ)

31ـ **البرزلي** (أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي، ت841هـ/ 1438م):

جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م)

32ـ **ابن بسام** (أبي الحسن علي، ت542هـ/ 1147م):

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م)

33ـ **ابن بشكوال** (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى، ت578هـ/ 1182م):

الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم (تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م)

34ـ **ابن بصال** (عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي، ت نهاية القرن 6هـ/ 12م):

كتاب الفلاحة (ترجمة: خوسي مارية مياس ـ محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1955م)

35ـ**البكري** (أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت487هـ/ 1094م):

المسالك والممالك (تحقيق: جمال طه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م)

36ـ ـــــ: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** (دارالكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت)

37ـ **البيـذق** (أبو بكر بن علي الصنهاجي، ألفه منتصف القرن 6هـ/ 12م):

أخبارالمهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين (دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1971م)

38ـ ــــــ: **المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب** (تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1971م).

39ـ **ابن البيطار** (ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي، ت646هـ/ 1248م):

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م)

40ـ**التسولي** (أبي الحسن علي بن عبد السلام، ت1258هـ/ 1842م):

البهجة في شرح التحفة (تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م)

41ـ**التميمي** (أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم، ت604هـ/ 1207م):

المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد (تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد المالك السعدي، المغرب، 2002م)

42. **التنبكتي** (أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي، ت943هـ/ 1537م):

نيل الابتهاج بتطريز الديباج (منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989م)

43. ــ: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** (تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م).

44. **التهانوي** (محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد، كان حيا عام1158هـ/ 1745م):

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، لبنان، 1996م)

45. **التيفاشي** (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون، ت651هـ/ 1253م):

نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب (تحقيق: جمال جمعة، رياض الريس، لندن، 1992م)

46. **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي، ت255هـ/ 869م):

رسائل الجاحظ - الرسائل السياسية: رسالة فخر السودان على البيضان (شرح: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2002م)

47. **ابن جبير** (أبي الحسن محمد بن أحمد، ت614هـ/ 1217م):

رحلة ابن جبير (دار الهلال، بيروت، لبنان، د.ت)

48. **ابن الجزري** (شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، ت833هـ/ 1429م):

غاية النهاية في طبقات القراء (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م)

49ـ **الجزنائي** (أبو الحسن علي، ت القرن 8هـ/ الرابع عشر الميلادي):

جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس (تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1991م)

50ـ **الجزيري** (أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسسم الصنهاجي، ت585هـ/ 1189م):

المقصد المحمود في تلخيص العقود (تحقيق: فايز بن مرزوق بن بركي السلمي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1422هـ)

51ـ **الجوهري** (أبي نصر إسماعيل بن حداد، ت398هـ/ 1007م):

الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربية (مراجعة: د. محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، 2009م)

52ـ **ابن الحاج** (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري، ت737هـ/ 1336م):

المدخل (دار التراث، القاهرة، د.ت)

53ـ **حاجي خليفة** (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، ت1067هـ/ 1656م):

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت)

54ـ **ابن حبوس** (عبد الله بن بلكين بن باديس، ت بعد 483هـ/ 1090م):

كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، (تحرير: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م).

55.ـ**ابن حزم** (أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت456هـ/ 1064م):

جمهرة أنساب العرب (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط5، 1982م)

56.ـ**الحسن بن محمد الوزان** (ت بعد عام957هـ/ 1550م):

وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي ـ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983م)

57.ـ**الحصري** (أبي إسحاق إبراهيم بن علي، ت488هـ/ 1095م):

جمع الجواهر في الملح والنوادر (تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط2، 1953م)

58.ـ **الحميري** (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي، ت900هـ/ 1494م):

الروض المعطار في خبر الأقطار (تحقيق: إحسان عباس، دار لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984م)

59.ـ **ابن حيون التميمي** (أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد، ت363هـ/ 937م):

دعائم الإسلام (تحقيق: آصف بن علي، دار المعارف، مصر،1963م)

60.ـ ـــ: **المجالس والمسايرات** (تحقيق: الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، لبنان، 1996م)

61.ـ**ابن خاقان** (أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، ت529هـ/ 1134م):

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس (تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1983م)

62ـ ـــ:**قلائد العقيان ومحاسن الأعيان** (تحقيق، حسين خربوش، مكتبة المنار، الأردن، 1989م)

63ـ **ابن خُرداذبة** (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت بعد280هـ/ 893م):

المسالك والممالك (مطبعة بريل، مدينة نَيْدن، 1889م)

64: **ابن خزيمة** (أبو بكر محمد بن إسحاق، ت311هـ/ 923م):

صحيح ابن خزيمة (تحقيق: محمد مصطفى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1980م)

65ـ **ابن الخطيب** (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني، ت776هـ/ 1374م):

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ـ القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام (تحقيق: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م)

66ـ ـــ: **الإحاطة في أخبار غرناطة** (تحقيق: يوسف طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م)

67ـ ـــ: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام وما يتعلق بذلك من الكلام** (تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م)

68ـ **ابن خفاجة** (أبو إسحاق بن إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله، ت533هـ/ 1138م):

ديوان ابن خفاجة (تحقيق: السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1960م)

69ـ **ابن خلـدون** (عبد الرحمن بن محمد، ت808هـ/ 1406م):

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م)

70ـ **ابن خلكان** (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي البكري، ت681هـ/ 1282م):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت)

71ـ **ابن خير الإشبيلي** (أبو بكر محمد بن خير بن عمربن خليفة، ت575هـ/ 1179م):

فهرسة ابن خير (تحقيق: بشار عواد ـ محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009م)

72ـ **الـدباغ** (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، ت696هـ/ 1269م):

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م)

73ـ **ابن دحية** (عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميلبن فرح بن خلف، ت633هـ/ 1235م):

المطرب من أشعار أهل المغرب (تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، 1955م)

74ـ **الذهبـي** (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت748هـ/ 1374م):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م)

75- **ابن رحال** (أبو علي الحسن بن رحال بن أحمد بن علي التدلاوي المعداني، ت1140هـ/ 1728م):

كشف القناع عن تضمين الصُّنّاع (تحقيق: محمد أبو الأجفان، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات -بيت الحكمة، تونس، 1986م)،

76- ـــ: **رفع الالتباس في شركة الخماس** (تحقيق: رشيد قباط، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2012م)

77- **ابن رزين التجيبي** (علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر، ت692هـ/ 1292م):

فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان (تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1984م)

78- **ابن رشد** (أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ت520هـ/ 1126م):

فتاوى ابن رشد (تحقيق: المختار بن الطاهر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م)

79- ـــ: **المقدمات المهدات** (تحقيق: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م)

80- ـــ: **مسائل أبي الوليد بن رشد الجد** (تحقيق: محمد التجكاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1993م)

81- **ابن رضوان** (أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري، ت783هـ/ 1381م):

الشهب اللامعة في السياسة النافعة (تحقيق: علي سامي النشار، دار الثقافة الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1984م)

82. **الزجالي** (أبو يحيى عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد الله، ت694هـ/ 1294م):

أمثال العوام في الأندلس (تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، المغرب 1975م)

83. **الزركشي** (بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، ت794هـ/ 1391م):

البرهان في علوم القرآن (تحقيق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1990م)

84. **الزركشي** (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ، كان حيا سنة 894هـ/ 1488م):

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م)

85. **ابن زهر** (أبو مروان عبد الملك بن زهر بن عبد الملك، ت557هـ/ 1162م):

التيسير في المداواة والتدبير(دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007)

86. **الزهري** (محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، ت124هـ/ 741م):

المغازي النبوية (تحقيق: سهيل زكار، دارالفكر، دمشق، 1981م)

87. **الزُهري** (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ت أواسط القرن6هـ/ 12م):

كتاب الجغرافيا (تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، د.ت)

88- **ابن الزيات** (أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت617هـ/ 1220م):

التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي (تحقيق: أحمد التادلي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1984م)

89- **ابن زيدان** (عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، ت1365هـ/ 1945م):

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م)

90- **ساجقلي زاده** (محمد بن أبي بكر المرعشي، ت1145هـ/ 1732م):

ترتيب العلوم (تحقيق: محمد بن إسماعيل، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م)

91- **السبكي** (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، ت771هـ/ 1369م):

طبقات الشافعية الكبرى (تحقيق: محمود الطناحي - عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1970م)

92- **ابن سحنون** (أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد سحنون، ت256هـ/ 869م):

آداب المعلمين (تحقيق: محمد العروسي المطوي، مطبعة المنار، تونس، ط2، 1972م)

93- **السراج** (أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، ت1149هـ/ 1736م):

الحلل السندسية في الأخبار التونسية (دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984م)

94. **ابن سعيد المغربي** (أبي الحسن علي بن موسى، ت640هـ/ 1242م):

كتاب الجغرافيا (تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1970م)

95. **السقطي** (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد، ت القرن6هـ/ 12م):

في آداب الحسبة (تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة إرنست لورو، باريس، 1931م)

96. **السكاكي** (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، ت626هـ/ 1228م):

مفتاح العلوم (تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م)

97. **السلفي** (أبي طاهر أحمد بن محمد، ت576هـ/ 1180م):

معجم السفر (تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1993م)

98. **ابن سلمون** (أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عبد العزيز، ت741هـ/ 1340م):

العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام (تحقيق: رازق حبيب، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2012م)

99. **السمعاني** (أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت562هـ/ 1166م):

الأنساب (تحقيق: عبد الرحمن اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1980م)

100. **ابن سهل** (أبي الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ت486هـ/ 1093م):

ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام (تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 2007م)

101. **ابن سيده** (أبو الحسن علي بن إسماعيل، ت458هـ/ 1065م):

المخصص (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1996م)

102. ـــ: **المحكم والمحيط الأعظم** (تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م)

103. **السيوطي** (عبد الرحمن بن أبي بكر، ت911هـ/ 1505م):

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1979م)

104. **الشطيبي** (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن بن حيون، ت963هـ/ 1555م):

الجمان في مختصر أخبار الزمان (تحقيق: عبدالحفيظ الطيبي، رسالة دكتوارة غير منشورة، جامعة غرناطة، كلية الآداب والفلسفة، قسم الدراسات السامية، آسبانيا، 2012م)

105. **الشعراني** (أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري، ت973هـ/ 1565م):

الطبقات الكبرى (تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح ـ توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م)

106. **الشيزري** (عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر، ت590هـ/ 1194م):

نهاية الرتبة في طلب الحسبة (تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م)

107. ـــ: **المنهج المسلوك في سياسة الملوك** (تحقيق: علي الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1987م)

108ـ **ابن صاحب الصلاة** (أبا مروان عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الباجي ت594هـ/ 1198م):

المن بالإمامة ـ تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عصر الموحدين (تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987م)

109ـ **الصفدي** (صلاح الدين خليل بن أيبك، ت764هـ/ 1362م):

الوافي بالوفيات (تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحيار التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م)

110ـ **الصومعي** (أحمد بن أبي القاسم التادلي، ت1013هـ/ 1604م):

المعزي في مناقب الشيخ أبي يعزي (تحقيق: علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، 1996م)

111ـ **الضبي** (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، ت599هـ/ 1203م):

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م)

112ـ **الطالقاني** (أبو الحسن علي بن الفضل المؤيدي، جمعه في سنة 421هـ/ 1030م):

رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة (مطبعة رعمسيس، مصر، د.ت)

113ـ **الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ت310هـ/ 922م):

تفسير الطبري ـ جامع البيان (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، دار هجر، مصر، 2006م)

114ـ **الطرطوشي** (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، ت530هـ/ 1135م):

الحوادث والبدع (تحقيق: عبد المجيد زكي، دار الغرب الإسلامي، د.م، 1990م)

115- ـــ: **سراج الملوك** (تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م)

116- **الطغنري** (أبو عبد الله محمد بن مالك المري، كان حيا سنة 480هـ/ 1087م):

زهرة البستان ونزهة الأذهان (تحقيق: إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (CSIC)، مدريد، إسبانيا، 2006م)

117- ابن عاصم (أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي، ت829هـ/ 1426م):

حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر (تحقيق: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م)

118- **ابن عبد الرؤوف** (أحمد بن عبد الله، ت424هـ/ 1032م):

آداب الحسبة والمحتسب - ضمن ثلاث رسائل في الحسبة (تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م)

119- **العباسي** (الحسن بن عبد الله، ت710هـ/ 1310م):

آثار الأول في ترتيب الدول (تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1989م).

120- **العزفي** (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي، ت633هـ/ 1235م):

دعامة اليقين في زعامة المتقين - مناقب الشيخ أبي يعزى (تحقيق: أحمد التوفيق مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، المغرب، 1989م)

121- **عبد القادر الفاسي** (أبي السعود عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، ت1091هـ/ 1596م):

الأجوبة الصغرى (تحقيق: علي بن أحمد الإبراهيمي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2007م).

122.**ابن عبد الملك** (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري، ت703هـ/ 1303م):

الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م)

123.**ابن عبدون**: (محمد بن أحمد التجيبي، ت527هـ/ 1132م)

رسالة في الحسبة ـ ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب (تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م).

124. **ابن عذارى** (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، كان حيا سنة 712هـ/ 1312م):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين (تحقيق محمد زنبير وعبد القادر زمام وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1958م)

125. ـــ: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م) .

126. **ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي**، ت543هـ/ 1148م):

أحكام القرآن (مراجعة: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م)

127. **ابن عربي** (محيي الدين محمد بن علي ابن عربي الحاتمي الطائي، ت638هـ/ 1240م):

تهذيب الأخلاق (تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، مصر، 1986م)

128. **ابن العريف** (أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، ت536هـ/ 1141م):

مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة (تحقيق: عصمت دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م)

129. **العمري** (أحمد بن محيي الدين يحيى بن أبي المعالي فضل الله بن أبي الفضل، ت749هـ/ 1348م):

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م)

130. **ابن العوام** (أبي زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي، ت580هـ/ 1184م):

الفلاحة الأندلسية (تحقيق: أنور سليم - سميرالدروبي - علي أرشيد، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، 2012م)

131. **ابن عيشون** (أبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، ت1109هـ/ 1697م):

الروض العطر الأنفاس بأخبارالصالحين من أهل فاس (تحقيق: زهراء النظام منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1997م)

132. **ابن غازي** (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي، ت919هـ/ 1513م):

الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون (تحقيق: عطا أبو رية - سلطان بن مليح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م)

133. **الغزالي** (أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ت505هـ/ 1111م):

إحياء علوم الدين (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1982م)

134ـ ـــ:**التبر المسبوك في نصيحة الملوك** (ضبط: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م)

135ـ **ابن فرحون** (إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري، ت799هـ/ 1396م):

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة،1972م).

136ـ **الفرسطائي** (أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، ت504هـ/ 1110م):

القسمة وأصول الأرضين (تحقيق: بكر بن محمد بن الشيخ بلحاج ـ محمد صالح ناصر، جمعية التراث، الجزائر، ط2، 1997م)

137ـ **الفيروز آبادي** (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت817هـ/ 1414م):

القاموس المحيط (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م)

138ـ **القابسي** (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، ت403هـ/ 1012م):

الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعليمن (تحقيق: أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م)

139ـ **ابن القاضي** (أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، ت960هـ/ 1025م):

درة الحجال في أسماء الرجال (مكتبة درا التراث، القاهرة، 1971م)

140ـ **ابن القاضي** (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، ت960هـ/ 1025م):

جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (دار المنصور، الرباط، المغرب، 1973م)

141. **ابن قزمان** (أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى، ت555هـ/ 1160م):

ديوان ابن قزمان القرطبي (تحقيق: فيديريكو كورينتي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1995م)

142. **القزويني** (زكريا بن محمد بن محمود، ت682هـ/ 1283م):

آثار البلاد وأخبار العباد (دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت)

143. **القسطلاني** (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك، ت923/ 1517م):

لطائف الإشارات لفنون القراءات (تحقيق: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامي، القاهرة، 1972م)

144. **ابن القطان** (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، ت 628هـ/ 1230م):

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان (تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م).

145. **القفطي** (جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، ت646هـ/ 1248م):

انباه الرواه على أنباه النحاة (تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م)

146. ــــ: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** (تعليق: إبراهيم شمس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م).

147. **ابن القلانسي** (أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، ت555هـ/ 1160م):

ذيل تاريخ دمشق (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1908م)

148. **القلقشندي** (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ت821هـ/ 1418م):

صبح الأعشى في صناعة الإنشا (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م).

149. **ابن قنفذ** (أبي العباس أحمد الخطيب، ت810هـ/ 1408م):

أنس الفقير وعز الحقير (تحقيق: محمد الفاسي - أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1965م)

150. **الكتاني** (أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، ت1345هـ/ 1926م):

سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدارالبيضاء، المغرب، 2004م)

151. **مالك بن أنس** (أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالكبن أبي عامر، ت179هـ/ 795م):

المدونة الكبرى برواية الإمام سحنون (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994م)

152. **الماوردي** (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، ت450هـ/ 1058م):

نصيحة الملوك (تحقيق: خضرمحمد خضر، مكتبة الفلاح، الصفاة، الكويت، ط1، 1983م)

153ـ **مجهول** (من كتاب القرن 6هـ/ 12م):

الاستبصار في عجائب الأمصار (تحقيق: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، د.ت)

154ـ **مجهول** (من كتاب القرن 8هـ/ 14م):

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (تحقيق: سهيل ذكار ـ عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء، المغرب، 1979م)

155ـ **مجهول** (من كتاب القرن الثامن 7هـ/ 13م):

الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين (تحقيق: أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات العربية في مدريد، مج9 ـ 10، 1961 ـ 1962م)

156ـ **مجهول** (من كتاب القرن 7هـ/ 13م):

قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين (تحقيق: محمد فتحة، دار أبي رقراق، المغرب، 2004م)

157ـ **مجهول** (من كتاب القرن 8هـ/ 14م):

مفتاح الراحة لأهل الفلاحة (تحقيق: محمد عيسى صالحية ـ إحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث ـ قسم التراث العربي، الكويت، 1984م)

158ـ**المرادي** (أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، ت489هـ/ 1096م):

الإشارة في تدبير الإمارة (تحقيق: محمد حسن محمد ـ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م)

159. **المراكشي** (محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي، ت647هـ/ 1249م):

المعجب في تلخيص أخبار المغرب (تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الجمهورية العربية المتحدة، 1963م)

160. ــــ: **وثائق المرابطين والموحين** (تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997م)

161. **ابن مريم** (أبي عبد الله محمد بن محمد المديوني التلمساني، ت1020هـ/ 1611م):

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م)

162. **المسعودي** (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودين ت346هـ/ 957م):

التنبيه والإشراف (مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1893م)

163.ــــ: **مروج الذهب ومعادن الجوهر** (مراجعة: كمال حسن، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م)

164. **المعتمد بن عباد** (محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد، ت488هـ/ 1095م):

ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية (تحقيق: أحمد أحمد بدوي ـ حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1951م).

165. **المغراوي** (أحمد بن أبي جمعة، ت920هـ/ 1514م):

جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان (تحقيق: أحمد جلولي ـ رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م)

166. **المقدسي** (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، ت380هـ/ 990م):

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991م)

167.**المقري** (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت759هـ/ 1357م):

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م)

168. ـــ: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، منشورات

صندوق إحياءالتراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات المتحدة، الرباط، 1980م).

169. **المقريزي** (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، ت845هـ/ 1441م):

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م)

170.**المكناسي** (أبي عبد الله محمد بن عبد الله، ت917هـ/ 1511م):

مجالس القضاة والحكام والتنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام (تحقيق: نعيم عبد العزيز سالم، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، 2002م)

171. **ابن منظور** (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، ت711هـ/ 1311م):

لسان العرب (دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ).

172.**ابن الموصلي** (محمد بن محمد بن عبد الكريم، 774هـ/ 1372م):

حسن السلوك الحافظ دولة الملوك (تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، الرياض، 1416هـ).

173.**ابن المؤقت** (محمد بن محمد بن عبد الله المراكشي، ت1369هـ/ 1961م):

السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية (مراجعة: احمد متفكر، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر، مراكش، المغرب، ط3، 2011م)

174.**النابلسي** (عبد الغني بن إسماعيل بن الغني، ت 1143هـ/ 1731م):

الملاحة في علم الفلاحة (تحقيق: عادل محمد علي، دار الضياء، الأردن، 2001م)

175. **النباهي** (أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن، ت792هـ/ 1390م):

تاريخ قضاة الأندلس (دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط5، 1983م)

176.**النسفي** (نجم الدين عمر بن محمد بم أحمدن ت537هـ/ 1142م):

القند في ذكر علماء سمرقند (تحقيق: سوف الهادي، مرآة التراث، إيران، 1999م)

177.**النويري** (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت733هـ/ 1332م):

نهاية الأرب في فنون الأدب (تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م)

178.**ابن وحشية** (أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني، ت296هـ/ 909م):

الفلاحة النبطية (تحقيق: توفيق فهد، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، بدمشق، 1923م)

179. **ابن الوردي** (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، ت749هـ/ 1348م):

تاريخ ابن الوردي (دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1996م)

180. **ابن الوردي** (سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، ت852هـ/ 1447م):

خريدة العجائب وفريدة الغرائب (تحقيق: أنور زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م)

181. **الوزاني** (أبو عيسى محمد المهدي بن محمد بن الخضر، ت743هـ/ 1342م):

المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب (تحقيق: عمر بن عباد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1998م)

182. **الونشريسي** (أبي العباس أحمد بن يحيى، ت914هـ/ 1508م):

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، المغرب، 1981م).

183. **ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله، ت626هـ/ 1228م)

معجم البلدان (دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م)

184. **اليعقوبي** (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهببن واضح، ت284هـ/ 897م):

البلدان (تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م)، ص198.

185ـ **ابن يوسف الحكيم** (أبي الحسن علي بن يوسف، كان حيا خلال النصف الثاني من القرن 8هـ/ 14م):

الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة (تحقيق: حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري للدارسات

الإسلامية، مدريد، إسبانيا، 1958، مج6، ع1ـ2).

المراجع العربية والمعربة:

186ـ إبراهيم القادري بوتشيش: مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين ـ من منتصف القرن 11م إلى منتصف القرن 12م (منشور ضمن كتاب: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1970م)

187 ـ ـــــــ: العوام في مراكش خلال عصري المرابطين والموحدين (منشور ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م)

188 ـ ـــــــ: المغرب والأندلس في عصرالمرابطين المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م)

189 ـ ـــــــ: الإسلام السري في المغرب العربي (سينا للنشر، القاهرة، 1995م)

190ـ ـــــــ: إسهامات في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينة مكناس خلال العصرالوسيط (منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، 1997م)

191 ـ ـــــــ: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين (دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1998م)

192 ـ ـــــــ: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي (دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2002م)

193ـ ـــــــ: علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين 6 ـ 7 هـ (مشاركة ضمن أعمال الندوة التكريمية: متنوعات حليمة فرحات، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، 2005م)

194 ـ ـــــــ: الثروات المنجمية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط ـ توزيعها الجغرافي وطرق استغلالها والصراع السياسي حولها من خلال المتون النصية المكتوبة (مشاركة ضمن أعمال الندوة العلمية الخامسة: الموارد الطبيعية ببلاد المغرب في العصرين القديم والوسيط ـ الاستغلال والتصرف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، نوفمبر، 2010م)

195 ـ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،2000م)

196 ـ إبراهيم هلال: الفلسفة والدين في التصوف الإسلامي (دار العرب ودار نور، سوريا، 2009م)

197 ـ أحمد شوق بنين: الكتب والمكتبات في مراكش على عهدي المرابطن والموحدين (منشور ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م)

198 ـ أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي (منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 2001م)

199ـ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ط، د.ت)

200ـ أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (عالم الكتب، القاهرة، 2008م)

201ـ أحمد الوارث: رباط تيط في دكالة ـ تاريخ وعمارة (مشاركة ضمن أعمال اليوم الدراسي: رباطات وزوايا في المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب، مارس 2004م)

202 ـ أوليفيا ريمي كونستابل: إسكان الغريب في العالم المتوسطي (ترجمة: محمد الطاهر المنصوري (دار المدي الإسلامي، بيروت، لبنان، 2013م)

203 ـ إيفان هربك ـ جان دُفيس: المرابطون (ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام ـ اليونسكو، طباعة حسيب درغام، المكلس، لبنان، ط2، 1997م)

204ـ بشير رمضان التليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي (دار المدى الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م)

205 ـ ج.ف.ب.هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى (ترجمة: أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1980م)

206 ـ جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين (دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2001م)

207 ـ جوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى (ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2009م)

208 ـ حامد التريكي: المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين (منشور ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م)

209 ـ حاييم الزعفراني: يهود الأندلس والمغرب (ترجمة: أحمد شحلان، مرسم الرباط، المغرب، 2000م)

210 ـ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ـ صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)

211ـ الحسن أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي،(منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المغرب، 2010م)

212ـ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م)

213 ـ حسن حافظي علوي: دراسات صحراوية – الماء والإبل والتجارة (دار أبي رقراق، المغرب، 2014م)

214ـ ـــ: سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997م)

215 ـ الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب (دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986م)

216 ـ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين (مكتبة الخانجي، مصر، 1980م)

217 ـ الحسين أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصرالوسيط 1 ـ 9 هـ (منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ـ مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، المغرب، 2004م)

218 ـ حسين سيد عبد الله مراد: المتصوفة في المغرب الأقصى في عصري المرابطين والموحدين (المطبعة الاسلامية الحديثة، القاهرة، 1994م)

219 ـ حمدي عبد المنعم محمد: مدينة سلا في العصر الإسلامي ـ دراسة في التاريخ السياسي والحضاري (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م)

220 ـ ـــ: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م)

221 ـ خالد الصمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى نهاية القرن السابع الهجري (منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2006م)

222 ـ دايفيد وينز: فنون الطبخ في الأندلس (ضمن كتاب: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م)

223 ـ رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس (دار الأفاق العربية، القاهرة، 2002م)

224 ـ روبار برنشفيك: إفريقية في العهد الحفصي 13 ـ 15م (ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م)

225 ـ روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين (ترجمة: نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1967م)

226 ـ ــــــ: فاس قبل الحماية (ترجمة: محمد الحجي ـ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992م)

227 ـ رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية (ترجمة: محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1992م)

228 ـ الزركلي: الأعلام (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م)

229 ـ س. جواتياين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية (ترجمة: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م)

230 ـ سعيد مغاوري محمد: الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2000م)

231 ـ سلمى براهمة: السحر بين الفقه والتصوف (دفاتر مركز الدكتوراه - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك، جامعة الحسن الثاني، المغرب، 2015م)

232 ـ شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية (المطبعة الرحمانية، مصر، 1936م)

233 ـ شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (دار المعارف، القاهرة، 1995م)

234 ـ صابر عبد المنعم: النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2012م)

235 ـ صلاح أحمد البهنسي: عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي (كلية الآداب، مقررات التعليم المفتوح ـ جامعة عين شمس، د.ت)

236 ـ عاطف منصور محمد رمضان: طوائف الحرفيين في الآثار والفنون الإسلامية (منشور ضمن: موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 2004م)

237 ـ عباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام (مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، ط2، 1993م)

238 ـ عباس الجراري: قضايا مرابطية في منظور بعض المستشرقين (مشاركة ضمن ندوة: المغرب في الدراسات الاستشراقية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، أبريل 1993)

239 ـ عبد الرازق العسري ـ فائزة البوكيلي: التراث اللامادي للجنوب المغربي بين التنوع والغنى قراءة في إسهامات التعددية الإثنية المجال والتراب والمجتمع بالمغرب (ضمن كتاب المجال والتراب والمجتمع بالمغرب، أعمال مهداة للدكتورة رشيدة نافع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2019م)

240 ـ عبد الرحمن بشير: اليهود في المغرب العربي (عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 2001م)

241 ـ ـــــ: من تاريخ تونس الإسلامي ـ إفريقية الإسلامية (دار عين، مصر، 2013م).

242 ـ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام (دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1965م)

243 ـ عبد الرزاق عبد الرحمن السعيدي: تنبيه الوسنان على علم البيان (دار الأنبار، بغداد، العراق، 1994م)

244 ـ عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م)

245 ـ عبد اللطيف الخلابي: الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بفاس خلال العصرين المريني والوطاسي (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011م)

246 ـ عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2009م)

247 ـ عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي (د.م، د.ت).

248 ـ عبد الله معصر: خزائن الكتب في التاريخ الثقافي لفاس (مشاركة بندوة: فاس ـ التاريخ والتراث والإشعاع الثقافي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، المغرب، 2008م)

249 ـ عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت ـ حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، تونس، 1983م)

250 ـ ـــــ: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1995م)

251 ـ عبد الهادي التازي: جامع القرويين (دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط2، 2000م)

252 ـ عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب (المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م)

253 ـ عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه وخلاصة التشريع الإسلامي (دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م)

254 ـ عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى (الهلال العربية للطبع والنشر، الرباط، المغرب، 1993م)

255 ـ عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري (دار الشروق، القاهرة، 1983)

256 ـ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين ـ عصر الطوائف الثاني (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م).

257 ـ ـــــــ: أضواء جديدة على المرابطين (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م)

258 ـ علي جمعة: علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م).

259 ـ فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1999م).

260 ـ فتحي زغروت: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين (دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2005م)

261 ـ فيليب فارج ـ يوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي التركي (ترجمة: بشير السباعي، دار سينا للنشر، القاهرة، 1994م)

262 ـ كرراز فوزية: دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري (دار الأديب، وهران، الجزائر، 2006م)

263 ـ كريم عاتي الخزاعي: أسواق بلاد المغرب من القرن السادس الهجري حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2010م)

264 ـ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب (مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م)

265 ـ كينيث بروان: موجز تاريخ سلا (ترجمة: محمد جيدة ـ أناس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، 2000م)

266 ـ لشقر محمد: علاقة التصوف بالفلسفة في الثقافة العربية (مشاركة ضمن ندوة: التصوف وخطابات المثقف، إتحاد كتاب المغرب ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2014م)

267 ـ لكديم الصوصي مولاي إبراهيم: مراكش بين التأسيس والتمدين في العصرين المرابطي والموحدي (منشور ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م)

268 ـ ليوبولدو توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي (ترجمة: سيد غازي، دار المعارف، مصر، 1971م)

269ـ مارمول كربخال: إفريقية (ترجمة: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984م).

270 ـ المجدوبي عبد العزيز: من مسائل التعمير واستعمال المجال في العهدين المرابطي والموحدي (منشور ضمن كتاب: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، مراكش، المغرب، 1989م)

271 ـ محسن بوعزيزي: السيميولوجيا الاجتماعية (إصدرات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2010م)

272 ـ محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط (دار الرياح الأربع، تونس، 1986م)

273 ـ محمد بن حسن شرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م)

274ـ محمد حسين محاسنة: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين (دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات، 2001م)

275 ـ محمد الخضر حسين: نقض كتاب في الشعر الجاهلي (المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت)

276 ـ محمد السعيدي الرجراجي: رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن السادس الهجري (مؤسسة آفاق، مراكش، المغرب، 2010م)

277 ـ ــــــ: رجراجة وتاريخ المغرب (منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، المغرب، 2004م)

278 ـ محمد الشريف: سبتة الإسلامية ـ دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عصر الموحدين والمرينيين (منشورات جمعية تطاون ـ أسمير، المغرب، ط2، 2006م)

279 ـ محمد رواس قلعة جي: معجم لغة الفقهاء (دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، 2010م)

280 ـ محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط ـ الدولة المدينة الاقتصاد (منشورات كلية الآداب ـ جامعة محمد الخامس، الرباط، 1999م)

281ـ محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب ـ أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م)

282ـ محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع128، أغسطس 1988م)

283 ـ محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية بالمغرب والأندلس (دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت)

284 ـ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م)

285 ـ محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير (مؤسسة تاولات الثقافية، د.م، 2010م)

286 ـ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية (دار الشروق، القاهرة، 1993م)

287 ـ محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة في العصر الوسيط (دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987م)

288ـ ـــــ: تاريخ المغرب تحيين وتركيب (منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المغرب، 2011م)

289ـ محمد المازوني: رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية (مشاركة ضمن أعمال اليوم الدراسي: الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي ـ وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، 1996م)

290ـ محمد المنوني: تاريخ الوراقة المغربية (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1991م)

291ـ محمد ناصح: مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضري المغربي خلال القرن 6هـ/ 2م (أعمال ندوة التجارة في علاقاتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1989م)

292 ـ محمود إسماعيل: المهمشون في التاريخ الإسلامي (دار رؤية، القاهرة، 2004م)

293 ـ محمود عبد الرحمن عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (دار الفضيلة، القاهرة، 1999م)

294 ـ محمود هدية: اقتصاد النسيج في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط (مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2019م)

295ـ مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986م)

296 ـ مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف، (منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1999م)

297 ـ معلمة المغرب (الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطابع سلا، المغرب، 2001م)

298ـ نهلة شهاب أحمد: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م)

299 ـ نور الهدى الكتاني: الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م)

300 ـ هاشم العلوي: مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1995م)

301 ـ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين (ترجمة: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م)

302 ـ يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري (دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت)

303 ـ يوسف النكادي: أساليب الزراعة والغراسة والتناوب بين الاستغلال والاستراحة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري (ضمن كتاب: الفلاحة والتقنيات الفلاحية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2011م)

الدوريات العربية والمعربة

304 ـ إبراهيم القادري بوتشيش: المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي (مجلة دراسات تاريخية، مركز البصيرة للدراسات للبحوث والاستشارات والخدمات العلمية، الجزائر، ع3، أغسطس، 2014م)

305 ـ ـــــــ: أثر الحروب في المجال الضرائبي (مجلة الاجتهاد، مج9، ع34ـ 35، ربيع 1997م)

306 ـ إبراهيم الهلالي: ازدهار الحركة الثقافية بمراكش عبر جامعة ابن يوسف في عهد الموحدين والسعديين (مجلة جامعة ابن يوسف، المغرب، ع5، 2006م).

307 ـ أبو العلا عفيفي: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، مجلة كلية الآداب، جامعة فاروق الأول، مصر، مج1، مايو 1943م)

308 ـ أحمد الوارث: رباط شاكر ـ مؤسسة دينية عتيقة في المغرب الأقصى (مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع78، حزيران ـ يونيو 2012م)

309 ـ أنور محمود زناتي: أمثال العوام مصدرا للنشاط الزراعي في الأندلس ـ الزجالي وابن عاصم أنموذجان (مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ع22، 2017م)

310 ـ إيمان بنت دخيل الله العصيمي: العلاقات الثقافية بين المراكز العلمية الأندلسية ومدينة فاس من القرن السادس الهجري حتى سقوط غرناطة (مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، ع37/ 2، يوليو 2014م)

311 ـ إيمان عبد الرحمن حسن العثمان: التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج8، ع15/ 2، 2014م)

312 ـ بشرى تاكفراست: مسجد ابن يوسف ـ تاريخ ومجد (مجلة جامعة ابن يوسف بمراكش، ع1، 2012م)

313 ـ بوقاعدة البشير: آلات الحصار بالمغرب خلال القرنين 5 ـ 6هـ بين التنوع والفاعلية (مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر، ع10، جوان [يونيو] 2017م)

314 ـ جديد عبد الرحيم: نماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين الحمادية والزيانية (مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع11، 2017م)

315 ـ جمال بامي: المعرفة النباتية والطبية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي (مجلة الإحياء، المغرب، ع39 ـ 40، ديسيمبر2013م)

316ـ حازم محمد جيران الفهداوي: مدينة أغمات ـ دراسة تاريخية (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العراق، ع2، ديسمبر 2014م)

317 ـ حسن الوراكلي: شيوخ العلم وكتب الدرس في سبتة من خلال برنامج أبي القاسم التجيبي (مجلة المناهل، المغرب، ع22، يناير 1982م)

318 ـ حسن حافظي علوي: جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود (مجلة المناهل، المغرب، ع56، شتنبر (سبتمبر) 1997م)

319 ـ حسن علي حسن: قبائل البرانس ودورها في تأسيس دول المغرب في العصور الوسطى (مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع6، 1976م)

320 ـ حسن فيكيكي: بادس حاضرة الريف الغربي (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب، ع18، 2016)

321 ـ الحسين فقادي: من مظاهر التغذية في تاريخ المغرب الوسيط (مجلة أمل، مج6، ع16، 1999م)

322 ـ خوسيه اليماني: الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة (ترجمة: أحمد مدينة، مجلة دعوة الحق، السنة 19/ 5، مايو 1978م)

323 ـ رضوان محمد رضوان البارودي: عناصر المرتزقة في الجيوش المغربية (مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، ع6، مارس 1998م)

324 ـ رولى رفعت أبو خاطر: الحمامات التقليدية ضمن النسيج العمراني للمدينة الإسلامية ـ دراسة مقارنة في عدة مدن متوسطية (مجلة إنسانيات، الجزائر، ع63ـ64، جانفي ـ جوان 2014م)

325 ـ رينهارت دوزي: المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب (ترجمة: أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، مج9/ 2، 1972م)

326 ـ ـــــ: المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب (ترجمة: أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، مج10/ 3، 1973م)

327 ـ زبيدة الطيب: علاقة الفلسفة بعلم الكلام (مجلة المعيار، الجزائر، مج21، ع41، يونيو 2016)

328 ـ زكية عراقي سيناصر: المرأة والمثل (مجلة فكر ونقد، ع35، يناير 2000م)

329 ـ سعد غراب: كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية ـ مثال نوازل البرزلي (حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، ع16، 1978م)

330 ـ سعيد أعراب: أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه ـ أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي ـ1 (مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة20/ 8، ع200، رمضان 1399هـ-أغسطس 1979م)

331 ـــــ: أقدم عالم مغربي وصلنا تراثه ـ أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي ـ3 (مجلة دعوة الحق، السنة20/ 10، ع202، محرم 1400هـ-ديسمبر1979م)

332 ـ سعيد بنحمادة: الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصرالوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية (مجلة كان التاريخية، ع22، ديسمبر2013م)

333 ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية (مجلة عالم الفكر، م11، ع1، ابريل ـ مايو ـ يونيو 1980م)

334 ـ سليمان عبد الغني مالكي: بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين و الموحدين (مجلة الدارة، مج12، ع3، ديسمبر1986م)

335 ـ سناء خدا كرم عزيز: المناهج التعليمية في بلاد المغرب العربي (مجلة الأستاذ، كلية التربية ـ ابن رشد ـ جامعة بغداد، ع216/ 2، 2016م)

336 ـ شريف محمد عوض: الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة (مجلة الفنون الشعبية الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ع89، يونيو 2011م)

337 ـ الشيخ عدة: جهود الفقيه عبدالله بن ياسين في تكوين العصبية الدينية المرابطية (مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع2، 2014م)

338 ـ صالح محمد فياض أبو دياك: الدولة الإدريسية الهاشمية ودورها السياسي والحضاري في المغرب في عهد الإمامين إدريس الأول وإدريس الثاني (مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، م11، ع2، 1996م)

339 ـ عادل عواد الطائي: تسليح جيش المرابطين (مجلة Al-Andalus Magreb (الأندلس مغرب)، جامعة قادس، إسبانيا، ع21، 2014م)

340 ـ عباس الجراري، الموحدون ثورة سياسية ومذهبية (مجلة المناهل، المغرب، ع1، نوفمبر1974م)

341 ـ عبد العزيز الدوري: نشوء الأصناف والحرف في الإسلام (مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، ع1، حزيران 1959م)

342 ـ عبد العزيز شاكي: ثورة المهدي بن تومرت على دولة المرابطين (مجلة الحكمة، الجزائر، ع20، 2013م)

343 ـ عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب الوسيط ـ الانتاج و المبادلات (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، عدد خاص، 1985م)

344 ـ عبد العزيز الكتماني: دور الجامعة اليوسيفية في تأسيس ثقافة مغربية خلال العهد المرابطي (حوليات كلية اللغة العربية بمراكش، المغرب، ع3، 1994م)

345 ـ ـــــ: حروب عبد المؤمن بن علي ضد دولة المرابطين (مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، موريتانيا، ع12، 2016م).

346 ـ عبد القادر الخلادي: أمثال شعبية مغربية في شؤون الحياة الاقتصادية (مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة 11/ 8، ع110، ربيع الأول والثاني 1388هـ ـ يونية ويوليو 1968م)، ص125.

347 ـ عبد القادر زمامة: أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج48/ 1، يناير 1973م)

348 - ـــــ: فاس وصناعاتها التقليدية (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، ع4-5، 1981م)

349 - ـــــ: من أعلام المغرب العربي - ابن حبوس (مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع15، ديسمبر1996م)

350 - عبد الكريم التواتي: الأبعاد الثقافية لعهد الموحدين - هدف التقليد في الأدب المغربي (مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة24/ 6، ع232، صفر 1404هـ -نوفمبر1983م)

351 - العجلاوي: التجارة الصحراوية - تجارة النحاس بين المغرب والسودان 3-7هـ (مجلة المناهل، المغرب، ع49، ديسمبر1995م)

352 - العربي الرباطي: سجلماسة مركز القوافل التجارية (المجلة العربية للثقافة، تونس، ع47، سبتمبر2005م)

353 - عصمت عبد اللطيف دندش: معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عصر المرابطين (مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة 27/ 6، ع259، صفر 1407هـ -أكتوبر1986م)

354 - عمر أشهبار: بادس حاضرة بلاد الريف بالمغرب (مجلة دراسات تاريخية، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العراق، ع19، كانون الأول [ديسمبر] 2015م)

355 - غانية البشير: الضرائب غير الشرعية في دولتي المرابطين والموحدين وأثرهما على علاقتهما مع الرعية (مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، مج2، ع8، نوفمبر2016م)

356 - فاطمة بلهواري: النشاط الرعوي في بلاد المغرب (مجلة كان، ع8، يونيو2010م)

357 - فاطمة بوزاد: جوانب اقتصادية واجتماعية من تاريخ الرحى المائية

والرحويين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة يحيى فارس، المدية، الجزائر، مج1، ع1، جوان (يونيو)2020م)

358 ـ فاطمة عبد القادر رضوان: أسواق مدينة فاس في عصرالمرابطين (مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع29، يناير2006م)

359 ـ فتحية محمد خير الوداني: أثر الفقهاء والعلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فاس في عصر المرابطين (مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات، جامعة عين شمس، ع13، 2012م)

360 ـ ــــــــ: مناهج التعليم و طرقه في فاس في عصر المرابطين (مجلة فكر وإبداع، ج71، أكتوبر 2012م)

361 ـ ــــــــ: الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في عصر المرابطين (مجلة البحوث الأكاديمية،الأكاديمية الليبية، مصراتة، ليبيا، ع5، يناير 2016م)

362 ـ كرم إدريس: علاقات الإنتاج بالمغرب من خلال نوازل الفقهاء (مجلة دعوة الحق، السنة26/ 9، ع252، ذي الحجة 1405هـ-شتنبر[سبتمبر]1985م)

363 ـ كريم عاتي لعيبي ـ حارث علي عبد الله: أنواع الحرف في بلاد المغرب من خلال كتاب المعيار المعرب للونشريسي المتوفي عام 941هـ (مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، ع22، آب [أغسطس]2015م)

364 ـ لكديم الصوصي مولاي إبراهيم: مراكش موطن المسجد الجامعة ـ ابن يوسف (مجلة جامعة ابن يوسف بمراكش، المغرب، ع2، 2003م)

365 ـ ليوبولدو توريس: الأبنية الإسبانية الإسلامية، (ترجمة: علية إبراهيم، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ع1- سنة1، 1953م)

366 ـ مارتن ليفي: النحاس والبرونز في بلاد ما بين النهرين (مجلة النفط والتنمية، بغداد، ع 7 ـ 8، نيسان مايس [أبريل مايو] 1981م)، ص133.

367 ـ مالكة العاصمي: مراكش العاصمة العلمية للغرب الإسلامي وجامعاتها القديمة (مجلة جامعة ابن يوسف بمراكش، المغرب، ع1، 2002)

368 ـ مجهول: باديس المجاهدة (مجلة دعوة الحق، السنة16/ 10، ع162، صفر 1395هـ ـ مارس 1975م)

369 ـ المحجوب قدار: جوانب من إسهام التجارة الخارجية في بروز النخبة التجارية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط ق6 ـ 8هـ (مجلة عصور الجديدة، مج9/ 1، مايو 2019م)

370 ـ محمد بن أحمد أشماعو: من الأمثال المغربية، (مجلة التراث الشعبي، العراق، مج12، ع 3 ـ 4، 1981م)

371 ـ محمد ابن شريفة: من أصداء الحياة اليومية في سبتة المرابطية (مجلة المناهل، س9، ع22، يناير 1982م)

372 ـ محمد العمراني: ثورات بلاد غمارة خلال الفترتين المرابطية والموحدية (مجلة أمل، مج6، ع17، 1999م)

373 ـ محمد الغريسي: تكامل الحقول المعرفية ـ العلوم اللغوية والعلوم الشرعية نموذجا (جريدة المحجة، المغرب، ع394، 1 فبراير 2013م)

374 ـ محمد المنوني: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس (مجلة المناهل، س3، ع6، يوليو 1976م)

375 ـ ـــــــــــ: مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين (مجلة البحث العلمي، المغرب، ع37، 1987م)

376 ـ محمد أمراني علوي: الإجازات وطرق التدريس بالمساجد السجلماسية بجنوب المغرب (مجلة المجلس، المغرب، ع 8 ـ 9، يناير 2010م)

377 ـ محمد بركات البيلي: مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي في العصر الإسلامي (مجلة المؤرخ المصري، ع3، يناير1989م)

378 ـ محمد بن تاويت: سبتة المسلمة ـ منارا للعلم والأدب ومهدا للفضل والصلاح (مجلة المناهل، المغرب، ع22، يناير 1982م)

379 ـ محمد بن ساعو: التجار المغاربة في العصور الوسطى من خلال المصادر الفقهية (مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع2، 2014م)

380 ـ محمد زنيبر: الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي بن تومرت (مجلة المناهل، ع24، يوليو 1982م)

381 ـ محمد عبد العزيز الدباغ: جامع الأندلس بفاس (مجلة دعوة الحق، المغرب، السنة6/ 1، ع53، جماد الأول 1382هـ ـ أكتوبر 1962م)

382 ـ محمد كمال شبانة: مدينة مكناس المغربية عبر التاريخ الوسيط (مجلة الدارة ـ السعودية، مجلد13، ع3، نوفمبر سنة 1987م)

383 ـ محمد ناصح: بعض عوامل التطور التجاري في المغرب 6هـ/ 12م (مجلة أمل، مج2، ع6، 1995م)

384 ـ مختار المومني: الفلاحة في أمثالنا العامية (مجلة الإتحاف، تونس، ع 143 ـ 144، يناير 2004م)

385 ـ الموساوي العجلاوي: مصطلحات السكة والصياغة وتطور الدلالة (مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع46، ديسمبر 1998م)

386 ـ موسى هواري: استخدام الحيوانات في الزراعة ببلاد المغرب خلال الفترة الإسلامية (مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر(2)، ع14، 2012م)

387 ـ نجلاء سامي النبراوي: القابلة في المغرب والأندلس ـ الدور الطبي والقضائي والاجتماعي 6ـ9هـ (مجلة كلية الآداب بقنا، ع24، 2008م)

388 ـ نشوى أنور الرشيدي: العوامل المؤثرة في الفكر التاريخي لدى مؤرخي عصر المرابطين (مجلة فكر وإبداع، مصر، ج80، نوفمبر2013م)

389 ـ نعيمة الحضري: الحمام العمومي المغربي تاريخ وتخطيط (مجلة بصمات ـ سلسلة جديدة، جامعة الحسن الثاني المحمدية، ع6، 2015م)

390 ـ الهادي بو وشمة: الحمام الشعبي بتلمسان (مجلة إنسانيات، الجزائر، ع63ـ64، جانفي ـ جوان 2014م)

391 ـ هشام المتوكل: أثر الحرف التقليدية في تطور إنتاج الأسلحة بالمغرب (مجلة القبس ـ جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، مج3/ 1، جوان (يونيو) 2019م)

الرسائل العلمية:

392 ـ أبو هريرة عبد الله محمود: مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد إمامة بني واسول الصفرية 140 ـ 366هـ (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1994م)

393ـ أحمادو تال ديالو: تنظيم الصناعة من خلال مدونة سحنون ونوادر ابن أبي زيد (رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2003م)

394 ـ أحمادو تال ديالو: النقل ووسائله بالغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتب الفقه المالكية (رسالة دكتوراة غير منشورة، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2006م)

395 ـ أحمد حمود حاتم المخلافي: المدن والحصون في الشمال الغربي المغربي من الأدارسة إلى ظهور المرابطين (رسالة دكتوراة غيرمنشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، جامعة ابن طفيل، الجزائر، 2009م)

396 ـ أحمد عبيدلي: الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين 6 ـ 7 هـ (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، 2005م)

397 ـ أمينة بلكعلول: تقنية التسميد في الزراعة في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (مذكر لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2019م)

398 ـ أنس حموتير: الفتح المبين في أخبار دولة المرابطين (بحث لنيل شهادة الإجازة الجامعية، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، 2013م / 2014م)

399 ـ بان علي محمد البياتي: النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن 3 ـ 5هـ (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2004م)

400 ـ بصديق عبد الكريم، البيوع والمعاملات التجارية في المغرب الأوسط وأثرها على المجتمع 6 ـ 9 هـ (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، 2018م)

401 ـ بوزياني الدراجي: العصبية القبلية وأثرها على النظم والعلاقات في المغرب الاسلامي (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988م)

402 ـ بوعزيز كريمة: دور اليهود في النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي من الفتح الإسلامي إلى سقوط الموحدين (مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2018م).

403 ـ جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن الثالث إلى الخامس الهجري (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2000م)

404 ـ جهاد غالب مصطفى الزغول: الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردينة، الأردن، 1994م)

405 ـ حورية شريد: تطور المطبخ المغربي وتجهيزاته من عصر المرابطين إلى نهاية العصرالعثماني (رسالة دكتوراة غيرمنشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر (2)، 2011م)

406ـ خلدون محمد خيرصالح وردات: مدينة مراكش دراسة سياسية وحضارية (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، العراق، 1999م)

407 ـ ريم محمود راشد: موقف العلماء من السلطتين المرابطية والموحدية (رسالة دكتوراة غير منشور، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2014م)

408 ـ سارة بلحساني ـ لينة كعور: الملابس والأزياء في المغرب من الفتح الاسلامي حتى عهد المرابطين (مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2015/ 2016)

409 ـ سالم أبو القاسم محمد غومة: تطور المؤسسة العسكرية في دولتي الموحدين والمرابطين، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الفاتح، ليبيا، 2004م)

410 ـ سعاد بنت عبد الله بن عبد العزيز اليحيان: المرأة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1436هـ)

411 ـ سلامة محمد سلمان الهرفي: الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982م)

412 ـ سنوسي بدرة: طرائق التعليم في بلاد المغرب الإسلامي، من خلال كتاب آداب المعلمين للإمام محمد بن سحنون (مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي ـ سعيدة، الجزائر، 2018م)

413 ـ صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد (رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1938م)

414 ـ عبد النبي بن محمد: مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال إفريقيا والأندلس (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، 1979م)

415 ـ على الجندي: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، 2004م)

416 ـ عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين ـ دراسة اجتماعية واقتصادية (رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2009م)

417 ـ فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7 ـ 9هـ (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجزائر ـ بن يوسف بن خدة، 2009م)

418 ـ فاطمة الزهراء بومزراق: وصايا الأموات في الغرب الاسلامي من قيام الدويلات المستقلة إلى سقوط دولة الموحدين ـ وصايا الدفن نموذجا (مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون ـ تيارت، الجزائر، 2014م)

419 ـ فتحية محمد خير الوداني: الحياة الثقافية في فاس في عصر المرابطين (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2012م)

420ـ فتحية مزارشي: أثر السياسية النقدية على مستوى المعيشة ـ دراسة حالة الجزائر (رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة سطيف ـ1، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر، 2018م)

421 ـ كريمة عبد الرءوف: عامة مدينة فاس حتى نهاية عصر الموحدين (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، القاهرة، 2005م)

422 ـ لخضر العربي: واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزّياني (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، الجزائر، 2018م)

423ـ مجهول: حلي المرأة وزينتها في المغرب الإسلامي القرن 4ـ6هـ (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر (2)، 2012م)

424 ـ محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصري المرابطين والموحدين (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987م)

425ـ محمد بن ساعو: التجارة والتجار في المغرب الإسلامي القرن 7ـ10هـ (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2014م)

426 ـ محمد بن عميرة: الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة الموحدين (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005م)

427 ـ مسعود كربوع: النظام المالي للدويلات الإسلامية بالمغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى التاسع الهجري (رسالة دكتوراة غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة باتنة (1)، الجزائر، 2018م)

428ـ مليكة حميدي: المرأة المغربية في عهد المرابطين (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002م)

429 ـ منال صيودة: الجباية في عهد المرابطين 448هـ ـ 541هـ (مذكرة ماستر، جامعة محد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2017م / 2018م)

430 ـ موسى هواري: تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله، 2016م).

431 ـ نافزة ناصر الشرباتي: اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخليل، 2007م)

432 ـ نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2008م)

433 ـ نور حكيمة: جرد بعض أفران الخبز بمدينة تلمسان (مذكرة لنيل شهادة الماستر في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015م)

434 ـ هاجر كحول ـ رحمة زوايمية: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 3هـ ـ 10م إلى القرن 9هـ ـ 16م (مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2017م)

435 ـ يحيى أبو المعاطي محمد عباسي: الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2000م).

* * *

الملخص

احتل العامة مكانة كبيرة، وأدوا أدواراً متميزة، وشكلوا حلقة هامة في سبيل تطور الحضارة الإسلامية، وإنعاش الحياة الاجتماعية، وإثراء الثقافة، وتطور الاقتصاد. لكنهم هُمشوا رغم ذلك وغيبت أخبارهم من قبل المؤرخين الذين وقفوا منهم موقفا معاديا، ووصفوهم بأخس الأوصاف وأحط النعوت، ما أثر بدوره على كم المادة التاريخية المتعلقة بهم، وأسهم في تقديمهم في صورة زائفة ومشوهة.

فعلى الصعيد الاجتماعي عاش العامة ـ الذين تغلغلوا داخل كل عناصر التركيبة الإثنية والطائفية المشكلة لمجتمع المغرب الأقصى في عصر المرابطين ـ حياة بائسة، وعاينوا أوضاعا اقتصادية واجتماعية افتقدت لأدنى مقومات العيش الكريم، ومراتب الشعور بالأمن والأمان.

لكنهم ذلك ذلك أسهموا بشرائحهم المختلفة في كل الأنشطة الاقتصادية، وشكلوا ـ فلاحين ورعاة وصناع وحرفيين ـ عصب القوة المنتجة التي وقع عليها عبء الإنتاج، بداية من الأراضي التي اضطلعوا بتهيئتها وزراعتها وحصاد وتخزين محاصيلها. مرورا بالمواد الخام الزراعية والحيوانية والمعدنية التي استغلوها في صنع ما لا يعدوه الحصر من السلع والمنتجات. انتهاء بالنشاط التجاري الذي شاركوا فيه إما بشكل مباشر من خلال حوانيتهم الصغيرة، وإما بشكل غير مباشر عن طريق ممارسة السمسرة والدلالة أو نقل وحمل البضائع على أكتافهم وظهورهم، أو حراسة الأسواق وخفارة القوافل.

وقدموا إنتاجا فكريا وأدبيا، وأسهموا إسهامات ثقافية **تمثلت** في حفظ كتاب الله وقراءة علومه، وفي تعلم الفقه وأصوله، ودراسة الأدب وفنونه. **وتجلت** في كفالة بني طبقتهم، وتبنيهم علميا، وتدريسهم مجانا أو مقابل أجر يسير، في الربط أو المكاتب أو المساجد التي سعت الدولة لزيادة أعدادها عن طريق بناء مساجد جديدة وترميم القائم منها.

فقط الذي اتسم بالرخاوة، دورهم السياسي. حيث اكتفى العامة بالمعارضة السلبية إما عن طريق الانضمام للذعرة والانغماس بأعمال السلب والنهب، وإما بالتنفيس عما يجيش في صدورهم من سخط واستياء ببث شكواهم في الأشعار والأزجال والأمثال. لعجزهم عن مواجهة القوة العسكرية للنظام الحاكم، وافتقارهم للوعي الطبقي وافتقداهم للقائد.

المهم أنه أمكن بفضل ما تجمع للباحث من مادة تاريخية، تغطية جوانب الدراسة، التي تم تقسيمها إلى أربعة فصول، ومقدمة، وخاتمة، وعددا من الملاحق وتثبت بالمصادر والمراجع.

اختص الفصل الأول بتفصيل مظاهر حياة العامة الاجتماعية، ومستواهم المعيشي من حيث المأكل والمشرب، والملبس، والمسكن، والأعياد والمناسبات، ووسائل الترفيه والتسلية. زيادة على المؤسسات الاجتماعية كالمساجد والفنادق والحمامات التي قدمت لهم - رغم كونها ذات صبغة دينية وتجارية - خدمات إنسانية واجتماعية.

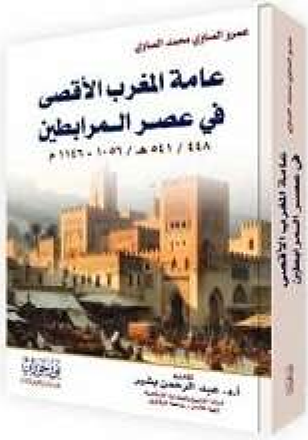
اهتم الفصل الثاني بالحديث عن دور العامة السياسي، وما عانوه من محن كانت السبب في انتفاضهم في وجه السلطة - مرات عدة - للتعبير عن سخطهم، والاحتجاج على سوء أوضاعهم.

عرض الفصل الثالث لأوجه مشاركة العامة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة، كالزراعة والصناعة والتجارة. حيث عرضت الدراسة مراحل زراعة الأرض من تمهيدها إلى حصاد محاصيلها، والعمليات الفلاحية التي اضطلع العامة بإنجازها، وعرضت كذلك لأنواع الحرف والصنائع التي اضطلعوا بممارستها، وشكل مشاركتهم التجارية.

أما الفصل الرابع فقد اهتم بإبراز دور العامة في نشر العلم وإثراء الفكر، وَعَرْض أهم العلوم التي نبهوا بها، وكشف من برزوا في تلك العلوم من المنتمين لطبقة العامة. بينما تضمنت **الخاتمة** ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

* * *

فهرس المحتويات



من المتعارف عليه بين المهتمين بدراسة التاريخ الإسلامي أنّ الكثير من قضاياه مازالت قائمة، وخاصة المتعلقة بالتاريخ الاجتماعي الذي لم ينل ما يكفيه من اهتمامات المؤرخين؛ ولم لا وثمة عنصر فاعل في المجتمع والاقتصاد والفكر والسياسة ما زال حتى الآن خارج دائرة الكتابة التاريخية، وهم العامة الذين اضطلعوا بمساعدة الدولة في تحقيق طموحاتها العكسرية وإنجاز مشاريعها الاقتصادية. لذلك سنحاول من خلال كتابنا: العامة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين الكشف عن أوضاع المنتمين تلك الطبقة والكشف عن أدوارهم في الاقتصاد والحرب والسياسة ونشر العلم وإثراء الفكر وإزخام المعرفة.

ISBN 978-9933-687-03-8

دمشق - سورية - ص.ب 5658
00963 933 329 555
00963 941 329 555
nourpublishing@gmail.com

Nour Houran
Publishing House